

التفسير البسيط

لأبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن أبي حمزة

ت (٤٦٨ هـ)

التفسير البسيط

لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن محمد بن أبي

ت (٤٦٨ هـ)

الجزء الأول

الدراسة - التحقيق

مقدمة المصنف - سورة الفاتحة

تحقيق

الدكتور محمد بن صالح بن عبد الله الفوزان

دققه ونقحه وضبطه

الأستاذ الدكتور

تركيب بن سهون بن أبي العتيق

الأستاذ الدكتور

عبد العزيز بن عبد العزيز السعدي

٢ شركة العبيكان للتعليم، ١٤٣٨هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الواحدى، أبو الحسن علي أحمد
التفسير البسيط. / أبو الحسن علي أحمد
الواحدى. - الرياض، ١٤٣٨هـ - ٢٥ مج.
٥٢٤ ص؛ ١٦، ٥ X ٢٤ سم

ردمك: ٠٠-٢٢٣-٥٠٩-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)
٧-٢٤-٠٢٤-٥٠٩-٦٠٣-٩٧٨ (ج ١)

١. الواحدى، علي بن أحمد، ت ١٤٦٨هـ (المؤلف).
٢. آل سعود، عبدالعزيز بن سطاتم.
العتيبي، تركي بن سهو، (تدقيق وتنقيح وضبط).

ديوي: ٢٢٧، ٢ - ٣٠٥٢ / ١٤٣٨

الطبعة الثانية

١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م

نشر وتوزيع
العبيكان
Obeikan

المملكة العربية السعودية - الرياض -

طريق الملك فهد - مقابل برج المملكة

هاتف: +٩٦٦ ١١ ٤٨٠٨٦٥٤ فاكس: +٩٦٦ ١١ ٤٨٠٨٠٩٥

ص.ب: ٦٧٦٢٢ الرياض ١١٥١٧

www.obeikanpublishing.com

جميع الحقوق محفوظة لصاحب السمو الملكي الأمير عبدالعزيز بن سطاتم بن عبدالعزيز آل سعود. ولا
يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو نقله في أي شكل أو واسطة، سواء أكانت إلكترونية أو ميكانيكية، بما
في ذلك التصوير بالنسخ (فوتوكوبي)، أو التسجيل، أو التخزين والاسترجاع، دون إذن خطي من الأمير.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خير الأنبياء والمرسلين أما بعد :

فقد دأبت حكومة خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود - يرحمه الله - على دعم الجامعات السعودية ، لتقوم بدورها الرائد في خدمة هذا البلد على أفضل صورة وأرقاها ، ولتنافس الجامعات العالمية بجهودها وأعمالها المتميزة ، ودعمه - يرحمه الله - لجامعة الإمام محمد بن سعود يذكر بأسطر من نور ، ويسجل بمداد من ذهب . والجامعة تسعى بكل طاقاتها وإمكاناتها لتحقيق هذه الأهداف السامية ، ومنها خدمة البحث العلمي ، ونشر العلم والمعرفة على أوسع مجال ، وأكثره نفعاً ، في مختلف مناحي الحياة .

وقد زخرت الجامعة بأعمال علمية كبيرة ، في مجالات كثيرة من تخصصاتها العلمية المختلفة ، ومن هذه الأعمال تحقيق كتاب (السيط في التفسير للإمام الواحدي) وقد حقق في الجامعة في خمس عشرة رسالة ، وهو من الأعمال الكبيرة ، فبعد الطباعة وصلت أجزاءه إلى خمسة وعشرين جزءاً مع الفهارس ، وتجاوزت صفحاته أربعة عشر ألفاً ، مما دل على ضخامة العمل وصعوبة نشره .

وقد كوَّنت لجنة لمتابعة ما بدئ به هذا العمل برئاسة صاحب السمو الملكي الأمير الدكتور عبدالعزيز بن سََّطام بن عبدالعزيز آل سعود لما أعرفه عن سموه من جدٍّ ونشاطٍ وعلميةٍ متميزةٍ ، وحرصٍ على العلم ، مع اهتمامه البالغ بنشر

هذا الكتاب ، وقد قام بهذه المسؤولية خير قيام ، وبذل من جهده ووقته وفكره وخبرته ، بل وماله ما سدّد العمل ، وأنجزه بوقتٍ قياسيٍّ ، وجعل هذا الكتاب يخرج بهذه الصورة الرائعة والثوب القشيب ، والحلة الجميلة ، شكلاً ومضموناً ، فجزاه الله خيراً على جهوده المتواصلة ، وأعماله الخيرة ، فمثله في عمله وخلقه أهل لكل خير .

كما أنني كلّفت الأستاذ الدكتور تركي بن سهو العتيبي صاحب الخبرة الطويلة والعمق العلمي والمعرفي والإتقان المعروف - عميد البحث العلمي السابق - بأن يكون نائباً للرئيس ؛ لمعرفتي أنه هو الذي قد بدأ هذا المشروع قبل ثلاث سنوات من نهاية مدّته الأخيرة التي انتهت في نهاية شهر ربيع الآخر من عام ١٤٢٧ هـ ، ولأنه من أعرف الناس بالكتاب ومراحل طباعته ، وبالشروط التي اشترطت لإخراجه ، ولخبرته في هذا المجال ، وقد قبل مشكوراً بالأمر وأسهم إسهاماً كبيراً في متابعته ليرى النور .

أما هذا الكتاب فهو التفسير البسيط للإمام أبي الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي المتوفى سنة ٤٦٤ هـ ، فهو من علماء القرن الخامس ، وكتابه هذا من أشهر كتب التفسير بالمأثور ، وهو واحد من كتبه الثلاثة في التفسير ؛ البسيط وهو هذا الكتاب الذي أقدم له وهو أكبر تفاسيره وأقدمها تأليفاً ، واسمه دليل على مراد مصنفه منه ، وكتابه الثاني الوسيط ، واسمه دل على أنه بين البسيط والمختصر ، والثالث كتاب الوجيز .

هذا العمل العلمي الكبير يعدُّ بحقّ مفخرة من مفاخر الجامعة التي سعت إلى تحقيقه أولاً ، ثم وفق الله سبحانه وتعالى إلى إخراجه ، فهو عملٌ علميٌّ ضخم أفنى فيه الباحثون سنين مهمة من أعمارهم لو قيست برأس المال المعرفي لوجدت أن متوسط سنوات إعداد كل رسالة ثلاث سنوات ، علماً بأن إعداد بعض هذه الرسائل قد تجاوز ثلاث سنوات من تاريخ التسجيل حتى المناقشة ، ومنها ما

أنجز في حدود السنتين ، وليست هناك رسالة تتم في أقل من هذا ، فهذا الكتاب بذل فيه ما يزيد على ثلاثين سنة عمل ، واستغرقت الطباعة والإخراج ما زاد على خمس سنوات ، إن الجهود الكبيرة التي بذلت وتبذل لهي عنوان كبير على قيمة هذا العمل ، وهذا فضل الله سبحانه وتعالى يؤتيه من يشاء .

وفي الختام أشكر رئيس اللجنة التي قامت على إخراج هذا العمل العلمي الكبير صاحب السمو الملكي الأمير الدكتور/ عبدالعزيز بن سطاتم بن عبدالعزيز ، وسعادة نائبه الأستاذ الدكتور/ تركي بن سهو العتيبي والعاملين معهم في اللجنة على ما قدموه من خدمة عظيمة لكتاب الله ، ولهذا الكتاب الأصيل ، ولطلاب العلم والباحثين في كل مكان . وأخيراً أسجل شكري وتقديري للإخوة الباحثين أصحاب الرسائل الجامعية الذين قاموا بالتحقيق ، ونالوا به درجاتهم العلمية ، وأشكر المراجعين والمصححين الذين قاموا على أعمال الطباعة والإخراج ، ولكل من قدّم جهداً في نشر هذا العمل الموسوعي .

وفي الختام أحمد الله أن قيّض لهذا البلد الطاهر خادماً الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود وصاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز آل سعود ولي العهد نائب رئيس مجلس الوزراء وزير الدفاع والطيران والمفتش العام ، وصاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبدالعزيز النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء وزير الداخلية الذين يحرصون على العلم النافع والعمل الصالح ، فلم يدخروا وسعاً في دعم البحث العلمي وتشجيعه ونشره ، وخدمة الإسلام والمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها .

وصلّى الله وسلّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

أ . د . سليمان بن عبدالله أبا الخيل

مدير جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، أما بعد :

فمن نعم الله الكثيرة أن هياً سبيل السعي إلى طلب العلم وتحصيله ، وذلك طرقه ، وفتح آفاقاً من المعرفة كثيرة ، ينهل منها أهل العلم وطلابه في مجال من مجالاته المختلفة . ومن خير الأعمال التي تبذل فيها الأوقات نشر الكتب ولاسيما كتب العلوم الشرعية في مختلف تخصصاتها ، وجميع ما يتصل بنشرها وتوزيعها ، ودون شك أن من أشرف العلوم ما كان متصلاً بكتاب الله سبحانه وتعالى ، تفسيراً وقرآناً وإعراباً وتوجيهاً ، ومنها هذا المشروع الكبير المتصل بتفسير كتاب الله وإعرابه ، فقد سجّل خمسة عشر طالباً من قسم القرآن وعلومه رسائلهم لنيل درجة الدكتوراه في كتاب التفسير البسيط للواحدي ، وهو يستحق كل هذا العدد الكبير من الرسائل لكونه من كتب التفسير والإعراب الواسعة ، وكما نصّ على هذا مؤلفه فوافقت حقيقته واقع الكتاب ، وجاءت هذه الرسائل لتلبي الحاجة الملحة إلى العمل في هذا السفر الكبير ، وقد بذل المحققون جهوداً كبيرة في إخراج رسائلهم التي أمضوا في إعدادها سنوات مهمة من أعمارهم لينالوا الدرجات العلمية في دراسة هذا التفسير ، وقد حصلوا عليها بفضل الله سبحانه وتعالى ، وبقي هذا العمل حبيس الأدراج حتى قيّض له الأخ الزميل الدكتور تركي بن سهو العتيبي عميد البحث العلمي السابق لينذل جهده لإخراج الكتاب مع إدراكه أن هناك عقبات كثيرة تحول دون نشره ، ومن أصعبها تعدد الرسائل في

هذا الكتاب ، وتباعد الباحثين ، وضخامة العمل ، ولزوم إخراجه كاملاً في وقت واحد .

وبدأ العمل في الكتاب منذ ست سنوات ، وكان عملاً متواصلاً لا ينفك ألبتة ، مما جعل اللجنة المشكلة تبذل جهوداً متواصلة لإخراجه وطباعته ، ومحاولة توحيد عمل المحققين ، والسعي لتوحيد الإخراج ، ليكون الكتاب كله على نسق متقارب .

وقد أخذت اللجنة العلمية على عاتقها تطبيق ملحوظات الفاحصين على جميع الرسائل ، من خلال المراجعين الذين كلفوا بالمراجعة والتصحيح والتدقيق ، كما قررت اللجنة أن تُدَوِّن أسماء الباحثين على الأجزاء التي حقَّقوها ، وبذلت خطوات علمية وعملية ؛ حيث قامت اللجان بمقابلة النص كاملاً على إحدى النسخ الخطية للتأكد من خلوّه من الأسقاط ، والالتزام برسم المصحف ، والضبط بالشكل للمشكل من الكلمات ، أو ما يستدعي السياق ضبطه ، ورفع الإبهام عن النص ، والتخلص من تراجم المشهورين ، ومحاولة عدم تكرار التخريج للنصوص ، وعدم تكرار توثيق الشواهد ما أمكن ، إلا ما دعت الحاجة إلى تكراره ، وبعد هذا كله الإشراف على الفهرسة العلمية الكاملة لهذا الكتاب .

هذا جهد استمر من منتصف عام ١٤٢٥ هـ ، حتى الآن ، وبعد جهود متواصلة ، ومتابعة متلاحقة خرج هذا العمل الذي أسأل الله سبحانه وتعالى أن يكون عملاً صالحاً مقبولاً ، وأن يجزي الباحثين أصحاب الرسائل كل خير .

وأخيراً أشكر الله سبحانه وتعالى على ما أعان ويسر وتمم ، وأثني بالشكر والعرفان لخدام الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز ، وصاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز نائب رئيس مجلس الوزراء وزير الدفاع والطيران والمفتش العام ، وصاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبدالعزيز

النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء وزير الداخلية ؛ على ما أولوه للعلم والمعرفة من عناية ورعاية واهتمام ، وما قدموه وما يقدمونه للجامعات السعودية من جهود مباركة .

وأشكر معالي مدير الجامعة الأخ الأستاذ الدكتور سليمان بن عبدالله أبا الخيل اهتمامه بهذا الكتاب ، ومباركته هذا التوجه وتأييده له ، وحرصه الشديد على الإسراع بنشره ، وتأكيد الدائم بأن الجامعة ستدعم هذا المشروع بكل ما تستطيع .

وأسجل عرفاني وتقديري لأعضاء اللجنة جميعاً على صبرهم وتحملهم هذا العمل ، مع مشاغلهم الكثيرة ، وبذلهم جهوداً متواصلة من غير كلل ولا ملل ، كان العمل متواصلاً طيلة هذه السنوات ، وقد ظنّ الكثيرون بأن العمل توقّف ، لكنه لم يتوقف بحمد الله ، لكن رغبة في الإنجاز حرص أعضاء اللجنة على العمل الدائم بصمت تام حتى يتحقّق إنجازهم ، وقد تمّ بفضل الله سبحانه وتعالى .

وأشكر كذلك لجان المتابعة والمراجعين ، وجميع من ضرب مع اللجنة بسهم في العمل . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

عبدالعزیز بن سطاتم بن عبدالعزيز آل سعود

مقدمة التحقيق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ ، نَحْمَدُهُ ، وَنَسْتَعِينُهُ ، وَنَسْتَغْفِرُهُ ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا ، وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢] .
 ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً
 وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١] . ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا
 اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ
 وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١] .

أما بعد :

فإنَّ أجلَّ ما صرفت فيه الأعمار ، وقضيت فيه الأيام ، الاشتغال بكتاب الله جل وعلا ، قراءة وتعلُّماً وتعليماً وتفسيراً ، فهو الحجة البالغة والصراط المستقيم ، وهو «كتاب الدالُّ عليه لمن أراد معرفته ، وطريقه الموصلة لسالكها إليه ، ونوره المبين الذي أشرقت له الظلمات ، ورحمته المهداة التي بها صلاح المخلوقات جميعها ، والسبب الواصل بينه وبين عباده إذا انقطعت الأسباب ، وبابه الأعظم الذي منه الدخول ، فلا يغلق إذا أغلقت الأبواب ، وهو الصراط المستقيم الذي

لا تميل به الآراء ، والذكر الحكيم الذي لا تزيع به الأهواء ، والنزل الكريم الذي لا يشبع منه العلماء ، ولا تفنى عجائبه ، ولا تُقْلَع سحائبه ، ولا تنقضي آياته ، ولا تختلف دلالاته ، كلما ازدادت البصائر فيه تأملاً وتفكيراً زادت هداية وتبصيراً ، وكلما بَجَسَتْ^(١) معينه فَجَّرَ لها ينابيع الحكمة تفجيراً ، فهو نور البصائر من عماها ، وشفاء الصدور من أدوائها وجواها^(٢) ، وحياة القلوب ، ولذة النفوس^(٣) .

ولذلك عكف العلماء على مائدة القرآن منذ نزوله ، تلاوةً وحفظاً ، وتدبراً واستنباطاً ، وتفسيراً وبياناً ، وتأليفاً وبحثاً عن أسرارهِ وعجائبهِ التي لا تنفذ ولا تنقضي ؛ لذلك تعددت الدراسات حول القرآن ؛ فمنهم من عُني بقراءته وعللها ، ومنهم من عُني بغريبهِ ومعانيهِ ، ومنهم من عني بإعرابه وبلاغته ، ومنهم من عني بأحكامهِ وتشريعاتهِ ، ومنهم من عني بِمُشْكِلِهِ ومتشابههِ ، ومنهم من عُني بأسباب نزوله وناسخهِ ومنسوخهِ ، وقد استأثر التفسير بالنصيب الأوفى من هذه الدراسات ؛ حيث أُلْفِت في هذا الباب كتبٌ عديدة ومصنفاتٌ عجيبة ، ما بين مطيل متوسّع ، ومختصر موجز ، ومتوسط مقتصد .

ومَن وفقهم الله لذلك العلامة المفسر اللغوي : أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي ؛ حيث أُلْف في التفسير فأكثر ولَوْن ، وبسط وأوجز ، وجمع وحقق ، وزَيَّن ونَمَّق ، واشتهر بين الناس بمصنفاته في التفسير ، وسارت بها الركبان ، وتداولها شُداة العلم ، وأفادوا منها ، وأثنوا عليها غاية الثناء ، وذلك أنه كما قال عن نفسه : «وأظنني لم أَلْ جهداً في إحكام أصول هذا العلم ، على حسب ما يليق بزماننا هذا ، ويسعه سنو عمري ، على قلة أعدادها ، فقد وفق الله تعالى ،

(١) بجست : فجرت . انظر : اللسان ١/ ٢١٢ .

(٢) جواها : الجوى : الحرقه وشدة الوجد من عشق أو حزن ، والجوى السل وتطول المرض . انظر :

اللسان ٢/ ٧٣٤ .

(٣) مدارج السالكين ١/ ٣ .

وله الحمد ، حتى اقتبست كل ما احتجت إليه في هذا الباب من مظانّه ، وأخذته من معادنه . فجاءت مؤلفاته مليئة بالفوائد ، جامعة للعلوم والمعاني ، حسنة في الألفاظ والمباني . ومع قناعة أبي الحسن الواحدي بأنّ الأول لم يترك للآخر شيئاً ، إلا أنه اعتذر لنفسه بقوله : «إن المتأخر بلطيف حيلته ، ودقيق فطنته ، يلتقط الدرر ، ويجمع الغرر ، فينظمها كالعقد على صدر الكعاب^(١) ، يروق^(٢) المتأملين ، ويؤنق^(٣) الناظرين ، فيستحق به في الأولى حمد الحامدين ، وفي العقبى ثواب رب العالمين» .

وكان - رحمه الله - تحدّثه نفسه أن يعلق في تفسير القرآن فقرّاً^(٤) في الكشف عن غوامض معانيه ، ونكتاً في الإشارة إلى علل القراءات فيه ، في ورقات يصغر حجمها ، ويكثر غُنْمها ، والأيام تَمُطُّله بصروفها ، على اختلاف صنوفها ، إلى أن شدد عليه خناق التقاضي قوم لهم في العلم سابقة ، وفي التحقيق همم صادقة ، فسمحت قُرُونُهُ بعد الإباء ، وذلت صعوبته بعد النفرة والالتواء .

قال : «وقد استخرت الله العظيم في جمع كتاب أرجو أن يمدني الله فيه بتوفيقه وحسن تيسيره ، حتى أبرزه كالقمر انجاب سحابه والزلال صفا متنه واطرد حُبابه ، يؤدي إلى المتأمل نُضرة الكلم العذاب ، ورونق الذهب المذاب ، سالك نهج الإعجاز في الإيجاز ، مشتمل على ما نقت على غيري إهماله ، ونعيت عليه إغفاله ، خال عما يكسب المستفيد ملالة ، ويتصور عند المتصفح إطالة ، لا يدع لمن تأمله حازة في صدره ، حتى يخرج من ظلمة الريب والتخمين إلى نور العلم وثَلَج اليقين» .

(١) الكعاب : الجارية التي نهد ثديها . انظر : اللسان ٣٨٨٨ / ٧ .

(٢) يروق : يعجب . انظر : اللسان ١٧٧٩ / ٣ .

(٣) يؤنق : يعجب . انظر : اللسان ١٥٣ / ١ .

(٤) الفَقْر : خرزات الظهر ، الواحدة : فقرة . والفقرة : جملة من كلام ، أو جزء من موضوع . انظر : تهذيب اللغة ١١٧ / ٩ ، والمعجم الوسيط ٦٩٧ / ٢ .

ولما كان الكتاب بهذه المثابة ، ومؤلفه بهذه المنزلة ، فقد ظل الكتاب مغموراً محبوساً بين المخطوطات في خزائن كتب التراث في الخافقين ، حتى قبض الله له من ينفض عنه الغبار ، وهم مجموعة من الأساتذة الأفاضل ، نالوا بها درجة الدكتوراه ، وهم :

- ١ . الدكتور محمد بن صالح بن عبدالله الفوزان .
من أول الكتاب إلى آخر الآية رقم ٧٤ من سورة البقرة .
- ٢ . الدكتور محمد بن عبدالعزيز الخضير .
من آية ٧٥ من سورة البقرة إلى آخر السورة .
- ٣ . الدكتور أحمد بن محمد بن صالح الحمادي .
سورة آل عمران كلها .
- ٤ . الدكتور محمد بن حمد بن عبدالله المحميد .
من أول سورة النساء إلى آخر سورة المائدة .
- ٥ . الدكتور محمد بن منصور الفايز .
من أول سورة الأنعام إلى آخر سورة الأعراف .
- ٦ . الدكتور إبراهيم بن علي الحسن .
من أول سورة الأنفال إلى آخر سورة يونس .
- ٧ . الدكتور عبيد الله بن إبراهيم الريس .
من أول سورة هود إلى آخر سورة الرعد .
- ٨ . الدكتور عبدالرحمن بن عبد الجبار بن صالح هوساوي .
من أول سورة إبراهيم إلى آخر سورة الإسراء .
- ٩ . الدكتور عبدالعزيز بن محمد اليحيى .
من أول سورة الكهف إلى آخر سورة طه .

- ١٠ . الدكتور عبدالله بن عبدالعزيز بن محمد المديميغ .
من أول سورة الأنبياء إلى آخر سورة النور .
- ١١ . الدكتور سليمان بن إبراهيم بن محمد الحصين .
من أول سورة الفرقان إلى آخر سورة الروم .
- ١٢ . الدكتور محمد بن عبدالله بن سايح الطيار .
من أول سورة لقمان إلى آخر سورة ص .
- ١٣ . الدكتور علي بن عمر السحبياني .
من أول سورة الزمر إلى آخر سورة الحجرات .
- ١٤ . الدكتور فاضل بن صالح بن عبدالله الشهري .
من أول سورة ق إلى آخر سورة القلم .
- ١٥ . الدكتور نورة بنت عبدالله بن عبدالعزيز الورثان .
من أول سورة الحاقة إلى آخر الكتاب .

فجزاهم الله خير الجزاء

أهمية هذا الكتاب وسبب اختياره

يُبين أهمية هذا الكتاب ما للمؤلف من مكانة علمية عالية وما لكتابه البسيط من قيمة علمية كبيرة، فقد برز الواحد في علوم كثيرة؛ مثل التفسير والعربية، وتصدر للتدريس في زمانه، يقول الحافظ الذهبي عنه: «الإمام، العلامة، الأستاذ... صاحب التفسير، وإمام علماء التأويل... كان طويل الباع في العربية... تصدر للتدريس مدة وعظم شأنه»^(١). وقد أثنى عليه وأشاد بمؤلفاته كثير من العلماء^(٢).

فالواحد قد بلغ مرتبة الإمامة في كثير من العلوم الشرعية، أمّا كتابه البسيط فإن له قيمة علمية كبيرة في مجال التفسير التحليلي للآيات، يذكر معاني المفردات وما يتعلق بها من حيث اللغة والنحو، والعناية بالقراءات وبيان أوجهها وعللها، وسياق الأقوال والأوجه في التفسير مع الموازنة بينها أو الترجيح في كثير من الأحيان، وذكر أسباب النزول واستنباط ما تدل عليه الآيات من أحكام؛ فهذا الكتاب يعدُّ من التفاسير الجامعة.

من جهة أخرى فإن البسيط قد امتاز بمراجعته الأصيلة في التفسير والعربية، ويعدُّ أيضاً مصدراً مهماً لنصوص كثيرة من كتب مفقودة؛ مثل: المصادر للفرّاء، ونظم القرآن للجرجاني وبعض كتب ابن الأنباري، وغيرها، حيث اعتمد الواحد في كثير من هؤلاء في تفسيره، وكان حسن الانتقاء للنقول، وإجادة الربط بين الكلام ولو كان من مصادر متعددة.

(١) سير أعلام النبلاء ١٨/٣٣٩-٣٤١.

(٢) انظر: المنتخب من السياق ٣٨٧، وإنباه الرواة ٢/٢٢٣، ومعجم الأدباء ١٢/٢٥٨، ووفيات الأعيان ٣/٣٠٣، وإشارة التعيين ٢٠٩، وطبقات الشافعية الكبرى ٣/٢٨٩، ٢٩٠، والبداية والنهاية ١٢/١٢١، وطبقات المفسرين للدودي ١/٣٩٤.

ومن أهمية هذا التفسير أن الواحدي تصدَّى فيه للرد على الفرق الضالة - خاصة القدريّة - كلما سنحت له الفرصة ، فبين بُعد منهجهم عن الصواب ، ومجانبتهم لما دلت عليه الآيات القرآنية والسنة المطهرة .

ويعدُّ البسيط مصدراً أصيلاً قديماً من تفاسير القرن الخامس الهجريّ ، نقل منه كثير ممّن جاء بعده من المفسرين ؛ وذلك لغزارة مادة البسيط العلمية وتنوّعها ، ففيه مادة لغوية ونحوية ، وفيه كثير من الأقوال والآثار التي لم يعثر عليها في كتب التفسير الأخرى .

فالواحدي يتّصف بدقّة البحث للمسائل وتحريرها وحسن ترجيحها ، وهذا جعل كثيراً من المفسرين يتبنّى آراءه ، ويستشهد بها في مواطن الخلاف .

ويعدُّ البسيط أيضاً من كتب التفسير الكبيرة الجامعة لمختلف العلوم ، ولؤلؤ هذا الكتاب وهو الإمام الواحدي المكانة العلمية البارزة ، فهو من كبار العلماء بالتفسير والعربية .

صحيح أن المؤلف - رحمه الله - وقع في ما أخذ عليه ، وانتقد بسببه ، لكن تلك المأخذ لا تقلل كثيراً من شأن الكتاب ، ولا تطمس محاسنه ومزاياه ؛ ولهذا فإن المكتبة القرآنية بحاجة إلى نشر هذا الكتاب محققاً ، لتعمّ به الفائدة ، ويكثر به النفع ، وأسأل الله أن يوفّقنا إلى إبراز هذا وإخراجه بالصورة التي تليق به .

خطة العمل

يتكوّن هذا الكتاب من مقدمة ، وقسمين ، وفهارس .

المقدمة أشرنا فيها إلى أهمية الكتاب المحقّق ، وسبب اختياره .

◀ القسم الأول : الدراسة ، تنقسم إلى فصلين :

الفصل الأول : التعريف بالمؤلف .

فيه مبحثان :

■ المبحث الأول : التعريف بالمؤلف .

فيه تسعة مطالب :

• المطلب الأول : اسمه ، ونسبه ، وكنيته ، وأسرته .

• المطلب الثاني : ولادته ووفاته .

• المطلب الثالث : موطنه .

• المطلب الرابع : طلبه للعلم ، ورحلاته في طلب العلم ، والعلوم التي برز فيها .

• المطلب الخامس : عقيدته ومذهبه .

• المطلب السادس : شيوخه وتلاميذه مع تعريف لكل واحد منهم .

• المطلب السابع : مؤلفاته .

• المطلب الثامن : مكانته .

• المطلب التاسع : أقوال العلماء فيه ، وما كتبه العلماء عن الواحدي ثناءً أو نقداً له ، والصواب من ذلك .

■ المبحث الثاني : الأوضاع السياسية في عصر الواحدي ، وأثرها في الناحية العلمية .

الفصل الثاني : دراسة عن كتاب البسيط .

فيه عشرة مباحث :

- المبحث الأول : اسم الكتاب .
- المبحث الثاني : ثبوت نسبة الكتاب إلى الواحدي .
- المبحث الثالث : الباعث على إنشائه .
- المبحث الرابع : تاريخ البدء به وتاريخ الانتهاء منه .
- المبحث الخامس : مصادر الواحدي في البسيط ، ثم التعريف بهذه المصادر وطريقته في الأخذ منها ، وما المادة التي أخذها .
- المبحث السادس : منهج الواحدي في البسيط ، وفيه ثلاثة مطالب :
 - المطلب الأول : منهجه إجمالاً كما وصفه في مقدمة كتابه .
 - المطلب الثاني : منهجه تفصيلاً .

فيه تسع مسائل :

- المسألة الأولى : منهجه في تفسير القرآن بالقرآن .
 - المسألة الثانية : منهجه في تفسير القرآن بالسنة .
 - المسألة الثالثة : منهجه في تفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين .
 - المسألة الرابعة : منهجه في ذكر الإسرائيليات .
 - المسألة الخامسة : منهجه في القراءات .
 - المسألة السادسة : منهجه في علوم القرآن .
- ١ . أسباب النزول .
 - ٢ . الوقف والابتداء .
 - ٣ . النسخ والمنسوخ .
 - ٤ . الربط بين الآيات .

— المسألة السابعة : منهجه في مسائل العقيدة ، والرد على الفرق .

— المسألة الثامنة : منهجه في المسائل الفقهية والأصولية .

— المسألة التاسعة : منهجه في اللغة وفنونها .

• المطلب الثالث : مقارنة بين تفاسير الواحدي الثلاثة .

■ المبحث السابع : قيمة البسيط العلمية .

■ المبحث الثامن : أثر الواحدي في من بعده عن طريق كتابه البسيط ،

وفيه ذكرت أهم الذين تأثروا بتفسير البسيط وأفادوا منه ، فمن المفسرين :

١ . الفخر الرازي في تفسيره : مفاتيح الغيب .

٢ . أبو حيان في تفسيره : البحر المحيط .

٣ . السمين الحلبي في تفسيره : الدر المصون .

٤ . الجمل في تفسيره : الفتوحات الإلهية .

٥ . الألوسي في تفسيره : روح المعاني .

ومن المؤلفين في علوم القرآن :

١ . الزركشي في البرهان .

٢ . السيوطي في الإتقان .

ومن الفقهاء : الطحطاوي في حاشيته على المراقي ، والنووي في المجموع شرح المذهب ، والخطيب في مغني المحتاج ، والشوكاني في نيل الأوطار ، والصنعاني في سبل السلام .

ومن شراح الحديث : النووي في شرح مسلم ، والحافظ في الفتح ، وبدر العيني في عمدة القاري ، والسيوطي في تنوير الحوالك ، وشرح سنن النسائي ، والمنائي في فيض القدير .

■ المبحث التاسع : منهج تحقيق الكتاب .

- المبحث العاشر : النسخ الخطية لتفسير البسيط .
- ◀ القسم الثاني : تحقيق نص الكتاب .

◀ الفهارس : عملنا فهارس متنوعة ؛ تذليلاً للبحث في الكتاب ،
وتيسيراً على الباحثين ، وهي الآتي :

- ١ . فهرس الآيات التي ورد بها أسباب نزول .
- ٢ . فهرس الأحاديث .
- ٣ . فهرس الآثار .
- ٤ . فهرس الأعلام المترجم لهم .
- ٥ . فهرس الأبيات الشعرية .
- ٦ . فهرس الكلمات اللغوية .
- ٧ . فهرس الكلمات النحوية .
- ٨ . فهرس البلدان والمواضع .
- ٩ . فهرس الطوائف والفرق والقبائل .
- ١٠ . فهرس المصادر والمراجع .
- ١١ . فهرس المحتويات .

* * *

القسم الأول : الدراسة

تنقسم إلى فصلين :

الفصل الأول : التعريف بالمؤلف .

الفصل الثاني : دراسة عن كتاب البسيط .

الفصل الأول : التعريف بالمؤلف

■ المبحث الأول : التعريف بالمؤلف .

فيه تسعة مطالب :

- المطلب الأول : اسمه ، ونسبه ، وكنيته ، وأسرته .
- المطلب الثاني : ولادته ووفاته .
- المطلب الثالث : موطنه .
- المطلب الرابع : طلبه للعلم ، ورحلاته في طلب العلم ، والعلوم التي برز فيها .
- المطلب الخامس : عقيدته ومذهبه .
- المطلب السادس : شيوخه وتلاميذه مع تعريف لكل واحد منهم .
- المطلب السابع : مؤلفاته .
- المطلب الثامن : مكائنه .
- المطلب التاسع : أقوال العلماء فيه ، وما كتبه العلماء عن الواحدي ثناءً أو نقداً له ، والصواب من ذلك .

■ المبحث الثاني : الأوضاع السياسية في عصر الواحدي ، وأثرها في الناحية العلمية .

المبحث الأول

التعريف بالواحدى ، حياته وآثاره

● المطلب الأول : اسمه ونسبه ، وكنيته ، وأسرته

أولاً : اسمه ونسبه

هو علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدى النيسابورى الشافعى . هذا نسبه فى أكثر المصادر التى وردت فيها ترجمته^(١) ، وزاد بعضهم فى نسبه فذكر متويه أحد أجداده ونسبه له ، فقال ابن خلكان^(٢) : المتوي ، وقال ابن الأثير^(٣) : المتوي . أما ابن كثير فقال فى نسبه : «علي بن حسن بن أحمد بن بويه الواحدى»^(٤) . ولم يذكر أحد غيره أن اسم أبيه حسن ، بل أجمعت المصادر على أنه أحمد فلعلّه تصحيف . وقعت كنيته أبو الحسن مكان اسم أبيه ، أما قوله : ابن بويه ، فلعلّها كذلك تصحيف متويه^(٥) .

(١) انظر : دمية القصر وعصرة أهل العصر للبأخرزى ١٠١٧/٢ ، ومعجم الأدياء ٢٥٧/١٢ ، وإنباه الرواة ٢٢٣/٢ ، وسير أعلام النبلاء ٣٣٩/١ ، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٢٨٩/٣ ، والإسنوي ٥٣٨/٢ ، وغاية النهاية فى طبقات القراء ٥٢٣/١ ، والنجوم الزاهرة ١٠٤/٥ ، وبغية الوعاة ١٤٥/١٢ ، وطبقات المفسرين للسيوطي ٦٦ ، وطبقات المفسرين للدوادى ٣٩٤/١ ، وإشارة التعيين ٢٠٩ .

(٢) انظر : وفيات الأعيان ٣/٣٠٣ ، ٣٠٤ .

(٣) انظر : اللباب ٣/١٦٣ .

(٤) البداية والنهاية ١٢/١١٤ .

(٥) انظر : الواحدى ومنهجه فى التفسير د . جودة محمد ، ٥٦ .

والواحد يفتح الواو ، وبعد الألف حاء مهملة مكسورة ، وهذه النسبة إلى الواحد بن الدين^(١) بن مهرة ، ذكره ابن خلكان عن أبي أحمد العسكري .

وقال أبو الفداء : الواحد ي نسبة إلى الواحد بن ميسرة^(٢) ، وبنو مهرة قبيلة عربية مشهورة ترجع إلى قضاعة^(٣) ، وشهرته بالواحد هي المعروفة المذكورة في المصادر .

أما المتوي فنسبة إلى متويه بفتح الميم والتاء المشددة المضمومة ، أحد أجداده المنسوب له ، قاله ابن خلكان^(٤) ، وذكر هذا النسب السمعاني^(٥) فقال : المتوي ، ولم يذكر الواحد ي ضمن من ذكر في من نسب لهذا الجد ، وتعقبه ابن الأثير^(٦) ، فذكر الواحد ي ونسبه إلى هذا الجد ، فقال : المتوي . والنيسابوري نسبة إلى موطنه نيسابور كما سبق .

ثانياً : كنيته

يكنى أبا الحسن على هذا أكثر المصادر ، سوى القفطي في إنباه الرواة ، فإنه قال : الحسين^(٧) . ولعله تصحيف عن الحسن ، وهذا يحصل كثيراً في كتب التراجم بين اسم الحسن ، والحسين .

(١) كذا في وفيات الأعيان بتحقيق د. إحسان عباس ، إذ قال في الحاشية : كذا في المسودة ، وفي التصحيف ٥٠٦ (الدثن) ، وفيات الأعيان ٣ / ٣٠٤ . وفي الأعلام ، (الدليل) ٤ / ٢٥٥ ، واختاره مؤلف الواحد ي ومنهجه في التفسير ٥٨ .

(٢) المختصر في أخبار البشر ٢ / ١٩٢ .

(٣) انظر : جبهة أنساب العرب لابن حزم ٤٤٠ ، ٤٨٥ .

(٤) انظر : وفيات الأعيان ٣ / ٣٠٤ .

(٥) انظر : الأنساب ١٢ / ٨٢ .

(٦) انظر : اللباب ٣ / ١٦٣ .

(٧) انظر : إنباه الرواة ٢ / ٢٢٣ .

ثالثاً : أسرته

لم تذكر المصادر شيئاً كثيراً عن أسرة الواحدي ، وكل ما قيل عنها : إنَّ أباه يعدُّ من التجار^(١) ، فالواحدي نشأ في أسرة ذات يسار ، وهذا يهيئ لطالب العلم التفرغ له ، فلا ينشغل بطلب قوته غالباً . ومما ذكر عن أسرته أن له أخوين :

أحدهما : عبدالرحمن ، ذكره في المنتخب من السياق ، فقال : عبدالرحمن بن أحمد بن محمد بن علي بن مثنويه الواحدي ، أبو القاسم ، مستور صالح ، أخو الإمام علي الواحدي ، الأكبر منه ، وأصلهم من ساوة من أولاد التجار ، سمع من الزيادي وابن يوسف ومن بعدهم من أصحاب الأصم ، وعقد له مجلس الإملاء في الجامع المنيعي . . . وتوفي يوم الأربعاء غرة شهر ربيع الآخر سنة سبع وثمانين وأربعمائة ، روى عنه أبو الحسن^(٢) .

والثاني : سعيد ، قال في المنتخب : «سعيد بن أحمد بن محمد السمسار ، أبوبكر الواحدي ، أخو الإمام المفسر علي الواحدي ، شيخ ثقة مستور عفيف كان يحترف السمسرة سمع من أصحاب الأصم»^(٣) .

● المطلب الثاني : ولادته ووفاته

أولاً : ولادته

لم يذكر أحد ممن ترجم للواحدي تاريخ ميلاده ، وهذا واقع في تراجم أغلب العلماء ، ذلك أن العالم حين ولادته لم يظهر له نبوغ يذكر ،

(١) انظر : معجم الأدباء ٢٥٧/١٢ ، وطبقات الشافعية للسبكي ٢٨٩/٣ ، وطبقات الشافعية للإسنوي ٥٣٩/٢ ، والنجوم الزاهرة ١٠٤/٥ ، وغيرها من الكتب التي ترجمت له .

(٢) المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور ل ٩١ ب ، وترجم له في سير أعلام النبلاء ٣٤٢/١٨ ، وانظر : معجم الأدباء ٢٥٨/١٢ ، وطبقات الشافعية للسبكي ١٨٩/٣ ، والنجوم الزاهرة ١٠٤/٥ .

(٣) المنتخب من السياق ل ٦٨ أ ، وأسباب النزول للواحدي ، مقدمة السيد أحمد صقر ٥ ، وذكر اسمه (سعد) .

ولا أثر يستحق التسجيل ، وربما كان لبعض الأسر دور في تسجيل تاريخ ميلاد أبنائهم ، والواحد لم ينص أحد على تاريخ ميلاده ، وإنما ذكر تاريخ وفاته .

ثانياً : وفاته

توفي أبو الحسن الواحدي سنة ٤٦٨ هـ في جمادى الآخرة في نيسابور ^(١) ، بعد مرض طويل ألمَّ به ^(٢) ، خلافاً لما ذكره بعضهم ^(٣) من أن مرضه لم يدم طويلاً . وذكر بعضهم ^(٤) قولاً : إنه توفي سنة ٤٦٩ هـ ، ثم رجَّح الأول ، وقد ذكروا أنه شاخ ^(٥) ، وكان عند وفاته من أبناء السبعين ^(٦) .

● المطلب الثالث : موطنه

أصل الواحدي من ساوة ، وقد قال ذلك ياقوت وغيره ^(٧) ، ولكن أسرته انتقلت منها ، واستقرت في نيسابور ، حيث ولد الواحدي وتوفي فيها ^(٨) ، ونيسابور إحدى مدن خراسان المهمة ؛ فهو خراساني نيسابوري . أما ساوة فقد

-
- (١) انظر مثلاً : المنتخب من السياق ٣٨٧ ، ومعجم الأدباء ١١ / ٢٥٨ ، وإنباه الرواة ٢ / ٢٢٤ ، ووفيات الأعيان ٣ / ٣٠٤ .
 - (٢) انظر : المراجع السابقة ، والمختصر في أخبار البشر ٢ / ١٩٢ ، وتاريخ ابن الوردي ١ / ٣٨٧ ، وطبقات الشافعية للإسنوي ٢ / ٥٣٩ .
 - (٣) وهو القفطي في إنباه الرواة ٢ / ٢٢٤ ، وقد تكون كلمة (غير) مقحمة في قوله : ومرض مرضة غير طويلة ، واكتفى ابن كثير في البداية والنهاية ١٢ / ١١٤ بقوله : وقد مرض مدة .
 - (٤) هو ابن تغري بردي في النجوم الزاهرة ٥ / ١٠٤ .
 - (٥) انظر : سير أعلام النبلاء ١٨ / ٣٤٢ .
 - (٦) تقدم ذكر ذلك .
 - (٧) انظر : معجم البلدان ١٢ / ٢٥٧ ، وطبقات الشافعية للسبكي ٣ / ٢٨٩ ، وشذرات الذهب ٣ / ٣٣٠ .
 - (٨) انظر : المراجع السابقة .

قال عنها ياقوت : «مدينة حسنة بين الري وهمذان في وسط . . . وبقرها مدينة يقال لها آوة ، فساوة سنّية شافعية ، وآوة أهلها شيعة إمامية وبينهما نحو فرسخين ، ولا يزال يقع بينهما عصبية . . . »^(١) . ولا نقف عندها كثيراً حيث تركتها أسرة الواحدي قبل ولادته^(٢) ، فأثرها في حياته قليل .

أما خراسان ، وهو الإقليم الذي عاش الواحدي في إحدى مدنه ، فهو منطقة واسعة ، قال ياقوت في بيان حدودها : «خراسان : بلاد واسعة أول حدودها مما يلي العراق أزاوار قصبية جوين ويهق ، وآخر حدودها مما يلي الهند طخارستان وغزنة وسجستان وكرمان ، وليس ذلك منها ، إنما هو أطراف حدودها»^(٣) . وفي خراسان أمهات البلاد ، منها : بلخ ونيسابور وبوشنج ومرو وهراة وطالقان وغيرها^(٤) ، فتحت خراسان في أيام عثمان - رضي الله عنه - بإمرة عبدالله بن عامر بن كرز^(٥) .

وقد وصف المقدسي إقليم خراسان ، فقال : «اعلم أن لهذا الإقليم فضائل تنسب إلى هذا الجانب ويشركه في أكثرها جانب هيطل»^(٦) ، إلا أن هذا لما كان أقدم في الاختطاط والفتح في الإسلام ، وأقرب إلى أقاليم العرب خص بالذكر وعرف عند النسبة ، يحكى عن ابن قتيبة أنه قال : «أهل خراسان أهل الدعوة وأنصار الدولة . . . » ، قال : «ويقال : إن محمد بن^(٧) عبدالله قال لدعائه : أما

(١) معجم البلدان ٣/ ١٧٩ .

(٢) انظر : شذرات الذهب ٣/ ٣٣٠ .

(٣) معجم البلدان ٢/ ٣٥٠ .

(٤) انظر : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم للمقدسي ٣٩٥ ، ومعجم البلدان ٢/ ٣٥٠ .

(٥) انظر : معجم البلدان ٢/ ٣٥٠ .

(٦) بلاد ما وراء نهر جيحون ، يقال نزلها هيطل بن عالم بن سام بن نوح فسميت به . انظر : معجم البلدان ٢/ ٣٥٠ .

(٧) كذا ورد اسمه عند المقدسي ، ولعله تصحيف من النسخ ، وإنما هو محمد بن علي بن عبدالله بن العباس ، داعية العباسيين ، انظر : معجم البلدان ٢/ ٣٥٢ ، وتاريخ الإسلام السياسي ٢/ ١٢ ، وقد وقع =

الكوفة وسوادها فشيعة علي ، وأما البصرة فعثمانية تدين بالكف ، وأما الجزيرة فحرورية صادقة ، وأعراب كأعلاج ، ومسلمون في أخلاق النصارى ، وأما أهل الشام فلا يعرفون غير معاوية ، وطاعة بني أمية وعداوة راسخة وجهل متراكم ، وأما مكة والمدينة فقد غلب عليهم أبو بكر وعمر ، ولكن عليكم بخراسان ؛ فإن هناك العدد الكثير والجلد الظاهر ، وهناك صدور سليمة وقلوب فارغة لم تتقسمها الأهواء ولم تتوزعها النحل ولم يقدح فيها فساد ، وهم جند لهم أبدان وأجسام ومناكب وكواهل وهامات ولحى وشوارب وأصوات هائلة ولغات فخمة تخرج من أجواف منكرة ، وبعد فإني أنفءل إلى المشرق وإلى مطلع سراج الدنيا ومصباح الخلق .

وقال المقدسي^(١) : « . . . واعلم أن هذا الجانب في الحقيقة خراسان وهو أجل الجانبين ؛ لأن به المصر الأعظم ، وأهله أظرف وأحلّم ، وبالخير والشر أعلم ، وإلى أقاليم العرب ورسومهم أقرب . . . »^(٢) .

د . جودة محمد مهدي صاحب كتاب الواحدي ومنهجه في التفسير في وهم فاحش ؛ حيث نقل مقاطع من كلام المقدسي ، وأضاف الصلاة على النبي ﷺ وقال في الحاشية : « لم يذكر المقدسي لفظ السيادة ، ولم يصل على النبي ﷺ مع ذكر اسمه الشريف ، فأضفت ذلك بين الأقوال وفاءً بحق ذكر اسمه الشريف » . انظر : الواحدي ومنهجه في التفسير ٤٩ ، فجعل كلام محمد بن علي داعية العباسيين لرسول الله ﷺ .

(١) محمد بن أحمد بن أبي بكر البناء المقدسي ، ويقال له : البشاري ، رحالة جغرافي ، ولد في القدس عام ٣٣٦هـ ، تعاطى التجارة وتجشم أسفاراً عرّفته أحوال البلاد ، وصنف كتابه أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم . توفي نحو سنة ٣٨٠هـ . انظر : أحسن التقاسيم ٤٣ ، الأعلام ٥ / ٣١٢ .

(٢) أحسن التقاسيم ٢٩٣ ، ٢٩٤ .

وكانت خراسان موطن العلم والعلماء ، قال ياقوت ^(١) : « . . فأما العلم فهم فرسانه وساداته وأعيانه ، ومن أين لغيرهم مثل محمد بن إسماعيل البخاري ^(٢) ، ومثل مسلم بن الحجاج ^(٣) ، وأبي عيسى الترمذي ^(٤) ، وإسحاق بن راهويه ^(٥) ، وأحمد بن حنبل وأبي حامد الغزالي ^(٦) ، والجويني إمام الحرمين ^(٧) والحاكم

(١) شهاب الدين ياقوت بن عبدالله الرومي الجنس والمولد ، الحموي المولى ، البغدادي الدار ، ولد سنة ٥٧٤هـ ، له تأليف كثيرة ، منها : معجم البلدان ، ومعجم الأدياء وغيرها ، توفي سنة ٦٢٦هـ . انظر : وفيات الأعيان ٦/ ١٢٧-١٣٩ ، وسير أعلام النبلاء ٢٢/ ٣١٢ .

(٢) محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري أبو عبدالله ، أمير المؤمنين في الحديث ، الإمام الكبير ، صاحب الصحيح ، ولد سنة ١٩٤هـ ، وله تأليف غير الصحيح ، منها التاريخ الكبير ، والأدب المفرد ، والضعفاء ، وغيرها ، مات سنة ٢٥٦هـ . انظر : سير أعلام النبلاء ١٢/ ٣٩١ ، وتهذيب التهذيب ٤٧/ ٩ .

(٣) مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري أبو الحسين ، الإمام الحافظ صاحب الصحيح ، ولد بنيسابور عام ٢٠٤هـ ، ورحل في طلب الحديث ، وألف الصحيح ، وبه اشتهر ، ومن كتبه : المسند الكبير ، والجامع ، والتميز ، وغيرها ، توفي سنة ٢٦١هـ . انظر : تاريخ بغداد ١٣/ ١٠٠ ، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٥٥٧ .

(٤) محمد بن عيسى بن سورة بن موسى السلمي الترمذي ، أبو عيسى ، أحد أئمة الحديث وحفاظه ، صاحب السنن المشهورة ، ولد سنة ٢٠٩هـ ، وهو تلميذ البخاري ، وقد رحل في طلب الحديث . من كتبه : الشرائع ، والتاريخ ، والعلل ، مات سنة ٢٧٩هـ . انظر : سير أعلام النبلاء ١٣/ ٢٧٠ ، وتهذيب التهذيب ٩/ ٣٨٧ .

(٥) إسحاق بن إبراهيم التميمي المروزي أبو يعقوب ، عالم خراسان في عصره ، قال فيه الخطيب : «اجتمع له الحديث والفقه والحفظ والصدق والورع والزهد» . روى عنه البخاري ومسلم والترمذي وغيرهم ، توفي سنة ٢٣٨هـ . انظر : الجرح والتعديل ٢/ ٢٠٩ ، والسير ١١/ ٣٥٨ .

(٦) محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي أبو حامد فيلسوف متصوف فقيه أصولي ولد سنة ٤٥٠هـ بخراسان ، رحل إلى نيسابور وغيرها في طلب العلم ، من كتبه : إحياء علوم الدين ، والمستصفى ، وتهافت الفلاسفة ، توفي سنة ٥٠٥هـ . انظر : وفيات الأعيان ١/ ٤٦٣ ، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٣٢٢ .

(٧) عبد الملك بن عبدالله بن يوسف بن محمد الجويني أبو المعالي ، إمام الحرمين ، من فقهاء الشافعية ولد في جوين من نواحي نيسابور عام ٤١٩هـ ، ورحل وجاور بمكة سنين ثم ذهب إلى المدينة ، فأفتى ودرس ، ثم عاد إلى نيسابور فبنى له نظام الملك المدرسة النظامية فيها ، من كتبه : غياث =

أبي عبدالله النيسابوري^(١) وغيرهم من أهل الحديث والفقهاء ، ومثل الأزهري^(٢) والجوهري^(٣) وعبدالله بن المبارك^(٤) . . . هذا عن خراسان .

أما نيسابور موطن الواحدي وبلده ، فهي كما وصفها ياقوت حين قال : «نيسابور بفتح أوله ، والعامّة يسمونه : نشاور ، وهي مدينة عظيمة ذات فضائل جسيمة معدن الفضلاء ، ومنبع العلماء ، لم أر في ما طوفت من البلاد مدينة كانت مثلها . . . »^(٥) .

واختلف في سبب تسميتها بذلك ، فقليل : إنها سميت بذلك لأن سابور مرّ بها ، وفيها قصب كثير ، فقال : يصلح أن يكون ها هنا مدينة ، فسميت نيسابور ،

الأسم والإرشاد والورقات ، توفي عام ٤٧٨ هـ . انظر : وفيات الأعيان ١ / ٢٨٧ ، وسير أعلام النبلاء ١٨ / ٤٦٨ .

(١) محمد بن عبدالله بن حمدويه بن نعيم الضبي الشهير بالحاكم ، ويعرف بابن البيّع ، أبو عبدالله من أكابر حفاظ الحديث والمصنفين فيه ، ولد سنة ٣٢١ هـ في نيسابور ، رحل في طلب العلم ، وبرع ، وولي قضاء نيسابور ، من كتبه : المستدرك على الصحيحين ، والمدخل ، ومعرفة علوم الحديث . توفي سنة ٤٠٥ هـ . انظر : تاريخ بغداد ٥ / ٤٧٣ ، وسير أعلام النبلاء ١٧ / ١٦٢ .

(٢) أبو منصور محمد بن أحمد بن الأظهر بن طلحة الأزهري الهروي ، العلامة اللغوي الشافعي ، صاحب : تهذيب اللغة المشهور ، توفي سنة ٣٧٠ هـ .

انظر : طبقات الشافعية للسبكي ٣ / ٦٣ ، وبغية الوعاة ١ / ١٩ ، والسير ١٦ / ٣١٥ .

(٣) إمام اللغة ، أبو نصر إسماعيل بن حماد التركي الأتاري ، صاحب الصحاح ، وأحد من يضرب به المثل في ضبط اللغة ، وفي الخط المنسوب ، توفي في نيسابور سنة ٣٩٣ هـ .

انظر : السير ١٧ / ٨٠ ، وإنباه الرواة ١ / ٢٢٩ .

(٤) عبدالله بن المبارك بن واضح الخنظلي مولا هم التميمي ، المروزي ، أبو عبد الرحمن ، الإمام الخافظ شيخ الإسلام المجاهد التاجر ، محدث فقيه زاهد ، ولد سنة ١١٨ هـ ، من مصنفاته : الجهاد ، وهو أول من صنف فيه ، وله الزهد . مات سنة ١٨١ هـ . انظر : تذكرة الحفاظ ١ / ٢٥٣ ، وحلية الأولياء ٨ / ١٦٢ .

(٥) معجم البلدان ٥ / ٣٣١ .

وقيل : إن سابور خرج من مملكته لقول المنجمين ، فخرجوا يطلبونه فبلغوا نيسابور ، فقالوا : نيسابور ؛ أي ليس سابور^(١) .

قال ياقوت : « . . . وأكثر شرب أهل نيسابور من قنّى تجري تحت الأرض ينزل إليها في سراديب مهياة لذلك ، فيوجد الماء تحت الأرض ، وليس صادق الحلاوة ، وعهدي بها كثيرة الفواكه والخيرات . . . »^(٢) .

وذكر ياقوت أنها فتحت أيام عثمان رضي الله عنه ، وقد فتحها الأمير عبدالله بن كرز في سنة ٣٠هـ صلحاً ، وبنى فيها جامعاً ، وقيل : فتحت أيام عمر - رضي الله عنه - على يد الأخنف بن قيس ، وانتقضت أيام عثمان فأرسل إليها عبدالله بن كرز ففتحها ثانية^(٣) .

ومما يجدر ذكره أن نيسابور أصابها ما أصاب الدولة الإسلامية في العهد الثاني للعباسيين ؛ فتقلّبت بين السامانيين والغزنويين والسلاجقة ، وكانت تحت ولاية السامانيين ، فحاول محمود الغزنوي أخذها سنة ٣٨٨هـ ، فاحتلّها ، ولكن لما علم بمسير الأمير منصور بن نوح إليه سار عنها وتركها ، ثم عاد إليها سنة ٣٨٩هـ واحتلّها^(٤) ، وبقيت تابعة للدولة الغزنوية إلى سنة ٤٣٢هـ ، إذ احتلّها السلاجقة .

قال ابن الأثير عن حادثة احتلال السلاجقة لها : « . . . وسار طغرل بك إلى نيسابور وملكها ، ودخل إليها آخر سنة إحدى وثلاثين وأول سنة اثنتين وثلاثين ونهب أصحابه الناس . . . وكان العيارون قد عظم ضررهم واشتد أمرهم

(١) المصدر السابق .

(٢) المصدر السابق .

(٣) المصدر السابق .

(٤) انظر : الكامل في التاريخ ٧ / ١٩٠ - ١٩٦ .

وزادت البلية بهم على أهل نيسابور ؛ فهم ينهبون الأموال ويقتلون النفوس ويرتكبون الفروج الحرام . . . فلما دخل طغرل بك البلد خافه العيارون ، وكفوا عما كانوا يفعلون ، وسكن الناس واطمأنوا . . . »^(١) . وحصلت لها بلية أخرى على يد الغز سنة ٥٤٨ هـ ، ثم خربت مرة أخرى على يد التتر سنة ٦١٨ هـ^(٢) .

أما العلم فيها فمثل قول ياقوت عنها في كلامه السابق : « معدن الفضلاء ومنيع العلماء . . . » ، وقد اشتهرت بمدارسها العامرة ، وذكر السبكي بعض مدارسها ، وذلك لما تحدث عن المدارس في عهد نظام الملك ، فذكر منها المدرسة البيهقية والسعدية التي بناها الأمير نصر بن سبكتكين أخو السلطان محمود ، والمدرسة التي بناها أبو إسماعيل بن علي الاستراباذي الواعظ ، ومدرسة أبي إسحاق الإسفراييني ، ثم بنى نظام الملك المدرسة النظامية ، فيها^(٣) ، هذا شيء عن المدارس وبيوت العلم التي قامت في نيسابور ، فتخرج فيها فحول العلماء .

وقد ألفت في أسماء علماء نيسابور ومشايخها كتب ، وأول من كتب في هذا الإمام أبو عبدالله محمد بن عبدالله الحاكم ، المتوفى سنة ٤٠٥ هـ ، قال السمعاني : « والمنتسب إليها جماعة لا يحصون ، وقد جمع الحاكم أبو عبدالله محمد بن عبدالله الحافظ البيهقي تاريخ علمائها في ثمانية مجلدات . . . »^(٤) وذيله عبدالغافر بن إسماعيل الفارسي ، المتوفى سنة ٥٢٩ هـ ، في كتاب اسمه السياق في ذيل تاريخ نيسابور^(٥) ، وذكر الثعالبي ، المتوفى سنة ٤٢٩ هـ ، في يتيمة الدهر باباً في ذكر النيسابوريين ، وباباً آخر في ذكر الطائرين على نيسابور من بلاد شتى^(٦) .

(١) الكامل في التاريخ ٢٦ / ٨ .

(٢) انظر : معجم البلدان ٣٣٢ / ٥ .

(٣) انظر : طبقات الشافعية للسبكي ١٣٧ / ٣ .

(٤) الأنساب ٢٣٥ / ١٣ .

(٥) انظر : كشف الظنون ١٠١١ / ٢ .

(٦) انظر : يتيمة الدهر ، الباب التاسع والعاشر ٤ / ٤٤١ - ٥٢٠ .

ومن مشاهير العلماء المنسوين لنيسابور ، الإمام مسلم بن الحجاج ، مؤلف الصحيح ، ومنهم أبو بكر عبدالله بن محمد النيسابوري الشافعي ، مولى أبان بن عثمان ، توفي سنة ٣٢٤هـ^(١) ، وسيأتي ذكر عدد منهم في شيوخ الواحدي وتلامذته .

ومما ينبغي ذكره عن نيسابور وبلاد خراسان عامة أوضاع الفرق والطوائف والتعصب فيها ، وقد وصف المقدسي ذلك فقال عن خراسان عامة : «وبه يهود كثيرة ونصارى قليلة ، وأصناف المجوس ، وليس فيه مجذومون ، ولا يعرفون الجذام ، وأولاد علي - رضي الله عنه - فيه على غاية الرفعة ، ولا ترى به هاشمياً إلا غريباً ، ومذاهبهم مستقيمة غير أن الخوارج بسجتنان ونواحي هراة وكروخ واستريان كثيرة ، وللمعتزلة بنيسابور ظهور بلا غلبة ، وللشيعة والكرامية بها جلبة ، والغلبة في الإقليم لأصحاب أبي حنيفة ، إلا في كورة الشاش وإيلاق وطوس ونسا وأبيورد وطرار وضمنجاج وسواد بخارى وسنج والدندانقان وأسفراين وجويان ، فإنهم شفعوية كلهم والعمل في هذه المواضع على مذهبهم . . . ونيسابور - أيضاً - شفعوية . . . وأهل ترمذ جهمية ، وأهل الرقة شيعة ، وأهل كندر قدرية . . . »^(٢) .

هذا الوصف من المقدسي يصور لنا حالة تلك البلاد التي عاش فيها الواحدي ، فهي معدن العلم والعلماء ، وهي مع ذلك موطن اضطراب وتقلبات سياسية ، ومواطن الفرق والصراع بينها ، وما حصلت تلك المحن على تلك البلاد وعلى الأمة جميعها إلا بسبب ظهور المعاصي والتفرق في الدين ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

(١) انظر : الباب ٣ / ٣٤١ .

(٢) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ٣٢٣ .

● المطلب الرابع : طلبه للعلم ، ورحلاته في طلب العلم ، والعلوم التي برز فيها

طلبه للعلم

لقد نشأ الواحدي في تلك المدينة العامرة بالعلم والعلماء نيسابور ، مع سعة الرزق التي هيأت له أسباب التحصيل والطلب ، وكان الكُتَّاب^(١) هو المدرسة الابتدائية التي تلقى فيها أبو الحسن الواحدي تعليمه ، إذ دخل كُتَّاب الشيخ أبي عمرو سعيد بن هبة الله البسطامي^(٢) ، ثم شرع في السماع من العلماء ، والأخذ عنهم ، فقد سمع من شيخه أبي طاهر محمد بن محمد بن محمد بن مُحَمَّش الزيادي^(٣) محدث نيسابور وفقهائها ، وكان ذلك عام ٤٠٩ هـ^(٤) ، فيكون سماعه منه وهو في الثانية عشرة من عمره تقريباً ، أو أنهض من ذلك بقليل .

ثم انضمَّ الواحدي إلى دار السُّنَّة -وهي مدرسة يدرِّس فيها كبار العلماء والمحدثين- ليتلقَّى العلم عن أجلة علمائها ، وكان منهم القاضي أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري في سنة ٤١٠ هـ ، وهذا وما قبله يدلُّان على شغف الواحدي بالعلم ولزوم حلق العلماء منذ نعومة أظفاره ومِيعَة^(٥) صباه^(٦) .

ولعل الواحدي -رحمه الله- أحبَّ أن يتقن علوم الآلة التي يتوصل بها إلى فهم القرآن والسنة ، قبل أن يخوض في علوم المقاصد ، ليكون على فهم تام بها ، ومعرفة بحقائقها ، يحدث عن ذلك ، فيقول : «وأما النحو فإني لما كنت في مِيعَة صباي ،

(١) الكُتَّاب كرماني : موضع تعليم الكتاب ، وجمعه كتاتيب ، الصحاح للجوهري ٢٠٨/١ .

(٢) انظر : دمية القصر للباخرزي ١٠١٨/٢ ، وتأني ترجمته لاحقاً في مبحث شيوخه .

(٣) المصدر السابق .

(٤) انظر : المنتخب من السياق ٣٨٧ ، والوجيز ٨٦/١ .

(٥) مِيعَة الصبا : أوله .

(٦) انظر : أسباب النزول ٢٤٤ .

وشرح شيبتي ، وقعت إلى الشيخ أبي الحسن علي بن محمد الضرير - رحمه الله - . . . ولعله تفرّس فيّ وتوسّس أثر الخير لديّ ، فتجرّد لتخريجي وصرف وكّده^(١) إلى تأديبي ، . . . وسعدت به أفضل ما سعد تلميذ بأستاذه ، وقرأت عليه جوامع النحو والتصريف والمعاني ، وعلقت عنه قريباً من مائة جزء في المسائل المشكلة ، وسمعت منه أكثر مصنفاته في النحو والعروض والعلل . . . »^(٢) .

ولم يقضِ نهمته من علم اللغة والأدب اللذين لا يستغنى عنهما في فهم النصوص ، يقول الواحدي : «ولئن استغنى علم عن الأدب فمن ضرورة التفسير وعلم القرآن الأدب ومعرفة اللغة العربية»^(٣) ، فانقطع لتعلم اللغة على شيخ اللغة في وقته أبي الفضل أحمد بن محمد بن عبد الله بن يوسف العروضي ، حيث لازمه ملازمة الظل لصاحبه ، يدخل عليه عند طلوع الشمس ، ويخرج من عنده غروبها ، يسمع ويعلق ويبحث ، ويذاكر أصحابه ما بين طرفي النهار ، وقرأ عليه كثيراً من دواوين الشعر وكتب اللغة ، قال : «ولم أغب عن زيارته يوماً من الأيام إلى أن حال بيننا الحمام»^(٤) .

ولما توفي الشيخ أبو الفضل العروضي عام ٤١٦ هـ ، تنقل الواحدي في مساجد البلد ومدارسه بين العلماء والعلوم^(٥) ، يحدثنا أبو الحسن الواحدي عن تلقيه للقرآن ولعلم القراءات ، فيقول : «وأما القرآن وقراءات أهل الأمصار ، واختيارات الأئمة ، فإنني اختلفت أولاً إلى الأستاذ أبي القاسم علي بن أحمد البستي - رحمه الله^(٦) - وقرأت عليه القرآن ختمات كثيرة لا تحصى ، حتى قرأت عليه أكثر

(١) الوكد : القصد .

(٢) مقدمة البسيط ٣٨٠ ، ٣٨١ .

(٣) مقدمة البسيط ٣٧١ .

(٤) مقدمة البسيط ٣٧٨ - ٣٨٠ .

(٥) انظر : الوسيط للواحدي ١ / ٣٠١ ، ٢ / ٣٢ ، ٢٢٣ ، ٣ / ٧١ .

(٦) تأتي ترجمته لاحقاً في مبحث شيوخه .

طريقة الأستاذ أبي بكر أحمد بن الحسين بن مهران رحمه الله^(١)، ثم ذهبت إلى الإمامين أبي عثمان سعيد بن محمد الحيري، وأبي الحسن علي بن محمد الفارسي رحمهما الله^(٢)، فقرأت عليهما، وأخذت من كل منهما حظاً وافراً بعون الله وحسن توفيقه، وقرأت على الأستاذ سعيد مصنفات ابن مهران، وروى لنا كتب أبي علي الفسوي^(٣) عنه، وقرأت عليه بلفظي كتاب الزَّجَّاج^(٤) في المعاني^(٥).

لقد كانت تلك الدراسات كلها تهيئة من الواحدي لنفسه، وتدرُّجاً للوصول إلى علوم المقاصد، وهذا يظهر من حديثه عن نفسه في آخر تفسيره البسيط حين قال: «وقد كنت تعبت دهرًا طويلاً، من عنفوان صباي إلى تناهي أيام شببتي في إحكام مقدمات هذا العلم»^(٦).

ويظهر لنا ذلك أيضاً من حديث الواحدي مع شيخه أبي الفضل العروضي حين قال: «وقرأت عليه الكثير من الدواوين وكتب اللغة حتى عاتبني شيعي - رحمه الله - يوماً من الأيام، وقال: إنك لم تبقَ ديواناً من الشعر إلا قضيت حقه،

(١) هو أحمد بن الحسين بن مهران أبو بكر الأصبهاني ثم النيسابوري، إمام عصره في القراءات، كان ثقة محققاً عابداً، صنف في القراءات مصنفات، منها الغاية، والشامل، والمبسوط وغيرها، توفي سنة ٣٨١هـ، انظر: معرفة القراء الكبار ١/ ٣٤٧، وغاية النهاية ١/ ٤٩.

(٢) تأتي ترجمتهما لاحقاً في مبحث شيوخه.

(٣) هو الحسن بن أحمد بن عبد الغفار أبو علي الفارسي، ويعرف بالفسوي نسبة إلى فسا، واحد زمانه في علم العربية، أخذ عن الزَّجَّاج وابن السراج، وطوف بلاد الشام، كان أعلم من المبرد وكان معتزلياً، وقد ذكر الدكتور حسن فرهود في مقدمة الإيضاح أكثر من ثلاثين كتاباً للفارسي، توفي سنة ٣٧٧هـ. انظر: بغية الوعاة ١/ ٤٩٦، ٤٩٧، وإنباه الرواة ١/ ٣٠٨-٣١٠، ومعجم الأدباء ٧/ ٢٣٢-٢٦١.

(٤) هو إبراهيم بن محمد بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزَّجَّاج النحوي، صاحب كتاب معاني القرآن، كان من أهل الفضل والدين، حسن الاعتقاد، وله مؤلفات حسان في الأدب، توفي سنة ٣١١هـ، أو نحوها.

انظر: السير ١٤/ ٣٦٠، وإنباه الرواة ١/ ١٩٤.

(٥) مقدمة البسيط ٣٨٢-٣٨٤.

(٦) تفسير البسيط ٥/ ٣٣٧ ب من نسخة عاطف أفندي.

أما آن لك أن تتفرغ لتفسير كتاب الله العزيز تقرأه على هذا الرجل الذي يأتيه البعداء من أقاصي البلاد ، وتتركه أنت على قرب ما بيننا من الجوار . يعني الأستاذ الإمام أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي رحمه الله^(١) ، فقلت : يا أبت إنما أتدرج بهذا إلى ذلك الذي تريد ، وإذا لم أحكم الأدب بجدة وتعب لم أزم في غرض التفسير عن كتب»^(٢) .

ولقد رضي عن جهده في هذا الباب حين قال : «وأظنني لم آل جهداً في إحكام أصول هذا العلم على حسب ما يليق بزماننا هذا ، ويسعه سنو عمري على قلة أعدادها ، فقد وفق الله تعالى ، وله الحمد ، حتى اقتبست كل ما احتجت إليه في هذا الباب من مظانه ، وأخذته من معادنه»^(٣) .

ثم تفرغ من بعد ذلك - تبعاً لخطته ، ومنهجيته التي ارتضاها لنفسه ، وإنفاذاً لوصية شيخه - للقراءة على الإمام أبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي ، وقرأ عليه من مصنفاته أكثر من خمسمائة جزء ، وتفسيره الكبير الكشف والبيان وكتابه الكامل في علم القرآن وغيرها ، ولشدة ملازمته إياه عرف في الأوساط العلمية آنذاك بتلميذ الثعلبي .

رحلاته في طلب العلم

لقد رحل الواحد في طلب العلم ، يبحث عن أساطينه فيتلقى عنهم ، وقد عبر عن تلك الرحلات بقوله : « . . ولو أثبت المشايخ الذين أدركتهم واقتبست عنهم هذا العلم من مشايخ نيسابور وسائر البلاد التي وطئها طال الخطب ومل الناظر»^(٤) .

(١) ستأتي ترجمته لاحقاً في مبحث شيوخه .

(٢) مقدمة البسيط ٣٨٠ .

(٣) مقدمة البسيط ٣٧٨ .

(٤) مقدمة البسيط ٣٨٥ .

ولم تذكر المصادر البلاد التي رحل إليها الواحدي ، ولكن صرح هو في بعض رواياته بمكان التلقي ، فمثلاً قال في أسباب النزول : « قال الشيخ : أشهد بالله لقد أخبرنا أبو الحارث محمد بن عبد الرحيم الحافظ بجرجان قال : أشهد بالله لقد أخبرنا أبو نعيم أحمد بن محمد بن إبراهيم البزاز . . . »^(١) . فهذا يدل على أنه رحل إلى جرجان^(٢) وأخذ عن شيوخها .

العلوم التي برز فيها

لقد تنوّعت مشارب الواحدي العلمية ، وتعدّدت ، وأخذ من كل فنّ بطرف ؛ ذلك لأن من خصائص العلوم الشرعية أنها مترابطة ، فبعضها غايات وبعضها وسائل مثل اللغة والأصول ونحوهما ، ولا بد لمن أراد تعلم الغايات أن يدرس الوسائل ، فالمفسر - مثلاً - يلزمه معرفة السنة حتى يميز بها بين ما صح وما ليس كذلك ، وأن فهم اللفظ القرآني متوقف على معرفة اللغة والنحو وأصول كلام العرب ، ولا بد أن يعرف القراءات وعلوم القرآن وهكذا .

ولقد كان ذلك دافعاً قوياً للواحدى ليحكم الأصول ، وهذا ما قاله في مقدمة كتابه البسيط : « . . . وأظنني لم آل جهداً في إحكام أصول هذا العلم على حسب ما يليق بزماننا هذا ويسعه سنو عمري على قلة أعدادها ، فقد وفق الله تعالى ، وله الحمد ، حتى اقتبست كل ما احتجت إليه في هذا الباب من مظانّه وأخذته من معادنه ، أما اللغة فقد درستّها على الشيخ أبي الفضل أحمد بن محمد بن عبد الله بن يوسف العروضي رحمه الله . . . »^(٣) . وتحدث بعد ذلك عن أخذه النحو والقراءات والتفسير .

(١) أسباب النزول ٤٢٥ .

(٢) جرجان مدينة عظيمة بين طبرستان وخراسان . انظر : معجم البلدان ١١٩/٢ .

(٣) مقدمة البسيط ٣٧٨ .

ويؤكد كلامه بقوله : « . . . ولئن استغنى علم عن الأدب فمن ضرورة التفسير وعلم القرآن الأدب ، ومعرفة اللغة العربية . . . »^(١) .

وكان للواحدى مشاركة في سائر العلوم ؛ ففي السنة أخذ عن كبار المحدثين وأدرك الإسناد العالي^(٢) ، وقال عنه ابن تغري بردي : « كان إماماً عالماً بارعاً محدثاً »^(٣) ، وكتابه أسباب النزول يشهد بمكانته في هذا الفن ، على أنه لم يصل فيها إلى المستوى الذي وصل إليه في اللغة والتفسير ، ولهذا روى بعض الأحاديث الضعيفة والموضوعة ، وسيأتي تفصيل هذه المسألة عند الحديث عن منهجه في التفسير في كتابه البسيط .

أما الفقه فيعدُّ أحد أعلام مذهب الإمام الشافعي ، وتوجد ترجمته في كتب تراجم طبقات علماء الشافعية جميعها^(٤) ، وله آراء فقهية ذكرها في البسيط معتمدة في مذهبه ، نقل منها النووي في المجموع شرح المذهب^(٥) .

ومع هذه المشاركات من الواحدى في السنة والفقه ، فقد برز في علوم التفسير ، والنحو ، واللغة ، وشهرها وصار من أعلامها . وصفه بعض المترجمين له بإمامته فيها ؛ فقال في المنتخب من السياق : « الإمام المصنف المفسر النحوي »^(٦) ، وقال ابن خلكان : « كان أستاذ عصره في النحو والتفسير »^(٧) ، وقال القفطي : « الإمام المصنف المفسر النحوي . . . »^(٨) ، وقال أبو الفداء :

(١) مقدمة البسيط ٣٧١ .

(٢) انظر : المنتخب من السياق ل ١١٤ أ ، وإنباه الرواة ٢ / ١٢٣ .

(٣) انظر : النجوم الزاهرة ٥ / ١٠٤ .

(٤) ترجم له السبكي ٣ / ٢٨٨ ، والإسنوي ٢ / ٥٣٨ ، وابن قاضي شهاب ١ / ٢٥٦ .

(٥) انظر : المجموع شرح المذهب ٣ / ٣٧١ - ٣٧٣ .

(٦) المنتخب من السياق ل ١١٤ أ ، وانظر : معجم الأدباء ١٢ / ٢٥٨ .

(٧) وفيات الأعيان ٣ / ٣٠٣ .

(٨) إنباه الرواة ٢ / ٢٢٣ .

«وكان أستاذ عصره في النحو والتفسير»^(١)، وقال الإسنوي: «كان فقيهاً إماماً في النحو واللغة وغيرهما، شاعراً، أستاذ عصره في التفسير . . .»^(٢)، وقال الفيروزآبادي: «الإمام المفسر النحوي اللغوي . . .»^(٣).

أما عن إمامته في علم التفسير، فتشهد بذلك كتبه الثلاثة في التفسير؛ البسيط والوسيط والوجيز، ويأتي الحديث عنها في مؤلفاته، وأكبرها البسيط، كذلك كتابه أسباب النزول، وقد ترجم له السيوطي والداودي في طبقات المفسرين^(٤).

أما عن إمامته في النحو واللغة فإن الواحد قد تحدث عن ذلك في مقدمة البسيط، وبين سبب توجهه للنحو واللغة، إذ إن معرفة ذلك هو طريق لمعرفة كلام الله وتفسيره، فيقول: «فقلت: إن طريق معرفة تفسير كلام الله - تعالى - تعلُّم النحو والأدب فإنهما عمدتاه . . .»^(٥). ويعدُّ النحو واللغة من علم الوسائل الواجبة، فيقول: «. . . فعلينا أن نجتهد في تعلُّم ما يتوصل بتعلُّمه إلى معرفة ضروب خطاب الكتاب . . .»^(٦)، ثم يقول: «فإنَّ مَنْ جَهِلَ لِسَانَ الْعَرَبِ وَكَثْرَةَ أَلْفَاظِهَا وَافْتِنَانَهَا فِي مَذَاهِبِهَا جَهِلَ جَمْلَ عِلْمِ الْكِتَابِ . . .»^(٧).

لقد أدرك الواحد منذ صغره أهمية اللغة والنحو والأدب لفهم كتاب الله والتصدي لتفسيره؛ لأن هذا الكتاب منزل بلسان عربي مبين، فلا بد لمن رام فهم معانيه، أو تصدى، لتفسيره أن يكون متضلعا من هذه اللغة التي نزل بها، فكان ذلك دافعا قويا له أن يتجه إلى بحار اللغة ليغرف منها، يقول الباخرزي

(١) تاريخ أبي الفداء ١٩٢/٢.

(٢) طبقات الشافعية للإسنوي ٥٣٩/٢.

(٣) البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة ١٤٦.

(٤) انظر: طبقات المفسرين للسيوطي ٦٦، وللداودي ٣٩٤/١.

(٥) مقدمة البسيط ٣٥٩.

(٦) مقدمة البسيط ٣٦١.

(٧) مقدمة البسيط ٣٦١، ٣٦٢.

عنه : «وقد خبط ما عند أئمة الأدب من أصول كلام العرب خبط عصا الراعي فروع الغرب^(١)، وألقى الدلاء في بحارهم حتى نرفها ، ومد البنان إلى ثمارهم إلى أن قطفها»^(٢).

وقد تحدث الواحدي عن مقدار ما بذل في هذا المجال ، فيذكر تتلمذه في اللغة للعروضي^(٣) فيقول : «وكنتم لازمتهم سنين أدخل عليه عند طلوع الشمس ، وأخرج لغروبها أسمع ، وأقرأ ، وأعلق ، وأحفظ ، وأبحث ، وأذاكر أصحابه ما بين طرفي النهار ، وقرأت عليه الكثير من الدواوين وكتب اللغة»^(٤) ، ويذكر تتلمذه في النحو لأبي الحسن الضرير^(٥) ، فيقول : «وقرأت عليه جوامع النحو والتصريف والمعاني ، وعلقت عنه قريباً من مائة جزء في المسائل المشككة ، وسمعت منه أكثر مصنفاته في النحو والعروض والعلل»^(٦) ، كذلك تتلمذ لأبي الحسن عمران بن موسى المغربي^(٧) يقول : «ولقد صحبتته مدة مقامه عندنا حتى استنزفت غرر ما عنده»^(٨).

ولقد تضلّع الواحدي في علم اللغة والنحو ، وما يشهد لذلك كتابه الذي بين أيدينا البسيط ، فلقد بسط فيه من المسائل النحوية ما عُدَّ خروجاً عن منهج التفسير ، من كثرة ما حواه الكتاب من المسائل النحوية ، قال السيوطي وهو يتكلم على طبقات المفسرين : «فالنحوي تراه ليس له هم إلا

(١) نوع من الشجر .

(٢) دمية القصر ١٠١٨/٢ .

(٣) أبو الفضل أحمد بن محمد العروضي أحد شيوخ الواحدي ، تأتي ترجمته .

(٤) مقدمة البسيط ٣٨٠ .

(٥) مقدمة البسيط ٣٨٠ .

(٦) مقدمة البسيط ٣٨١ .

(٧) أبو الحسن علي بن محمد الضرير أحد شيوخ الواحدي ، تأتي ترجمته .

(٨) أحد شيوخ الواحدي ، يأتي ذكره في شيوخه .

الإعراب ، وتكثير الأوجه المحتملة ، ونقل قواعد النحو ومسائله وفروعه وخلافايته ، كالزجاج ، والواحدي في البسيط ، وأبي حيان في البحر ، والنهر^(١) .

وقال القفطي : «وصنف التفسير الكبير وسماه البسيط وأكثر فيه من الإعراب والشواهد واللغة ، ومن رآه علم مقدار ما عنده من علم العربية . . . »^(٢) . ويأتي مزيد بسط لهذه المسألة - إن شاء الله - عند دراسة الكتاب .

وتشهد مؤلفاته الأخرى بتضلُّعه في علم اللغة والنحو ، فله في هذا الميدان ؛ كتب عدة ، منها : شرح ديوان المتنبي ، والإعراب في الإعراب ، وشرح أسماء الله الحسنى ، وتفسير أسماء النبي ﷺ ، وشرح قصيدة للنابغة الذبياني . ويأتي الحديث عنها - إن شاء الله - مع مؤلفاته .

الواحدي والشعر

الواحدي الذي تضلع في علم اللغة والأدب والنحو ، وقرأ دواوين الشعر وأكثر منها حتى عاتبه شيخه العروضي مثل ما حكى عنه ، فقال : «حتى عاتبني شيخني - رحمه الله - يوماً من الأيام ، وقال : إنك لم تبق ديواناً من الشعر إلا قضيت حقه»^(٣) ، ليس غريباً عليه أن تتفتح قريحته بالقريض ، خصوصاً أن الموهبة والملكة كان يتمتع بهما منذ الصغر ؛ فلقد بدأت محاولة نظم القريض وهو في الكتاب ، إذ أنشد للباخرزي قوله :

(١) الإتيان ٢/ ٢٤٣ .

(٢) إنباه الرواة ٢/ ٢٢٣ .

(٣) مقدمة البسيط ٣٨٠ .

إِنَّ الرِّبْعَ بِحَسَنِهِ وَبِهَائِهِ يحكيهـما خطُّ الرئـيسِ أبي عُمر
فكأنَّه في الدَّرَجِ^(١) يرقم كاتباً أولى^(٢) لطف بنانه فتق الزهر
خطُّ غدا ملء العيون ملاحه متنزهاً للخط قيدا للبصر
أخزت نقوش الصَّين بدعة صنعه فتعطت ورقوم موشي الحبر^(٣)
قال الذهبي: «له شعر رائق»^(٤)، وقال الإسنوي: «كان فقيهاً إماماً في النحو
واللغة وغيرهما شاعراً...»^(٥).

وقد أنشد ياقوت شيئاً من شعره ، ومنه قوله :

أَيَا قَادِمًا مِنْ طُوسٍ أَهْلًا وَمَرْحَبًا بَقِيتَ عَلَى الْأَيَّامِ مَا هَبَّتِ الصَّبَا
لَعَمْرِي لئنَ أَحْيَا قُدُومُكَ مُدْنَفًا بِحُبِّكَ صَبَابًا فِي هَوَاكَ مُعَذَّبًا
وقوله :

تَشَوَّهَتِ الدُّنْيَا وَأَبْدَتْ عَوَارِهَا وَصَافَتْ عَلَى الْأَرْضِ بِالرُّحْبِ وَالسَّعَةِ
وَأَظْلَمَ فِي عَيْنِي ضِيَاءُ نَهَارِهَا لِتَوَدِّيعِ مَنْ قَدْ بَانَ عَنِّي بِأَرْبَعَةِ
فُؤَادِي وَعَيْشِي وَالْمَسْرَةِ وَالْكَرَى فَإِنْ عَادَ عَادَ الْكُلُّ وَالْأُنْسُ وَالِدَعَةِ^(٦)

(١) ما يكتب فيه . القاموس ، (درج) ٢٤٠ .

(٢) الولي : المطرب بعد المطر . القاموس ، (ولى) ١٧٣٢ .

(٣) انظر : دمية القصر ٢/ ٢٥٩ (طبعة دار العروبة بالكويت ١٤٠٥ هـ) ، وإنباه الرواة ٢/ ٢٢٤ .

(٤) سير أعلام النبلاء ١٨ / ٣٤١ .

(٥) طبقات الشافعية / ٥٣٩ .

(٦) معجم الأدباء ١٢ / ٢٦١ ، ٢٦٢ .

● المطلب الخامس : مذهبه وعقيدته

مذهبه

لقد كان سائداً في موطن الواحدي نيسابور مذهب الشافعي في الفقه ، ومذهب الأشعرية^(١) في العقيدة ، وكانت هناك علاقة وثيقة بين المذهبين في نهاية القرن الرابع وأول الخامس ، وهو العصر الذي عاش فيه الواحدي ، وسبب تلك العلاقة والارتباط أن حاملي عقيدة الأشعرية معظمهم من الشافعية ، خصوصاً

(١) الأشعرية نسبة لأبي الحسن ، علي بن إسماعيل بن إسحاق الأشعري ، ولد سنة ٢٦٠ هـ ، وكان في أول أمره على مذهب المعتزلة ، ثم تركه وتحول إلى هذا المذهب الذي ينسب إليه ، ووقع الخلاف بين العلماء في رجوعه إلى مذهب السلف بعد ذلك ، ومن كتبه اللمع ، ومقالات الإسلاميين ، والإبانة عن أصول الديانة ، توفي عام ٣٢٤ هـ .

والمنتسبون إليه يُسمون الأشعرية والأشاعرة ، أو أن الأشعرية تطلق على المذهب ، والأشاعرة على المنتسبين إليه ، ومن أهم أصولهم أن التوحيد عندهم هو توحيد الربوبية ، ولا فرق بينه وبين توحيد الألوهية ، والإيمان عندهم هو التصديق ، وكلام الله - تعالى - معنى واحد أزلي ، ويفرقون بين اللفظ والمعنى ، ويقولون بالكسب في القدر ، ويجمعون على إثبات سبع صفات ، ويؤولون ما عداها ، والسبع هي الحياة والقدرة والعلم والإرادة والكلام والسمع والبصر ، ومنهم من يضيف إلى السبع اليد فقط ، ويزيد بعضهم البقاء ، ومنهم من يتوقف في نفي ما سوى السبع . وغلاتهم يقطعون بنفي ما سواها . انظر : الملل والنحل للشهرستاني ١/ ٩٤-٩٧ ، ومجموع الفتاوى ٦/ ٣٥٨ ، ومعتقد الإمام الأشعري للأشقر ١٧ ، والرسالة التدمرية ٣١ ، ١٧٩ ، ١٨٥ ، والأشاعرة لمحمود صبحي . وانظر : في ترجمة أبي الحسن الأشعري تاريخ بغداد ١١/ ٣٤٦ ، وسير أعلام النبلاء ١٥/ ٨٥ ، وطبقات الفقهاء الشافعية لابن كثير ١/ ٢١٠ ، والمراجع السابقة .

في المشرق الإسلامي ، خلافاً لما كان عليه الحنفية في تلك البلاد إذ إنَّ أغلبهم ماتريديّة^(١) ، بينما غلب على الحنابلة في بغداد التمسك بمذهب السلف^(٢) .

تلك هي البيئة التي عاشها الواحدي ، والغالب أن الإنسان لا يكاد ينفك عما عهد الناس عليه ، وما كان سائداً في بيئته ، ومن ثم فإن الواحدي - رحمه الله - كان شافعياً أشعرياً بغير خلاف بين مترجميه كافة ، فكونه شافعياً أظهر من أن يُشهر ، ويدل عليه أمور ، منها :

- تلقيب بعض مترجميه له بالشافعي ، كالذهبي وابن العماد^(٣) .
- أن كتب طبقات الشافعية قد عدّته ضمن علمائهم^(٤) .
- أن كتب الفقه الشافعي كانت تنقل أقواله مبيّنة أنه من أصحابهم^(٥) .
- أنه يقول في كثير من المواضع في تفسيره هذا : وقال أصحابنا ، يعني بهم الشافعية^(٦) .

(١) نسبة للماتريدي محمد بن محمد بن محمود ، أبي منصور الماتريدي السمرقندي ، والماتريدي نسبة إلى (ماتريد) محلة قرب سمرقند ، يلقب بإمام الهدى وإمام المتكلمين ، وهو معاصر للأشعري ، ومذهبه قريب من مذهبه ، وهو في الفقه على مذهب أبي حنيفة ، من كتبه تأويلات أهل السنة ، وكتاب التوحيد ، وكتاب المقالات ، توفي سنة ٣٣٣هـ على الأرجح . انظر : في ترجمته الجواهر المضية للقرشي ٣/ ٣٦٠ ، ومفتاح السعادة لطاش كبري زاده ٩٦/ ٢ ، ١٥١ ، وكتاب الماتريدي للحربي ٩٣ وما بعدها . وانظر : في الفرق بين الأشعرية والماتريديّة تاريخ المذاهب الإسلامية لأبي زهرة ١/ ١٩٥ - ٢١٠ ، وكتاب نشأة الأشعرية وتطورها لجلال موسى ٣٠٧ ، وكتاب الماتريديّة دراسة وتقويماً لأحمد الحربي ١٣٣ .

(٢) انظر : التاريخ السياسي والفكري للمذهب السني في المشرق الإسلامي ١٢٨ .

(٣) انظر : سير أعلام النبلاء ١٨/ ٣٣٩ ، وشذرات الذهب ٣/ ٣٣٠ .

(٤) انظر : طبقات الشافعية للسبكي ٥/ ٢٤٠ ، وطبقات الشافعية للإسنوي ٢/ ٥٣٨ ، وطبقات الشافعية لابن قاضي شعبة ١/ ٢٧٧ وغيرهم .

(٥) انظر : روضة الطالبين للنووي ١٠/ ٢٢٧ والمجموع له ، ٣/ ٣٧١ ، وقال في الأذكار ٢٣٩ : قال الإمام أبو الحسن الواحدي من أصحابنا .

(٦) انظر : مبحث منهجه في آيات الأحكام .

- اقتصاره في الغالب على قول الشافعي ، ويُعنى بذكره من بين المذاهب^(١) .

عقيدته

وأما أشعريته فهي واضحة من كتبه ، فالمتتبع لمواضع الاختلاف بين أهل السنة والأشاعرة ، أو بين المعتزلة والأشاعرة ، يجده يقرر بكل وضوح عقيدة الأشاعرة ، ولا غرو فهي العقيدة الغالبة على أهل بلده ، وفي أشياخه أعلام كبار من حملة لواء العقيدة الأشعرية ، ممن قرروا قواعده وأصلوا أصوله ، مثل : أبي إسحاق الإسفراييني^(٢) الذي أخذ عنه شيوخ نيسابور عامة الأصول وعلم الكلام^(٣) ، وعبدالقاهر البغداد^(٤) الذي يعدُّ - كذلك - من أئمة الشافعية الأشاعرة والمبرزين فيهم^(٥) .

ولعلي أضرب أمثلة من تفسيريه ؛ البسيط ، والوسيط تدل على ذلك وتؤكدده :

- ١ . فعند قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُمَّ إِلَهٌ وَحِيدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ [البقرة : ١٦٣] ، قال : « قال أصحابنا : حقيقة الواحد في وصف الباري سبحانه أنه واحد لا قسيم له في ذاته ولا بعض له في وجوده ، بخلاف الجملة التي يطلق عليها لفظ الواحد مجازاً ، كقوله : دار واحدة ، وشخص واحد ، وعبر بعض أصحابنا عن التوحيد فقال : هو نفي الشريك والقسيم والشبيه ، فالله واحد في أفعاله لا شريك له يشاركه في إثبات المصنوعات ، وواحد في ذاته لا قسيم له ، وواحد في صفاته لا يشبهه الخلق فيها . . . »^(٦) .

(١) انظر : مبحث منهجه في آيات الأحكام .

(٢) انظر : ترجمته في مبحث شيوخته .

(٣) انظر : طبقات الشافعية للسبكي ٢٥٧ / ٤ ، وانظر : ترجمة أبي إسحاق في مبحث شيوخته .

(٤) ستأتي ترجمته لاحقاً في مبحث شيوخته .

(٥) انظر : ترجمته في مبحث شيوخته .

(٦) انظر : البسيط ٤٠٧ / ٣ .

ويقول أيضاً: «وعند متكلمي أصحابنا: أن الإله من له الإلهية، والإلهية القدرة على اختراع الأعيان...»^(١). وهذا الذي قرره الواحدي هنا هو قول متكلمي الأشاعرة^(٢)، قال شيخ الإسلام ابن تيمية، وهو يتحدث عن التوحيد عند المتكلمين: «... حتى يجعلون معنى الإلهية القدرة على الاختراع»^(٣)، ثم قال بعد ذلك: «وليس المراد بالإله هو القادر على الاختراع كما ظنه من أئمة المتكلمين، حيث ظن أن الإلهية هي القدرة على الاختراع، وأن من أقرَّ بأن الله هو القادر على الاختراع من دون غيره فقد شهد أنه لا إله إلا هو، فإن المشركين كانوا يقولون بهذا وهم مشركون كما تقدم بيانه، بل الإله الحق هو الذي يستحق أن يعبد، فهو إله بمعنى: مألوه، لا إله بمعنى آله...»^(٤).

ثم قال في موضع آخر^(٥): «وكثير من أهل الكلام يقول: التوحيد له ثلاثة معانٍ - ثم ذكر ما قرره الواحدي - ثم قال: وهذا المعنى الذي تناوله هذه العبارة، فيها ما يوافق ما جاء به الرسول ﷺ، وفيها ما يخالف ما جاء به الرسول ﷺ، وليس الحق الذي فيها هو الغاية التي جاء بها الرسول ﷺ، بل التوحيد الذي أمرَ به أمرٌ يتضمن الحق الذي في هذا الكلام وزيادة أخرى، فهذا من الكلام الذي لبس فيه الحق بالباطل، وكتم الحق، وذلك أن الرجل لو أقرَّ بما يستحقه الرب - تعالى - من الصفات ونزَّهه عن كل ما ينزه عنه، وأقرَّ بأنه

(١) انظر: البسيط عند تفسير البسمللة ٤٠٩/١.

(٢) انظر: الاقتصاد في الاعتقاد للغزالي ٤٥، ونهاية الإقدام للشهرستاني ٩٠.

(٣) الرسالة التدمرية ١٨٠.

(٤) الرسالة التدمرية ١٨٥، ١٨٦.

(٥) هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله النميري الحراني الدمشقي، أبو العباس، شيخ الإسلام، ولد بحران سنة ٦٦١ هـ، طلب العلم وتبحر، وفاق أهل عصره، وألف فأكثراً وأبدع، ومن كتبه منهاج السنة، وتبليغ الجهمية، وجمعت فتاواه ورسائله مراراً. مات في سجن القلعة في دمشق، فخرجت دمشق كلها في جنازته سنة ٧٢٨ هـ، وألّفت في سيرته كتب. انظر: البداية والنهاية ١٤/١٣٥، والدرر الكامنة ١/١٤٤.

وحده خالق كل شيء لم يكن موحداً بل ولا مؤمناً ، حتى يشهد أن لا إله إلا الله ، فيقر بأن الله وحده هو المستحق للعبادة ، ويلتزم بعبادة الله وحده لا شريك له ، والإله بمعنى : المألوه المعبود الذي يستحق العبادة ، ليس هو الإله بمعنى : القادر على الخلق ، فإذا فسر المفسر الإله بمعنى : القادر على الاختراع ، واعتقد أن هذا هو أخص وصف الإله ، وجعل إثبات هذا التوحيد هو الغاية في التوحيد ، كما يفعل ذلك من يفعله من متكلمة الصفاتية ، وهو الذي ينقلونه عن أبي الحسن وأتباعه ، لم يعرفوا حقيقة التوحيد الذي بعث الله به رسوله ، فإن مشركي العرب كانوا مقرين بأن الله وحده خالق كل شيء ، وكانوا مع هذا مشركين^(١) .

وقد سار على مذهب الأشعرية في باب صفات الله ، وذلك عند تعرضه لها عن طريق الآيات التي وردت فيها ، فيؤولها ، ومذهب السلف في ذلك أنهم يثبتون لله ما أثبتته لنفسه من الصفات ، وما أثبتته له رسوله من دون تأويل أو تحريف أو تعطيل ، ولا يلزم من إثباتهم للصفات أي لازم باطل ، من تشبيه الله بخلقه أو غير ذلك ، فكما أنه سبحانه ليس كمثله شيء كذلك صفاته .

٢. فَمِنَ الْآيَاتِ الَّتِي تَعَرَّضَ لَهَا قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ هَلْ يَظُنُّونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾ [البقرة: ٢١٠] .
ذكر الواحدي في تفسيرها وجهين :

أحدهما : أن هذا من باب حذف المضاف ، أن يأتيهم عذاب الله ، أو أمر الله ، أو آيات الله ، فجعل محي الآيات والعذاب مجيئاً له ، تفخيماً لشأن العذاب ، وتعظيماً له .

(١) درء تعارض العقل والنقل ١/ ٢٢٥ ، وانظر أيضاً ٣/ ٩٨-١٠٢ ، والرسالة التدمرية ١٨٥ ، ١٨٦ .

والثاني : المعنى ؛ هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله بما وعدهم من العذاب والحساب ، فحذف ما يأتي به تهويلاً عليهم . . . (١) .

وهذا منه - رحمه الله - تأويل وصرف للفظ عن ظاهره ، مخالف لما كان عليه السلف الصالح من إثبات ما أثبتته الله لنفسه من الصفات ، من غير تأويل ولا تحريف ولا تشبيه ولا تكييف ، وذلك جرياً على مذهب الأشاعرة في تأويل الصفات الخبرية .

٣. وفي قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥] ، قال : فمعنى العلو في صفة الله تعالى : اقتداره وقهره واستحقاقه صفات المدح (٢) . وهذا مخالف لمذهب السلف الذين يثبتون العلو لله بأنواعه كلها . علو الذات وعلو القدر ، وعلو القهر . وعلو ذاته ثابت بالكتاب والسنة وإجماع السلف وبالفطرة والعقل (٣) ، وليس هذا موضع بسط الأدلة في ذلك .

٤. وقال أيضاً في تفسير البسيط : قال النحويون : وذكر اليد في قوله : ﴿ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ﴾ [البقرة: ٧٩] تحقيق للإضافة ، وإن كانت الكتابة لا تقع إلا باليد ، وقد أُكِّدت الإضافة بذكر اليد في ما لا يُرادُ باليد فيه الجارحة ، كقوله تعالى : ﴿ لَمَّا خَلَقْتُ بَيْدَيَّ ﴾ [ص: ٧٥] ، وقوله : ﴿ وَمَا عَمِلَتْ أَيْدِينَا ﴾ [يس: ٧١] . ومعناه : مما تولَّينا عمله ، ولما تولَّيت خلقه .

(١) انظر : البسيط ٤ / ٩١ ، ٩٢ .

(٢) المصدر السابق ٤ / ٣٣٣ .

(٣) انظر : الفتاوى ١٦ / ١١٩ ، ١٢٣ ، ٣٥٨ ، ومختصر الصواعق المرسلة للموصلي ١ / ٧٥ ، وشرح الواسطية ٣٤ .

والأصل في هذا : أنه قد يضاف الفعل إلى الفاعل وغير الفاعل له ، كقوله تعالى : ﴿ يُذَيِّعُ أبنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ ﴾ [القصص : ٤] ، والمراد بذلك : أنه يأمر بالذبح فيُمَثَّل أمره .

فلما كان الفعل قد يُضاف إلى غير الفاعل أُكِّدَت الإضافة بذكر اليد ؛ لتحقيق الإضافة ويتنفي الاحتمال ، ثم استعمل هذا التأكيد أيضاً في فعل الله تعالى ، وإن لم يجز في وصفه يد الجارحة ؛ لأن المراد بذكر اليد تحقيق الإضافة على ما بيننا ^(١) . اهـ .

٥ . وقال أيضاً عند قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة : ٢٩] نقل أقوال بعض العلماء في ذلك ، ثم قال : « . . والأصل في الاستواء الاستقامة ، وإنما قيل للقصد إلى الشيء استواء ؛ لأن الاستواء يسمى قصداً . . . » ، ثم قال : « وأما استوى بمعنى استولى فقد يكون ، وكأنه يقول : استوت له الأمور فاستولى ، ثم وضع (استوى) موضع (استولى) . . . » . ويظهر رأيه وهو يتحدث عن آخر الآية : ﴿ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ فيقول : « وقيل : إنه لما ذكر ما يدل على القدرة والاستيلاء وصل ذلك بوصفه بالعلم . . . » ^(٢) .

ومذهب السلف في هذا إثبات الاستواء لله على وجه يليق بجلاله ، فهو مستو على عرشه بائن من خلقه ، عالٍ عليهم بذاته علوًّا يليق بجلاله ، ولا يلزم من هذا أي لازم باطل مما يلزم لاستواء البشر ، ليس كمثله شيء ^(٣) .

والحاصل أن هذا منهجه في تفسيره ، كلما مرَّ بآية من آيات العقائد تبع عقيدة الأشاعرة ، ولينظر زيادة على ذلك ما قرَّره في الآيات الآتية :

(١) انظر : البسيط ٨٢ / ٣ .

(٢) انظر : البسيط ٢٦٨ / ٢ .

(٣) انظر : مجموع الفتاوى لابن تيمية ١٤٤ / ٥ ، ٢٠٨ ، وشرح الطحاوية ٢١٨ ، والتدمرية ٨١ .

١. قوله تعالى : ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [الفاتحة: ٣] ؛ حيث أوّل صفة الرحمة ^(١) .
٢. وقوله تعالى : ﴿غَيْرَ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧] ، حيث أوّل صفة الغضب لله ^(٢) .
٣. وقوله تعالى : ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢] ؛ حيث فسر الإيمان بالتصديق على طريقة الأشاعرة ^(٣) .
٤. وقوله تعالى : ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧] ؛ حيث فسر الآية على طريقة الأشاعرة القائلين بالكسب في باب القدر ^(٤) .
٥. وقوله تعالى : ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الرعد: ٢] ؛ حيث أوّل الاستواء بالاستيلاء والاعتدار ونفوذ السلطان ^(٥) .
٦. وقوله تعالى : ﴿وَالسَّمَوَاتِ مَطْوِيَّاتٍ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر: ٦٧] ؛ حيث أوّل اليد بالقدرة ^(٦) .
٧. وقوله تعالى : ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢] ؛ حيث أوّل المجيء بمجيء أمره وقضائه ^(٧) .

(١) تفسير الوسيط ٦٥ / ١ .

(٢) تفسير الوسيط ٧٠ / ١ .

(٣) تفسير الوسيط ٧٩ / ١ و ٥٣٥ / ٢ .

(٤) تفسير الوسيط تفسير سورة الأنفال .

(٥) تفسير الوسيط ٣ / ٣ .

(٦) تفسير الوسيط ٥٩٣ / ٣ .

(٧) تفسير الوسيط ٤٨٤ / ٤ .

● المطلب السادس : شيوخه وتلاميذه

شيوخه

عاش الواحدي في نيسابور معدن الفضلاء ومنبع العلماء ، كما قال عنها ياقوت^(١) ، وتنقل في أرجاء العالم الإسلامي يتبع معين العلم ، ويلقي الدلاء في بحار علماء اللغة والنحو والأدب والتفسير ، وقد أدرك الإسناد^(٢) ، وقرأ الحديث على المشايخ ، لهذا كثر شيوخه وعزَّ حصرهم ، قال الواحدي متحدثاً عن ذلك : «ولو أثبت المشايخ الذين أدركتهم واقتبست عنهم هذا العلم من مشايخ نيسابور وسائر البلاد التي وطئها طال الخطب ومل الناظر»^(٣) .

وأذكر - إن شاء الله - بعض شيوخه ، وأقرب مصدر لذلك الواحدي نفسه ، حيث ذكر في مقدمة كتابه البسيط بعض شيوخه الذين أخذ عنهم ، فأثحدث عنهم أولاً ، ثم أعقبهم بذكر بعض الشيوخ الذين وردت تراجمهم في بعض المصادر التي ترجمت له ، أو ثبت أخذه عنهم بأي طريق .

أولاً : شيوخه الذين ذكرهم في مقدمة كتابه البسيط :

١ . الشيخ أبو الفضل أحمد بن محمد بن عبد الله بن يوسف العروضي ، المعروف بالصَّفَّار الشافعي ٣٣٤-٤١٦ هـ^(٤) ، قال الثعالبي : «إمام في الأدب ، خنق التسعين في خدمة الكتب ، وأنفق عمره على مطالعة العلوم وتدريس متأدبي نيسابور»^(٥) ، وقد أخذ عنه الواحدي اللغة ، فقال :

(١) انظر : معجم الأدباء ٥ / ١ .

(٢) انظر : إنباه الرواة ٢ / ٢٢٣ .

(٣) مقدمة البسيط ٣٨٥ .

(٤) انظر : معجم الأدباء ٤ / ٢٦١ ، وإنباه الرواة ١ / ١٥٤ .

(٥) تنمة يتيمة الدهر ٥ / ٢٠٥ .

«أما اللغة فقد درستها على الشيخ أبي الفضل أحمد بن محمد بن عبد الله بن يوسف العروضي رحمه الله ، وكان قد خنق^(١) التسعين في خدمة الأدب ، وأدرك المشايخ الكبار ، وقرأ عليهم ، وروى عنهم ، مثل أبي منصور الأزهري ، روى عنه كتاب التهذيب»^(٢) ، ثم قال : «وكنت قد لازمته سنين أدخل عليه عند طلوع الشمس ، وأخرج لغروبها أسمع وأقرأ وأعلق وأحفظ وأبحث وأذاكر أصحابه ما بين طرفي النهار ، وقرأت عليه الكثير من الدواوين وكتب اللغة»^(٣) .

وقد ورد ذكر أبي الفضل العروضي في البسيط ، حيث روى عنه في مواضع عن الأزهري من كتاب تهذيب اللغة ، والتهذيب أحد مصادره المهمة ، ويأتي ذكر ذلك عند الكلام على مصادره .

٢. علي بن محمد بن إبراهيم بن عبد الله القُهْنْدَزي^(٤) الضرير ، أبو الحسن ، نحوي أديب ، قرأ عليه الأئمة وتخرجوا به^(٥) ، أخذ عنه الواحدي النحو ، إذ قال : «وأما النحو فإني لما كنت في ميعة صباي وشرح شيبتي وقعت إلى الشيخ أبي الحسن علي بن محمد بن إبراهيم الضرير - رحمه الله - وكان من أبرع أهل زمانه في لطائف النحو وغوامضه ، وأعلمهم بمضاييق طرق العربية ودقائقها ، ولعله تفرّس فيّ وتوسّم أثر

(١) أي كاد يبلغها ، انظر : القاموس المحيط ، (خنق) ١١٣٨ .

(٢) انظر : مقدمة البسيط للمؤلف .

(٣) انظر : مقدمة البسيط للمؤلف .

(٤) قال السمعاني : «القُهْنْدَزي بضم القاف والهاء وسكون النون والذال المهملة وفي آخرها الزاي ، وهذه النسبة إلى قُهْنْدَز بلاد شتى ، وهي المدينة الداخلة المسورة» . الأنساب ٥٢٣/١٠ . والمقصود هنا قُهْنْدَز نيسابور .

(٥) انظر : معجم الأدباء ٥٧/١٥ ، وإنباه الرواة ٣١٠/٢ ، ونكت الهميان في نكت العُميان للصفدي ٢١٥ ، وبغية الوعاة ١٨٦/٢ .

الخير لديّ ، فتجرد لتخريجي وصرف وكّده^(١) إلى تأديبي»^(٢) ،
ثم قال : « . . . وقرأت عليه جوامع النحو والتصريف والمعاني ،
وعلقت عنه قريباً من مائة جزء في المسائل المشكلة»^(٣) .

٣. أبو الحسن عمران بن موسى المغربي ، ذكره الواحدي مع شيوخه ،
فقال : «ثم ورد علينا الشيخ الإمام أبو الحسن عمران بن موسى المغربي
المالكي ، وكان واحد عصره وباقعة دهره في علم النحو ، لم يلحق أحد
ممن سمعنا شأوه في معرفة الإعراب ، ولقد صحبتته مدة مقامه عندنا ،
حتى استنزفت غرر ما عنده»^(٤) ، ذكره السيوطي ناقلاً عن السياق ،
فقال : «شيخ فاضل نحوي كبير ، كثير الحفظ ، قدم نيسابور ، وأفاد
واستفاد ، وطاف البلاد ، ولقي الكبار ، وله النظم الفائق ، وكان من
أفاضل العصر ، مات قريباً من الخمسمائة»^(٥) ، وذكر السيد أحمد صقر
في مقدمة أسباب النزول أن وفاته سنة ٤٣٠ هـ^(٦) ، ولم أصل إلى ما
اعتمد عليه في ذلك .

٤. أبو القاسم علي بن أحمد البستي ، وهو أحد شيوخه في القراءات ، وقد
ذكر ذلك ، فقال : «وأما القرآن وقراءات أهل الأمصار واختيارات

(١) أي : مراده وقصده . اللسان ، (وكد) ٣/ ٤٦٧ .

(٢) مقدمة البسيط ٣٨٠ ، ٣٨١ .

(٣) المصدر السابق ٣٨١ .

(٤) المصدر السابق ٣٨٢ .

(٥) بغية الوعاة ٢/ ٢٣٣ .

(٦) مقدمة أسباب النزول ١٠ ، ونقل صاحب الواحدي ومنهجه في التفسير عن النجوم الزاهرة أنه أثبت وفاته
سنة ٤٣٠ هـ ، وعاد فأثبتها في وفيات سنة ٤٥٨ هـ . ظناً منه أنه المترجم له ، والذي في النجوم الزاهرة :
موسى بن عيسى بن أبي حاج الفاسي المقرئ الإمام أبو عمران الفاسي السدار العَفْجُومِيّ البربري المالكي ،
ويظهر أنه شخص غيره لاختلاف الاسم . انظر : الواحدي ومنهجه في التفسير ٦٧ ، والنجوم الزاهرة
٧٧ ، ٣٠ / ٥ .

الأئمة ، فإني اختلفت أولاً إلى الأستاذ أبي القاسم علي بن أحمد البستي - رحمه الله - وقرأت عليه القرآن ختمات كثيرة لا تحصى ، حتى قرأت عليه أكثر طريقة الأستاذ أبي بكر أحمد بن الحسين بن مهران^(١)^(٢) .

ذكره الذهبي في من أخذ عن ابن مهران ، فقال : « . . وأبو القاسم علي بن أحمد البستي شيخ الواحدي »^(٣) ونحوه قال ابن الجزري ، وذكره في ترجمة الواحدي ضمن شيوخه في القراءات^(٤) .

٥ . أبو عثمان سعيد بن محمد بن محمد بن إبراهيم المقرئ الزعفراني الحيري ، قال في المنتخب من السياق : « شيخ كبير ثقة صالح ، كثير السماع كثير الحديث والشيوخ ، عالم بالقرآن ، مقصود في علم القراءات ، سمع بنيسابور والعراق والحجاز . . . قال أبو الحسن : قرأت من خط أبي صالح الحافظ أنه تغير بعض التغير في آخر أمره ، وحكى عن بعض الثقات أنه خلط في بعض مسموعاته - والله أعلم به - توفي في جمادى الأولى سنة سبع وعشرين وأربعمائة »^(٥) .

وذكره الذهبي في المشتبه^(٦) ، وقال : « أبو عثمان سعيد بن محمد الحيري عن أبي عمرو بن مطر ، وعنه الواحدي » ، وذكره الذهبي في من أخذ عن ابن

(١) هو أحمد بن الحسين بن مهران النيسابوري المقرئ ، صاحب كتاب الغاية في القراءات العشر ، ويأتي

ذكره في حاشية البسيط ٣٨ .

(٢) انظر : مقدمة البسيط ٣٨٢ .

(٣) معرفة القراء الكبار ١ / ٢٨٠ .

(٤) انظر : غاية النهاية ١ / ٥٠ ، ٥٢٣ .

(٥) المنتخب من السياق ل ٦٧ ب .

(٦) المشتبه ١ / ١٨٦ .

مهران^(١)، وكذا ابن الجزري^(٢)، وقد أخذ عنه الواحدي القراءات، فقال: «وأما القرآن وقراءات أهل الأمصار واختيارات الأئمة، فإني اختلفت أولاً إلى الأستاذ أبي القاسم علي بن أحمد البستي».

ثم قال بعد ذلك: «. . . ثم ذهبت إلى الإمامين أبي عثمان سعيد بن محمد الحيري، وأبي الحسن علي بن محمد الفارسي -رحمهما الله- وكانا قد انتهت إليهما الرئاسة في هذا العلم، وأشير إليهما بالأصابع في علو السن ورؤية المشايخ، وكثرة التلامذة، وغزارة العلوم، وارتفاع الأسانيد، والوثوق فيها، فقرأت عليهما، وأخذت من كل منهما حظاً وافراً بعون الله وحسن توفيقه». وخصّ أبا عثمان سعيد بن محمد، فقال: «وقرأت على الأستاذ سعيد مصنفات ابن مهران، وروى لنا كتب أبي علي الفسوي^(٣) عنه، وقرأت عليه بلفظي كتاب الزّجاج في المعاني^(٤) روايته عن ابن مقسم عنه، وسمع بقراءتي الخلق الكثير^(٥)». وبهذا يتضح مكانة أبي عثمان سعيد بن محمد الحيري في شيوخ الواحدي، ومقدار ما أخذ عنه من العلم، ولقد صرح بروايته عنه في مواضع من البسيط، قال في مقدمة البسيط: «. . . وقرأت على الأستاذ سعيد بن محمد المقرئ، فقلت: حدثكم طلحة بن محمد الشاهد ببغداد»^(٦).

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ﴾ [البقرة: ٢٩]، قال: «وأقرأني سعيد بن محمد الحيري -رحمه الله- عن أبي الحسن بن مقسم».

(١) انظر: معرفة القراء الكبار ١/ ٢٨٠.

(٢) انظر: غاية النهاية ١/ ٥٠.

(٣) هو أبو علي الفارسي. انظر: ترجمته في مصادر الواحدي وأسماء كتبه في حاشية مقدمة البسيط.

(٤) المراد كتاب الزّجاج المشهور معاني القرآن، والتعريف بالزّجاج وكتابه يأتي في مصادر الواحدي.

(٥) مقدمة البسيط ٣٨٣، ٣٨٤.

(٦) مقدمة البسيط ٣٧٠.

٦. أبو الحسن علي بن محمد الفارسي ، ذكره الواحدي مع سعيد بن محمد الحيري كما سبق وذكر أخذَه عنه ، وقال فيه ابن الجزري : «إمام مقرر حاذق أخذ القراءات عرضاً وسماعاً عن أبي بكر أحمد بن الحسين بن مهران ، روى القراءات عنه عرضاً وسماعاً أحمد بن أبي عمر صاحب كتاب الإيضاح^(١) ، توفي سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة»^(٢) .

٧. أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري المفسر صاحب التفسير المشهور بالكشف والبيان ، توفي في سنة سبع وعشرين وأربعمائة ، ذكره ياقوت في معجم الأدباء في ما نقله عن السياق لتاريخ نيسابور ، وقال : سمع منه الواحدي التفسير^(٣) .

قال ابن الأثير : يقال له : الثعلبي والثعالبي^(٤) . وكانت له منزلة خاصة لدى الواحدي تحدث عنه ، فقال : « . . ثم فرغت للأستاذ الإمام أبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي - رحمه الله - وكان حبر العلماء بل بحرهم ، ونجم الفضلاء بل بدرهم ، وزين الأئمة بل فخرهم ، وأوحد الأمة بل صدرهم . . . » ، ثم ذكر كتابه في التفسير وبالغ في مدحه ، ويأتي التعريف به في مصادر الواحدي في تفسيره ، إذ إنه أحد مصادره المهمة .

قرأ عليه من مصنفاته كثيراً ، فقال : « . . وقرأت عليه من مصنفاته أكثر من خمسمائة جزء وتفسيره الكبير ، وكتابه المعنون بالكامل في علم القرآن »^(٥) . وقد

(١) غاية النهاية ٥٧٢ / ١ .

(٢) انظر : المنتخب من السياق ل ١١٢ أ ، وستأتي ترجمته في مصادر الواحدي .

(٣) معجم الأدباء ٣٦-٣٨ ، وانظر : وفيات الأعيان ٧٩ / ١ ، وطبقات المفسرين للداودي ٣٩٤ / ١ ، وطبقات المفسرين للسيوطي ٦٦ .

(٤) الباب ٢٣٨ / ١ .

(٥) انظر : مقدمة البسيط ٣٨٥ .

أكثر الواحدي النقل من الكشف والبيان ، ويلاحظ أنه لم يذكر اسمه ولم يعزله إلا عندما يروي عنه بالسند ، ومن أمثلة ذلك قوله في مقدمة البسيط : «ولقد أخبرنا الأستاذ أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم -رحمه الله- قال أخبرني أبو القاسم الحسن بن محمد بن الحسن . . .»^(١) ، وقال في موضع آخر : «ولقد سمعت أحمد بن محمد بن إبراهيم يقول : سمعت الحسن بن محمد يقول . . .»^(٢) .

هؤلاء هم الشيوخ الذين ذكرهم الواحدي في مقدمة تفسيره البسيط ، وللواحدي شيوخ غيرهم كثر . قال : « . . ولو أثبت المشايخ الذين أدركتهم واقتبست عنهم هذا العلم من مشايخ نيسابور وسائر البلاد التي وطئتها طال الخطب وملّ الناظر»^(٣) .

ثانياً : ذكر بعض من ترجم للواحدي عدداً من شيوخه ، منهم :

١ . الشيخ الإمام أبو عمر سعيد بن هبة الله الموفق البسطامي ، قال في المنتخب من السياق : «من سلاله الإمامة والذي انتهى إليه أمر الزعامة لأصحاب الشافعي ، رُبِّي في حجر الرئاسة ، وغذي بلبان الإمامة . . . توفي عصر يوم عرفة سنة اثنتين وخمسمائة»^(٤) . وقد تلقى عنه الواحدي في الكتاب ، حيث اجتمع هو والباخرزي في كتابه ، وقد ذكر ذلك الباخرزي في دمية القصر^(٥) ، ويظهر أنَّ الإمام أبا عمر قد عُمِّر طويلاً .

(١) انظر : البسيط ٣٦٢ .

(٢) انظر : البسيط ٣٧٢ .

(٣) مقدمة البسيط ٣٨٥ .

(٤) المنتخب من السياق ل ١٧٠ .

(٥) انظر : دمية القصر ١٠١٨/٢ .

٢. الإمام محمد بن محمد بن محمد بن محمّش بن علي بن أيوب أبو طاهر، المعروف بالزيادي، سُمّي بذلك لأنّه كان يسكن ميدان زياد بن عبدالرحمن، إمام أصحاب الحديث بخراسان وفقههم ومفتيهم، توفي سنة عشر وأربعمائة، أخذ عن كبار المشايخ مثل أبي بكر بن القطان وغيره^(١)، وأخذ الواحددي عنه، ذكر ذلك صاحب السياق^(٢)، والسبكي^(٣)، والذهبي^(٤)، والسيوطي^(٥)، والداودي^(٦)، وغيرهم.

٣. الشيخ محمد بن عبدالرحمن بن محمد بن جعفر الكنجَرُودي^(٧) أبو سعد، مسند خراسان، له معرفة بالطب والفروسية وأدب السلاح، استجمع فنون العلم وأدرك المشايخ الكبار، كأبي بكر بن مهران وغيره، توفي سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة^(٨)، وقد ذكر عبدالغافر في المنتخب من السياق أنّ الواحددي أخذ عنه^(٩).

٤. الإمام محمد بن أحمد بن جعفر المولقَابَازي أبو حسان المِزَكّي مسند نيسابور وأحد الثقات، كانت إليه التزكية في نيسابور، حدث عن

(١) انظر: المنتخب من السياق ل ٢، الأنساب ٦/ ٣٦٠، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ٢٧٦.

(٢) انظر: المنتخب من السياق ل ١١٤ أ.

(٣) انظر: طبقات الشافعية ٣/ ٢٨٩.

(٤) انظر: سير أعلام النبلاء ١٨/ ٣٤٠، والعبر ٢/ ٣٢٤.

(٥) انظر: طبقات المفسرين ٦٦.

(٦) انظر: طبقات المفسرين ١/ ٣٩٤.

(٧) قال السمعاني: الكنجَرُودي يفتح الكاف وسكون النون وفتح الجيم وضم الراء بعدها واو وفي آخرها الذال المعجمة، هذه النسبة إلى كَنْجَرُود، وهي قرية على باب نيسابور. الأنساب ١١/ ١٥٥.

(٨) انظر: المنتخب من السياق ل ١٠، والأنساب ١١/ ١٥٥، وإنباه الرواة ٣/ ١٦٥، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ١٠١.

(٩) انظر: المنتخب من السياق ل ١١٤ أ.

جماعة منهم الصَّبْغِي، توفي سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة^(١)، ذكر
أخذ الواحدي عنه عبدالغافر في السياق^(٢)، والذهبي^(٣).

٥. الإمام أبو بكر أحمد بن الحسن بن أحمد الحرَّشِيُّ الحيرِيُّ النيسابوريُّ
مسند خراسان، قُلْد قضاء نيسابور مدة، حَدَّث عن أبي العباس
الأصم وغيره ٣٢٥-٤٢١ هـ، مات وله ست وتسعون سنة^(٤)،
ذكر أَنَّ الواحدي أخذ عنه الذهبي^(٥)، والسبكي^(٦)، والسيوطي^(٧)،
والداودي^(٨)، وابن العماد^(٩).

٦. الشيخ الجليل المحدث عبدالرحمن بن حمدان بن محمد بن نصرويه
النَّصْرُوي^(١٠) النيسابوري، رحل إلى بلاد كثيرة، فسمع في الحجاز
والعراق، وأخذ عن كبار المشايخ، كأبي بكر القطيعي وغيره، مات

(١) انظر: المنتخب من السياق ل ١٧، وسير أعلام النبلاء ١٧/٥٩٦، والعبر ٢/٢٦٧.

(٢) انظر: المنتخب من السياق ل ١١٤.

(٣) انظر: سير أعلام النبلاء ١٨/٣٤٠، وفيه محمد بن إبراهيم المَرْكَبِي.

(٤) انظر: المنتخب من السياق ل ٢٢، وسير أعلام النبلاء ١٧/٣٥٦، والأنساب ٤/١٢٢، ٣٢٧.

(٥) انظر: سير أعلام النبلاء ١٨/٣٤٠، والعبر ٢/٣٢٤.

(٦) انظر: طبقات الشافعية ٣/٢٨٩.

(٧) انظر: طبقات المفسرين ٦٦.

(٨) انظر: طبقات المفسرين ١/٣٩٤.

(٩) انظر: شذرات الذهب ٣/٣٢٩.

(١٠) بفتح النون وسكون الصاد وضم الراء في آخرها ياء تحتها نقطتان، نسبة إلى نَصْرُويّه، جد المنتسب إليه. الباب ٣/٣١١.

سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة^(١). ذُكر في المنتخب من السياق أخذ الواحدي عنه^(٢)، وكذا الذهبي^(٣)، والسبكي^(٤).

٧. الأستاذ إسماعيل بن إبراهيم بن محمد، النَّصْرَابَادِي^(٥) الواعظ أبو إبراهيم، أبوه شيخ خراسان، وخلف أبيه في ذلك، سمع الكثير في خراسان ونيسابور والجل والعراف والحجاز، وروى عن أبي بكر القطيعي وغيره، توفي سنة ثمان وعشرين وأربعمائة^(٦)، ذكر أخذ الواحدي عنه، صاحب المنتخب من السياق^(٧)، والذهبي^(٨)، والسبكي^(٩).

٨. الشيخ عمر بن أحمد بن محمد بن مسرور النيسابوري، أبو حفص مسند خراسان سمع من جماعة منهم الحافظ أبو أحمد الحاكم وغيره، كان كثير العبادة، عاش تسعين سنة، وتوفي سنة ثمان وأربعين وأربعمائة^(١٠). ذكر في المنتخب من السياق ممن أخذ عنهم الواحدي^(١١).

(١) انظر: المنتخب من السياق ل ٨٩ب، والأنساب ١٣/ ١٠٩، واللباب ٣/ ٣١١، وسير أعلام النبلاء ٥٥٣/ ١٧، والعبر ٢/ ٢٦٨.

(٢) انظر: المنتخب من السياق ل ١١٤ أ.

(٣) انظر: سير أعلام النبلاء ١٨/ ٣٤٠.

(٤) انظر: طبقات الشافعية ٣/ ٢٩٠.

(٥) النصرابادي بفتح النون وسكون الصاد وفتح الراء المهملتين وسكون الألفين وبينهما الباء الموحدة وفي آخرها الذال المعجمة، هذه النسبة إلى محلة في نيسابور، من أعالي البلد. انظر: الأنساب ١٣/ ١٠٧.

(٦) انظر: المنتخب من السياق ل ٣٨أ، والأنساب ١٣/ ١٠٧.

(٧) انظر: المنتخب من السياق ل ١١٤ أ.

(٨) انظر: سير أعلام النبلاء ١٨/ ٣٨٠.

(٩) طبقات الشافعية ٣/ ٢٨٩.

(١٠) انظر: سير أعلام النبلاء ١٨/ ١٠، والعبر ٢/ ٢٩٢.

(١١) انظر: المنتخب من السياق ل ١١٤ أ.

٩. عبد الغافر بن محمد بن عبد الغافر بن أحمد الفارسي ثم النيسابوري ،
سمع من الخطابي وغيره ، وكان من المعمرين ، ولد سنة نيف وخمسين
وثلاثمائة ، وتوفي سنة ثمان وأربعين وأربعمائة في نيسابور ، وهو جد
عبد الغافر بن إسماعيل ، صاحب المنتخب من السياق ^(١) ، وقد ذكر في
المنتخب من السياق أنه من مشايخ الواحدي ^(٢) .

١٠. الإمام المحدث الواعظ إسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد الصابوني
أبو عثمان ، كان أبوه من كبار الواعظين في نيسابور ، ففتك به من
أجل التعصب ، فتولى مهمة الوعظ بعد أبيه ، وعمره عشر سنوات ،
وكان يحضر مجلسه كبار الأئمة ، مثل أبي إسحاق الإسفراييني
وأبو بكر بن فورك ، وكان صاحب عبادة وعفة ، وكان من أئمة
الأثر ، له مصنف في السنة واعتقاد السلف ٣٧٣-٤٤٩ هـ ^(٣) . ذكر في
المنتخب من السياق أنه من مشايخ الواحدي ^(٤) .

١١. أبو سعد محمد بن علي بن أحمد الحيري الخفاف ، أخذ عن أبي
عمرو بن مطر وأخذ عنه الواحدي . ذكر ذلك الذهبي ^(٥) .

(١) انظر : المنتخب من السياق ١٠٦أ ، وسير أعلام النبلاء ١٨/١٩ ، والعبر ٢/٣٢٤ .

(٢) انظر : المنتخب من السياق ل ١١٤أ .

(٣) انظر : المنتخب من السياق ل ٣٨ب ، وتمتة يتيمة الدهر ٥/٣١٦ ، والأنساب ٨/٢٤٧ ، وسير أعلام
النبلاء ١٨/٤٠ .

(٤) انظر : المنتخب من السياق ل ١١٤أ .

(٥) انظر : المشتبه ١/١٨٦ .

١٢. أبو عثمان سعيد بن العباس بن محمد بن علي القرشي الهروي ، الإمام المسند العدل ، كان من سروات الرجال بهراة^(١) ، وتخرج به أئمة ، توفي ٤٣٣هـ^(٢) .

١٣. إبراهيم بن محمد أبو إسحاق الإسفراييني ، أحد أئمة الشافعية ، يمانع حد الاجتهاد ؛ لتبحره في العلوم ، واستجماعه شروط الإمامة في العلوم ، عقد له مجلس الإملاء بعد أبي طاهر الزيادي سنة ٤١٠هـ ، وحضر دروسه الحفاظ والمشايع وأهل العلم ، وأملئ سنين ، توفي ٤١٨هـ^(٣) .

وقد تتلمذ عليه الواحدي ، وقال في الوسيط^(٤) : حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الإسفراييني إملاءً في مسجد عقيل سنة سبع عشرة وأربعمائة .

١٤. أحمد بن محمد بن أحمد بن عبدالله بن الحارث التميمي أبو بكر الأصبهاني النيسابوري ، إمام ثقة مقرئ نحوي محدث زاهد ، توفي سنة ٤٣٠هـ ، وله ٨١ سنة^(٥) أخذ عنه الواحدي^(٦) .

(١) هراه مدينة عظيمة من أمهات مدن خراسان ، وكان فيها بساتين كثيرة ومياه غزيرة وخيرات ، وكانت مليئة بالعلماء وأهل الفضل . انظر : معجم البلدان ٣٩٦/٥ .

(٢) انظر : الأنساب ٤/٤٧٠ ، وسير أعلام النبلاء ١٧/٥٥٢ ، وشذرات الذهب ٣/٢٥٠ ، وقد أخذ عنه الواحدي في تفسير الآية ٣ من سورة النساء .

(٣) انظر : المنتخب من السياق ١٢٠ ، ١٢١ ، وطبقات الشافعية لابن الصلاح ١/٣١٢ ، وتهذيب الأسماء واللغات للنووي ٢/١٦٩ ، وطبقات الشافعية ٤/٢٥٦ ، وسير أعلام النبلاء ١٧/٣٥٣ .

(٤) الوسيط ٢/٢٢٣ تحقيق عادل عبدالموجود وزملائه .

(٥) انظر : المنتخب من السياق ٨٩ ، وإنباه الرواة ١/١٦٥ ، واللباب ١/٣٣٠ ، وسير أعلام النبلاء ١٧/٥٣٨ ، وشذرات الذهب ٣/٢٤٥ .

(٦) روى عن الواحدي في البسيط ، والوسيط ١/٧٠ ، ٣٨٦ ، ٤١٠ ، ٤٤٣ ، وأسباب النزول ٧ ، ٢٤ ، ٢٧ ، ٤٥ .

١٥. عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبدالله التميمي ، أبو منصور البغدادي ، من كبار أئمة الشافعية ، عظيم القدر ، متقن في علوم كثيرة ، درّس في سبعة عشر نوعاً من العلوم ، ورد نيسابور مع أبيه ، وأنفق أمواله على طلبه العلم حتى افتقر ، من تصانيفه المشهورة : الفرق بين الفرق ، توفي سنة ٤٢٩ هـ^(١) .

١٦. المفضل بن إسماعيل بن شيخ الإسلام أبي بكر الإسماعيلي الجرجاني ، عالم جرجان ومفتيها ، كان مضرب المثل في الذكاء ؛ فقد حفظ القرآن وجملة من الفقه وهو ابن سبع سنين ، ثم رحل به أبوه فأكثر من سماع الحفاظ ، توفي سنة ٤٣١ هـ^(٢) . وقد رحل إليه الواحدي ، وسمع منه في بلده ، وقد قال ذلك في الوسيط : «حدثنا الشيخ أبو معمر المفضل بن إسماعيل إملاءً بجرجان سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة»^(٣) ، وقال في أسباب النزول : «حدثنا أبو معمر بن إسماعيل إملاءً بجرجان سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة»^(٤) .

هؤلاء أبرز شيوخ الواحدي الذين ذكر أنه أخذ عنهم ، أو ورد ذكرهم في المصادر التي ترجمت له ، ولو أردنا تتبّع أسماء الشيوخ الذين أخذ الرواية عنهم في كتبه ، كأسباب النزول أو الوسيط لطال الأمر وملّ الناظر ، وقد قال ذلك الواحدي^(٥) .

(١) انظر : طبقات الفقهاء الشافعية لابن كثير ١/ ٣٩٧ ، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ١٣٦/٥ ، والإسنوي ٩٦/١ .

(٢) انظر : العبر ٢/ ٢٦٦ ، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ٥١٨ ، وطبقات السبكي ٣٣١/٥ .

(٣) الوسيط ١/ ٢٩٠ .

(٤) أسباب النزول ٤٥٤ ، والوسيط ١/ ٢٧٩ ، ٢/ ٥١ .

(٥) انظر : مقدمة البسيط للمؤلف .

تلاميذه

إن هذا العلم ميراث النبوة ، يأخذه كل جيل عَمَّن سبقه ويسلمه مَنْ بعده ، والواحدى أحد العلماء المشاهير جلس إلى كبار الشيوخ وأخذ عنهم حتى صار إماماً ، وقعد للإفادة والتدريس ، فقصده الطلاب ، وصار له تلامذة كثيرون .

قال في معجم الأدباء ناقلاً عن المنتخب من السياق : « . . . وقعد للإفادة والتدريس سنين ، وتخرج به طائفة من الأئمة سمعوا منه وقرؤوا عليه ، وبلغوا محل الإفادة . . . »^(١) ، وقال القفطي : « . . . وسار الناس إلى علمه ، واستفادوا من فوائده . . . »^(٢) ، وقال الذهبي : « تصدر للتدريس مدة ، وعظم شأنه . . . »^(٣) ولقد مدحه الباخرزي^(٤) قائلاً : « يشغل بما يعنيه ، وإن كان استهدافه للمختلفة إليه يُعْنِيه » .

وهذا يدل على عناية الواحدى بقاصديه ، والناهلين من علمه ، تعليمياً وتربية وإفادة وتخرجاً^(٥) . وأذكر بعض تلاميذه الذين ورد ذكرهم في ترجمة الواحدى أو ذكر في تراجمهم أنهم أخذوا عنه ، فمنهم :

١ . عبد الجبار بن محمد بن أحمد الخوارى^(٦) ، أبو محمد ، كان إماماً مفتياً متواضعاً ، سمع جماعة منهم أبو بكر البيهقي وغيره ، توفي سنة ثلاث

(١) معجم الأدباء ١٢/٢٥٩ ، وانظر : روضات الجنات ٥/٢٤٤ .

(٢) إنباه الرواة ٢/٢٢٣ .

(٣) سير أعلام النبلاء ١٨/٣٤١ .

(٤) علي بن الحسن بن علي بن أبي الطيب الباخرزي أبو الحسن ، أديب من الشعراء الكتاب من أهل باخرز من نواحي نيسابور ، وتعلم فيها وفي نيسابور ، ورحل واسعاً في بلاد فارس والعراق ، اشتهر بكتابه دمية القصر وعصرة أهل العصر ، مات مقتولاً سنة ٤٦٧ هـ . انظر : وفيات الأعيان ١/٣٦٠ ، وشذرات الذهب ٣/٣٢٧ .

(٥) انظر : دمية القصر ٢/١٠١٧ .

(٦) الخوارى بضم الخاء المعجمة والراء بعد الواو والألف . هذه النسبة إلى خوار الري ، وقرية بيهق ، والمذكور من الأخيرة . انظر : الأنساب ٥/٢١٥ .

أو أربع وثلاثين وخمسمائة^(١)، وذكر أخذه عن الواحدي السمعاني في الأنساب^(٢)، والسبكي^(٣)، والسيوطي^(٤)، والداودي^(٥). وقال الذهبي: إنه أكبر تلاميذه^(٦).

٢. أبو نصر محمد بن عبدالله الأرغواني^(٧) الرّاونيري^(٨) الفقيه الشافعي، مفتي نيسابور، تفقّه على أبي المعالي الجويني، وتوفي سنة تسع وعشرين وخمسمائة^(٩)، وقد ورد أخذه عن الواحدي عند السمعاني في الأنساب، وابن خلكان، والسبكي^(١٠).

٣. أبو العباس عمر بن عبدالله الأرغواني الرّاونيري، أخو أبي نصر السابق، وكان أكبر منه بعشر سنين ونيف، كان شيخاً صالحاً، سمع من جماعة منهم الواحدي، وهو من رواة أسباب النزول للواحدي، قال السمعاني: سمعت منه أسباب النزول، توفي سنة أربع وثلاثين وخمسمائة^(١١).

-
- (١) انظر: المنتخب من السياق ل ١٠٨، والأنساب ٥/ ٢١٥، وطبقات الشافعية للسبكي ٤/ ٢٤٣.
- (٢) انظر: الأنساب ٥/ ٢١٥.
- (٣) انظر: طبقات الشافعية ٣/ ٢٩٠، ٤/ ٢٤٣.
- (٤) انظر: طبقات المفسرين ٦٧.
- (٥) انظر: طبقات المفسرين ١/ ٣٩٤.
- (٦) سير أعلام النبلاء ١٨/ ٣٤٠.
- (٧) الأرغواني: بفتح الهمزة وسكون الراء وكسر الغين المعجمة وفتح الياء المنقوطة من تحتها، نسبة إلى أرغيان ناحية من نواحي نيسابور بها قرى عدة. انظر: الأنساب ١/ ١٦٧.
- (٨) الرّاونيري بفتح الراء والنون المكسورة بعد الألف والواو، والياء المنقوطة من تحتها، وفي آخرها الراء الأخرى، نسبة إلى إحدى قرى أرغيان. الأنساب ٦/ ٥٢.
- (٩) انظر: الأنساب ٦/ ٥٢، ووفيات الأعيان ٤/ ٢٢١، وطبقات الشافعية للسبكي ٤/ ٧٠.
- (١٠) انظر: المراجع السابقة.
- (١١) انظر: الأنساب ٦/ ٥٣، وطبقات الشافعية للسبكي ٤/ ٢٨٧، ومقدمة أسباب النزول، إعداد السيد أحمد صقر ٣٤.

٤. أبو بكر يحيى بن عبدالرحيم بن محمد المقرئ المقبري الليكي من أهل نيسابور ٤٣٨-٥٢٢هـ، سمع من أبي حفص بن مسرور والصابوني، والبيهقي وغيرهم، قال السمعاني: «وسمعت منه حضوراً سنة تسع وخمسمائة، وأجاز لي مسموعاته جميعها، ومن جملتها التفاسير الثلاثة عن الإمام علي بن أحمد الواحدي الوسيط بين المقبوض والسيط، والوجيز، وتفسير النبي ﷺ، قال: بروايتي عنه»^(١).

٥. أحمد بن محمد بن أحمد الميداني^(٢) النيسابوري، أديب فاضل، عالم باللغة والأمثال، صنف كتاب مجمع الأمثال وغيره، وتوفي سنة ثمان عشرة وخمسمائة في نيسابور، تخصص بصحبة أبي الحسن الواحدي وقرأ عليه^(٣).

٦. أبو الحسن علي بن سهل بن العباس المفسر النيسابوري، نشأ في طلب العلم، سمع من أبي عثمان الصابوني، وأبي القاسم القشيري، وتوفي سنة إحدى وتسعين وأربعمائة^(٤). قال في المنتخب: «من تلامذة الواحدي»^(٥).

وقال في روضات الجنات في ترجمة الواحدي: «ومن جملة أهل نيسابور سمي هذا الرجل، وتلميذه الفاضل أبو الحسن علي بن سهل بن العباس المفسر النيسابوري»^(٦).

(١) التحجير في المعجم الكبير للسمعاني ٣٧٧/٢.

(٢) سمي الميداني لأنه سكن بأعلى ميدان زياد بن عبدالرحمن في نيسابور. انظر: الأنساب ٥٢٠/١٢.

(٣) انظر: إنباء الرواة ١٥٦/١، ومعجم الأدباء ٤٥/٥، ووفيات الأعيان ١٤٨/١.

(٤) انظر: المنتخب من السياق ل ١١١٦، وطبقات الشافعية للسبكي ٢٩٩/٣.

(٥) المنتخب من السياق ل ١١١٦.

(٦) روضات الجنات ٢٤٥/٥.

٧. يوسف بن علي بن جبارة الهذلي ، أبو القاسم ، الإمام المقرئ من وجوه القراء ، وصفه عبدالغافر بقوله : الضير ، قال ابن الجزري يحتمل أنه عمي في آخر عمره . كثير الرحلة في طلب القراءات ، قال : «وجملة من لقيت في هذا العلم ثلاثمائة وخمسة وستون شيخاً من آخر المغرب إلى باب فرغانة يميناً وشمالاً وجبلاً وبحراً ، ولو علمت أحداً تقدم عليّ في هذه الطبقة في جميع بلاد الإسلام لقصدته» . ألف كتاب الكامل وذكر فيه شيوخه ، مات سنة خمس وستين وأربعمائة ، عدّ ابن الجزري جميع شيوخه وذكر منهم الواحدي^(١) .

٨. محمد بن الفضل بن أحمد الفُراوي ، أبو العباس الصاعدي ، أحد العلماء الكبار ، اجتمع فيه علو الإسناد ، وموفور العلم وحسن الخلق ، وقد وصفه الذهبي بقوله : «الشيخ الإمام ، الفقيه المفتي ، مسند خراسان ، فقيه الحرم»^(٢) . وهو معدود في تلاميذ الواحدي ، ومن روى كتابه الوجيز^(٣) .

٩. عبدالكريم بن علي بن أحمد بن محمد الخشنامي^(٤) ، أبو نصر الأديب ، إمام سليم الجانب من المختلفة إلى الإمام الواحدي ، كتب تصانيفه وقرأ عليه ، توفي سنة ٤٩٢ هـ^(٥) .

(١) انظر : المنتخب من السياق ل ١٤٤ ب ، وغاية النهاية ١/ ٥٢٣ ، ٢/ ٣٩٧-٤٠١ .

(٢) انظر : سير أعلام النبلاء ١٩/ ٦١٥ ، وتبيين كذب المفتري ٣٢٤ ، والعبر ٢/ ٤٣٨ ، وطبقات الشافعية للسبكي ١٦٦/ ٦ .

(٣) انظر : الوجيز ١/ ٢٠ ، ٨٥ .

(٤) الخشنامي ، بضم الحاء وسكون الشين وفتح النون نسبة إلى جده خشنام ، انظر : الأنساب ٢/ ٣٧٢ ، واللباب ١/ ٤٤٧ .

(٥) المنتخب من السياق ٣٣٦ .

١٠. الحسين بن محمد بن محمود بن سورة أبو سعيد سبط شيخ الإسلام أبي عثمان الصابوني ، فاضل عالم ، سمع الكثير من مشايخ عصره ، وسمع من الواحدي التفسير وغيره ، توفي كهلاً سنة ٥٠٦ هـ^(١) .
١١. محمد بن أحمد الماهياني أبو الفضل المروزي ، إمام فاضل زاهد ورع حسن السيرة جميل الأخلاق ، فقيه شافعي مبرز عارف بالمذهب رحال ، أدرك الأئمة الكبار وتفقه عليهم ، وسمع الحديث من الواحدي وغيره ، توفي سنة ٥٢٥ هـ ، وعمره نحو ٩٠ سنة . قال السمعي : سمع الحديث من الواحدي ، وسمعت منه التفسير المعروف بالوسيط للواحدي^(٢) .
١٢. عبد الغافر بن إسماعيل بن عبد الغافر بن محمد الفارسي أبو الحسن ، كان إماماً في الحديث والعربية ، سمع من جدّه لأمه أبي القاسم القشيري ، وتفقه على أبي المعالي الجويني ، ورحل في طلب العلم ، ثم رجع إلى نيسابور وولي الخطابة بها ، وأمل في مسجد عقيل ، وصنف كتباً عدة ، منها المفهم بشرح غريب صحيح مسلم ، والسياق لتاريخ نيسابور ، ومجمع الغرائب في غريب الحديث ، توفي سنة ٥٢٩ هـ في نيسابور ، وكانت ولادته سنة ٤٥١ هـ في شهر ربيع الآخر^(٣) . قال في السياق : «قد أجازني بجميع مسموعاته ومصنفاته»^(٤) .

(١) المنتخب من السياق ٢٠٤ .
(٢) انظر : الأنساب ١٨٣/٥ ، والمنتخب من السياق ٧٣ ، وطبقات الشافعية لابن الصلاح ٨٠/١ ، واللباب لابن الأثير ١٥٧/٣ ، وطبقات الشافعية للإسنوي ٤٢٤/٢ .
(٣) انظر : تذكرة الحفاظ ١٢٧٥/٤ ، ووفيات الأعيان ٢٢٥/٣ ، والتجدير في معجم الكبير ٥٠٧/١ ، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ٣١٣/١ .
(٤) المنتخب من السياق ٣٨٧ .

١٣. أبو إسماعيل بن أبي صالح ، المؤذن الشافعي ، كان إماماً في الأصول والفقه ، وهو ممن تتلمذ للإمام الواحدي ، توفي سنة ٥٣٢ هـ^(١) .
١٤. إبراهيم بن أحمد أبو إسحاق المروروذي ، قرأ الوسيط على الإمام الواحدي ، ولد في ذي القعدة سنة ٤٥٣ ، وكان أحد الأئمة المسلمين ، ومن كبار العلماء ، قتل في فتنة خوارزم شاه سنة ٥٣٣ هـ^(٢) .
١٥. أحمد بن طاهر بن سعيد الميهي^(٣) الخراساني الصوفي ، شيخ صالح ، رحل كثيراً في طلب العلم ، توفي سنة ٥٤٩ هـ . قال الذهبي : «له إجازة من المفسر أبي الحسن الواحدي ، روى بها تفاسير»^(٤) .

● المطلب السابع : مؤلفاته

الناظر في حياة أبي الحسن الواحدي يجد أنه قد انقطع للعلم منذ نشأته ، وقد هَيَّأَ الله له أسباب التحصيل ، فأدرك حظاً وافراً من العلم ، واتجهت أنظار الطالبين إليه ، وكثر المستفيدون حوله ، القاسون من نور علمه ؛ ولذا كان لزاماً أن تلبى حاجة الناس بتصنيف المصنفات التي يقرؤها الطلاب على شيخهم ، ومن ثم ينقلونها إلى طلابهم وبلادهم ، ليعمّ النفع ، وليبقى العلم قد اجتمعت له أسباب الدوام من التلقي والتدوين ، والسماع والكتاب .

(١) انظر : طبقات الشافعية الكبرى ٧/ ٤٤ ، والعبر ٢/ ٤٤١ ، وتذكرة الحفاظ للذهبي ٤/ ١٢٧٧ .

(٢) انظر : طبقات الشافعية للسبكي ٤/ ١٩٩ ، والوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، تحقيق صفوان داودي ٢٠/ ١ .

(٣) نسبة إلى قرية ميهنة وهي من قرى خابران ، بين أبيورد وسرخس . انظر : معجم البلدان ٥/ ٢٤٧ .

(٤) انظر : سير أعلام النبلاء ٢٠/ ١٩٦ ، ١٩٧ .

وقد ألّف الإمام أبو الحسن كتباً ، طار صيتها ، واشتهر ذكرها ، وتداولها الناس ، وتلقاها أهل العلم بالقبول والاستحسان . قال ابن خلكان^(١) : «ورزق السعادة في تصانيفه ، وأجمع الناس على حسنها ، وذكرها المدرّسون في دروسهم»^(٢) . وقد قال تلميذه عبدالغافر : «أحسنَ كل الإحسان في البحث والتنقيير»^(٣) . وقال الفيروزآبادي^(٤) : «ومصنفاته كثيرة مشهورة» .

وبما أن الواحدي برع في علمي التفسير واللغة ، فإن غالب تصانيفه تحوم حول هذين العلمين ، وفي ما يأتي ثبت بأسماء مؤلفاته المنسوبة إليه مع بيان المطبوع منها والمخطوط ، وقد قسمتها إلى قسمين :

القسم الأول : ما يقطع بنسبته إليه .

القسم الثاني : ما لا يقطع بنسبته إليه ، وإليك البيان .

القسم الأول : المؤلفات التي يقطع بنسبتها إلى الواحدي :

أولاً : كتبه المعروفة

هي التي وصلت إلينا ، منها ما طبعَ ومنها ما لا يزال مخطوطاً ، وهي المؤلفات التي ذكرها الواحدي في كتبه ، أو ذكرها العلماء الأثبات سواء في تراجمهم له ، أو كتبهم نقلاً عنها .

(١) أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان البرمكي ، أبو العباس ، المؤرخ الأديب صاحب أشهر كتاب في التراجم وهو وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، ولد في إربل سنة ٦٠٨ هـ ، تولى القضاء بمصر ثم بالشام ، وولي التدريس في دمشق ، توفي سنة ٦٨١ هـ . انظر : مقدمة وفيات الأعيان ، والنجوم الزاهرة ٣٥٣/٧ .

(٢) وفيات الأعيان ٣/٣٠٣ .

(٣) نقله عن عبدالغافر ياقوت في معجم الأديباء ٢٥٩/١٢ .

(٤) هو محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم ، أبو طاهر ، مجد الدين ، الشيرازي الفيروزآبادي ، من أئمة اللغة والأدب ، ولد سنة ٧٢٩ هـ ، رحل في طلب العلم حتى استقر به المقام في زبيد وتولى قضاءها ، وأكرمه ملكها الأشرف ، ومن أشهر كتبه القاموس المحيط ، وله بصائر ذوي التمييز ، وغيرهما . توفي سنة ٨١٧ هـ . انظر : البدر الطالع ٢/٢٨٠ ، والضوء اللامع ١٠/٧٩ .

١. البسيط : وهو أكبر كتبه في التفسير ، ويعدُّ مع كتابيه الآخرين الوسيط والوجيز - وكلها في التفسير - أشهر كتبه ، بل أصبحت علماً عليه ، فيقال : الواحد ي صاحب البسيط ، والوسيط ، والوجيز في التفسير ، ولا يترجم له أحد إلا ويذكر كتبه الثلاثة ؛ فذكرها القفطي^(١) ، وياقوت^(٢) ، وابن خلكان^(٣) وقال : «منها أخذ أبو حامد الغزالي أسماء كتبه الثلاثة» ، ومثله قال الذهبي^(٤) ، وذكرها ابن كثير^(٥) والسبكي^(٦) وغيرهم^(٧) .

والبسيط أول هذه الكتب وأكبرها ، بل هو أصلها كما سيأتي ، قال عنه القفطي : «وصنف التفسير الكبير وسماه البسيط وأكثر فيه من الإعراب والشواهد واللغة ، ومن رآه علم مقدار ما عنده من علم العربية»^(٨) . وذكر ابن قاضي شهاب^(٩) وابن العماد^(١٠) : «أنه يقع في ستة عشر مجلداً» .

٢. الوسيط : وهو في التفسير ، والكتاب يعدُّ وسطاً بين البسيط والوجيز ، ولهذا قال في مقدمته : « . . . وقديماً كنت أطالب بإملاء كتاب في

(١) انظر : إنباه الرواة ٢/ ٢٢٣ .

(٢) انظر : معجم الأدباء ١٢/ ١٥٩ .

(٣) انظر : وفيات الأعيان ٣/ ٣٠٣ .

(٤) انظر : سير أعلام النبلاء ١٨/ ٣٤٠ .

(٥) انظر : البداية والنهاية ١٢/ ١١٤ .

(٦) انظر : طبقات الشافعية ٣/ ٢٩٠ .

(٧) مثل ابن الأثير في الكامل ٨/ ١٢٣ ، والإسنوي في طبقات الشافعية ٢/ ٥٣٩ ، وابن قاضي شهاب في طبقات

الشافعية ١/ ٢٥٧ ، وابن العماد في الشذرات ٣/ ٣٣٠ ، وطاش كبرى زاده في مفتاح السعادة ٢/ ٦٦ .

(٨) إنباه الرواة ٢/ ٢٢٣ .

(٩) انظر : طبقات الشافعية ١/ ٢٥٧ .

(١٠) انظر : شذرات الذهب ٣/ ٣٣٠ .

تفسير وسيط ينحط عن درجة البسيط الذي تجر فيه أذبال الأقوال ، ويرتفع عن مرتبة الوجيز الذي اقتصر فيه على الإقلال»^(١) .

قال القفطي : «وهو مختار من البسيط - أيضاً - غاية في بابه»^(٢) ، والحقيقة أن ما في الكتاب من مسائل لغوية ونحوية وتفسيرية مختصر من البسيط ويزيد على البسيط في الإكثار من الرواية ، وسيأتي مزيد من الإيضاح عن الفرق بين الكتابين عند الحديث عن البسيط . ويظهر أن هذا الكتاب نال الشهرة أكثر من البسيط ؛ ولهذا كثرت مخطوطاته^(٣) ، وطبع الجزء الأول من الكتاب ، ويشمل من أول القرآن إلى نهاية سورة البقرة ، بتحقيق محمد حسن أبو العزم الزفيتي ، طبعته لجنة إحياء التراث التابعة لوزارة الأوقاف المصرية ، وحقَّقه قسم القرآن في رسائل علمية ، وأنجز أغلبه ، نأمل أن تتبنَّى الجامعة طباعة هذا الجهد العلمي حتى يخرج متكاملًا .

٣. الوجيز : هذا الكتاب كاسمه وجيز في التفسير ، قال القفطي : «وهو عجيب»^(٤) . وقال الواحدي في مقدمته : «فإني كنت قد ابتدأت بإبداع كتاب في التفسير لم أسبق إلى مثله ، وطال علي الأمر في ذلك لشرائط تقلدتها ومواجب لحق النصيحة لكتاب الله تحمَّلتها ، ثم استعجلني قبل إتمامه والتقضي عما لزم مني من عهدة إحكامه نفر متقاصرو الرغبات منخفضو الدرجات ، أولو البضائع المزجاة إلى إيجاز كتاب في التفسير يقرب على من يتناوله ويسهل على من يتأمله ، من أوجز ما عمل في

(١) مقدمة الوسيط ٦/١ ، تحقيق محمد حسن أبو العزم الزفيتي .

(٢) إنباه الرواة ٢/٢٢٣ .

(٣) ذكر الزفيتي أنه اعتمد على ثلاث نسخ في تحقيق الكتاب ؛ نسخة دار الكتب المصرية رقم (٨٨٧) تفسير ، ونسخة أخرى بدار الكتب المصرية رقم (٢٧١) ، ونسخة ثالثة بمعهد المخطوطات في القاهرة رقم (٢٩٢) تفسير مصورة عن أحمد الثالث في إستانبول .

(٤) إنباه الرواة ٢/٢٢٣ .

بابه وأعظم عائدة على متحفظيه»^(١)، وقد وفي بذلك فخرج الكتاب موجزاً، وقد طبع في مصر سنة ١٣٠٥ هـ على هامش تفسير مراح لبید لكشف معنى قرآن مجید للشيخ محمد نووي الجاوي، ويقع الكتاب في جزأين، ولو طبع مستقلاً لم يتجاوز أربعمئة صفحة تقريباً، والكتاب بحاجة إلى طباعة محققة خصوصاً مع كثرة مخطوطاته، وقد اعتمده السيوطي^(٢) في تكملته للتفسير المشهور بتفسير الجلالين^(٣)، وقد طبع مرات عدة.

(١) مقدمة الوجيز ٢/١، على هامش تفسير مراح لبید.

(٢) هو الحافظ جلال الدين عبدالرحمن بن الكمال السيوطي أبو بكر، صاحب التصانيف المشهورة، ولد

عام ٨٤٩ هـ، وتوفي عام ٩١١ هـ. انظر: حسن المحاضرة ١/٣٣٥.

(٣) انظر: بغية الوعاة ١/٤٠١، وطبقات المفسرين للدودي ١/١٠١.

٤. تفسير النبي ﷺ: ذكره ياقوت^(١)، والذهبي^(٢) والسبكي^(٣) والداودي^(٤) والسمعاني^(٥)، وذكره ابن القاضي شهبة^(٦)،

(١) سبقت ترجمته ٢٩ .

(٢) هو شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز بن عبدالله الذهبي، أبو عبدالله، المؤرخ، المحدث، الناقد، ولد في شهر ربيع الآخر سنة ٦٧٣هـ، وكان من أسرة تركمانية الأصل، سمع من علماء دمشق وحلب ونابلس ومكة، توفي في دمشق ليلة الإثنين الثالث من ذي القعدة سنة ٧٤٨هـ، ودفن في مقبرة الباب الصغير .

من أشهر مصنفاته رحمه الله: تاريخ الإسلام الكبير، وسير أعلام النبلاء، وطبقات الحفاظ، وميزان الاعتدال، وغيرها من مصنفاته رحمه الله تعالى .

انظر: ترجمته في طبقات الشافعية للإسنوي ٩٨/١، وطبقات الشافعية للسبكي ٢٢٦-٢١٦/٥ .

(٣) هو عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي، أبو نصر، القاضي المؤرخ الفقيه الشافعي، ولد في القاهرة سنة ٧٢٧هـ، وانتقل إلى الشام وتولى قضاءها، ثم عزل، وجرت عليه محن لم تجر على قاض مثله . من كتبه طبقات الشافعية الكبرى، ومعيد النعم ومبيد النقم، وجمع الجوامع . توفي بالطاعون سنة ٧٧١هـ . انظر: الدرر الكامنة ٢/٤٢٥ ومقدمة طبقات الشافعية .

(٤) هو محمد بن علي بن أحمد، شمس الدين الداودي المالكي، محدث مصري، من تلاميذ السيوطي . من كتبه طبقات المفسرين، وذيل طبقات الشافعية للسبكي، وترجمة الحفاظ السيوطي، توفي سنة ٩٤٥هـ . انظر: شذرات الذهب ٨/٢٦٤، والأعلام ٦/٢٩١ .

(٥) هو عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المروزي أبو سعد، مؤرخ رحالة، ولد بمرور سنة ٥٠٦هـ، رحل في طلب العلم، من كتبه الأنساب، وأدب الإملاء الاستملاء، توفي بمرور سنة ٥٦٢هـ . انظر: طبقات الشافعية ٤/٢٥٩، ووفيات الأعيان ١/٣٠١ .

(٦) هو أحمد بن محمد بن عمر بن محمد، تقي بن قاضي شهبة الدمشقي، أبو بكر، عالم بالفرائض، جلس للتدريس بالجامع الأموي مدة، وكان كريم النفس كثير الإحسان، ولد في رجب سنة ٧٣٧هـ وتوفي سنة ٧٩٠هـ، ومن مؤلفاته الفرائض وغيره من المؤلفات . انظر: شذرات الذهب ٦/٣١٢، ٣١٣ .

وابن العماد^(١)، بعنوان : تفسير أسماء النبي ﷺ^(٢) .

٥. أسباب النزول : وهو من أشهر ما صنف في هذا الفن^(٣) ومن أول الكتب التي وردت إلينا فيه ، وفيه يذكر سبب النزول من حديث أو أثر مسنداً ، وقد يذكره من دون سند ، ولتوسُّعه وشهرته بنى عليه الحافظ ابن حجر^(٤) كتابه المشهور في أسباب النزول المسمى : العجائب في بيان

(١) هو عبدالحى بن أحمد بن محمد المعروف بابن العماد ، العكري الدمشقي ، أبو الفلاح ، فقيه ، أديب ، أخباري ، حنبلي المذهب ، ولد في الصالحية بدمشق في ٨ رجب سنة ١٠٣٢ هـ ، وأقام في القاهرة مدة طويلة ، وتوفي بمكة في ١٦ من ذي القعدة ١٠٨٩ هـ ، من تصانيفه - رحمه الله - شذرات الذهب ، وبغية أولي النهى في شرح المنتهى وغيرهما .
انظر : ترجمته في معجم المؤلفين ٦٧ / ٢ .

(٢) انظر : معجم الأدباء ٢٥٩ / ١٢ ، وسير أعلام النبلاء ٣٤١ / ١٨ ، وطبقات الشافعية ٢٤١ / ٥ ، وطبقات المفسرين للدوادري ٣٩٥ / ١ ، والتجوير في المعجم الكبير ٣٧٧ / ٢ . وذكره ابن قاضي شهبه في طبقات الشافعية ٢٧٨ / ١ ، باسم تفسير أسماء النبي ﷺ ، وتبعه ابن العماد في شذرات الذهب ٣٣٠ / ٣ ، ورجح ذلك جودة المهدي في كتابه الواحدى ومنهجه في التفسير ٩٦ ، بحجة أنه لم يرد في ثبوت تفاسير الواحدى هذا الاسم ، ولم تنوه به التراجم في سياق إنتاجه التفسيري . وهذا غير صحيح كما تبين عند مراجعة المصادر التي ترجمته .

(٣) انظر : البرهان ٢٢ / ١ ، والإتقان ٣٨ / ١ ، وكشف الظنون ٧٦ / ١ .

(٤) هو أحمد بن علي بن محمد الكنانى العسقلاني ، أبو الفضل شهاب الدين ، ابن حجر ، من أئمة الحديث والفقه والرجال والتاريخ ، وإذا أطلق الحافظ لم يرد به غيره ، ولد في القاهرة سنة ٧٧٣ هـ ، رحل في طلب العلم ، وتولى القضاء في مصر مرات ، وكتبه كثيرة اشتهرت في حياته ، منها فتح الباري ، وهو أجلها ، وتهذيب التهذيب ، وتقريب التهذيب وغيرها . توفي سنة ٨٥٢ هـ .
انظر : الضوء اللامع ٣٦ / ٢ ، والبدر الطالع ٨٧ / ١ .

الأسباب ، واختصره أبو إسحاق الجعبري ^(١) ، المتوفى سنة ٧٣٢ هـ ، فحذف أسانيده ، وقد طبع الكتاب طبعات كثيرة ^(٢) .

٦. قتلى القرآن : ذكره الحافظ ابن رجب ^(٣) في لطائف المعارف ناقلاً عنه ^(٤) .

٧. فضائل القرآن : ذكره حاجي خليفة ^(٥) عند ذكره للمصنفات في علم فضائل القرآن قائلاً : « ولأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي المتوفى سنة

(١) هو إبراهيم بن عمر بن إبراهيم بن خليل الجعبري ، أبو إسحاق ، عالم بالقراءات ، من فقهاء الشافعية ، ولد بقلعة جعبر على نهر الفرات سنة ٦٤٠ هـ ، وتلقى العلم في بغداد ، واستقر في الخليل إلى أن مات . من كتبه شرح الشاطبية ، وكنز المعاني شرح حرز الأمان . توفي سنة ٧٣٢ هـ . انظر : الدرر الكامنة ١ / ٥٠ ، وغاية النهاية ١ / ٢١ .

(٢) طبع كتاب أسباب النزول طبعات عدة ، أولها سنة ١٣١٦ هـ بالقاهرة ، على هامشه الناسخ والمنسوخ لأبي القاسم بن هبة الله بن سلامة ، ثم أعيد طبعه سنة ١٣٧٩ هـ في مطبعة الحلبي ، ثم طبع سنة ١٣٩٥ هـ في بيروت دار الكتب العلمية ، ثم طبع بتحقيق السيد أحمد صقر سنة ١٣٨٩ هـ ، صدر عن دار الجديد ، ثم خرجت طبعة أخرى بتحقيق السيد أحمد صقر عن دار القبلية سنة ١٤٠٤ هـ ، وطبعة بتحقيق عصام الحميدان من إصدار دار الإصلاح .

(٣) عبدالرحمن بن أحمد بن رجب السلامي البغدادي ثم الدمشقي الحنبلي أبو الفرج زين الدين ، محدث فقيه إمام ، ولد في بغداد ونشأ وتوفي في دمشق . من كتبه فتح الباري شرح صحيح البخاري ، وجامع العلوم والحكم . توفي سنة ٧٩٥ هـ . انظر : شذرات الذهب ٦ / ٣٣٩ ، والدرر الكامنة ٢ / ٣٢١ .

(٤) لطائف المعارف ٣٥٨ ، وذكر باسم مقاتل القرآن في مقدمة أسباب النزول للسيد أحمد صقر ٢١ ، وفي كتاب الواحدي ومنهجه في التفسير : ٩٤

(٥) هو مصطفى بن عبدالله كاتب حلبي ، المعروف بالحاج خليفة : مؤرخ باحث ، تركي الأصل مستعرب ، ولد سنة ١٠١٧ هـ في القسطنطينية ، تولى أعمالاً كتابية في الجيش العثماني ، انقطع للتدريس آخر عمره ، ومن كتبه كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، وهو أفضل ما كتب في فنه ، توفي سنة ١٠٦٧ هـ انظر : مقدمة كشف الظنون والإعلام ٧ / ٢٣٦ .

٤٦٨ مختصر فيه ، أخذ شمس الدين محمد بن طولون الدمشقي^(١) أربعين حديثاً منه^(٢) .

٨. مسند التفسير : أشار إليه الواحدي في الوسيط ، فقال : «وحدّث انشقاق القمر رواه جماعة من الصحابة . . . روينا عن جميعهم ذلك في مسند التفسير»^(٣) ، وقال في مقدمة الوسيط أيضاً : «وقد سبق لي قبل هذا الكتاب -بتوفيق الله وحسن تيسيره- مجموعات ثلاث في هذا العلم : معاني التفسير ، ومسند التفسير ، ومختصر التفسير»^(٤) .

وعلى صراحة هاتين الإحالتين من الواحدي لم يشر أحد ممن ترجم له إلى هذا الكتاب ضمن ثبت كتبه ، ويحتمل أن يكون المقصود به كتاب تفسير النبي ﷺ المتقدم ذكره .

٩. نفي التحريف عن القرآن الشريف : ذكره أكثر من ترجم له^(٥) .

(١) هو شمس الدين محمد بن علي بن أحمد بن علي بن خمارويه بن طولون الدمشقي الحنفي ، مؤرخ عالم بالتراجم والفقه ولد سنة ٨٨٠هـ ، له مشاركة في فنون متعددة ، وكتبه كثيرة منها ذخائر القصر في تراجم نبلاء العصر ، والغرف العلوية في تراجم متأخري الحنفية ، توفي سنة ٩٥٣هـ . انظر : الكواكب السائرة ٢/٥٢ ، وشذرات الذهب ٨/٢٩٨ .

(٢) كشف الظنون ٢/١٢٧٧ ، ولعله الموجود في مكتبة كوبرلي في تركيا مجموعة رقم ١٦٣١ باسم فضائل السور ، انظر : فهرس مخطوطات مكتبة كوبرلي ٢/٣٩٥ .

(٣) الوسيط ٤/٢٠٧ .

(٤) الوسيط ١/٥٠ .

(٥) انظر : معجم الأدباء ١٢/٢٥٩ ، وسير أعلام النبلاء ١٨/٣٤١ ، وطبقات الشافعية ٥/٢٤١ ، والفلاكة والمفلوكون للدلجي ١٥٣ ، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ١/٢٧٨ ، وطبقات المفسرين للسيوطي ٧٩ وغيرهم .

١٠. شرح ديوان المتنبي^(١) : ذكره أكثر من ترجم له ، وقد أثنى عليه العلماء ، فقال فيه ابن خلكان : «وليس في شروحه مع كثرتها مثله»^(٢) ، وقال القفطي : «وهو غاية في بابه»^(٣) ، وقال حاجي خليفة بعد أن ذكر أربعين شرحاً لديوان المتنبي : «فأجلُّها نفعاً وأكثرها فائدة : شرح الإمام أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي»^(٤) . والكتاب مطبوع متداول^(٥) .
١١. الإعراب في الإعراب : ذكره بهذا الاسم أكثر من ترجم له^(٦) ، في حين سماه السبكي : الإعراب في علم الإعراب^(٧) ، وسماه السيوطي : الإعراب في علم الإعراب^(٨) ، وسماه في موطن آخر : الإعراب عن الإعراب^(٩) .

- (١) هو أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي الكوفي الكندي ، أبو الطيب المتنبي الشاعر الحكيم ، علم في باب الشعر والأدب ، ولد في الكوفة سنة ٣٠٣هـ ونشأ في الشام ، تنقل في البادية يطلب العربية وقال الشعر صبيّاً ، ثم تنبأ فتبعه خلق فسجن فتاب ، أشهر أعماله ديوانه ، قتل سنة ٣٥٤هـ ، وقد كُتب في سيرته كتب كثيرة . انظر : معاهد التنصيص ١/ ٢٧ ، ووفيات الأعيان ١/ ٣٦ .
- (٢) وفيات الأعيان ٣/ ٣٠٣ .
- (٣) إنباه الرواة ٢/ ٢٣٢ .
- (٤) كشف الظنون ١/ ٨٠٩ .
- (٥) طبع عام ١٢٧١هـ في الهند طبعة حجرية ، ثم طبع بعناية فريدريخ ديريصي في برلين عام ١٢٧٦هـ ، ثم صورته دار المثنى في بغداد . انظر : معجم المطبوعات ٢/ ١٦١٦ .
- (٦) انظر : معجم الأدباء ١٢/ ٢٥٩ ، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٣٤١ ، وطبقات الشافعية لابن قاضي شعبة ١/ ٢٧٨ ، وطبقات المفسرين للداودي ١/ ٣٩٥ ، وشذرات الذهب ٣/ ٣٠٣ .
- (٧) طبقات الشافعية ٥/ ٢٤١ .
- (٨) بغية الوعاة ٢/ ١٤٥ .
- (٩) طبقات المفسرين : ٧٩ .

١٢. التحبير في شرح أسماء الله - تعالى - الحسنی : ذكره أكثر من ترجم له^(١) مع اختلافات يسيرة في الاسم^(٢) .
١٣. الدعوات : ذكره أكثر من ترجم له^(٣) .
١٤. المغازي : ذكره أكثر من ترجم له^(٤) .

القسم الثاني : المؤلفات التي لا يُقَطَّعُ بنسبتها إلى الواحدي

ثمة مؤلفات لا يقطع بنسبتها إلى الواحدي ؛ إما لأنها وردت على طرة بعض المخطوطات ، أو في فهرس خزائن الكتب ، لكن لم يذكرها أحد ممن ترجموا للواحدي ضمن ثبت كتبه ، فضلاً عن الواحدي نفسه ، إذ لا يعرف عنه أنه نسبها إلى نفسه ، أو عدّها ضمن كتبه . وإما لتوهم أن تكون له ، وليست كذلك ، وإما أن يُذكر واحد من كتبه باسم مغاير للمشهور فيظن أنها كتابان ، والحقيقة أنها اسمان لكتاب واحد . وهذا بيان لجميع ذلك .

٢٠١- معاني التفسير ، ومختصر التفسير :

ذكر الواحدي في مقدمة تفسيره الوسيط هذين الاسمين ، ووقع الخلاف بين الباحثين ، هل مراده بهما كتابان آخران غير البسيط والوجيز ، أم أنهما اسمان

(١) وفيات الأعيان ٣/٣٠٣ ، وتاريخ الإسلام للذهبي ٣١/٢٥٩ ، وطبقات الشافعية ٥/٢٤١ ، والبداية والنهاية ١٢/٢٤١ ، وطبقات المفسرين للسيوطي ٧٩ ، وطبقات الشافعية لابن قاضي شعبة ١/٢٧٨ .

(٢) بعضهم قال : التحبير في شرح الأسماء الحسنی ، وبعضهم قال : التحبير في الأسماء الحسنی ، وبعضهم سماه شرح الأسماء الحسنی ، وأما ابن قاضي شعبة فقال : «التنجز بدلاً من التحبير» وهو تصحيف .

(٣) انظر : معجم الأدباء ١٢/٢٥٩ ، وسير أعلام النبلاء ١٨/٣٤١ ، وطبقات الشافعية ٥/٢٤١ ، وطبقات الشافعية لابن قاضي شعبة ١/٢٧٨ ، وطبقات المفسرين للدوادري ١/٣٩٥ ، وشذرات الذهب ٣/٣٠٣ .

(٤) انظر : المراجع السابقة . وسماه السمعاني في الأنساب ٣/٤٧٩ طراز المغازي .

لذینک الکتابین علی عادة بعض المؤلفین فی تعدید أسماء الکتاب الواحد ؟ ولایضاح الأمر أسوق عبارته فی مقدمة الوسيط ، حیث یقول : « وقد سبق لی قبل هذا الکتاب - بتوفیق الله وحسن تیسیره - مجموعات ثلاث فی هذا العلم : معانی التفسیر ، ومسند التفسیر ، ومختصر التفسیر ، وقديماً كنت أطالب بإملاء کتاب فی تفسیر ووسط ، یحط عن درجة البسيط ، الذی تجر فیہ أذیال الأقوال ، ویرتفع عن مرتبة الوجیز الذی اقتصر فیہ علی الإقلال»^(١) فأخذ بعض الباحثین من هذا النص الصریح أن هذین اسمان لکتابین غیر البسيط والوجیز ، وعدّهما ضمن کتبه^(٢) ، والظاهر أنهما اسمان للکتابین نفسیهما ، ویدل علی ذلك :

- أ. أنهما لو كانا کتابین مستقلین ، لقال : وقد سبق لی مجموعات خمس ، خاصة أنه صرح فی آخر کلامه الآنف الذکر باسم : البسيط والوجیز .
- ب. جاء فی نهاية الجزء الثالث من النسخة الأزهریة ما نصه : آخر الجزء الثالث من کتاب معانی التفسیر المسمى بالبسيط للإمام أبي الحسن علی الواحدی - رحمه الله - ومثله جاء فی نهاية الجزء الثاني من نسخة جستریتی .
- ج. لم یذكرهما أحد من ترجم للواحدی علی أنهما کتابان مستقلان ، غیر ذینک الکتابین .

٣- الحاوی لجمیع المعانی :

ورد هذا الکتاب منسوباً إلى الواحدی فی فهارس بعض خزائن الکتب^(٣) بیّد أن حاجی خليفة بیّن أن هذا الاسم یراد به کتبه الثلاثة فی التفسیر ، فقال :

(١) الوسيط ١ / ٥٠ .

(٢) ذکر ذلك د . جودة المهدي فی کتابه الواحدی ومنهجه فی التفسیر ٩٢ .

(٣) المکتبة الأصفیة بحیدر آباد بالهند برقم ١٢٤ ، ومکتبة أصفهان العامة بإیران برقم ٢٦٩٣ ، وخزانة قاسم الرجب ببغداد برقم ٣٤٠ ، وعنوانها الحاوی فی تفسیر القرآن ، والخزانة الحسینیة بالقصر الملکی فی الرباط ، برقم ٥٥٥١ . انظر : الفهرس الشامل للتراث العربی الإسلامی ١ / ١١٣ ، ١١٤ .

تفسير الواحدي ثلاثة : البسيط والوسيط والوجيز ، وتسمى هذه الثلاثة : الحاوي لجميع المعاني^(١) .

وقال أيضاً : الحاوي لجميع المعاني ، وهو اسم البسيط والوسيط والوجيز للواحدي^(٢) . وما ذكره حاجي أظهر ؛ لأنه لو كان كتاباً مستقلاً لذكره المترجمون للواحدي ، خصوصاً أنه كتاب كبير يصعب تجاهله ونسيانه ، لكن الجزم بذلك يتوقف على الاطلاع على تلك النسخ في خزائن الكتب ، ودراستها ، والتحقق منها .

٤ - جامع البيان في تفسير القرآن :

ورد هذا الكتاب منسوباً للواحدي في إحدى خزائن الكتب^(٣) ، ولم يذكره أحد ممن ترجموا للواحدي .

٦٥ - رسالة في البسمة ، وحاشية على شرح البسمة :

ورد هذان العنوانان في فهرس المكتبة الخالدية في القدس^(٤) ، ولم يذكرهما أحد ممن ترجم للواحدي .

٧ - رسالة في شرف علم التفسير :

ذكرها الدكتور جودة المهدي^(٥) ، وأشار إلى وجودها مخطوطة في دار الكتب المصرية^(٦) ولم يذكرها أحد ممن ترجم للواحدي .

(١) كشف الظنون ١/ ٦٢٩ .

(٢) كشف الظنون ١/ ٦٢٩ .

(٣) وهي مكتبة مراد ملا الوطنية تحت رقم ١٩١ . انظر : الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي ١/ ١٣١ .

(٤) برقم ٤٨ ، ٤٩ ، انظر : الفهرس الشامل ١/ ١١٤ .

(٥) الواحدي ومنهجه في التفسير ٩٥ .

(٦) برقم ٢٢٠ مجاميع .

٨- شرح معلقة النابغة الذبياني^(١) ، أو شرح قصيدة النابغة :

ورد ذكره في فهارس بعض خزائن الكتب^(٢) ، ولم يذكره أحد ممن ترجموا للواحد .

٩- الوسيط في الأمثال :

حقّقه الدكتور عفيف محمد عبدالرحمن^(٣) ، ونسبه إلى الواحدي معتمداً على نسخة وحيدة ، وجدها في الخزانة العامة في الرباط في المغرب^(٤) ، وقد بذل المحقق جهداً في إثبات نسبة الكتاب إلى الواحدي ، واستدل على ذلك بورود أسماء من كتبه في ثنايا الكتاب ثم ذكرها^(٥) ، ولا يعرف منها شيء تصح نسبته إليه ، والذي يظهر أنّ الكتاب لا تصح نسبته إلى الواحدي ، لعدم وجود دليل صحيح صريح ، يدل على صحة نسبة الكتاب إليه ، ولا ذَكَرَ أحد ممن ترجموا له هذا الاسم في ثبت كتبه ، ولا أحال هو عليه في ثنايا مؤلفاته ، ولم يجد المحقق إلا نسخة واحدة اعتمد عليها .

(١) هو الذبياني أبو أمامة زياد بن معاوية بن ضباب ، من الطبقة الأولى ، من فحول شعراء الجاهلية ، كان يحكم بين الشعراء في سوق عكاظ ويفاضل بينهم . انظر : طبقات فحول الشعراء ٥٦/١ ، وجمهرة أشعار العرب ٣٠٣/١ .

(٢) منه نسخة في مكتبة الأكاديمية العلمية بجامعة ليدن بهولندا برقم ١٠٦/٢ ، ونسخة أخرى في مكتبة حسين علي محفوظ بالكاظمية ، ونسخة في مكتبة المتحف العراقي ببغداد برقم ١٨٩٤/٢ ، ونسخة في مكتبة جامعة الملك سعود ضمن مجموع ٢١٤-٢٢٣ برقم ٨٣٨/٢ ، انظر : تاريخ التراث العربي مج ٢ ، ج ٩/٢ ، ومجلة المخطوطات ٤٧/٦ ومخطوطات الأدب في المتحف العراقي ٣٨٦ .

(٣) نشرته مؤسسة دار الكتب الثقافية في الكويت ١٣٩٥ هـ .

(٤) برقم (١٠٢ ت) ، كتبت في القرن السادس الهجري .

(٥) منها البسيط في الأمثال ، والوجيز في الأمثال ، والمترجم المنيع في شرح الكتاب الفصيح ، ونزهة الأنفس ، وغيرها .

ويزاد على ذلك أنه في الكتاب استشهد ببيت للأخطل^(١) ثم قال : « هكذا رواه الشيخ أبو زكريا يحيى بن علي التبريزي^(٢) ، وقرأت ديوانه على الفصيح^(٣) في سنة إحدى وتسعين . . . » ، والفصيح توفي سنة ٥١٠ هـ أو ٥١٦ هـ ، وكانت القراءة سنة ٤٩١ هـ ، والواحد توفي سنة ٤٦٨ هـ بلا خلاف ، فكيف يكون هذا ؟

١٠- الناسخ والمنسوخ :

نسبه إليه محقق الوجيز^(٤) ، وذكر أن الزركشي نقل منه في كتاب البرهان^(٥) ، والحقيقة أن النقل كان عن الواحد من تفسيره البسيط ، عند قوله تعالى : ﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة: ١٠٦] ، ولا تشير عبارة الزركشي إلى كتاب بهذا الاسم ، ولم ينسبه إليه أحد من ترجم له .

١١- بانث سعاد :

ذكره الدكتور عفيف محمد عبدالرحمن في مقدمته على الوسيط في الأمثال ، وقال : منها نسخة في جستربرتي ، كتب في القرن التاسع الهجري^(٦) ، ولم يذكر

(١) هو غياث بن غوث بن الصلت التغلبي النصراني ، أحد شعراء زمانه ، كان معاصراً لجرير والفرزدق ، مهاجياً لهما ، مدح خلفاء بني أمية فأكثر . قيل : إنه توفي سنة ٩٠ هـ . انظر : طبقات فحول الشعراء ٢٩٨ / ١ ، وسير أعلام النبلاء ٥٨٩ / ٤ .

(٢) هو أبو زكريا ، يحيى بن علي بن محمد الشيباني ، المعروف بالخطيب التبريزي ، أحد أئمة اللغة والنحو والأدب ، توفي عام ٥٠٢ هـ . انظر : معجم الأدباء ٢٠ / ٢٥ ، وسير أعلام النبلاء ١٩ / ٢٦٩ .

(٣) هو أبو الحسن علي بن محمد بن علي الفصيح ، لقّب بذلك لكثرة دراسته كتاب الفصيح لثعلب ، درس في النظامية ببغداد ، وكان يظهر التشيع فعزل عن التدريس . انظر : معجم الأدباء ١٥ / ٦٦ ، وإنباه الرواة ٢ / ٣٠٦ .

(٤) مقدمة الوجيز لصفوان داودي ٣٦ / ١ .

(٥) البرهان ٢ / ٤١ ونص كلامه : « وقسمه - أي النسخ - الواحد أيضاً إلى نسخ ما ليس بثابت التلاوة كعشر رضعات ، وإلى نسخ ما هو ثابت . . . » .

(٦) الوسيط في الأمثال ، مقدمة المحقق ١٤ .

مترجمو الواحدي شيئاً عنه ، ولم أجده في فهرس الكتب المختارة من جستررتي المترجم .

١٢ - منظومة في الوعظ :

ورد هذا الكتاب منسوباً إلى الواحدي في إحدى خزائن الكتب^(١) ، ولم يذكره له من ترجموه .

١٣ . إيضاح الناسخ والمنسوخ في القرآن .

١٤ . البيان لأسباب نزول القرآن .

١٥ . البسيط في الأمثال .

١٦ . الوجيز في الأمثال .

١٧ . المترجم المنيح في شرح كتاب الفصيح .

١٨ . نزهة الأنفس ، أوزينة الأنفس .

١٩ . الحاوي في شرح المقصورة الدريدية .

هذه الكتب السبعة عدّها الدكتور عفيف محمد عبدالرحمن في تحقيقه لكتاب الوسيط في الأمثال - من كتب الواحدي ، واستدل بورودها في ثنایا الوسيط على صحة نسبة الوسيط إلى الواحدي ، وقال : «إنها حقّاً له»^(٢) .

ولكن الصحيح أن شيئاً منها لا تثبت نسبته إلى الواحدي ، ولا ذكره أحد ممن ترجموا له ، فكيف تكون ثابتة له حقّاً ؟ وبما أن الوسيط على الصحيح لا يثبت ، ولم يقدّم دليل على نسبته إلى الواحدي ، فما استُنبط منه من كتب ، وما أحال إليه كاتب الوسيط من مؤلفاته ليست من مصنفات الواحدي .

(١) ضمن مخطوطات جامعة الملك سعود برقم ٢٤٢٩ / ٦ / م .

(٢) الوسيط في الأمثال ، مقدمة المحقق ١٤ .

● المطلب الثامن : مكانته

الواحدى كغيره من العلماء المشهورين الذين لهم مصنفات ، ولهم آراء وأقوال اجتهدوا فيها ، أصابوا في بعضها ، وجانبهم الصواب في بعضها الآخر ، وهذه طبيعة الإنسان فهو عرضة للخطأ ، والكمال لله وحده ؛ لذا فإن المكانة التي وصل إليها المؤلف في العلم والأدب تتجلى من خلال الأمور الآتية :

١ . كثرة شيوخه الذين أخذ عنهم العلم ، وتلقى منهم الحكمة والأدب ، وطول باعهم ، وعلو إسنادهم ، وشهرتهم ، وتلقي الأمة لهم بالقبول ، وقد تقدم ذكر طرف منهم .

٢ . كثرة تلاميذه والآخذين عنه ، وما ذاك إلا لما كان عليه أبو الحسن الواحدى من علو الكعب في العلم ، وتقدم المنزلة ، وتنوع المعارف ، وقد سبق التعريف ببعضهم .

٣ . كتبه التي تشهد له بالتمكن والبسطة في العلم ، وسعة المعرفة ، فقد تداولها العلماء ، وسارت بين الناس مسير الشمس ، وشرقت بها الركبان وغرّبت ، وتنافس الطلاب على نسخها واقتنائها .

٤ . ثناء أهل العلم المعاصرين واللاحقين ، وتتابعهم على تركيته ومدحه ، والإشادة بجهوده ، والتعريف بفضله وبيان تميزه ، حتى قال فيه أحد معاصريه :

قد جمع العالم في واحد عالمنا المعروف بالواحدى^(١)

(١) نقل ذلك الحسن بن المظفر النيسابوري المتوفى سنة ٤٤٢ هـ ، - وهو معاصر للواحدى - كما في معجم الأدباء لياقوت الحموي ١١ / ٢٦٠ .

● المطلب التاسع : أقوال العلماء فيه ، وما كتبه العلماء عن الواحدي ثناءً أو نقداً له ، والصواب من ذلك .

لقد تناول العلماء الواحدي بالمدح والثناء ؛ لما له من المكانة العلمية ، ولتركه مصنفات قيمة لها أثر في من بعده ، ولم يسلم الواحدي من بعض الأخطاء التي تناولها العلماء من بعده بالبيان والنقد ، وأذكر بعضاً من أقوال العلماء في الجانبين :

أما في جانب المدح والثناء عليه ، فقد أثنى عليه أكثر الذين ترجموا له بعبارات تدل على إمامته ، وعلى مقدار ما وصل إليه من مكانة علمية عالية .

١ . قال عبدالغافر صاحب المنتخب من السياق ، وهو من أقدم من كتَب عن الواحدي : «الإمام المصنف المفسر النحوي ، أستاذ عصره وواحد دهره وكان حقيقاً بكل احترام وإعظام»^(١) .

٢ . أما الذهبي إمام علماء التاريخ والرجال والتراجم والسير فقد مدحه بقوله : الإمام ، العلامة الأستاذ ، إمام علماء التأويل ، المفسر ، أحد من برع في العلم ، وأنه كان رأساً في العربية واللغات ، طويل الباع في علم اللغة ، وأنه واحد عصره في التفسير . وقال عنه أيضاً : «تصدر للتدريس مدة وعظم شأنه»^(٢) .

٣ . وأثنى عليه ابن الأثير بقوله عنه : «إمام مفسر مشهور»^(٣) .

٤ . وقال فيه البخارزي صاحبه : «مشتغل بما يعنيه ، وإن كان استهدافه للمختلفة إليه يُعْنِيهِ ، وقد خبط ما عند أئمة الأدب من أصول كلام

(١) المنتخب من السياق ٣٨٧ ، ومعجم الأدباء ١٢ / ٢٥٨ - ٢٦٠ .

(٢) انظر : سير أعلام النبلاء ١٨ / ٣٣٩ - ٣٤١ ، وتاريخ الإسلام ٣١ / ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، والعبر ٢ / ٣٢٤ .

(٣) الكامل ٨ / ١٢٣ ، واللباب ٣ / ١٦٣ .

العرب خبَطَ عصا الراعي فروع العَرَب ، وألقى الدلاء في بحارهم حتى نزلوها ، ومد البنان إلى ثمارهم إلى أن قطفها ، وله في علم القرآن وشرح غوامض الأشعار تصنيفات ، بيديه لأعنتها تصنيفات^(١) .

٥ . ومدحه كل من الوزير القفطي وابن خلكان والسبكي والإسنوي^(٢) وابن الجزري^(٣) بأنه واحد عصره في التفسير ، بعد أن وصفوه بأنه الإمام العلامة الكبير البارِع في العلم ، المصنف المفسر النحوي اللغوي ، الأصولي الفقيه ، صاحب الإسناد العالي ، الشاعر ؛ لذا تجد هذه العبارات تتردد في كتب الذين ترجموا له^(٤) .

المأخذ عليه :

تلك هي عبارات الأئمة في الثناء على الإمام الواحدي ، لكن الكمال في البشر عزيز :

ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها كفى المرء نبلاً أن تعدّ معاييه

(١) دمية القصر ١٠١٧/٢ .

(٢) عبدالرحيم بن الحسين بن علي جمال الدين الإسنوي ، إمام مبرز في الفقه والأصول والعربية ، انتهت إليه رئاسة الشافعية بمصر ، من مؤلفاته التمهيد في تخريج الفروع على الأصول ، ونهاية السؤل في شرح منهاج الوصول . توفي سنة ٧٧٢ هـ . انظر : الدرر الكامنة ٤٦٣/٢ والبدر الطالع ٣٥٢/١ .

(٣) هو أبو الخير محمد بن محمد بن علي بن يوسف الجزري إمام القراء في عصره ، ولد في دمشق سنة ٧٥١ هـ ، ثم اشتغل بجمع القراءات وإقراءها ، ودرس وأفتى وتولى القضاء ، ومن كتبه النشر في القراءات العشر ، وغاية النهاية ، وغيرها ، توفي سنة ٨٣٣ هـ . انظر : مقدمة النشر ، والضوء اللامع ٢٥٥/٩ ، طبعة دار مكتبة الحياة .

(٤) انظر : إنباه الرواة ٢٢٣/٢ ، ووفيات الأعيان ٣٠٣/٣ وطبقات الشافعية ٢٤٠/٥ وطبقات الشافعية للإسنوي ٥٣٩/٢ ، وغاية النهاية ٥٢٣/١ .

وقد قيل :

مَنْ ذَا الَّذِي مَا سَاءَ قَطُّ وَمَنْ لَهُ الْحُسْنَى فَقَطُّ
ومن هنا فإن الواحدي لم يسلم من انتقاداتٍ وجَّهَتْ إليه من بعض العلماء في
ثلاث قضايا ، إليك خلاصتها :

الأولى : عدم السلامة من البدع ، ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية .

الثانية : ضعف البضاعة في علم الحديث ، ذكرها ابن الجوزي وشيخ الإسلام
ابن تيمية والكتاني^(١) ، وأشار إليها ابن الصلاح^(٢) .

الثالثة : غمز الأئمة المتقدمين ، ذكرها تلميذه عبدالغافر الفارسي ، وأبو سعد
السمعاني^(٣) . وسيتبيّن بعد البحث والمناقشة صحة النقد في الأوليين من دون
الثالثة ، وإليك البيان .

القضية الأولى : عدم السلامة من البدع ، والبعد عن اتباع منهج السلف في الاعتقاد .
قال شيخ الإسلام ابن تيمية : «والثعلبي هو في نفسه كان فيه خير ودين ،
وكان حاطبَ ليل ، ينقل ما وجد في كتب التفسير من صحيح وضعيف وموضوع ،

(١) أحمد بن جعفر بن إدريس أبو العباس الكتاني ، من علماء القرويين ، ولد بفاس سنة ١٢٩٣ هـ ، كان واسع
المعرفة بالحديث ، له ٧٠ كتاباً ورسالة ، توفي بفاس سنة ١٣٤٠ هـ . انظر : الأعلام للزركلي ١/ ١٠٨ .

(٢) عثمان بن عبدالرحمن صلاح الدين بن عثمان بن موسى الشهرزوري الكردي ، أبو عمرو ، تقي الدين
المعروف بابن الصلاح ، محدث فقيه شافعي ، ولد سنة ٥٧٧ هـ ، ومن كتبه معرفة أنواع علم الحديث
المعروف بمقدمة ابن الصلاح . ولاه الملك الأشرف التدريس بدار الحديث في دمشق ، وتوفي فيها سنة
٦٤٣ هـ . انظر : وفيات الأعيان ١/ ٣١٢ ، وطبقات الشافعية ٥/ ١٣٧ .

(٣) سبقت ترجمته : ٨١ .

والواحدى صاحبه كان أبصر منه بالعربية ، لكن هو أبعد عن السلامة واتباع السلف»^(١) .

وفي موضع آخر قال : «وأما الواحدى فإنه تلميذ الثعلبى ، وهو أخبر منه بالعربية ، لكن الثعلبى فيه سلامة من البدع ، وإن ذكرها تقليداً لغيره»^(٢) ، وقال فى منهاج السنة النبوية : «والبغوي»^(٣) اختصر تفسيره من تفسير الثعلبى والواحدى ، لكنهما أخبر بأقوال المفسرين منه ، والواحدى أعلم بالعربية من هذا وهذا ، والبغوي أتبع للسنة منهما»^(٤) . والناظر فى كتب الواحدى يجد أنه على مذهب الأشاعرة فى الاعتقاد ، وقد تقدم بيان ذلك وتفصيله فى مبحث عقيدته .

القضية الثانية : ضعف البضاعة فى علم الحديث .

معرفة الحديث وسماعه وروايته شيء ، والدراية به وتمييز صحيحه من سقيمه شيء آخر ، وقد كان أبو الحسن الواحدى راوياً كثيراً السماع ، من أصحاب الأسانيد العالية^(٥) ، بيد أنه كان ضعيف العناية فى علم الحديث ، ينقل الضعيف والموضوع منها فى كتبه من دون بيان أو تنبيه ؛ ولذا قال ابن الجوزى : «وقد فرّق هذا الحديث - يعنى الحديث الموضوع فى فضائل سور القرآن سورة سورة - أبو

(١) مجموع الفتاوى ١٣/ ٣٥٤ .

(٢) مجموع الفتاوى ١٣/ ٣٨٦ .

(٣) هو الحسين بن مسعود بن محمد الفراء أو ابن الفراء ، أبو محمد ، ويلقب بمحيى السنة ، البغوي ، فقيه شافعى محدث مفسر ، نسبته إلى بغا من قرى خراسان ، من كتبه تفسيره معالم التنزيل ، وشرح السنة ، ومصباح السنة ، توفي سنة ٥١٠هـ وقيل ٥١٦هـ . انظر : وفيات الأعيان ١/ ١٤٥ ، ومقدمة تفسيره .

(٤) منهاج السنة ٧/ ٣١٢ .

(٥) انظر : المنتخب من السياق ٣٨٧ ، والنجوم الزاهرة ٥/ ١٠٤ ، وإشارة التعيين ٢٠٩ .

إسحاق الثعلبي في تفسيره ، فذكر عند كل سورة ما يخصها ، وتبعه أبو الحسن الواحدي في ذلك ، ولا أعجب منهما ؛ لأنها ليسا من أهل الحديث^(١) .

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية : «وهؤلاء -يعني الثعلبي والواحدي وأمثالهما- من عاداتهم يروون ما رواه غيرهم ، وكثير من ذلك لا يعرفون هل هو صحيح أم ضعيف ؟ ويروون من الأحاديث الإسرائيلية ما يعلم غيرهم أنه باطل في نفس الأمر ؛ لأن وظيفتهم النقل لما نُقِلَ ، أو حكاية أقوال الناس ، وإن كان كثير من هذا وهذا باطلاً ، وربما تكلموا على صحة بعض المنقولات وضعفها ، ولكن لا يتردون هذا ولا يلتزمونه»^(٢) .

ويقول الكتاني : «ولم يكن له -أي الواحدي- ولا لشيخه الثعلبي كبير بضاعة في الحديث ، بل في تفسيرهما -خصوصاً الثعلبي- أحاديث موضوعة وقصص باطلة»^(٣) .

وعندما ناقش كثير من العلماء بطلان حديث فضائل القرآن سورةً سورةً ، أشاروا إلى من روه في كتبهم من المفسرين ، وبينوا خطأهم في ذكره وعدم بيان أمره^(٤) ، قال ابن الصلاح : «ولقد أخطأ الواحدي المفسر ومن ذكره من المفسرين في إيداعه تفاسيرهم»^(٥) .

(١) الموضوعات ٢٣٩ / ١ .

(٢) منهاج السنة ١٧٧ / ٧ .

(٣) الرسالة المستطرفة ٥٩ .

(٤) انظر : مجموع الفتاوى ٣٥٤ / ١٣ ، ومنهاج السنة النبوية ١٢ / ٧ ، ٣١١ ، ٤٣٤ ، وتدريب الراوي

للسيوطي ٢٨٩ / ١ .

(٥) مقدمة علوم الحديث لابن الصلاح ٤٨ .

القضية الثالثة : غمزه الأئمة المتقدمين .

ليس في كتب الواحدي التي بين أيدينا ، ولا في كلامه ما يدل على اتصافه بهذه التهمة ، وإنني لم أرَ من أهل العلم من انتقد الواحدي بذلك عدا اثنين ؛ أولهما : تلميذه عبدالغافر الفارسي . والثاني : أبو سعد السمعاني في ما نقله عنه الذهبي .

أما الأول فأبهم ولم يُبيِّن ، إذ قال : « » وكان حقيقاً بكل احترام وإعظام ، لولا ما كان فيه من غمزه وإزرائه على الأئمة المتقدمين ، وبسطه اللسان فيهم بغير ما يليق بما فيهم ، عفا الله عنا وعنّه»^(١) .

وأما الثاني : ففي كلامه ما يدل على نوع الغمز والمعني به ، فقد نقل عنه الذهبي أنه قال : وكان - أي الواحدي - حقيقاً بكل احترام وإعظام ، لكن كان فيه بسط اللسان في الأئمة المتقدمين ، حتى سمعت أبا بكر أحمد بن محمد بن بشار بنيسابور مذاكرة يقول : « كان علي بن أحمد الواحدي يقول : صنف أبو عبدالرحمن السلمي^(٢) كتاب حقائق التفسير ، ولو قال : إن ذلك تفسير للقرآن لكفر به »^(٣) . قال الذهبي بعد هذا : « صدق والله »^(٤) . وقال في موضع آخر : « الواحدي معذور مأجور »^(٥) .

(١) نقله عنه ياقوت في معجم الأدباء ١٢ / ٢٦٠ .

(٢) هو محمد بن الحسين بن محمد بن موسى الأزدي السلمي ، شيخ الصوفية في زمنه ، له تصانيف كثيرة بلغت المائة أو أكثر ، كتب الحديث في نيسابور وغيرها من البلاد ، وهو حافظ زاهد ، لكن ليس بعمدة في الرواية ، توفي سنة ٤١٢ هـ ، انظر : المنتخب من السياق ١٩ ، ولسان الميزان ٥ / ١٤٠ .

(٣) تاريخ الإسلام ٣١ / ٢٦٠ ، وانظر : سير أعلام النبلاء ١٨ / ٣٤٢ ، وطبقات الشافعية ٥ / ٢٤١ .

(٤) تاريخ الإسلام ٣١ / ٢٦٠ .

(٥) سير أعلام النبلاء ١٨ / ٣٤٢ .

إن هذه التهمة الموجهة لأبي الحسن الواحدي إن كانت بسبب كلمته تلك فما أصاب من اتهمه ، ولقد عاد نقده عليه ، وحارت التهمة إليه ، فهذا الذهبي يعدُّ تلك الكلمة منقبة للواحدى ، فيقول : « وقد قال الواحدى كلمة تدل على حسن نقبته » ، وذلك أن جماعة من الأئمة انتقدوا أبا عبد الرحمن السلمي في كتابه هذا ، وبينوا غلطه في ما فعل ، وحذروا من كتابه ومنهجه ؛ فهذا ابن الجوزي يقول : « وقد جمع أبو عبد الرحمن السلمي في تفسير القرآن من كلامهم - أي الصوفية - الذي أكثره هذيان لا يحل نحو مجلدين ، سماهما : حقائق التفسير . . . » ثم ذكر ابن الجوزي أمثلة مما جاء في الكتاب منها : « . . قالوا : إنما سميت فاتحة الكتاب لأنها أوائل ما فاتحناك به من خطابنا ، فإن تأدبت بذلك وإلا حُرمت لطائف ما بعد . . . » ، وقال في قوله : ﴿ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسْكَرَى ﴾ [البقرة: ٨٥] : « قال أبو عثمان : غرقى في الذنوب ، وقال الواسطي : غرقى في رؤية أفعالهم ، وقال الجنيد : أسارى في أسباب الدنيا تغدوهم إلى قطع العلائق . . . » . ﴿ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى ﴾ [النساء: ٣٦] : « النفس . . . » . وقال في قوله : ﴿ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا ﴾ [الرعد: ٤٢] : « قال الحسين : لا مكر أبين من مكر الحق بعباده حيث أوهمهم أن لهم سبيلاً إليه بحال . . . » ، قال ابن الجوزي : « ومن تأمل معنى هذا علم أنه كفر محض ؛ لأنه يشير إلى أنه كاهن واللعب ، ولكن الحسين هذا هو العلاج وهذا يليق بذاك . . . » ، ثم قال - بعد أن ذكر مثلاً آخر : « وجميع الكتاب من هذا الجنس ، ولقد هممت أن أثبت منه هاهنا كثيراً فرأيت أن الزمان يضيع في كتابة شيء بين الكفر والخطأ والهديان . . . »^(١) .

هذا كلام ابن الجوزي عن حقائق التفسير ، فماذا قال غيره ؟ قال ابن تيمية في منهاج السنة : « وكذلك جعفر الصادق قد كُذِب عليه من الأكاذيب ما لا يعلمه إلا الله . . . وحتى نسب إليه أنواع من تفسير القرآن على طريقة الباطنية ،

(١) تلييس إبليس ١/ ٤٠٣ وما بعدها .

كما ذكر ذلك عنه أبو عبدالرحمن السلمي في كتاب حقائق التفسير ، فذكر قطعة من التفاسير التي هي من تفاسيره ، وهي من باب تحريف الكلم عن مواضعه ، وتبديل مراد الله - تعالى - من الآيات بغير مراده ، وكل ذي علم بحاله يعلم أنه كان بريئاً من هذه الأقوال والكذب على الله في تفسير كتابه العزيز^(١) .

وتكلم عليه كذلك في الفتاوى حين سئل عن كلام الواحدي في حقائق التفسير ، فأجاب بالتفصيل والشرح ، وتكلم على كتاب السلمي بنحو ما ذكر في منهاج السنة ، تركت نقله خشية الإطالة^(٢) .

وقال الذهبي في ذلك : «ألف حقائق التفسير فأتى فيه بمصائب وتأويلات الباطنية نسأل الله العافية»^(٣) ، وقال : «وفي حقائق تفسيره أشياء لا تسوغ أصلاً ، عدّها بعض الأئمة من زندقة الباطنية ، وعدّها بعضهم عرفاناً وحقيقة ، نعوذ بالله من الضلال ومن الكلام بهوى»^(٤) ، وقال : «وحقائقه قرمطة وما أظنه يتعمد الكذب ، بلى يروي عن محمد بن عبدالله الرازي الصوفي أباطيل وعن غيره»^(٥) .

بل نجد السبكي - وهو ممن نافح عن السلمي وحاول أن يدفع أقوال الذهبي^(٦) - يقول : «وكتاب حقائق التفسير المشار إليه قد كثر الكلام فيه من قبل على أنه اقتصر فيه على ذكر تأويلات ومحال للصوفية ينبو عنها ظاهر اللفظ»^(٧) .

(١) منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية ٤ / ١٤٦ .

(٢) مجموع الفتاوى ١٣ / ٢٣١ ، ٢٤٠ ، ٢٤٢ .

(٣) تذكرة الحفاظ للذهبي ٣ / ١٠٤٦ .

(٤) سير أعلام النبلاء ١٧ / ٢٥٢ .

(٥) سير أعلام النبلاء ١٧ / ٢٥٥ .

(٦) انظر : كلامه في طبقات الشافعية ٣ / ٦٢ .

(٧) طبقات الشافعية ٣ / ٦٢ .

وبعد ؛ فماذا سيقول الواحدي غير هذا في مثل هذا الكلام ؟ وقد وافقه في ذلك أئمة وأعلام ، ولقد أصاب الذهبي ؛ فإنه لما ذكر كلام الواحدي في السلمى قال : «فهو معذور»^(١) ، وقال في موضع آخر : «قلت : الواحدي معذور مأجور . . .»^(٢) ، ويتضح بهذا أن المقولة عن الواحدي بأن فيه بسط اللسان في الأئمة لا تقوم لها حجة ولا مستند .

ولقد حاول مؤلف الواحدي ومنهجه في التفسير أن يدافع عن أبي عبد الرحمن السلمى ، بل يدافع عن منهج الصوفية في التفسير ، وأصدر حكمه على الواحدي بقوله : «والواحدى متجنّ في حكمه - أيضاً - لأن أبا عبد الرحمن لم يدّع أن الظاهر غير مراد . ومن ثم كان موقف الواحدى من التفسير الصوفى من المآخذ التى تؤخذ عليه . . .»^(٣) . أقول : بل هي من المآثر التى تحتسب له ، وقد وافقه جهابذة من العلماء ممن يتحرّون في منهجهم مسلك السلف الصالح من هذه الأمة .

وإذا تبينت حقيقة كتاب السلمى بذلك ، فما على الواحدى في كلامه من معتب ، وكلامه فيه إنما هو بحق وعدل ، وهو عين النصح لكتاب الله عز وجل ، لا يسع الواحدى ولا غيره أن يكتم ما علمه من ذلك الكتاب ، إبراءً للذمة ونصحاً للأمة ، وقد قال الله عز وجل : ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَأَشْرَوْا بِهِ مِمَّا قَلِيلًا فِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ [آل عمران : ١٨٧] .

* * *

(١) سير أعلام النبلاء ١٨ / ٣٤١ .

(٢) سير أعلام النبلاء ١٨ / ٣٤٢ .

(٣) الواحدى ومنهجه في التفسير ٤٠٠ .

المبحث الثاني

الأوضاع السياسية في عصر المؤلف وأثرها في الناحية العلمية

إن للأوضاع السياسية التي تحيط بالعالم أكبر الأثر في حياته ، وفي نوع التربية التي تشكل أنماط حياته ، وفي الأفكار والعقائد السائدة في عصره ، ومن ثم في حصيلته وإنتاجه العلمي ؛ لهذا لا بد قبل دراسة منهج أي عالم من العلماء من تعرّف الأوضاع السياسية التي كانت سائدة في عصره .

لقد عاش المؤلف في القرن الخامس الهجري ٣٩٥ هـ تقريباً ٤٦٨ هـ ، ولهذه الحقبة سمة خاصة في تاريخ الخلافة العباسية ؛ لذلك نجد كثيراً من الدارسين لها يقسمونها إلى قسمين^(١) : العصر العباسي الأول ، والعصر العباسي الثاني .

فإذا كانت أبرز سمات العصر العباسي الأول القوة والاستقرار والتقدم الحضاري بأنواعه المختلفة ، وتظهر ذلك الدراسات عنه ، فما سمات العصر العباسي الثاني ؟ لا أستطيع أن أليّم بذلك في هذا المختصر ، وإنما أبرز أهم السمات ، خاصة ما يمس البيئة القريبة من المؤلف .

إنّ السمة الرئيسة للعصر العباسي الثاني هي ضعف الدولة العباسية وتفككها الذي ترتب عليه تفرق وحدة الأمة ، وقد أدرك المؤلف ثلاثة من خلفاء بني العباس ، وهم :

(١) وقد فعل ذلك الدكتور حسن إبراهيم حسن في تاريخ الإسلام السياسي ، الجزء الثاني والثالث .

١. القادر بالله: أبو العباس، أحمد بن إسحاق بن جعفر المقتدي بالله العباسي^(١)، وكانت ولايته من عام ٣٨١هـ إلى عام ٤٢٢هـ، وقد أدرك المؤلف من خلافته قرابة الثلاثين عاماً.

٢. القائم بأمر الله: عبدالله بن الخليفة القادر بالله^(٢)، وكانت ولايته من وفاة أبيه ٤٢٢هـ إلى سنة ٤٦٧هـ، وقد أدرك المؤلف من خلافته قرابة الأربعين عاماً.

٣. المقتدي بأمر الله: أبو القاسم عبدالله بن محمد، حفيد القائم بأمر الله^(٣)، وكانت ولايته من عام ٤٦٧هـ إلى عام ٤٨٧هـ، ولم يدرك المؤلف من خلافته إلا عاماً واحداً.

وفي عصر هؤلاء ضعف أمر الخليفة، ولم يكن له إلا ذكر اسمه في الخطبة، ونقش اسمه على السكة، وإنما الدولة وتصريف الأمور بيد الدويلات الحاكمة

(١) ولد -رحمه الله- سنة ٣٣٦هـ، كان ديناً عالماً وقوراً، يحب الخير وأهله، ويأمر به، ويبغض الشر وأهله، وكان حسن الاعتقاد، وصنف كتاباً فيه، وكان من أحسن الخلفاء سيرة، وأطولهم مدة في الخلافة. توفي سنة ٤٢٢هـ. انظر: تاريخ بغداد ٣٧/٤، والمنتظم ١٦٠/٧، والكمال ٣٥٤/٧، وسير أعلام النبلاء ١٢٧/١٥.

(٢) ولد -رحمه الله- سنة ٣٩١هـ، وكان ديناً ورعاً متصديقاً، له يد في الكتابة والأدب، وفيه عدل وسماحة، وإحسان إلى الناس، وهو من خير بني العباس ديناً واعتقاداً ودولة، توفي سنة ٤٦٧هـ. انظر: تاريخ بغداد ٣٩٩/٩، والمنتظم ٢٩٥/٨، والكمال ١٢٠/٨، وسير أعلام النبلاء ١٣٨/١٥.

(٣) ولد -رحمه الله- سنة ٤٤٨هـ، وتولى الخلافة بعهد من جده، وكان حسن السيرة، آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر، أمر بنفي الخواطئ والمغنيات من بغداد، وكان فيه ديانة وقوة وعلو همة، وهو من نجباء بني العباس، توفي سنة ٤٨٧هـ. انظر: المنتظم ٢٩١/٨، والكمال ١٧٠/٨، وسير أعلام النبلاء ٣١٨/٨.

المستحوذة التي تملك القوة والنفوذ، وكانت تلك أهم سمات ذلك العصر، فالتفرق سائد، والتناحر قائم^(١).

أهم مظاهر هذا العصر

أولاً : تعدد الخلافة

لقد ظلت عاصمة الدولة في القرون الثلاثة الأولى واحدة هي المدينة أو دمشق أو بغداد، وهي المركز الذي تصدر منه التوجيهات والأوامر ولا يستطيع أحد من الولاة مخالفتها، ولا شك أن هذا مصدر قوة الأمة، إذ إن قوتها في وحدتها، لكن في هذه الحقبة اختلفت الأمور عما سبقها، فأصبح هناك عدد من الخلفاء؛ فبالإضافة إلى الخليفة العباسي في بغداد وجد خليفة في الأندلس، إذ تلقب عبدالرحمن الناصر الأموي ٣٠٠-٣٥٠هـ بأمير المؤمنين^(٢) لما رأى ضعف

(١) تعدد هذه الحقبة جزءاً من العصر العباسي الثاني الذي يمتد من عام ٢٤٧هـ إلى سقوط الدولة عام ٦٥٦هـ، ومن أهم ما يميز هذه المرحلة :

١. ضعف الخلفاء، وسيطرة العسكريين على مركز الخلافة.
٢. نشوء دويلات كثيرة، نتيجة بروز قادة استقلوا عن مناطقهم، واعترف الخليفة بهم.
٣. ظهور نتائج الحضارة الإسلامية السابقة لهذا العصر على صورة علوم وعمران ورفاهية وترف.
٤. قيام حركات ادعاء النسب الهاشمي والحركات الباطنية.
٥. الغزو الصليبي لبلاد المسلمين.
٦. الغزو المغولي، والقضاء على الخلافة العباسية عام ٦٥٦هـ. انظر الدولة العباسية لمحمود شاكر : ٤٢/٧ وما بعدها.

(٢) هو عبدالرحمن بن محمد بن عبدالله، أبو المطرف الأموي المرواني، وُلد سنة سبع وسبعين ومائتين، قتل أبوه وهو ابن عشرين يوماً، وولي الخلافة بعد جده بحضرة جماعة من أعمامه، فلم يعترض عليه معترض، واستمر له الأمر، وبنى مدينة الزهراء في أول سنة خمس وعشرين وثلاثمائة، وافتتح سبعين حصناً، ثم توفي سنة خمسين وثلاثمائة. انظر : سير أعلام النبلاء ٨/ ٣٦٥ (٦٢)، والبداية والنهاية ٢٣٨/١١.

ال خليفة العباسي في بغداد . وكذلك لُقِّبَ عبيد الله المهدي الفاطمي بأمير المؤمنين ٢٩٦-٣٢٢هـ ، وكانت دولة الفاطميين في مصر والمغرب^(١) .

ثانياً : ظهور دول إقليمية

على الرغم من أن الخليفة العباسي في بغداد كانت رقعة خلافته أوسع الرقع ، إلا أنه ليس له من الخلافة إلا الاسم ، وإنما تدار أمور الدولة بيد أمراء إقليميين ، وقد وصل الأمر ببعض هؤلاء الأمراء إلى إنشاء دولة داخل الخلافة وإخضاع الخليفة العباسي لنفوذهم^(٢) ، كما فعل البويهيون والسلاجقة ، وهذه لمحة موجزة عن ثلاث من تلك الدول ؛ لأنها من أكبر الدول الإقليمية التي ظهرت في هذه المرحلة من العهد العباسي ؛ ولقربها من بيئة المؤلف التي نتحدث عنها :

١ . في المشرق :

• البويهيون : وهم من الروافض الغالين ، وقد اختلف في أصلهم ونسبهم ، وذكر ذلك ابن الأثير^(٣) ، وابن كثير^(٤) . وقد بدأ أمرهم يظهر في سنة ٣٢١هـ ، واشتهر منهم ثلاثة إخوة : عماد الدولة أبو الحسن علي ، وركن الدولة أبو علي الحسن ، معز الدولة أبو الحسن أحمد ، أولاد أبي شجاع بن بويه ، وكانت بداية قيام دولتهم بدخول معز الدولة أحمد بن الحسن بغداد سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة .

(١) انظر : البداية والنهاية ١١/ ١٧٩ ، وتاريخ الإسلام السياسي للدكتور حسن إبراهيم حسن ٣/ ١٦١ .

(٢) انظر : البداية والنهاية ١١/ ٢١٢ ، وتاريخ الإسلام السياسي للدكتور حسن إبراهيم حسن ٣/ ٢٨ ، والتاريخ السياسي والفكري للمذهب السني في المشرق الإسلامي للدكتور عبدالمجيد أبو الفتوح ١٨ ، ١٩ .

(٣) الكامل في التاريخ ٦/ ٢٣٠ .

(٤) البداية والنهاية ١١/ ١٧٣ ، وانظر : تاريخ الإسلام السياسي للدكتور حسن إبراهيم حسن ٣/ ٣٩ .

كان البويهيون من الشيعة المتعصبة ، فلما دخل معز الدولة بغداد قبض على الخليفة المستكفي ، وسمل عينيه ، وعيّن المطيع لله بدلاً منه ، قال ابن كثير : وضعف أمر الخلافة جداً حتى لم يبق للخليفة أمر ولا نهي ولا وزير - أيضاً - إنما يكون له كاتب على إقطاعه ، وإنما الدولة ومورد المملكة ومصدرها راجع إلى معز الدولة ؛ لأنّ بني بويه ومن معهم من الديلم كان فيهم تعسف شديد^(١) .

وبقيت دولتهم إلى أن سقطت على أيدي السلاجقة سنة ٤٤٧ هـ ، وهم من أهل السنة فقصوا على دولة بني بويه^(٢) الرافضية ، وخلّص الله بهم الأمة من شر البويهيين .

وكان للرافضة في عهدهم صولة وقوة ؛ ذكر ابن كثير أنه في سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة كتبت الروافض على أبواب المساجد لعن بعض الصحابة ، قال : « وبلغ ذلك معز الدولة ولم ينكره ، . . . قَبَّحه الله وقَبَّحَ شيعته . . . »^(٣) .

٢. في المغرب

برز فيه حدثان :

- الأول : قيام دولة العبيديين^(٤) التي ادّعت الخلافة ، وناوأت الخلافة العباسية ، وكادت تقضي عليها بعد أن زاحمتها في مواقع نفوذها ،

(١) البداية والنهاية ١١/ ٢١٢ .

(٢) انظر : تاريخ الإسلام السياسي للدكتور حسن إبراهيم حسن ٦٨ ، ٦٧/ ٣ .

(٣) البداية والنهاية ١١/ ٢٤٠ .

(٤) مؤسس الدولة عبيدالله بن محمد المهدي وإليه تنسب الدولة ، وكان أبوه قد نشر الدعوة الفاطمية في بلاد اليمن ومصر والمغرب وغيرها ، وواصل الابن طريق والده ، ووسع نفوذه حتى قبض عليه اليسع بن مدرار أمير سلجاسة وسجنه ، ثم واصل قائده أبو عبدالله الشيعي طريقه ، حتى أزال دولة الأغالبة سنة ٢٩٦ هـ ، ثم سار إلى سلجاسة ، فهرب حاكمها ، فأطلق عبيدالله المهدي ، وبايعوه ، وتلقب بخليفة المسلمين ، وهكذا استطاع القضاء على ملك الأغالبة ، وآل رستم ، والأدارسة ، =

وانتسبت ظلماً وزوراً لآل البيت ، ونسل فاطمة الزهراء ، وتسمت بالدولة الفاطمية ، وانبث دعائها في أطراف البلاد ، واستمالوا أمراء البلدان ، حتى خطب لهم بالإضافة إلى مصر والمغرب في بلاد كثيرة ، مثل اليمن والشام والحجاز وفي أجزاء من العراق ، بل خطب لهم في دار الخلافة ، سنة ٤٥٠ هـ عاماً كاملاً^(١) .

ودان له الشمال الإفريقي ، واتخذ القيروان عاصمة ملكه ، وفي سنة ٣٥٨ هـ ، تمكن القائد الفاطمي جوهر الصقلي من الاستيلاء على مصر سليماً ، وبنى القاهرة والجامع الأزهر ، ثم اتخذ المعز لدين الله الفاطمي القاهرة عاصمة لبلاده سنة ٣٦٢ هـ ، وامتدت بلادهم في مدة ازدهارهم ، من نهر العاصي بالشام إلى حدود مراكش ، ومن السودان إلى آسيا الصغرى ، وقضى عليهم صلاح الدين الأيوبي ، ومات العاضد آخر حكامهم سنة ٥٦٧ هـ ، وقد ادعى عبيد الله المهدي أنه فاطمي من ذرية جعفر الصادق ، والمحققون على أنه دعوي ، بل كان جده مجوسياً ، وكان هو باطنياً خبيثاً حريصاً على إزالة دولة الإسلام ، أعدم العلماء ليغوي الخلق ، وجاء أولاده على أسلوبه ، فأباحوا الخمر والفروج ، وأشاعوا الرفض ، كما ذكر الباقلاني . وقال القاضي عياض : « أجمع العلماء بالقيروان أن حال بني عبيد حال المرتدين والزنادقة » ، وقال الذهبي : « كان العبيديون على ملة الإسلام شراً من التتر » . ولم يعد لهم السيوطي في تاريخ الخلفاء لعدم صحة إمامتهم . انظر : سير أعلام النبلاء ١٥ / ١٤١ (٦٥) ، والبداية والنهاية لابن كثير ٢٦٦ / ١١ .

(١) وكان ذلك في فتنة البساسيري عام ٤٥٠ هـ ، انظر في تفاصيل ذلك : تاريخ بغداد ٩ / ٤٩٩ ، والمتنظم ٨ / ١٩٠ ، والكامل ٨ / ٨٢ ، والبداية والنهاية ١٢ / ٧٦ .

- الثاني: زوال دولة الأمويين في الأندلس عام ٤٢٢هـ^(١)، وظهور ما يسمى بدول الطوائف^(٢)، فمنهم من انحاز إلى العباسيين، ومنهم من بقي على ولاء الأمويين، مع زوال ملكهم وذهاب دولتهم. قال الذهبي^(٣): «وفي الأربعمئة وبعدها كانت الأندلس تغلي بالحروب

(١) هي أول دولة تنفصل عن جسم العالم الإسلامي، أسسها عبدالرحمن بن معاوية بن هشام بن عبدالملك الأموي، فر من العباسيين، ودخل الأندلس فلقب بالداخل، استتب له الأمر عام ١٣٨هـ، بعد معارك حامية مع يوسف الفهري، وأرسل له أبو جعفر المنصور جيوش عدة للقضاء عليه، فلم يتمكن، ولقبه بصقر قرش إعجاباً به، ثم حاول المهدي قتاله فلم يفلح، فتركه وشأنه، ومات سنة ١٧٢هـ، ومن أبرز حكامها عبدالرحمن الناصر (الثالث) حكم من ٣٠٠-٣٥٠هـ، وكانت له انتصارات عظيمة على ممالك النصرى، وفي عام ٣٦٦هـ آل الأمر إلى الحاجب المنصور العامري، لضعف بني أمية، وكان قوياً، غزا خمسين مرة، ولم يهزم قط، وهابه ملوك أوروبا، ثم توفي عام ٣٩٢هـ، فتولى ابنه عبدالملك وكان كأبيه، ثم أخوه عبدالرحمن، وكان ضعيفاً، فقتل عام ٣٩٩هـ، ثم عادت السلطة لبني أمية، وكانوا ضعفاء متناحرين، فسقطوا عام ٤٢٢هـ، وتفككت دولهم إلى إمارات الطوائف. انظر في: الأدب الأندلسي لجودت الركابي ٢١، وموجز التاريخ الإسلامي للعسيري ١٨٤.

(٢) بعد ضعف الأمويين واستبداد العامريين بالسلطة، بدأ أمراء الطوائف يستقلون بالإمارات التي يحكمونها، فغرفوا بملوك الطوائف، وانقسموا إلى أكثر من ٢٠ دولة، وقد امتلأ عهد ملوك الطوائف بالفوضى والفتن، وأهم تلك الدويلات الدولة الزيرية في غرناطة ٤٠٣-٤٨٣هـ، والدولة الحمودية في قرطبة ومالقة ٤٠٥-٤٠٧هـ، وهم شيعة، والدولة الهودية في سرقسطة ٤١٠-٥٣٦هـ، والدولة العبادية في إشبيلية ٤١٤-٤٨٤هـ، وهي أشهر تلك الدول وأقواها، وكانت تلك الدول متناحرة، حتى بلغ الأمر ببعضهم أن استنجد بالنصارى على إخوانه، ودامت مائة سنة، وقد استطاع ملوك الإسبان أن يجمعوا كلمتهم، فأخذوا يتلعون تلك الإمارات واحدة واحدة، حتى بلغوا أعظمها وهي إشبيلية، فطلب حاكمها المعتمد بن عباد النجدة من يوسف بن تاشفين أمير دولة المرابطين في المغرب الذي قدم فهزم النصارى في موقعة الزلاقة عام ٤٧٩هـ، ووحد الأندلس تحت حكم المرابطين. انظر في: الأدب الأندلسي لجودت الركابي ٢٣-٢٥، وموجز التاريخ الإسلامي ٢٢٨.

(٣) هو شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، الحافظ الكبير، مؤرخ الإسلام، وشيخ المحدثين، ولد سنة ٦٧٣هـ من أسرة تركمانية الأصل، وولأوها لبني تميم، تلميذ الحافظ المزي، وشيخ الإسلام ابن تيمية، له مؤلفات كثيرة في الحديث والتاريخ والرجال، مثل تاريخ الإسلام، وسير أعلام النبلاء، وتذكرة الحفاظ، وغيرها، توفي سنة ٧٤٨هـ. انظر: طبقات الشافعية ٩/١٠٠ ومقدمة سير أعلام النبلاء.

والقتال على الملك»^(١)، وتظاهر ملوك تلك الدول بمظاهر الخلفاء،
وتلقبوا بألقابهم، وفيهم قال الشاعر^(٢):

مَآئِزْ هَدُنِي فِي أَرْضِ أُنْدَلُسٍ تَلْقَيْبُ مُعْتَصِدٍ فِيهَا وَمُعْتَمِدِ
أَلْقَابُ مَمْلَكَةٍ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهَا كَاهِرٌ يَحْكِي انْتِفَاحاً صَوْلَةَ الْأَسَدِ

وكان تفرقهم وتقاتلهم وبغي بعضهم على بعض مطمعاً للنصارى المجاورين
لهم الذين رأوا الفرصة سانحة في ظل غياب الخلافة، وتفرق الدولة، خصوصاً
بعد أن استعان بهم بعض أولئك الملوك على إخوانهم، فانقضَّ النصارى على تلك
الدول، وأسقطوها واحدة تلو الأخرى، وجرى للإسلام والمسلمين على أيديهم
ما يجلُّ عن الوصف، ويندى له جبين الحر.

٣. الدولة الغزنوية: كانت خراسان وبلاد ما وراء النهر تحت حكم الدولة
السامانية^(٣) التي قال فيها ابن الأثير^(٤): وكانت دولتهم قد انتشرت،
وطبقت كثيراً من الأرض، من حدود حلوان إلى بلاد الترك بما وراء

(١) سير أعلام النبلاء ١٥/١٧٧.

(٢) هو أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني. انظر: ديوانه ٥٩، وقيل: هما لشاعر الأندلس محمد بن عمار.
انظر: نفح الطيب ١/٢١٣.

(٣) تنسب لسامان خده، وهو فارسي، أسلم على يد أسد بن عبدالله القسري، والي خراسان في أواخر
عهد الأمويين، واشتهر من السامانيين: نصر بن أحمد الذي ولاه الخليفة المعتمد سائر بلاد ما وراء
النهر، ومن ثم تأسست الدولة السامانية، ثم توفي سنة ٢٧٩هـ، خلفه أخوه إسماعيل الذي استطاع
أن يضم إلى سلطانه بلاد خراسان وغيرها، وقد بقي الملك في أبناء إسماعيل، حتى زالت دولتهم
سنة ٣٨٩هـ، على يد الغزنويين في خراسان، وعلى يد أيلك خان ملك الترك في بلاد ما وراء النهر.
انظر: تاريخ بخاري للنرخشي ١٠٥، والمنظوم ٧/٢٠٢، والكمال ٦/٣، والعبر ٢/١٧٣، وتاريخ
الإسلام السياسي ٣/٧١-٨٢.

(٤) علي بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري أبو الحسن، عز الدين بن الأثير، المؤرخ
الإمام الأريب، ولد عام ٥٥٥هـ، من كتبه الكامل في التاريخ، وأسد الغابة في معرفة الصحابة،
واللباب، توفي سنة ٦٣٠هـ. انظر: وفيات الأعيان ١/٣٤٧، وطبقات الشافعية ٥/١٢٧.

النهر ، وكانت من أحسن الدول سيرة وعدلاً ، وكانت نهايتها عام ٣٨٩هـ على يد الدولة الغزنوية ، التي بدأ ظهورها عام ٣٥١ ، على يد ألبتكين ، أحد موالي الدولة السامانية الآنف الذكر ؛ إذ استولى هذا المولى على غزنة وبعض أعمالها ، وأقام إمارة مستقلة عن الدولة السامانية ، وقد حاربه السامانيون ليردوا ما معه إلى ملكهم ، لكنه تغلب على جيشهم ، بيد أنه لم يُمكن ، فقد توفي عام ٣٥٢هـ ، ولم يوطد ملكه .

وقد خلفه ابنه الذي ثار عليه أهل غزنة ، فاستعان بالسامانيين الذين أمدوه بجيش تمكن به من استرداد غزنة ، وحكمها باسم السامانيين ، ثم لم يلبث أن توفي ، فورثه أحد موالي أبيه^(١) ، إلى أن آل الأمر عام ٣٦٦هـ إلى رجل يقال له : سُبُكْتِكِين مولى تركي لألبتكين الأنف الذكر ، وكان تابعاً للسامانيين بالاسم ، قال ابن الأثير : « وكان عادلاً خيراً كثير الجهاد ، ذا مروءة تامة وحسن عهد »^(٢) . وقال الذهبي : « وكان فيه عدل وشجاعة ، ونبيل مع عسف ، وكونه كَرَامِيّاً »^(٣) .

ثم جرت بين سُبُكْتِكِين وملوك الهند حروب عظيمة ، استولى على إثرها على أجزاء من بلادهم ، وفرض عليهم الجزية ، ولنفوذه وقوة سلطانه استعان به السامانيون عام ٣٨٤هـ للقضاء على بعض القواد الذين ثاروا عليهم في نيسابور وغيرها ، فتمكن من إعادتها إليهم ، ولأجل ذلك ولّوه خراسان ، وسموه : ناصر الدولة^(٤) .

(١) انظر : الكامل ٥/٧ ، وتاريخ الإسلام السياسي ٨٥/٣ ، وتاريخ الإسلام في جنوب آسيا في العصر التركي ٣٧-٣٩ .

(٢) الكامل ١٨٨/٧ .

(٣) سير أعلام النبلاء ١٥/٥٠٠ . والكرامية : هم أصحاب أبي عبدالله محمد بن كَرَام أصله من سجستان ، جاور خمس سنين ثم ورد نيسابور ، أحدث مذهباً تبعه عليه عالم لا يحصون في نيسابور وهراة ونواحيها ، ومذهبه هذا مشهور في التشبيه والتجسيم . انظر : الملل والنحل ١/١٠٨ ، والفرق بين الفرق ١٣١ .

(٤) انظر : تاريخ العتبي ١/٥٨-٨٩ ، والكامل ٧/٨٥-٨٧ .

وفي عام ٣٨٧هـ توفي سُبُكْتِكِين ، وخلفه ابن ضعيف التدبير ، يقال له إسماعيل ، وفي عام ٣٨٨ خرج عليه أخوه محمود^(١) ، وهو أكبر منه ، فدار بينهما قتال ، حتى آل الأمر إليه . واستقر ملك الغزنويين لمحمود الذي تمكن أيضاً من سحق جيش السامانيين ، واستولى على خراسان ، واستقرّ ملكه بها ، وأزال عنها اسم السامانية ، وخطب للخليفة القادر بالله ، ولقبه الخليفة (يمين الدولة وأمين الملة) ، وخلع عليه خلع السلطنة^(٢) .

وقد اتسعت الدولة الغزنوية في عهد محمود ، ووقفه الله في فتح بلاد واسعة ، وفرض على نفسه غزو الهند كل سنة ، وأقام فيها بدلاً عن بيوت الأصنام مساجد الإسلام ، وعن مشاهد البهتان معاهد التوحيد والإيمان^(٣) . ولم يزل كذلك -رحمه الله- حتى توفي سنة ٤٢١هـ ، وتولى بعده الملك ابنه محمد الذي لم يدم ملكه إلا أشهراً^(٤) ، إذ قبض عليه أخوه مسعود^(٥) ، وتمكّن من الملك ، وتابع غزو الهند ، ودانت له ممالك كثيرة ، وجرت له مع السلاجقة حروب حتى هزموه

(١) هو السلطان المجاهد فاتح الهند ، أبو القاسم محمود بن سبكتكين ، ولد سنة ٣٦١هـ ، وتملك سنة ٣٨٨هـ ، وكان ديناً كثير الغزو ، وفتوحه مشهورة ، وكان مائلاً إلى السنة ، إلا أنه كان كرامياً ، وكان إلماً على الرافضة والإسماعيلية والجهمية والمعتزلة والمشيبة والمبتدعة عامة ، وقتل منهم جماعة ، ونفى آخرين ، وأمر بلعنهم على المنابر . توفي سنة ٤٢١هـ بعد مرض . انظر : المنتخب من السياق ، وتاريخ نيسابور ٤٤٦ ، والمتنظم ٥٢ / ٨ ، والكمال ٢٤٦ / ٧ ، وسير أعلام النبلاء ١٧ / ٤٨٣ - ٤٩٥ .

(٢) انظر : تاريخ العتيبي ٣١٧ / ١ ، والكمال ١٩٦ / ٧ ، وسير أعلام النبلاء ١٧ / ٤٨٥ .

(٣) انظر : تاريخ العتيبي ٣١٧ / ١ ، والمتنظم ٥٣ / ٨ .

(٤) انظر : الكامل ٣٤٦ / ٧ .

(٥) هو السلطان الناصر لدين الله ظهير خليفة الله مسعود ، كان كريماً شجاعاً ، كثير البر والإحسان ، وكان ملكه عظيماً فسيحاً ، وعمر كثيراً من المساجد ، وصنف في دولته ومناقبه : تاريخ أبي الفضل البيهقي ، وهو مطبوع ، وقد مات مقتولاً عام سنة ٤٣٢هـ . انظر : الكامل ٢٧ / ٨ ، وسير أعلام النبلاء ١٧ / ٤٩٥ ، والبداية والنهاية ١٢ / ٥٠ .

بعد اضطراب جنده ، وأخذوا منه خراسان سنة ٤٣١ هـ ، فأقام بغزنة ، وقُتِلَ في طريقه إلى الهند سنة ٤٣٢ هـ^(١) .

وقد بقيت الدولة الغزنوية في غزنة وأعمالها والهند إلى أن زالت دولتهم سنة ٥٤٣ هـ ، وقد ذكر ذلك ابن الأثير رحمه الله^(٢) .

٤ . الدولة السلجوقية : تُنسبُ هذه الدولة إلى سَلْجُوق بن دقاق أحد رؤساء الأتراك ، وكان قائداً لجيش ملك الترك ، فأغري بقتل سلجوق ، فلجأ مع من أطاعه إلى دار الإسلام ، وازداد حاله علواً ، وأقام بنواحي جُند ، وأدام غزو الكفار ، ثم خلفه ابنه ميكائيل الذي استشهد في بعض بلاد الكفار ، وخلف ثلاثة من الولد ، فأطاعهم عشائهم ، وهم الذين قامت على أيديهم الدولة^(٣) ، أشهرهم : طغرل بك محمد^(٤) ، وهو الذي هزم جيش الدولة الغزنوية سنة ٤٣١ هـ ، وسار طغرل بك إلى نيسابور فدخلها ، واستولى السلاجقة حينئذٍ على بلاد خراسان ، وأخذوها من الغزنويين ، ثم واصلوا زحفهم حتى استولوا على أكثر بلاد فارس ، وطرّدوا عنها بني بويه ، وعندما استنجد الخليفة القائم بأمر الله بطغرل بك - كما تقدم - سار إليه ودخل بغداد سنة ٤٤٧ هـ ، وأزال دولة بني بويه ، وحوى نفوذ السلاجقة بغداد والعراق أيضاً^(٥) .

(١) انظر : المنتظم ١٠٧/٨ ، والكمال ٢٦/٨ .

(٢) انظر : الكمال ٣٥/٩ ، وقد قيل : إن زوالها سنة ٥٨٢ هـ .

(٣) انظر : الكمال لابن الأثير ٢١/٨ ، والبداية والنهاية ٤٨/١٢ ، وتاريخ الإسلام السياسي ٢-١/٤ .

(٤) هو السلطان ركن الدولة أبو طالب محمد بن ميكائيل بن سلجوق بن دقاق التركماني السلجوقي ، وطغرل بك : اسم علم تركي مركب من : طغرل وهو اسم بلغة الترك لطائر معروف عندهم وبك معناه الأمير ، أول الملوك السلجوقية ، وكان كريماً محافظاً على الصلوات ، وفيه عدل مشوب بقسوة ، توفي سنة ٤٥٥ هـ . انظر : المنتظم ٢٣٣/٨ ، وفيات الأعيان ٦٣/٥ ، سير أعلام النبلاء ١٠٧/١٨ .

(٥) انظر : الكمال ٢٦-٢١/٨ ، والبداية والنهاية ٤٨/١٢ ، والسلوك لمعرفة دول الملوك للمقريزي ٤١-٣٠/١ .

وفي سنة ٤٥٥ هـ توفي طغرل بك ، وخلفه ابن أخيه ألب أرسلان^(١) الذي عظمت مملكته ، ومكن له ، واتسعت رقعة بلاده ، وأكثر الغزو والحروب حتى خافت منه الدول ، ورهب جانبه الملوك^(٢) ، وكان من أعظم ما حصل في عهده وقعة ملاذكرد عام ٤٦٣ هـ ، حين سار ملك النصارى في نحو مائتي ألف مقاتل ، وعدة عظيمة ، عازماً على أن يبيد الإسلام وأهله ، فالتقاه ألب أرسلان في جيش ، وهم قريب من عشرين ألفاً ، فصبروا ، ونصر الله جنده ، وأعز عباده المؤمنين ، ومكنهم من رقاب النصارى ، وأسر ملكهم^(٣) .

قال ابن الجوزي^(٤) : «وهذا الفتح في الإسلام كان عجباً لا نظير له ، فإن القوم اجتمعوا ليزيلوا الإسلام وأهله ، وكان ملك الروم قد حدثته نفسه بالسير إلى السلطان ولو إلى الري ، وأقطع البطارقة البلاد الإسلامية ، وقال لمن أقطعه بغداد : لا تتعرض لذلك الشيخ الصالح فإنه صديقنا - يعني الخليفة - وكانت البطارقة تقول : لا بد أن نشتو بالري ونصيف بالعراق ، ونأخذ في عودنا بلاد الشام»^(٥) .

(١) هو عضد الدولة الملقب بسلطان العالم ، أبو شجاع محمد بن جفريك داود بن ميكائيل بن سلجوق ، ملك بعد عمه ، كان في آخر دولته من أعدل الناس ، وأحسنهم سيرة ، وأرغبهم في الجهاد ونصر الدين ، وكان كريماً رحيماً ، توفي مقتولاً سنة ٤٦٥ هـ . انظر : المنتظم ٢٧٦/٨ ، والكامل ١١٢/٨ ، والعبر ٣١٨/٢ .

(٢) انظر : وفيات الأعيان ١٦١/٤ ، وسير أعلام النبلاء ٤١٦/١٨ .

(٣) انظر : المنتظم ٢٦٠/٨ ، والكامل ١٠٩/٨ ، والعبر ٣١٣/٢ ، والبداية والنهاية ١٠٠/١٢ .

(٤) هو عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي ، أبو الفرج ، إمام محدث فقيه حنبلي واعظ الإسلام ، مشهور بكثرة التصنيف ، ولد ببغداد سنة ٥٠٨ هـ ، ومن تصانيفه زاد المسير ، والمنتظم ، وتبلييس إبليس ، توفي سنة ٥٩٧ هـ . انظر : وفيات الأعيان ٢٧٩/١ ، ومفتاح السعادة ٢٠٧/١ .

(٥) المنتظم ٢٦٤/٨ .

وقد وفق بالوزير الصالح : نظام الملك أبي علي الحسن بن علي الطوسي^(١) الذي وزر لألب أرسلان وابنه من بعده . وفي سنة ٤٦٥ هـ قُتل ألب أرسلان ، وخلفه ابنه ملكشاه^(٢) الذي اتسع ملكه اتساعاً عظيماً ، ودام ملكه عشرين عاماً ، وخطب له من حدود الصين إلى آخر الشام ، ومن أقاصي بلاد الإسلام في الشمال إلى آخر بلاد اليمن ، وحمل إليه الروم الجزية . . . وانقضت أيامه على أمن عام وسكون شامل ، وفي سنة ٤٨٥ هـ مات ملكشاه ، ووهن بموته أمر السلاجقة ، «وانحلت الدولة ، ووقع السيف»^(٣) .

وقفة تأمل :

عند التأمل في هذه الصراعات السياسية والتقلبات الواضحة سواء على المحيط العام ، أو محيط نيسابور بصورة خاصة ، لا نرى أثراً واضحاً في حياة الناس الخاصة ؛ لذا نجد أن المؤلف عاش غالب أيام شبابه في عهد محمود الغزنوي ، السلطان الذي اشتهر بعدله وفضله وقوته وحبه للعلم والعلماء ومذهبه الشافعي ومعتقدده الكرّامي ، وقد أدرك في كهولته ونضجه عهد طغرل بك وألب أرسلان وابنه ملكشاه السلجوقيين ، خصوصاً أنه لقي من وزيري الأخيرين ؛ نظام الملك

(١) ولد بطوس عام ٤٠٨ هـ ، حفظ القرآن وله إحدى عشرة سنة ، واشتغل بالعلوم حتى حصّل طرفاً صالحاً ، وكان شافعياً أشعرياً ، تنقلت به الأحوال في الكتابة والدواوين ، حتى وزر لألب أرسلان ، ثم لابنه ٢٩ سنة ، وكان سائساً خبيراً متديناً ، عامر المجلس بالعلماء ، خفف المظالم ، ورفق بالرعية ، وبنى كثيراً من المدارس والوقوف ، وكانت تسمى المدارس النظامية ، قتل سنة ٤٨٥ هـ على يد أحد الباطنية . انظر : المنتظم ٩/ ٦٤-٦٨ ، والكامل ٨/ ١٦٢ ، وسير أعلام النبلاء ٩٤/ ١٩ .

(٢) هو أبو الفتح جلال الدولة بن السلطان ألب أرسلان ، كان حسن السيرة محسناً إلى الرعية ، وكان يلقب بالسلطان العادل ، توفي سنة ٤٨٥ هـ ، وقيل : إنه مات مسموماً . انظر : المنتظم ٩/ ٦٩-٧٤ ، والكامل ٨/ ١٦٣ ، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٥٤ ، والبداية والنهاية ١٢/ ١٤٢ .

(٣) انظر : الكامل ٨/ ١٦٢ .

-الذي كان شافعي المذهب ، أشعري العقيدة- وأخيه^(١) كل إعزاز وإكرام^(٢) ، ولا شك أن هذا له أثره الواضح في شخصية المؤلف ، تعلماً واستفادة وإفادة .

أثر هذه السياسة في الناحية العلمية :

تبين مما سبق ذكره أن العصر الذي نشأ فيه الواحدي غير مستقر من الناحية السياسية ؛ ففيه ظهر ضعف الخلافة العباسية ، وكان عهد قيام دول وسقوط أخرى ، فهل كان لهذا الاضطراب السياسي أثر في الناحية العلمية ؟

على العكس من ذلك فقد نشطت الحركة العلمية ؛ إذ اندفعت هذه الدول في تشجيع العلم وأهله ، إمّا بدافع المنافسة ، أو بدافع حب الحاكم للعلم والعلماء ، مثل : محمود بن سبكتكين الغزنوي^(٣) ، ونظام الملك^(٤) وزير ألب أرسلان وابنه ملكشاه .

وقد كان لوجود الفرق ونشاطها من شيعة ومعتزلة وأشعرية وصوفية وغيرهم دور كبير في تنشيط الناحية العلمية ؛ إذ ذهبت كل فرقة تكتب ، وتؤصّل ، وتدافع عن مبادئها ، وترد على الفرق الأخرى^(٥) .

(١) هو أبو القاسم عبدالله بن علي بن إسحاق الطوسي أخو الوزير نظام الملك ، سمع الحديث ، وكان عفيفاً نزيهاً كثير فعل الخير ، توفي سنة ٤٩٩ هـ .

(٢) انظر : معجم الأدباء لياقوت ١٢ / ٢٦٠ ، نقلاً عن كتاب السياق لتاريخ نيسابور لعبد الغافر الفارسي تلميذ المؤلف .

(٣) انظر : البداية والنهاية ١٢ / ٣٠ .

(٤) انظر : البداية والنهاية ١٢ / ١٤٠ .

(٥) انظر : تاريخ الإسلام السياسي ٣ / ٣٧٥ ، ٤ / ٤٢٠ .

أولاً : ازدهار المساجد

لا شك أن المسجد هو المدرسة الأولى التي علّم فيها النبي ﷺ أصحابه ، وتخرج فيها الرعيل الأول ؛ ففيه تعقد حلق العلم ، ويلتقي العلماء وطلاب العلم ، وإذا اعتني بالمسجد فإنه لا يخلو من مكتبة عامرة ، ورباط لطلاب العلم المغتربين ، وهذا ما كان موجوداً في عصر المؤلف ؛ ففي غزنة بنى السلطان محمود بن سبكتكين جامعاً مشهوراً ، وأضاف إليه مدرسة عامرة وخزانة كتب نفيسة^(١) .

وفي نيسابور اشتهر مسجد عقيل^(٢) ، «وكان مجمعاً لأهل العلم وفيه خزائن الكتب الموقوفة»^(٣) ، وكان من أعظم منافع نيسابور وكذلك مسجد المطرز ، والجامع المنيعي^(٤) .

واجتماع مثل هذه المراكز في بلد يضيفي على الحركة العلمية قوة ونشاطاً ، ويزيد من فرص الاستفادة لطالب العلم ، حيث يتعدد الشيوخ والعلماء القائمون على هذه المدارس ، وتنوع الطرائق والأساليب التي تقدم للطلبة ، فيكون انتفاعهم كبيراً ، واستفادتهم واضحة .

ثانياً : بناء المدارس والعناية بها

تعدّ المدارس المعقل الكبرى للتعليم ، وتخرج العلماء ، وحفظ الدين ، وكانت عناية الناس بها في القرنين الرابع والخامس عظيمة ، بل كانت إحدى الميزات الكبرى لهذين القرنين .

(١) انظر : تاريخ العتبي ٢/ ٢٩٩ .

(٢) انظر : المنتخب من السياق ٣٩ ، ١٢٠ ، ٣٦٠ ، ٤٩٣ .

(٣) الكامل ٩/ ٧٤ .

(٤) انظر : المنتخب من السياق ٥٦ و ٧٣ .

وتقدم أن السلطان محموداً لما بنى جامع غزنة ألحق به مدرسة عظيمة ، كانت موائلاً للعلماء وطلاب العلم ، مع إجراء الأموال على المنقطعين والغرباء من طلاب العلم^(١) .

وبنى السلطان ألب أرسلان في بغداد مدارس أنفق عليها أموالاً عظيمة^(٢) ، واشتهرت في تلك الحقبة التي مرَّ بها المؤلف المدارس النظامية ، المنسوبة للوزير نظام الملك ، وقد بنى مدرسة في بغداد ، ومدرسة في بلخ ، ومدرسة في نيسابور ، ومدرسة في هراة ، ومدرسة في أصبهان ، ومدرسة في البصرة ، ومدرسة في مرو ، ومدرسة في آمل طبرستان ، ومدرسة في الموصل ، ويقال : إن له في كل مدينة في العراق وخراسان مدرسة^(٣) .

وأما نيسابور فقد كان لها قصب السبق في هذا الميدان ، وحظيت بنصيب وافر من المدارس المشهورة ، قال المقرئزي^(٤) : « وأول من حُفظ عنه أنه بنى مدرسة في الإسلام أهل نيسابور »^(٥) . ومن مدارسها المشهورة :

(١) انظر : تاريخ العتبي ٢/ ٢٩٩ .

(٢) انظر : شذرات الذهب ٣/ ٣١٩ .

(٣) انظر : طبقات الشافعية للسبكي ٤/ ٣١٣ ، وآثار البلاد للقرئني ٤١٢ . وحكى سبب بناء هذه المدارس : أن السلطان ألب أرسلان دخل نيسابور فمر على باب مسجد ، فرأى جماعة من الفقهاء على حال رثة ، فسأل وزيره نظام الملك عنهم ، فأخبره بحالهم وفقدهم ، فلأن قلب السلطان لهم ، فاقترح عليه الوزير أن يبني لهم داراً ، ويجري عليهم أرزاقاً ، فأذن له السلطان ، فأمر نظام الملك ببناء المدارس في مملكة السلطان جميعها ، وأن يصرف عشر مال السلطان في بناء المدارس .

(٤) هو أحمد بن علي بن عبد القادر ، أبو العباس الحسيني تقي الدين المقرئزي مؤرخ الديار المصرية ، ولد سنة ٧٦٦هـ ، وولي الحسبة والإمامة والخطابة في القاهرة مرات ، من كتبه المواعظ والآثار بذكر الخطط والآثار ، والمشهور بخط المقرئزي ، وله أكثر من مائتي مجلد كبار ، توفي سنة ٨٤٥هـ . انظر : البدر الطالع ١/ ٧٩ ، والإعلام ١/ ١٧٧ .

(٥) الخطط ٢/ ٣٦٣ .

١. مدرسة أبي إسحاق الإسفراييني^(١)، وهي مدرسة لم يُثبَنَ قبلها بنيسابور مثلها^(٢).
٢. مدرسة الصبغلي المعروفة باسم دار السنة^(٣).
٣. المدرسة السعيدية، بناها الأمير نُصْر بن سبكتكين^(٤)، ووقف عليها الأوقاف^(٥).
٤. المدرسة البيهقيّة^(٦).
٥. مدرسة أبي بكر البستي الفقيه^(٧).
٦. مدرسة أبي سعد الإستراباذي^(٨).
٧. مدرسة إسماعيل الصابوني^(٩).

وغير ذلك من المدارس التي ذكرها عبدالغافر الفارسي، مثل مدرسة الثعالبي، ومدرسة السيوري، ومدرسة المشطبي، ومدرسة الصعلوكي، ومدرسة الخفاف، ومدرسة ابن صاعد، ومدرسة الشحامي، ومدرسة القشيريين، ومدرسة سرهنك وغيرها^(١٠).

-
- (١) سبقت ترجمته في مبحث شيوخ الواحدي.
 - (٢) طبقات الشافعية ٤/ ٣١٤ نقلا عن تاريخ نيسابور للحاكم، وهو تاريخ مفقود.
 - (٣) المنتخب من السياق ١٦.
 - (٤) هو الأمير العالم نصر بن ناصر الدين سبكتكين، ولي نيسابور عام ٣٩٠هـ، وسمع المشايخ، وصحب الأئمة، واستفاد منهم، وأحسن الولاية، وعاد إلى غزنة، وتوفي بها سنة ٤١٢هـ. انظر: المنتخب من السياق ٤٦٣.
 - (٥) انظر: المنتخب من السياق ٤٦٤، وطبقات الشافعية للسبكي ٤/ ٣١٤، والخطط للمقريزي ٢/ ٣٦٣.
 - (٦) انظر: المراجع السابقة.
 - (٧) هو أحمد بن محمد بن عبيد الله، من كبار أئمة نيسابور، ومن كبار فقهاء أصحاب الشافعية والمناظرين في نيسابور، توفي سنة ٤٢٩هـ. انظر: المنتخب من السياق ٩٣، وطبقات الشافعية ٤/ ٨٠.
 - (٨) هو إسماعيل بن علي بن المثنى، أبو سعد، الصوفي العنبري، روى عنه الخطيب وغيره، مات سنة ٤٤٨هـ. انظر: المنتخب من السياق ١٣٠، وتاريخ بغداد ٦/ ٣١٥.
 - (٩) انظر: المنتخب من السياق ٥٩ و ٢٧٥، وترجمة الصابوني سبقت في مبحث شيوخ المؤلف.
 - (١٠) انظر: المنتخب من السياق ٥١، ٥٨، ٦٣، ٦٦، ١٠٦، ١٠٧، ٣٤٧، سبقت ترجمة عبدالغافر في مبحث تلاميذه.

ثالثاً: انتشار المكتبات وخزائن الكتب

المكتبات وخزائن الكتب هي جنات طلاب العلم، ورياض أفكارهم، ومحل استمتاعهم، ففيها يحققون المسائل ويفتقونها، ويطلعون على الدلائل ويحررونها، ويوثقون الفوائد، ويتوسعون في البحث؛ لذا حرص الكبار على إنشائها، وتزويد المساجد والمدارس ودور العلم ومعاهد التعليم بها، إذ تصبح تلك المعاهد بلا مكتبات مشلولة، قليلة الطلاب والرواد؛ ففي بغداد أنشأ الوزير سابور بن أردشير^(١) سنة ٣٨٣هـ دار الكتب، وسماها دار العلم، وشملت أكثر من عشرة آلاف مجلد^(٢)، وفي البصرة داران للكتب^(٣).

وفي فيروز آباد بنى الوزير أبو منصور بن منافيه^(٤) داراً للكتب، وقفها على طلاب العلم، جمع فيها تسعة عشر ألف مجلد، وفي غزنة ألحق السلطان محمود بن سبكتكين بجامعة الذي بناه مدرسة ملاً بيوته بالكتب^(٥).

(١) أبو نصر، سابور بن أردشير، وزير لبهاء الدولة بن بويه، وكان كاتباً سديداً، مهيباً، عفيفاً عن الأموال، مات سنة ٤١٦هـ. انظر: المنتظم ٢٢/٨، والكامل ٣٢٤/٧، والسير ٣٨٧/١٧.

(٢) انظر: المنتظم ١٧٢/٧.

(٣) إحداهما: وقفت قبل عضد الدولة بن بويه، فقال: «هذه مكرمة سبقنا إليها»، وهي أول دار وقفت في الإسلام، قال ابن كثير في البداية والنهاية ١٢/١٣٨، عنها: «لم ير في الإسلام مثلها». وقد نهبت الأعراب كلتا الدارين في فتنة البصرة سنة ٤٨٣هـ، انظر: الكامل ١٥٣/٨.

(٤) هو أبو منصور بهرام بن منافيه، وهو الملقب بالعاقل، وزير الملك أبي كالجار البويهى، ولد في كازرون سنة ٣٦٦هـ، وكان حسن السيرة، فضلاً، نزيهاً، توفي سنة ٤٣٣هـ، انظر: الكامل ٣٢/٨، والبداية والنهاية ١٢/٤٩.

(٥) انظر: تاريخ العتيبي ٣٠٠/٢.

وأما في نيسابور فقد ألحق بمسجد عقيل -المتقدم ذكره- خزائن كتب وقفها العلماء^(١)، وكذا كانت المدرسة البيهقية^(٢)، ومدرسة الصابوني^(٣) وغيرهما، ولما أنشأ الوزير نظام الملك المدارس النظامية ألحق بكل واحدة خزائن كتب^(٤).

رابعاً: تقدير السلاطين ووزرائهم للعلم والعلماء

لا يخفى أن أعظم عوامل رواج سوق العلم هو تشجيع السلاطين وتحفيز الدول، قيامهما بإكرام العلماء وتقديرهم، وقضاء حوائجهم، وتبويئهم المكان اللائق والمكانة المرموقة ليرغب الناس في دفع أولادهم إلى معاهد العلم، وتفريغهم لطلبه والحرص عليه، وقد حظي ذلك العصر بخلفاء ووزراء كانوا إما من العلماء، أو من المحبين للعلم المشاركين فيه، فالخليفة القادر بالله يعدُّ من فقهاء الشافعية، وله تصانيف^(٥)، والقائم بأمر الله يعدُّ من العلماء الأدباء الكتاب البلغاء^(٦)، والسلطان محمود بن سبكتكين كان عنده علم ومعرفة، وحب للعلم وأهله، وتقريب لهم، ومجلسه على الدوام عامر بهم على اختلاف فنونهم، وقد صنَّفَ له التصانيف^(٧)، وسار ابنه السلطان مسعود سيرته^(٨).

(١) انظر: الكامل ٧٤/٩.

(٢) انظر: المنتخب من السياق ١٨.

(٣) انظر: المنتخب من السياق ١٤٦.

(٤) انظر: مختصر زبدة النصر ونخبة العُصْر للبنداوي ٥٧، والكامل ١٤٣/٨.

(٥) انظر: طبقات الشافعية لابن الصلاح ٣٢٤/١، وتاريخ الخلفاء للسيوطي ٤١٧.

(٦) انظر: الكامل ١٢٠/٨، والبداية والنهاية ١١٠/١٢.

(٧) انظر: المنتخب من السياق ٤٤٦.

(٨) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي ٤٩٥/١٧، والبداية والنهاية ٢٨/١٢.

وقد كانت الدولة السلجوقية مشهورة بتكريم العلماء ومحبتهم ، حتى «أصبح كل واحد من العلماء بفضل تشجيع سلطان من سلاطين السلاجقة محطاً لأنظار العالمين»^(١).

وأما الوزير نظام الملك ، فقد كان عالماً مغرمًا بالعلم وأهله ، وقد بقيت جهوده وآثاره في ذلك شامة في جبين التاريخ الإسلامي ، يقول أبو الوفاء بن عقيل^(٢) في الثناء عليه : «بنى المدارس ، ووقف الوقوف ، ونعش من العلم وأهله ما كان خاملاً مهملاً في أيام من قبله»^(٣) ويصفه العماد الأصفهاني^(٤) قائلاً : «ولم يزل بابه مجمع الفضلاء وملجأ العلماء ، وكان نافذاً بصيراً ينقب عن أحوال كل منهم ، ويسأل عن تصرفاته وخبرته ومعرفته ، فمن تفرّس فيه صلاحية الولاية ولّاه ، ومن رآه مستحقاً لرفع قدره رفعه وأعلاه ، ومن رأى الانتفاع بعلمه أغناه ، ورتب له من جدواه حتى ينقطع إلى إفادة العلم ونشره ، وتدريس الفضل وذكره ، وربما سيّره إلى إقليم خالٍ من العلم ، ليُحلي به عاطله ، ويحيي به حقه ، ويميت باطله»^(٥).

(١) راحة الصدور وآية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية للراوندي ٧٢ .

(٢) علي بن عقيل بن محمد بن عقيل البغدادي أبو الوفاء ، شيخ الحنابلة في زمانه في بغداد ، عالم متقن ، ولد سنة ٤٣١ هـ ، وله مصنفات أكبرها كتاب الفنون ، قال الذهبي : لم يصف في الدنيا أكبر منه ، وله كتاب الجدل على طريقة الفقهاء ، توفي سنة ٥١٣ هـ . انظر : شذرات الذهب ٤ / ٣٥ ، والذيل على طبقات الحنابلة ١ / ١٧١ .

(٣) المنتخب ١٤٦ .

(٤) محمد بن محمد صفي الدين بن نفيس الدين حامد بن أله ، أبو عبدالله عماد الدين الكاتب الأصبهاني ، عالم بالأدب من كبار الكتاب ، ولد في أصفهان سنة ٥١٩ هـ ، له كتب كثيرة ، وله ديوان رسائل وديوان شعر ، توفي سنة ٥٩٧ هـ . انظر : وفيات الأعيان ٢ / ٧٤ ، ومرة الزمان ٨ / ٥٠٤ .

(٥) زبدة النضرة للعماد الأصفهاني ، اختصار البُنداري ٥٧ .

ومن أشهر أعماله تلك المدارس التي بناها ، وأدرَّ عليها الأرزاق ، وأثَّثها بما تحتاج إليه ، وقد تقدَّم ذكر ذلك . ولأجل ذلك أطبق المؤرخون وأصحاب التراجم على الإشادة بما قام به هذا الوزير في هذا الباب^(١) .

خامساً : نشاط بعض الفرق

نشأت كثير من الفرق في أخريات القرن الأول والقرنين الثاني والثالث ، وحظُّها من الشيوع والانتشار بقدر حظها من دعم الدول ، واقتناع المتنفذين ، ودعم السلاطين ؛ لذا بمجرد زوال تلك القوة الداعمة يحصل للفرقة الذبول أو الانحصار في بلد معين أو طائفة أو جماعة محددة .

وقد كان لوجود دولة العبيديين الباطنية ، ودولة البويهيين الرافضية أثر كبير في نشاط كثير من الفرق المناوئة للسنة ، إذ ضَعُفُ أهل السنة في الجملة فسحةً واضحة للفرق الضالَّة ، كي تنفذ إلى عقول الناس ، وتسيرهم على النحو الذي تريد .

وقد بيَّن المقرئزي أن التشيع قوي بدولة بني بويه ، وكذا فشا الاعتزال في العراق وخراسان وما وراء النهر ، وذهب إليه جماعة من الفقهاء ، وقوي مع ذلك أمر الخلفاء الفاطميين بإفريقيا وبلاد المغرب ، وجهرُوا بمذهب الإسماعيلية ، وبثُوا دعائهم بأرض مصر ، فاستجاب لهم خلق كثير من أهلها ، ثم ملكوها سنة ٣٥٨ هـ ، وانتشرت مذاهب الرافضة في الأقطار عامة ، قال المقرئزي : « واشتهرت مذاهب الفرق من القدرية والجهمية والمعتزلة والكرامية والخوارج والروافض والقرامطة والباطنية حتى ملأت الأرض ، وما منهم إلَّا من نظر في الفلسفة ، وسلك من طرقها ما وقع عليه اختياره ، فلم يبق مصرُّ من الأمصار ولا قطر من الأقطار إلَّا وفيه طوائف كثيرة مما ذكرنا»^(٢) .

(١) انظر : الكامل ١٦٢ / ٨ ، وسير أعلام النبلاء ٩٤ / ١٩ ، وطبقات الشافعية ٣٠٩ / ٤ .

(٢) انظر : الخطط للمقرئزي ٣٥٧ / ٢ .

هذا الواقع دعا أهل السنة وعلماء الملة - جرياً على سنة التدافع - للوقوف بقوة في وجه هذا المد البدعي الطاغي ، ببيان الحق ورد الباطل ودفع الشبه ، وفضح الفرق ، وكشف عوارها^(١) ، وهذا - ما لا يخفى - له أثره الواضح في إثراء الحياة العلمية تأليفاً وتدریساً ، وكشفاً للحال ، وتتبعاً للحقائق .

سادساً : المناظرات العلمية بين أرباب المذاهب

مما كان سائداً في ذلك العصر المناظرات التي كانت تعقد بين العلماء ، يبين كل واحد منهم قوله ، ويذكر دليله ، ويفند حجة خصمه ، وقد تكون بين أتباع الفرق المختلفة ، وكانت هذه المناظرات تعقد عند السلاطين أحياناً ، أو في المساجد ودور العلم في أكثر الأحيان ، وفي نيسابور كانت هناك مجالس للنظر تعقد فيها المناظرات ، وخاصة العلماء القادمين عليها^(٢) . ومن العادة الجارية أن طلاب العلم يحرصون على حضور تلك المجالس ، لمعرفة الحق عند اختلاف الأقوال ، والعلم بأقدار الرجال ، والموازنة بين المختلفين ، وقد يكون للانتصار لأحد القولين ، إذ يجتهد المتناظران في إظهار صحة قول كل منهما ، وقوة دليله ، وضعف من يقابله^(٣) .

(١) من العلماء الذين صنفوا في ذلك : معمر بن زياد الأصبهاني توفي ٤١٨ هـ ، وأبو عمر الطلمنكي توفي ٤٢٩ هـ ، وأبو نصر السجزي توفي ٤٤٤ هـ ، وأبو عمرو الداني توفي ٤٤٤ هـ ، وأبو الفتح سليم بن أيوب الرازي توفي ٤٤٧ هـ ، وأبو عثمان الصابوني توفي ٤٤٩ هـ ، وأبو عمر بن عبد البر توفي ٤٦٣ هـ ، وأبو القاسم سعد بن علي الزنجاني توفي ٤٧١ هـ ، وغيرهم .
ومن الأشاعرة : أبو بكر الباقلاني توفي ٤٠٣ هـ ، وأبو إسحاق الإسفراييني توفي ٤١٨ هـ ، وأبو منصور البغدادي توفي ٤٢٩ هـ .

(٢) انظر : المنتخب من السياق ل ٥١ ، ٨٦ ، ٩٠ ، ٩٦ ، ٤٤٢ ، ٤٦١ .

(٣) ذكر السبكي في طبقات الشافعية جملة من هذه المناظرات في تراجم عدد من العلماء . انظر على سبيل المثال : ٢٣٧/٤ ، ٢٤٦ ، ٣٦/٥ و ٢٠٩ .

وقفه

لا شك أن هذه الأسباب وغيرها كان لها أثر واضح في ثراء الحالة العلمية التي تنطبع تبعاً على شخصيات الأفراد من طلاب العلم والعلماء ؛ حيث تهيم بمجموعها جواً علمياً يدفع الطالب للاستزادة ، ويعينه على الفهم ، وينوع معارفه ، ويشبع رغباته وميوله .

وما من شك أن أثر ذلك كله قد انطبع على مترجمنا الإمام الواحدي ، ومن يطالع مؤلفاته ، ويقرأ ترجمته ، يدرك ظهور ذلك التنوع المعرفي ، والتعدد الثقافي والعلمي الذي اصطبغ به الواحدي .

الفصل الثاني : دراسة عن

كتاب البسيط

فيه عشرة مباحث :

- المبحث الأول : اسم الكتاب .
- المبحث الثاني : ثبوت نسبة الكتاب إلى الواحدي .
- المبحث الثالث : الباعث على إنشاء البسيط .
- المبحث الرابع : تاريخ البدء بالبسيط والانتهاؤه منه .
- المبحث الخامس : مصادر المؤلف في كتابه البسيط .
- المبحث السادس : منهج الواحدي في البسيط ، وفيه ثلاثة مطالب .
 - المطلب الأول : مقدمة الكتاب ومنهجه إجمالاً .
 - المطلب الثاني : منهجه في كتابه مفصلاً .

فيه تسع مسائل :

- المسألة الأولى : تفسير القرآن بالقرآن .
- المسألة الثانية : تفسير القرآن بالسنة والأثر .
- المسألة الثالثة : تفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين .
- المسألة الرابعة : منهجه في ذكر الإسرائيليات .
- المسألة الخامسة : منهجه في عرض القراءات .

– المسألة السادسة : منهجه في علوم القرآن .

١ . أسباب النزول .

٢ . الوقف والابتداء .

٣ . النسخ والمنسوخ .

٤ . الربط بين الآيات .

– المسألة السابعة : منهجه في تقرير مسائل العقيدة ، والرد على الفرق .

– المسألة الثامنة : منهجه في المسائل الفقهية والأصولية .

– المسألة التاسعة : منهجه في اللغة وفنونها .

• المطلب الثالث : مقارنة بين تفاسير الواحدي الثلاثة .

■ المبحث السابع : قيمة الكتاب العلمية .

■ المبحث الثامن : أثر الواحدي في من بعده من العلماء من خلال كتابه البسيط

■ المبحث التاسع : منهج تحقيق الكتاب .

■ المبحث العاشر : مخطوطات تفسير البسيط .

المبحث الأول

اسم الكتاب

اسم الكتاب البسيط ، ذكر ذلك المؤلف نفسه في مقدمة كتابه الوسيط ، فقال : «وقديماً كنت أطالب بإملاء كتاب في تفسير وسيط ، ينحط عن درجة البسيط الذي تجر فيه أذيال الأقوال ، ويرتفع عن مرتبة الوجيز الذي اقتصر فيه على الإقلال»^(١) .

وقد ورد اسم الكتاب البسيط في المصادر جميعها التي ذكرته^(٢) ، ووصفه القفطي بالكبير فقال : «صنف التفسير الكبير وسماه البسيط»^(٣) ، وقد وردت كلمة الكبير على عناوين بعض مخطوطات البسيط ، ففي الجزء الثالث والخامس من النسخة الأزهرية كُتِبَ «البسيط وهو التفسير الكبير»^(٤) ، فلعل هذه الصفة - التي ذكرها القفطي ومن جاء بعده - قُصِدَ بها بيان أنه أكبر كتبه في التفسير .

كذلك نجد على الجزء الثاني والثالث من مخطوطة جستررتي^(٥) مكتوباً : «هذا كتاب معاني التفسير المسمى بالبسيط للإمام الواحدي» ، وفي آخر الجزء

(١) الوسيط ٦/١ .

(٢) انظر : معجم الأدباء ١٢/١٥٩ ، ووفيات الأعيان ٣/٣٠٣ ، وسير أعلام النبلاء ١٨/٣٤٠ ، البداية والنهاية ١٢/١١٤ ، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٣/٢٩٠ ، وغيرها من المصادر التي ترجمت للواحدي .

(٣) إنباه الرواة ٢/٢٢٣ .

(٤) هذه النسخة محفوظة في رواق المغاربة في الأزهرية رقم ٣٠٣ ، ومنها ميكروفيلم في جامعة الإمام رقم ٨٠٥١ ، ٨٠٤٩ .

(٥) يوجد ميكروفيلم لها في جامعة الإمام رقم ٣٧٣١ ورقم ٣٧٣٢ .

الثاني كُتِبَ «آخر الجزء الثاني من كتاب معاني التفسير المسمى بالبسيط ، تصنيف الشيخ الإمام الواحدي ، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ، ووافق الفراغ منه يوم الخميس في آخر شوال سنة ثمان وثلاثين وستمائة ، كتبه الضعيف الراجي المحتاج إلى رحمة الله - تعالى - أحمد بن محمد بن الحسن القروني» . وقد سبق الكلام على هذا عند الحديث عن مؤلفاته بما يغني عن إعادته هنا .

* * *

المبحث الثاني

ثبوت نسبة الكتاب إلى الواحدي

أما عن قضية ثبوت نسبة الكتاب إلى المؤلف ، فهي من القضايا التي تصل إلى حد التواتر ، لم يحصل فيها شك ، ولا تحتاج إلى بحث واستدلال ، فالمؤلف يذكر كتابه البسيط في مقدمة الوسيط ، فيقول : «وقديماً كنت أطالب بإملاء كتاب وسيط ينحط عن درجة البسيط الذي تجر فيه أذيال الأقوال وارتفع عن مرتبة الوجيز الذي اقتصر فيه على الإقلال لمؤلف»^(١) ، والمترجمون له بعده ينسبون الكتاب إليه بإجماع ، ولم يرد قول بخلاف ذلك ، وقد ارتبط اسم المؤلف بكتبه الثلاثة في التفسير البسيط والوسيط والوجيز ، فيقال : الواحدي صاحب التفاسير الثلاثة البسيط والوسيط والوجيز^(٢) .

(١) مقدمة الوسيط ٦/١ .

(٢) انظر : المنتخب من السياق ل ١١٤ ، ووفيات الأعيان ٣/ ٣٠٤ ، وإنباه الرواة ٢/ ٢٢٤ ، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٣٤٠ ، وطبقات الشافعية الكبرى ٣/ ٢٩٠ .

ويضاف إليها أيضاً أنَّ العلماء الذين أفادوا من البسيط بالنقل والإحالة^(١)، تتطابق نقولاتهم مع ما هو موجود في البسيط، وسيأتي ذكر ذلك في مبحث قيمة الكتاب العلمية، وقد نقل ياقوت في ترجمته للمؤلف بعض مقدمة البسيط وهي بنصها في هذا الكتاب^(٢)، هذا كله بالإضافة إلى أنه لم يقل أحد من أهل العلم بخلاف ذلك، بل إن من المسلّمات ارتباط المؤلف بتفاسيره الثلاثة، وعلى رأسها كتابه هذا، وقد تقدم ذكر ذلك^(٣).

* * *

المبحث الثالث

الباعث على إنشاء البسيط

صرّح المؤلف بالباعث له على تأليف هذا الكتاب، وهو تلبية طلب قوم ألحوا عليه من أهل العلم، وقد وافق طلبهم رغبة قديمة حاضرة عنده، إذ قال في مقدمة هذا التفسير: «فمنذ دهر تحدثني نفسي بأن أعلق لمعاني إعراب القرآن وتفسيره فقرأ^(٤) في الكشف عن غوامض معانيه، ونُكتاً في الإشارة إلى علل القراءات فيه، في ورقات يصغر حجمها ويكثر غنمها، والأيام تطلني بصروفها على اختلاف صنوفها، إلى أن شدد عليّ خناق التقاضي قوم لهم في العلم سابقة،

(١) مثل النووي والرازي وابن القيم والزرکشي، رحم الله الجميع.

(٢) معجم الأدباء ١٢/٢٦٢-٢٧٠.

(٣) انظر: مبحث مؤلفاته.

(٤) الفَقر: خرزات الظهر، جمع فقرة، ويراد بها: جملة من كلام، أو جزء من موضوع، أو شطر من بيت شعر. انظر: المعجم الوسيط ٢/٦٩٧.

وفي التحقيق همم صادقة ، فسمحت قرونتي ^(١) بعد الإباء ، وذلت صعوبتي بعد
النفرة والالتواء ^(٢) .

* * *

المبحث الرابع

تاريخ البدء بالبسيط والانتهاه منه

يظهر من مقدمته التي ساقها في الوسيط أن البسيط هو أول كتبه الثلاثة
تأليفاً ^(٣) ، وهو أكبرها بلا شك ، لكنه لم يبين لنا تاريخ الابتداء بكتابه ،
وأما الانتهاه منه فقد صرح به في ختام كتابه البسيط ، فقال : «وقد يسّر الله
— وله الحمد لحسن توفيقه — تحرير هذا الكتاب الذي لم يسبق إلى مثله في هذا
الباب . . . بعد تراخي المهلة ، وتطاول المدة ، من يوم افتتاحه إلى يوم اختتامه . . .
وذلك عصر يوم الأربعاء لعشر بقين من شهر ربيع الأول سنة ست وأربعين
وأربعمائة» ^(٤) .

* * *

(١) قال في الصحاح : يقال : أَسَمَحْتُ قَرْنِي ، وَقَرُونُهُ ، وَقَرُونَتُهُ وَقَرِينَتُهُ ؛ أي : ذَلْتُ نَفْسَهُ ، وَتَابَعْتَهُ عَلَى
الْأَمْرِ . الصحاح ، (قرن) ٦ / ٢١٨٢ .

(٢) مقدمة البسيط ٣٥٧ .

(٣) الوسيط ١ / ٥٠ ، وقد سقت العبارة في مبحث مؤلفاته .

(٤) البسيط ، مجلدة لوحة ٢٠٩ ب من النسخة الأزهرية .

المبحث الخامس

مصادر المؤلف في كتابه البسيط

تلقى المؤلف عن فحول أئمة اللغة والنحو والتفسير ومعاني القرآن ، والقراءات ؛ لذلك كثرت مصادره في تفسيره ، وقد أفاد من تلك المصادر كثيراً ، ونقل منها بالمعنى حيناً وبالنص أحياناً ، وبالعزو حيناً ومن دون عزو أحياناً ، أخذ عن بعض تلك المصادر فأكثر ، وهناك مصادر أخذ منها بإقلال ، وسيكون الحديث في هذا المبحث عن تلك المصادر ، وعن طريقته في الأخذ منها ، وقد ذكر المؤلف بعض تلك المصادر في مقدمة كتابه ، وهناك مصادر أفاد منها ، ولم يرد ذكرها في مقدمته .

ولقد تنوعت المادة التي أخذها من كل مصدر ؛ فمثلاً نجده قد أخذ من الحجة لأبي علي الفارسي مسائل لغوية ونحوية بجانب القراءات وتوجيهها ، وأفاد من الثعلبي في التفسير واللغة والنحو وهكذا بقية المصادر ، وفي ما يأتي بيان لتلك المصادر ومعرفة مدى استفادة الواحد منها ، وهي قسمان :

- القسم الأول : المصادر الرئيسية .
- القسم الثاني : المصادر الثانوية .

القسم الأول : المصادر الرئيسة

أولاً : التفسير

وهي مرتبة تاريخياً :

أولاً : تفسير ابن عباس^(١) - رضي الله عنه - المتوفى ٦٨ هـ .

مكانة ابن عباس في تفسير القرآن :

تبيّن مكانة ابن عباس في التفسير من قول تلميذه مجاهد فيه : «إنه إذا فسر الشيء رأيت عليه النور» ، ومن قول علي - رضي الله عنه - يثني عليه في تفسيره : «كأنما ينظر إلى الغيب من ستر رقيق» ، ومن قول ابن عمر : «ابن عباس أعلم أمة محمد بما نزل على محمد» ، ومن رجوع بعض الصحابة وكثير من التابعين إليه في فهم ما أشكل عليهم من كتاب الله ، فكثيراً ما توجه إليه معاصروه ليزيل شكوكهم ، ويكشف لهم عما عز عليهم فهمه من كتاب الله تعالى .

ففي قصة موسى مع شعيب أشكل على بعض أهل العلم أي الأجلين قضى موسى ، أقضى ثنائي سنين أم أتم عشرأ ؟ ولما لم يقف على رأي يّم شطر ابن عباس الذي هو بحق ترجمان القرآن ، ليسأله عما أشكل عليه ، وفي هذا يروي الطبري في تفسيره عن سعيد بن جبير قال : قال يهودي بالكوفة - وأنا أتجهز للحج : إني أراك رجلاً تتبع العلم ، فأخبرني أي الأجلين قضى موسى ؟ قلت : لا أعلم ، وأنا الآن قادم على حبر العرب - يعني ابن عباس - فسأله عن ذلك ، فلما قدمت مكة سألت ابن عباس عن ذلك ، وأخبرته بقول اليهودي ، فقال ابن عباس : قضى أكثرهما

(١) عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ، ابن عم النبي ﷺ ، أبو العباس ، العالم الرباني ، الفقيه ، حبر الأمة وترجمان القرآن ، وكان يسمى الحبر والبحر لسعة علمه ، وقد دعا له النبي ﷺ أن يفقهه الله في الدين ويعلمه التأويل والحكمة ، ولد قبل الهجرة بثلاث سنين في شعب أبي طالب ، وهو أحد العبادة الأربعة ، وأحد المكثرين من الصحابة ، توفي في الطائف سنة ٦٨ هـ . انظر : الإصابة ٤ / ١٤١ ، وتقريب التهذيب ٢٥١ .

وأطيهما؛ إن النبي إذا وعد لم يخلف، وقال سعيد: «فقدمت العراق فلقيت اليهودي فأخبرته، فقال: صدق وما أنزل على موسى، هذا والله العالم». اهـ^(١).

وهذا عمر - رضي الله عنه - يسأل الصحابة عن معنى آية من كتاب الله، فلما لم يجد عندهم جواباً مرضياً رجع إلى ابن عباس فسأله عنها، وكان يثق بتفسيره، وفي هذا يروي الطبري أن عمر سأل الناس عن قوله تعالى: ﴿يُودُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ﴾ [البقرة: ٢٦٦]، فما وجد أحداً يشفيه، حتى قال ابن عباس وهو خلفه: «يا أمير المؤمنين إني أجد في نفسي منها شيئاً»، فتلقت إليه، فقال: «تحول هاهنا، لم تحقر نفسك؟».

قال: «هذا مثل ضربه الله عز وجل، فقال: أيود أحدكم أن يعمل عمره بعمل أهل الخير وأهل السعادة، حتى إذا كان أحوج ما يكون إلى أن يختمه بخير حين فني عمره واقترب أجله، ختم ذلك بعمل من عمل أهل الشقاء فأفسده كله، فحرقه أحوج ما كان إليه؟»^(٢).

وسؤال عمر له مع الصحابة عن تفسير قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ [النصر: ١]، وجوابه بالجواب المشهور عنه يدل على أن ابن عباس كان يستخرج خفي المعاني التي يشير إليها القرآن، ولا يدركها إلا من نفعه الله بنفحة من روحه، وكثيراً ما ظهر ابن عباس في المسائل المعقدة في التفسير بمظهر الرجل الملهم الذي ينظر إلى الغيب من ستر رقيق، مثل ما وصفه علي رضي الله عنه، الأمر الذي جعل الصحابة يقدِّرون ابن عباس ويثقون بتفسيره، ولقد وجد هذا التقدير صدهاء في عصر التابعين، فكانت هناك مدرسة يتلقى تلاميذها التفسير عن ابن عباس، استقرت هذه المدرسة في مكة، ثم غدت بعلمها الأمصار المختلفة،

(١) تفسير ابن جرير ٤٣/٢٠.

(٢) تفسير ابن جرير ٤٧/٣.

وما زال تفسير ابن عباس يلقي من المسلمين إعجاباً وتقديراً ، إلى درجة أنه إذا صح النقل عن ابن عباس لا يكادون يعدلون عن قوله إلى قول آخر .

وقد صرح الزركشي بأن قول ابن عباس مقدم على قول غيره من الصحابة عند تعارض ما جاء عنهم في التفسير ^(١) .

منهج ابن عباس في التفسير

كان ابن عباس مثل غيره من الصحابة الذين اشتهروا بالتفسير ، يرجعون في فهم معاني القرآن إلى ما سمعوه من رسول الله ﷺ ، وإلى ما يفتح الله به عليهم من طريق النظر والاجتهاد ، مع الاستعانة في ذلك بمعرفة أسباب النزول والظروف والملايسات التي نزل فيها القرآن .

وكان - رضي الله عنه - يرجع إلى أهل الكتاب ويأخذ عنهم ، بحكم اتفاق القرآن مع التوراة والإنجيل في كثير من المواضع التي أجملت في القرآن وفُصلت في التوراة أو الإنجيل ، ولكن مثل ما قلنا في السابق : إن الرجوع إلى أهل الكتاب كان في دائرة محدودة ضيقة ، تتفق مع القرآن وتشهد له ، أمّا ما عدا ذلك مما يتنافى مع القرآن ، ولا يتفق مع الشريعة الإسلامية ، فكان ابن عباس لا يقبله ولا يأخذ به .

رجوع ابن عباس إلى الشعر القديم

كان ابن عباس - رضي الله عنه - يرجع في فهم معاني الألفاظ الغريبة التي وردت في القرآن إلى الشعر الجاهلي ، وكان غيره من الصحابة يسلك هذا الطريق في فهم غريب القرآن ، ويحض على الرجوع إلى الشعر العربي القديم ؛ ليستعان به على فهم معاني الألفاظ القرآنية الغريبة ، فهذا عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - يسأل أصحابه عن معنى قوله تعالى : ﴿ أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ ﴾ [النحل: ٤٧] ، فيقوم له

شيخ من هذيل ، فيقول له : هذه لغتنا ، التخوف : التنقص ، فيقول له عمر : هل تعرف العرب ذلك في أشعارها ؟ فيقول له : نعم ، ويروي قول الشاعر :

تَخَوَّفَ السَّيْرُ مِنْهَا تَامِكًا قَرْدًا كَمَا تَخَوَّفَ عُودَ النَّبْعَةِ السَّفْنُ

فيقول عمر - رضي الله عنه - لأصحابه : «عليكم بديوانكم لا تضلوا» ، قالوا : «وما ديواننا ؟» قال : «شعر الجاهلية ، فَإِنَّ فِيهِ تَفْسِيرَ كِتَابِكُمْ ، ومعاني كلامكم»^(١) .

غير أن ابن عباس امتاز بهذه الناحية واشتهر بها أكثر من غيره ، فكثيراً ما كان يسأل عن القرآن فينشد فيه الشعر ، وقد روي عنه الشيء الكثير من ذلك ، وأوعب ما روي عنه مسائل نافع بن الأزرق وأجوبته عنها ، وقد بلغت مائتي مسألة ، أخرج بعضها ابن الأنباري في كتاب الوقف والابتداء ، وأخرج الطبراني بعضها الآخر في معجمه الكبير ، وقد ذكر السيوطي في الإتيقان بسنده مبدأ هذا الحوار الذي كان بين نافع وابن عباس ، وسرد مسائل ابن الأزرق وأجوبة ابن عباس عنها ، فقال : «بينا عبدالله بن عباس جالس بفناء الكعبة قد اكتنفه الناس يسألونه عن تفسير القرآن ، فقال نافع بن الأزرق لنجدة بن عويمر : بنا إلى هذا الذي يجترئ على تفسير القرآن بما لا علم له به ، فقاما إليه ، فقالا : إنا نريد أن نسألك عن أشياء من كتاب الله فتفسرها لنا ، وتأتينا بمصادقه من كلام العرب ؛ فإن الله - تعالى - إنما أنزل القرآن بلسان عربي مبين ، فقال ابن عباس : سلاني عما بدا لكما ، فقال نافع : أخبرني عن قول الله تعالى : ﴿عَنِ الْمِيمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ﴾ [المعارج: ٣٧] ، قال : العزون حلق الرفاق ، قال : هل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت عبید بن الأبرص ، وهو يقول :

فَجَاؤُوا يَهْرَعُونَ إِلَيْهِ حَتَّى يَكُونُوا حَوْلَ مِنْبَرِهِ عَرِينَا ؟

(١) القصة في الموافقات ٨٨/٢ ، وليس فيها ما يعارض ما جاء عن عمر من أنه لما سأل عن الأب رجع إلى نفسه ، وقال : إن هذا هو التكلف يا عمر ؛ لأن الآية التي معنا يتوقف فهم معناها على معرفة معنى التخوف ؛ بخلاف الآية الأخرى ، فإن المعنى الذي يراد منها لا يتوقف على معرفة معنى الأب .

قال أخبرني عن قوله : ﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: ٣٥] ، قال : الوسيلة الحاجة ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت عنتره وهو يقول :

إِنَّ الرَّجَالَ لَهْمُ إِلَيْكَ وَسِيلَةٌ إِنَّ يَأْخُذُوكِ تَكْحَلِي وَتُخْضَبِي

إلى آخر المسائل وأجوبتها^(١) ، وهي تدل على قوة ابن عباس في معرفته بلغة العرب ، وإلمامه بغريبها ، إلى حد لم يصل إليه غيره ، وهذا جعله -بحق- إمام التفسير في عهد الصحابة ، ومرجع المفسرين في الأعصر التالية للعصر الذي وجد فيه ، وزعيم هذه الناحية من التفسير على الخصوص ، حتى لقد قيل في شأنه : إنه هو الذي أبدع الطريقة اللغوية لتفسير القرآن^(٢) .

وقد بين لنا ابن عباس -رضي الله عنه- مبلغ الحاجة إلى هذه الناحية في التفسير ، وحض عليها لمن أراد أن يتعرف غريب القرآن ، فقد روى أبو بكر ابن الأنباري عنه أنه قال : «الشعر ديوان العرب ، فإذا خفي علينا الحرف من القرآن الذي أنزله الله بلغة العرب ، رجعنا إلى ديوانها فالتمسنا ذلك منه»^(٣) . وروى ابن الأنباري عنه أيضاً أنه قال : «إذا سألتموني عن غريب القرآن فالتمسوه في الشعر ، فإن الشعر ديوان العرب»^(٤) .

فابن عباس -رضي الله عنه- كان يرى رأي عمر في ضرورة الرجوع إلى الشعر الجاهلي ، للاستعانة به على فهم غريب القرآن ، بل كان أكثر الصحابة إلماماً بهذه الناحية وتطبيقاً لها .

(١) الإتيان ١/ ١٢٠ .

(٢) المذاهب الإسلامية في تفسير القرآن ٦٩ .

(٣) الإتيان ١/ ١١٩ .

(٤) المصدر السابق .

وقد استمرت هذه الطريقة إلى عهد التابعين ومن يليهم ، إلى أن حدثت خصومة بين متورعي الفقهاء وأهل اللغة ، فأنكروا عليهم هذه الطريقة ، وقالوا : إن فعلتم ذلك جعلتم الشعر أصلاً للقرآن^(١) ، وقالوا : كيف يجوز أن يحتج بالشعر على القرآن وهو مذموم في القرآن والحديث ؟

والحق أن هذه الخصومة التي جدّت في الأجيال المتأخرة لم تقم على أساس ، فالأمر ليس كما يزعمه أصحاب هذا الرأي ، من جعل الشعر أصلاً للقرآن ، بل هو في الواقع بيان للحرف الغريب من القرآن بالشعر ؛ لأن الله - تعالى - يقول : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا ﴾ [الزخرف : ٣] . وقال تعالى : ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾ [الشعراء : ١٩٥] ، ولهذا لم يتحرج المفسرون إلى يومنا هذا من الرجوع إلى الشعر الجاهلي ، للاستشهاد به على المعنى الذي يذهبون إليه في فهم كلام الله تعالى^(٢) .

لقد صرح المؤلف في مقدمة البسيط باعتماده على تفسير ابن عباس ، فقال : وأبتدئ في كل آية عند التفسير بقول ابن عباس ما وجدت له نصّاً . وقد التزم المؤلف هذا الشرط في كتابه ، فنجدّه يصدر كل آية حين تفسيرها بقول ابن عباس ، بصرف النظر عن صحة تلك الرواية أو ضعفها ، إذ لم يكن من شأن الواحدي العناية بهذا الجانب ، وقد بينت ذلك في المآخذ عليه ، وهذا يؤكد ما ذكر عنه في هذا الباب ، ففي مواطن قليلة يعتمد رواية علي بن أبي طلحة الذي يميزه الواحدي بقوله : الوالبي .

(١) ومن هؤلاء الإمام النيسابوري صاحب التفسير المشهور ، فقد صرح بذلك في مقدمة تفسيره ٦/١ .

(٢) نقلاً عن كتاب التفسير والمفسرون ٦٩/١ .

١. الرواية المنسوبة إلى عطاء بن أبي رباح^(١) :

وقد استوعبت هذه الرواية تفسير القرآن مثل ما يبدو من البسيط ، وهي رواية مكذوبة يرويها موسى بن عبد الرحمن الصنعاني^(٢) ، عن عطاء ، عن ابن عباس .

قال ابن حبان^(٣) : «وضع على ابن جريج ، عن عطاء ، عن ابن عباس كتاباً في التفسير ، جمعه من كلام الكلبي ومقاتل بن سليمان ، وألزه بـابن جريج ، عن عطاء ، عن ابن عباس ، ولم يحدث عن ابن عباس ، ولم يحدث به ابن عباس ، ولا عطاء سمعه ، ولا ابن جريج سمع من عطاء ، وإنما سمع ابن جريج من عطاء الخراساني عن ابن عباس في التفسير أحرفاً شبيهة بجزء ، وعطاء لم يسمع من ابن عباس شيئاً ولا رواه ، ولا تحل الرواية عن هذا الشيخ ولا النظر في كتابه إلا على سبيل الاعتبار»^(٤) .

(١) عطاء بن أبي رباح بن أسلم المكي القرشي مولاهم ، أبو محمد ، كان ثقة فقيهاً عالماً كثير الحديث ، روى عن أبي هريرة وابن عباس وجابر ، وغيرهم ، انتهت إليه فتوى أهل مكة ، وكان أعلم الناس بالمناسك ومن أجل تلاميذ ابن عباس . توفي سنة ١١٤ هـ ، وقيل غير ذلك .

انظر : التاريخ الكبير للبخاري ٦/ ٤٦٣ ، وسير أعلام النبلاء ٥/ ٧٨ ، وتهذيب التهذيب ٧/ ١٧٤ .
(٢) هو موسى بن عبد الرحمن الثقفي الصنعاني ، قال ابن حبان : دجال ، وضع على ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس كتاباً في التفسير . وقال الذهبي : دجال . اهـ . وقال ابن عدي منكر الحديث يروي بأباطيل ، يعرف بأبي محمد المفسر ، قال ابن حجر : معروف ليس بثقة .
انظر : ميزان الاعتدال ٤/ ٢١١ ، وديوان الضعفاء والمتروكين ٣١١ ، ولسان الميزان ٦/ ١٢٤ ، والكشف الخفي ١/ ٢٦٣ .

(٣) هو الحافظ العلامة محمد بن حبان بن أحمد بن حبان أبو حاتم البستي التميمي . كان من أوعية العلم في الفقه والحديث واللغة والوعظ ، عاقلاً ثقة نبيلاً ، ذا تصانيف عجيبة ، توفي سنة ٣٥٤ هـ .
انظر : البداية والنهاية ١١/ ٢٩٥ ، وتذكرة الحفاظ للذهبي ٣/ ٩٢٠ ، وطبقات الحفاظ للسيوطي ٣٧٥ .

(٤) المجروحين لابن حبان ٢/ ٢٤٢ .

قال الحافظ بن حجر^(١): «ومن التفاسير الواهية لوهاء رواتها، التفسير الذي جمعه موسى بن عبد الرحمن الثقفي الصنعاني، وهو قدر مجلدين يسنده إلى ابن جريج^(٢) عن عطاء عن ابن عباس، وقد نسب أبو حاتم^(٣) موسى هذا إلى وضع الحديث، ورواه عن موسى عبد الغني بن سعيد الثقفي^(٤) وهو ضعيف^(٥)».

وقد صرح المؤلف في أول كتابه أسباب النزول^(٦) بإسناده إلى هذه الرواية، وهي من طريق الطبراني^(٧)، والطبراني روى قطعة من هذا التفسير في معجمه الكبير، في تفسير الآيات في شأن الإفاك^(٨)، عن شيخه بكر بن سهل الدمياطي^(٩)،

(١) تقدمت ترجمته ٨٤.

(٢) هو عبد الملك بن العزيز بن جريج أبو الوليد، فقيه الحرم المكي، إمام أهل الحجاز في عصره، ثقة جليل القدر كثير الحديث جداً، ولد في مكة سنة ٨٠هـ، قال الذهبي: ثقة لكنه يدلس. توفي -رحمه الله- سنة ١٥٠هـ. انظر: ترجمته سير أعلام النبلاء ٦/٣٢٥، وطبقات المفسرين للدوادري ١/٣٥٩.

(٣) محمد بن إدريس بن المنذر بن داود بن مهران الحنظلي، الغطفاني، الرازي، أبو حاتم، محدث حافظ، أحد أئمة الجرح والتعديل، ولد في الري، وتنقل في العراق والشام ومصر وبلاد الروم، وبرع في المتن والإسناد وجمع وصنف وجرح وعدل وصحح وعلل، من أقران البخاري ومسلم، توفي في بغداد في شعبان سنة ٢٧٧هـ، ومن مصنفاته طبقات التابعين، وتفسير القرآن.

انظر: ترجمته سير أعلام النبلاء ٩/٥٥-٥٩، والتقريب ٤٦٥، والأعلام ٦/٢٧.

(٤) عبد الغني بن سعيد الثقفي، ضعفه ابن يونس، وذكره ابن حبان في الثقات، وقال: مصري يروي عن موسى بن عبد الرحمن الصنعاني، عن هشام بن عروة، قال ابن حجر: ابن يونس أعلم به. توفي سنة ٢٢٩هـ. انظر: الثقات لابن حبان ٨/٤٢٤، ولسان الميزان ٤/٤٥.

(٥) العجائب في بيان الأسباب ١/٢٢٠، وانظر: الدر المنثور ٨/٧٠٠.

(٦) أسباب النزول ٣٣.

(٧) أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي الطبراني، صاحب المعاجم الثلاثة، الإمام المحدث الحافظ الرحالة، ولد سنة ٢٦٠هـ، وله تصانيف كثيرة، ومات سنة ٣٦٠هـ.

انظر: تذكرة الحفاظ ٣/٩١٢، وسير أعلام النبلاء ١٦/١١٩.

(٨) المعجم الكبير ٢٣/١٣٠-١٦١.

(٩) بكر بن سهل بن إسماعيل بن نافع، أبو محمد الهاشمي مولاهم الدمياطي، المفسر المقرئ، ولد سنة ١٩٦هـ، ضعفه النسائي، مات في دمياط سنة ٢٨٩هـ. انظر: ميزان الاعتدال ١/٣٤٥، وسير أعلام النبلاء ١٣/٤٢٥.

عن عبدالغني بن سعيد الثقفي ، قال : حدثنا موسى بن عبدالرحمن الصنعاني عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس ، وعند مقارنته بما نقله المؤلف في البسيط من رواية عطاء عن ابن عباس نجدها مطابقة لرواية الطبراني ، وهذا يدل على أن طريق رواية الواحددي عن عطاء هو ذاك الطريق الواهي الضعيف .

وهذه الرواية لا توجد الآن ، ولا تكاد تُذكر عند أهل الرواية ولا يذكرها إلا الثعلبي أو المؤلف ، أو من ينقل عنهما ، كالبخوي وابن الجوزي والرازي^(١) وغيرهم . والأمثلة على نقل المؤلف من هذه الرواية أكثر من أن تحصى ، بل ينذر أن نجد آية لا يذكر فيها شيئاً منها .

٢. رواية الكلبي^(٢) :

وهي رواية الكلبي عن ابن عباس ، وهي مكذوبة ، وقد أخرج عن ابن عباس تفسيراً كثيراً عن أبي صالح^(٣) عن ابن عباس ، والكلبي متهم بالكذب ، روى

(١) أبو عبدالله محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن التميمي البكري الرازي ، فخر الدين ، المعروف بابن الخطيب ، المولود سنة ٥٤٤ هـ ، مفسر متكلم واعظ على مذهب الأشعري ، وقيل : إنه رجع في آخر عمره عن مذهب الأشعري ، ومن أهم مصنفاته التفسير الكبير المسمى مفاتيح الغيب . توفي سنة ٦٠٦ هـ . انظر : وفيات الأعيان ٢/ ٢٦٥ ، وشذارت الذهب ٥/ ٢٠١ .

(٢) أبو النضر محمد بن السائب بن بشر الكلبي ، النسابة المفسر ، متهم بالكذب ورمي بالرفض ، قال يحيى بن معين : ضعيف . توفي سنة ١٤٦ هـ . انظر : ترجمته في التاريخ الكبير ١/ ١٠١ ، والضعفاء الصغير ١٠١ ، تحقيق محمود زايد ط ١ ، دار الوعي ، كلاهما للبخاري ، وتهذيب الكمال ٢٥/ ٢٥٠ ، والتقريب ١/ ٤٧٩ .

(٣) باذان ، ويقال : باذام ، ويقال : ذكوان ، أبو صالح مولى أم هانئ ، مفسر ومن رواة الأخبار ، روى عن مولاته وأبي هريرة وابن عباس وغيرهم إلا أنه ضعيف .

وقال ابن حبان : يحدث عن ابن عباس ولم يسمع ، وروى عن الكلبي ، قال حبيب بن أبي ثابت : كنا نسمي أبا صالح باذام دروغزن ، وكان الشعبي يمر به فيأخذ بأذنه ، ويقول : ويحك كيف تفسر القرآن وأنت لا تحسن أن تقرأ ، وتركه يحيى بن سعيد القطان ، وابن مهدي ، توفي سنة ١٢٠ هـ تقريباً .

انظر : طبقات ابن سعد ٥/ ٣٠٢ ، والتاريخ الكبير ٢/ ١٤٤ ، والجرح والتعديل ٣/ ٤٤١ ، وسير أعلام النبلاء ٥/ ٣٧ ، ٣٨ ، وتقريب التهذيب ١٢٠ .

البخاري بسنده عن سفيان الثوري^(١) قال : قال لي الكلبي : كل ما حدثتك عن أبي صالح فهو كذب . وقال البخاري^(٢) : أبو النضر الكلبي تركه يحيى بن سعيد^(٣) وابن مهدي^(٤) . وقال أبو حاتم : الناس مجمعون على ترك حديثه ، وهو ذاهب الحديث لا يشتغل به .

قال ابن حجر : «ومن روايات الضعفاء عن ابن عباس التفسير المنسوب لأبي النضر محمد بن السائب الكلبي ، فإنه يرويه عن أبي صالح ، وهو مولى أم هانئ ، عن ابن عباس . والكلبي اتهموه بالكذب ، وقد مرض ، فقال لأصحابه في مرضه : كل شيء حدثكم عن أبي صالح كذب»^(٥) .

(١) سفيان بن سعيد بن مسروق بن حبيب الثوري الكوفي الفقيه ، الإمام الحافظ المجتهد سيد أهل زمانه علماً وعملاً ، ولد سنة ٩٧ هـ ، روى له الجماعة ، توفي سنة ١٦١ هـ ، بالبصرة .

انظر : طبقات ابن سعد ٦ / ٣٧١ ، وحلية الأولياء ٦ / ٣٥٦ .

(٢) التاريخ الكبير ١ / ١٠١ ، والضعفاء الصغير ١٠١ تحقيق محمود زايد ط ١ ، دار الوعي ، كلاهما للبخاري .

(٣) يحيى بن سعيد بن فروخ التميمي مولا هم البصري القطان أبو سعيد ، الإمام الحافظ المحدث ، الثقة المتقن ، أمير المؤمنين في الحديث ، أخرج حديثه الجماعة ، روى عنه أحمد وعلي بن المديني ويحيى بن معين وغيرهم من الأئمة ، وكان من سادات أهل البصرة وقرائهم ، ولد سنة ١٢٠ هـ ، وتوفي سنة ١٩٨ هـ . انظر في : ترجمته طبقات ابن سعد ٧ / ٢٩٣ ، وسير أعلام النبلاء ٩ / ١٧٥ .

(٤) عبدالرحمن بن مهدي بن حسان بن عبدالرحمن أبو سعيد العنبري الإمام المحدث الكبير ، ولد سنة ١٣٥ هـ ، وخرج الجماعة حديثه ، توفي سنة ١٩٨ هـ في البصرة . انظر : طبقات ابن سعد ٧ / ٢٩٧ ، وحلية الأولياء ٩ / ٣ .

(٥) العجائب في بيان الأسباب ١ / ٢٠٩ .

وقال السيوطي : «وأوهى طرقه -يعني تفسير ابن عباس- طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس ، فإن انضم إلى ذلك رواية محمد بن مروان السدي الصغير^(١) ، فهي سلسلة الكذب ، وكثيراً ما يخرج منها الثعلبي والواحدي^(٢) .

٣. تفسير تنوير المقباس :

وقد نسب هذا التفسير إلى ابن عباس ، وقد طبع في مصر مراراً باسم تنوير المقباس في تفسير ابن عباس ، جمعه أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي الشافعي^(٣) ، صاحب القاموس المحيط ، وقال الدكتور محمد حسين الذهبي في كتابه الماتع التفسير والمفسرون : «وقد اطلعت على هذا التفسير ، فوجدت جامعه يسوق عند الكلام عن البسملة الرواية عن ابن عباس بهذا السند : أخبرنا عبدالله الثقة بن المأمون الهروي ، قال : أخبرنا أبي ، قال : أخبرنا أبو عبدالله محمود بن محمد الرازي ، قال : أخبرنا عمار بن عبدالمجيد الهروي ، قال : أخبرنا علي بن إسحاق السمرقندي ، عن محمد بن مروان ، عن الكلبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس . وعند تفسير أول البقرة ، وجدته يسوق الكلام بإسناده إلى عبدالله بن المبارك ،

(١) محمد بن مروان السدي الكوفي ، وهو السدي الصغير أحد المتروكين ، قال الذهبي : تركوه واتهمه بعضهم بالكذب ، وهو صاحب الكلبي . قال البخاري : سكتوا عنه ، وهو مولى الخطابين ولا يكتب حديثه ألبتة ، وقال ابن معين : ليس بثقة ، وقال أحمد : أدركته وقد كبر فتركته . انظر : ميزان الاعتدال ٣٢ / ٤ ، وسير أعلام النبلاء ٥ / ٢٦٥ .

(٢) الإتيقان ١٨٩ / ٢ .

(٣) محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم ، الفيروزآبادي الشافعي ، أبو طاهر ، ولد في كازورن من أعمال شيراز سنة ٧٢٩هـ ، ونشأ بها ، وانتقل إلى شيراز وأخذ الأدب واللغة عن والده وغيره من علماء شيراز ، ورحل إلى العراق ومصر والشام واليمن وغيرها من البلاد ، وأخذ عن علمائها ، وتولى قضاء اليمن كله ، وجاور مكة والمدينة ، وتوفي سنة ٨١٧هـ .

من تصانيفه القاموس المحيط ، وبصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، وفتح الباري بالسبل الفسيح الجاري في شرح صحيح البخاري ، وغيرها من التصانيف .

انظر : الضوء اللامع للسخاوي ٧٦ / ١٠ - ٧٩ ، وبغية الوعاة ١١٧ ، ١١٨ ، وشذرات الذهب لابن عماد ١٢٦ / ١٠ - ١٣١ .

قال : حدثنا علي بن إسحاق السمرقندي عن محمد بن مروان ، عن الكلبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس . وفي مبدأ كل سورة يقول : وبإسناده عن ابن عباس .

وهكذا يظهر لنا جلياً أنَّ جميع ما روي عن ابن عباس في هذا الكتاب يدور على محمد بن مروان السدي الصغير ، عن محمد بن السائب الكلبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، وقد عرفنا مبلغ رواية السدي الصغير عن الكلبي سابقاً .

وحسبنا في التعقيب على هذا ما روي من طريق ابن عبدالحكم قال : سمعت الشافعي يقول : «لم يثبت عن ابن عباس في التفسير إلا شبيهه بمائة حديث»^(١) . وهذا الخبر -إن صح عن الشافعي- يدلنا على مقدار ما كان عليه الوضّاعون من الجرأة على اختلاق هذه الكثرة من التفسير المنسوبة إلى ابن عباس ، وليس أدل على ذلك من أنك تلمس التناقض ظاهراً بين أقوال في التفسير نُسِبَتْ إلى ابن عباس ورويت عنه . إن هذا التفسير المنسوب إلى ابن عباس لم يفقد شيئاً من قيمته العلمية في الغالب ، وإنما الشيء الذي لا قيمة له فيه ، هو نسبته إلى ابن عباس»^(٢) .

٤ . رواية الضحاك :

أمّا طريق الضحاك بن مزاحم الهلالي^(٣) عن ابن عباس فهي غير مرضية ؛ لأنه ، وإن وثّقه نفر ، فطريقه إلى ابن عباس منقطعة ؛ لأنه روى عنه ولم يلقه ، فإن

(١) الإتيان ١٨٩/٢ .

(٢) التفسير والمفسرون ٨٢/١ .

(٣) الضحاك بن مزاحم الهلالي البلخي ، أبو القاسم أو أبو محمد الخراساني ، قال سفيان الثوري : خذوا التفسير عن أربعة ؛ سعيد بن جبير ، والضحاك بن مزاحم ، ومجاهد بن جبر ، وعكرمة .

قال ابن حبان : من زعم أنه رأى ابن عباس فقد وهم . وقال ابن عدي : عُرف بالتفسير ، وأما روايته عن ابن عباس وأبي هريرة وجميع من روى عنهم ، ففي ذلك كله نظر وإنما اشتهر بالتفسير . وثقه أحمد ، وابن معين ، وأبو زرعة ، وضعفه يحيى بن سعيد ، اختلف في سنة وفاته

فقبل ١٠٥هـ أو ١٠٦هـ .

انضم إلى ذلك رواية بشر بن عمار^(١)، عن أبي روق^(٢)، عن الضحاك، فضعيفة لضعف بشر، وقد أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم من هذه النسخة كثيراً.

وإن كان من رواية جوير^(٣) عن الضحاك فأشد ضعفاً؛ لأن جوير شديد الضعف متروك، ولم يخرج ابن جرير ولا ابن أبي حاتم من هذه الطريق شيئاً،

= انظر: التاريخ الكبير ٣٣٢/٤، والثقات لابن حبان ٤٨٠/٦، والكمال في الضعفاء ٩٥/٤، والتقريب: ٢٨٠/١.

(١) بشر بن عمار الخثعمي الكوفي، روى عن الأحوص بن حكيم، وإدريس بن سنان ابن بنت وهب بن منبه، وأبي روق عطية بن الحارث الهمداني، وروى عنه أحمد بن موسى، وجبارة بن مغلس الحماني، والحسن بن عبد الرحمن، وزكريا بن عدي، وغيرهم.

قال أبو حاتم: ليس بالقوي في الحديث، وقال عنه البخاري: تعرف وتنكر، وذكره النسائي في الضعفاء، وقال ابن حبان: يخطئ حتى يخرج عن حد الاحتجاج.

انظر: التاريخ الكبير ٨٠/٢، والضعفاء للنسائي ٦، والمجروحين لابن حبان ١٨٨/١.

(٢) أبو روق عطية بن الحارث الهمداني، صاحب التفسير، صدوق من الطبقة الخامسة.

انظر: الجرح والتعديل ٣٨٢/٦ رقم ٢١٢٢، والتقريب ٢٤/٢ رقم ٢١٥.

(٣) جوير بن سعيد الأزدي، يقال له جابر، وجوير لقب، أبو القاسم البلخي، صاحب الضحاك، راوي التفسير، ضعيف جداً، ضعفه علي ويحيى بن سعيد.

وقال أحمد: لا يشتغل بحديثه. وقال ابن معين: ليس بشيء.

وقال النسائي وعلي بن الجنيّد والدارقطني: متروك.

انظر: التهذيب ٣١/١ رقم ٨٣، والكاشف ٥/١ رقم ٨٠١.

إنما خرجها ابن مردويه^(١)، وأبو الشيخ أبو محمد عبدالله بن حيان^(٢)، وهذا ما أفاده السيوطي^(٣).

٥. رواية العوفي^(٤):

وهي ضعيفة، فقد كان يخطئ كثيراً، وكان شيعياً مدلساً، قال الإمام أحمد: بلغني أن عطية كان يأتي الكلبي فيأخذ عنه التفسير، وكان يكنيه بأبي سعيد، فيقول: قال أبو سعيد، قال الذهبي: يعني يوهم أنه الخدري، وهذه الطريقة أخرج منها ابن جرير، وابن أبي حاتم كثيراً.

(١) أبو بكر أحمد بن موسى بن مردويه بن فورك الأصبهاني صاحب التفسير الكبير، محدث أصبهان، ولد سنة ٣٢٣هـ، من مصنفاته التاريخ، والمستخرج على صحيح البخاري، توفي سنة ٤١٠هـ. انظر: تاريخ أصبهان ١/١٦٨، وسير أعلام النبلاء ١٧/٢٠٨.

(٢) أبو محمد عبدالله بن محمد بن جعفر بن حيان المعروف بأبي الشيخ، الإمام الحافظ محدث أصبهان، صاحب التصانيف، ولد سنة ٢٧٤هـ، من مؤلفاته كتاب السنة، والعظمة، وكتاب السنن، توفي سنة ٣٦٩هـ.

انظر: تذكرة الحفاظ ٣/٩٤٥، وسير أعلام النبلاء ١٦/٢٧٦.

(٣) الإنتقان ٢/١٨٩.

(٤) عطية بن سعد بن جنادة الجديلي العوفي الكوفي، أبو الحسن، كان من غلاة الشيعة. قال أحمد: ضعيف. وقال أبو زرعة: لين.

وقال أبو حاتم: ضعيف وأبو نضرة أحب إلي منه، توفي سنة ١١١هـ.

انظر: الميزان ٣/٧٩، وتهذيب التهذيب ٢/٢٩٤، ٧/٢٢٤، وتاريخ بغداد ٥/٣٣٢، والجرح والتعديل ٣/٤٨ رقم ٢١٥، ولسان الميزان ٥/١٧٤، وتقريب التهذيب ١/٦٧٨.

٦. رواية السدي الكبير :

يروى إسماعيل بن عبدالرحمن السدي الكبير^(١)، تارة عن أبي مالك^(٢)، وتارة عن أبي صالح عن ابن عباس . وإسماعيل السدي مختلف فيه ، وحديثه عند مسلم وأهل السنن الأربعة ، وهو تابعي شيعي .

وقال السيوطي : «روى عن السدي الأئمة مثل الثوري وشعبة ، لكن التفسير الذي جمعه رواه أسباط بن نصر^(٣) ، وأسباط لم يتفقوا عليه ، غير أن أمثل التفاسير تفسير السدي»^(٤) .

وابن جرير يورد في تفسيره كثيراً من تفسير السدي عن أبي مالك عن أبي صالح عن ابن عباس ، ولم يخرج منه ابن أبي حاتم شيئاً ؛ لأنه التزم أن يخرج أصح ما ورد^(٥) .

(١) إسماعيل بن عبدالرحمن بن أبي كريمة المعروف بالسدي الكبير ، أبو محمد الكوفي ، صاحب التفسير والمغازي ، كان إماماً عارفاً بالوقائع وأيام الناس ، وتفسيره أثني عليه ، قال ابن معين : ضعيف ، وليه أبو زرعة ، وقال أبو حاتم : يكتب حديثه . قال عنه ابن حجر : صدوق يهم ، رمي بالتشيع ، توفي سنة ١٢٧هـ .

انظر : الجرح والتعديل ٢/ ١٨٤ ، وتقريب التهذيب ١٠٨ ، وطبقات ابن سعد ٦/ ٣٢٣ .

(٢) غزوان الغفاري أبو مالك الكوفي مشهور بكنيته ، ثقة من الثالثة ، روى عنه أصحاب السنن . انظر : تقريب التهذيب ٤٤٢ .

(٣) أسباط بن نصر الهمداني ، أبو يوسف ، ويقال أبو نصر الكوفي ، روى عن إسماعيل بن عبدالرحمن السدي ، وجابر بن يزيد الجعفي ، والحكم بن عبدالملك ، وسماك بن حرب وغيرهم . وروى عنه أحمد بن الفضل الحفري ، وإسحاق بن منصور السلولي ، والحسن بن بشر البجلي وغيرهم . قال أبو حاتم : سمعت أبا نعيم يضعف أسباط بن نصر ، وقال : أحاديثه عامة سقط مقلوب الأسانيد . وقال النسائي : ليس بالقوي .

روى له الجماعة إلا البخاري معلقاً .

انظر : طبقات ابن سعد ٦/ ٢٦١ ، والتاريخ الكبير ٢/ ٥٣ ، ١٦٥٦ ، والجرح والتعديل ٢/ ٣٣٢ ، ١٢٦١ ، والميزان ١/ ٣٥ .

(٤) الإتيان ٢/ ١٨٨ .

(٥) التفسير والمفسرون ١/ ٧٩ ، وتفسير ابن عباس للدكتور الحميدي ١/ ٢٧ ، ٢٨ .

٧. رواية الوالبي^(١):

وهي من أحسن الطرق عن ابن عباس ، وهو صدوق ، ولكنه لم يلقَ ابن عباس ، وإنما أخذ تفسيره من مجاهد^(٢) ، وله صحيفة في هذا التفسير أخرج منها البخاري كثيراً في صحيحه في ما يعلقه عن ابن عباس ، وأكثر منها ابن جرير في تفسيره ، وقد قال الإمام أحمد : « بمصر صحيفة في التفسير رواها علي بن أبي طلحة ، لو رحل فيها رجل إلى مصر قاصداً ما كان كثيراً »^(٣) .

وقد طعن بعض العلماء في تفسير علي بن أبي طلحة بأنه منقطع ، إذ لم يسمع من ابن عباس ، وقال الحافظ بن حجر راداً على ذلك : « بعد أن عُرِفَت الوسطة وهو ثقة ، فلا ضير في ذلك »^(٤) .

وكثيراً ما اعتمد على هذه الطريقة ابن جرير الطبري ، وابن أبي حاتم ، وابن المنذر بوسائط بينهم وبين أبي صالح . ومسلم وأصحاب السنن يحتاجون بعلي بن أبي طلحة .

(١) علي بن أبي طلحة مولى بني العباس ، واسم أبيه سالم بن مخارق الهاشمي ، أبو الحسن ويقال أبو محمد ، وأصله من الجزيرة ، وانتقل إلى حمص ، وهو صدوق كثير الإرسال ، مات سنة ١٤٣ هـ .
انظر : التاريخ الكبير ٦ / ٢٨١ ، وتهذيب الكمال ٢٠ / ٤٩٠ ، والكاشف ٢ / ٤١ ، وتهذيب التهذيب ٣٣٩ / ٧ .

(٢) أبو الحجاج ، مجاهد بن جبر المكي ، تابعي جليل ، مقرر مفسر ، حافظ ثقة ، سمع من عدد من الصحابة ، ولازم ابن عباس ، وقرأ عليه القرآن ، وتلقى عنه التفسير ، وكان أحد أوعية العلم ، توفي سنة ١٠٣ هـ .

انظر : طبقات ابن سعد ٥ / ٤٦٦ ، والتاريخ الكبير ٧ / ٤١١ ، والحلية لأبي نعيم ٣ / ٢٧٩ ، ومعرفة القراء الكبار للذهبي ١ / ٦٦ ، وتهذيب التهذيب ٧ / ٣٣٩ .

(٣) الإتيان ٢ / ١٨٨ ، وانظر : تفسير ابن عباس ومروياته في التفسير من كتب السنة ، للدكتور عبدالعزيز الحميدي ١ / ٢٥ .

(٤) المصدر السابق .

٨. طريق قيس بن مسلم الكوفي^(١) :

عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، وهذه الطريق صحيحة على شرط الشيخين ، وكثيراً ما يخرج منها الفريابي والحاكم في مستدركه .

٩. طريق ابن إسحاق^(٢) صاحب السير :

عن محمد بن أبي محمد مولى آل زيد بن ثابت ، عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس ، وهي طريق جيدة وإسنادها حسن ، وقد أخرج منها ابن جرير وابن أبي حاتم كثيراً ، وأخرج الطبراني منها في معجمه الكبير .

١٠. طريق عبد الملك بن جريج^(٣) عن ابن عباس :

تحتاج إلى دقة في البحث ، ليعرف الصحيح منها والسقيم ، فإن ابن جريج لم يقصد الصحة في ما جمع ، وإنما روى ما ذكر في كل آية من الصحيح والسقيم ، فلم يتميز في روايته الصحيح من غيره ، وقد روى عن ابن جريج هذا جماعة كثيرة ،

(١) لعله قيس بن مسلم الجدي الكوفي ، أبو عمرو ، الإمام المحدث الثقة ، وثقه أحمد ، وقال مرة : متقن للحديث لا تبالي إذا أخذت عنه حديثه . قال أبو داود : كان مرجحاً . وقال ابن عيينة : كانوا يقولون : ما رفع قيس رأسه إلى السماء منذ كذا وكذا تعظيماً لله ، توفي سنة ١٢٠هـ .

انظر : طبقات ابن سعد ٣١٧/٦ ، وطبقات خليفة ١٦٠ ، والتاريخ الكبير ١٥٤/٥ ، وتهذيب الكمال ٨١/٢٤ .

(٢) محمد بن إسحاق بن يسار ، العلامة الحافظ الأخباري ، وقيل أبو عبدالله القرشي المطلي مولا هم المدني صاحب السيرة النبوية ، ولد سنة ٨٠هـ ، وثقه يحيى بن معين . وقال أحمد : حسن الحديث . وقال الذهبي : وقد أمسك عن الاحتجاج بروايات ابن إسحاق غير واحد من العلماء لأشياء ، منها تشييعه ، ونسب إلى القدر ، ويدلس في حديثه ، فأما الصدق فليس بمدفوع عنه . انظر : طبقات ابن سعد ٣٢١/٧ ، والكامل لابن عدي ٢٥/٣ ، وسير أعلام النبلاء ٣٣/٧ .

(٣) عبد الملك بن عبدالعزيز بن جريج ، الإمام العلامة ، الحافظ شيخ الحرم ، أبو الوليد القرشي الأموي ، المكي صاحب التصانيف ، أول من دَوَّن العلم في مكة . توفي - رحمه الله - سنة ١٥٠هـ . انظر : طبقات ابن سعد ٤٩١/٥ ، وتاريخ الإسلام ٩٦/٦ ، وسير أعلام النبلاء ٣٢٥/٦ .

منهم بكر بن سهل الدمياطي ، عن عبدالغني بن سعيد ، عن موسى بن محمد ، عن ابن جريج ، عن ابن عباس ، ورواية بكر بن سهل أطول الروايات عن ابن جريج ، وفيها نظر ، ومنهم محمد بن ثور ، عن ابن جريج ، عن ابن عباس ، روى ثلاثة أجزاء كبار ، ومنهم الحجاج بن محمد عن ابن جريج ، روى جزءاً وهو صحيح متفق عليه .

ولأجل هذا الاختلاف بين الطرق الماثورة عن ابن عباس ، فقد افترق المفسرون تجاه تفسيره إلى ثلاث فرق^(١) ؛ الأولى : أخذت بكل ما روي عنه ، فوقعوا في كثير من المرويات الضعيفة والموضوعة ، وعلى رأس هذه الفرقة في هذا الاتجاه الثعلبي والمؤلف ، وتبعهم على ذلك من اعتمد على تفاسيرهم ، وأكثر النقل عنهم .

الثانية : اقتصروا على رواية الصحيح من دون غيره ، لكنهم لم يرووا عنه إلا القليل ، ومن أبرز هؤلاء الشيوخان ؛ البخاري ومسلم في صحيحهما .

الثالثة : تجنبوا الأحاديث الموضوعة ؛ لشهرة رواتها من الكذابين ، ولكنهم خلطوا بين الروايات الصحيحة والضعيفة ، وهؤلاء هم أكثر المفسرين الذين اهتموا بنقل تفسير الصحابة والتابعين ، كالإمام ابن جرير وابن أبي حاتم^(٢) ،

(١) انظر هذا التفصيل في : كتاب تفسير ابن عباس للدكتور الحميدي ٢٧/١ ، ٢٨ .

(٢) عبدالرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر الحنظلي الرازي ، أبو محمد ، اشتهر بابن أبي حاتم ، الإمام المحدث الأصولي الفقيه ، المفسر الناقد ، ولد سنة ٢٤٠ هـ ، تلقى العلم عن أبيه وغيره من علماء الري ، ثم انتقل إلى مكة المكرمة وسمع من مشايخها ، ثم رحل إلى السواحل والشام ومصر وأصبهان ، ثم رجع إلى الري يدرس ، ويصنف ويؤلف إلى أن وافته المنية سنة ٣٢٧ هـ عن عمر ٨٧ عاماً ، من تصانيفه تفسير القرآن الكريم ، والجرح والتعديل ، والرد على الجهمية ، ومناقب الشافعي ، والمسنند ، وكتاب الضعفاء . انظر : الأنساب للسمعاني ٢٨٧/٤ ، وسير أعلام النبلاء ١٣/٢٤٦ ، وتذكرة الحفاظ ٨٣٩/٣ .

وكذلك الذين رووا بعض تفسير ابن عباس من علماء السنة ؛ مثل : عبدالرزاق الصنعاني^(١) ، والإمام أحمد ، والترمذي ، والحاكم ، والبيهقي^(٢) .

قال الدكتور الحميدي : «وقد نقل كثير من المفسرين المتأخرين هذه الروايات من غير تمييز بينها ، وأحياناً ينقلونها من غير إسناد ، إلا أن بعضهم يبين ضعف الروايات أحياناً ، إذا كان الموضوع مهماً مثل آيات العقائد والأحكام ، منهم كالحافظ ابن كثير»^{(٣)(٤)} .

(١) عبدالرزاق بن همام بن نافع ، أبو بكر الحميري ، مولا هم الحميري ، أحد الحفاظ الثقات المشهورين المتفق على تخريج حديثه ، ولد سنة ١٢٦ هـ ، روى له الجماعة ، قدم الشام تاجراً ، وسمع الأوزاعي وسعيد بن جبير ومحمد بن راشد المكحولي وإسماعيل بن عياش وغيرهم ، توفي سنة ٢١١ هـ عن خمس وثمانين عاماً ، وكان فيه تشيع ، من أهم تصانيفه المصنف ، وتفسير عبدالرزاق .
انظر : ترجمته في التاريخ الكبير ٦ / ٢٣٠ ، والتاريخ الصغير ٢ / ٣٢٠ ، الثقب لابن حبان ٨ / ٤١٢ ، وتهذيب الكمال ١٨ / ٥٢ ، وطبقات المدلسين ١ / ٣٤ .

(٢) الفقيه الأصولي ، الحافظ الورع واحد زمانه في الحفظ والإنقان ، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن يونس ، صاحب التصانيف الكثيرة المشهورة ، ولد سنة ٣٨٤ هـ في شعبان ، وتلقى العلم عن علماء خراسان ونيسابور ، وانتقل إلى بغداد والكوفة والحجاز وغيرها من البلاد ، توفي - رحمه الله - في العاشر من جمادى الأولى من سنة ٤٥٨ هـ في نيسابور ، ونقل في تابوت إلى بيهق دفن فيها ، ومن تصانيفه السنن الكبرى ، ومعرفة السنن والآثار ، وشعب الإيمان . انظر : الأنساب للسمعاني ٢ / ٣٨١ ، والكمال لابن الأثير ٨ / ١٠٤ ، وطبقات الشافعية ٤ / ٩ ، وتذكرة الحفاظ ٣ / ١١٣٢ .

(٣) عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي الشافعي ، الإمام المحدث المفسر المؤرخ ، صاحب التفسير المشهور ، أخذ العلم عن ابن تيمية والمزي ، وهو من أقران الذهبي وابن القيم ، توفي - رحمه الله - سنة ٧٧٤ هـ ، من مصنفاته : البداية والنهاية ، وتفسير القرآن العظيم ، والباعث الحثيث ، وغيرها من العلوم النافعة ، أسكنه الله فسيح جناته . انظر : تذكرة الحفاظ ٤ / ١٥٠٨ ، والدرر الكامنة ١ / ٣٩٩ .

(٤) تفسير ابن عباس في الكتب الستة للدكتور الحميدي ١ / ٢٨ .

١١. تفسير مقاتل بن سليمان، المتوفى ١٥٠هـ:

اعتمد المؤلف طريق مقاتل بن سليمان الأزدي الخراساني^(١)، وهو المفسر الذي ينسب إلى الشافعي أنه قال فيه: «إن الناس عيال عليه في التفسير»^(٢)، ومع ذلك فقد ضَعَّفوه، وقالوا: إنه يروي عن مجاهد وعن الضحاك ولم يسمع منهما.

وقد كذبه غير واحد، ولم يوثِّقه أحد، واشتهر عنه التجسيم والتشبيه^(٣)، وتكلم عليه السيوطي، فقال: «إن الكلبي يفضل عليه، لما في مقاتل من المذاهب الرديئة»^(٤). وقد سئل وكيع عن تفسير مقاتل، فقال: «لا تنظروا فيه»، فقال السائل: ما أصنع به؟ قال: ادفنه، يعني التفسير^(٥)، وقال أحمد بن حنبل: لا يعجبني أن أروي عن مقاتل بن سليمان شيئاً^(٦). وبالجملة فإنَّ من استحسَّن تفسير مقاتل كان يضعِّفه، ويقول «ما أحسن تفسيره لو كان ثقة»^(٧).

-
- (١) أبو الحسن، كبير المفسرين مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي الخراساني، البلخي، مفسر، متكلم، مشارك في القراءات واللغة.
- قال ابن عينة: قلت لمقاتل: زعموا أنك لم تسمع من الضحاك. قال كان يغلق عليّ وعليه باباً. فقلت في نفسي: أجل، باب المدينة.
- وقال وكيع: كان كذاباً. قال البخاري: مقاتل لا شيء ألبته.
- وقال الذهبي: أجمعوا على تركه. مات سنة ١٥٠هـ، ومن مصنفاته: التفسير الكبير، والرد على القدرية، والوجوه والنظائر في القراءات، والأقسام واللغات، والآيات المتشابهات. انظر: طبقات ابن سعد ٣٧٣/٧، والتاريخ الصغير ٢/٢٢٧، والجرح والتعديل ٨/٣٥٤، ٣٥٥، وتهذيب الكمال ٢٨/٤٣٤-٤٥١، وسير أعلام النبلاء ٧/٢٠١، ٢٠٢، ومعجم المؤلفين ٣/٩٠٥، ٩٠٦.
- (٢) وفيات الأعيان ٢/٧٦٧.
- (٣) إيثار الحق ١٥٩.
- (٤) الإقتان ٣/١٨٩.
- (٥) تهذيب الأسماء واللغات ٢/١١١.
- (٦) المصدر السابق.
- (٧) التفسير معالم حياته - منهجه اليوم ٩.

ولا اعتماد المؤلف هذا الطريق تردد اسم مقاتل كثيراً في البسيط ، وهذا يدل على أنه من مصادره الرئيسة التي أفاد منها ، وأغلب نقولاته عنه كانت مع العزو ؛ تارة بنصه وتارة بالمعنى والتصرف في العبارة ، ويبدو أن الواحدي نقل عن مقاتل بوساطة شيخه الثعلبي ؛ وقد تبين ذلك بأمرين :

١ . اختلاف عبارة الواحدي المنسوبة لمقاتل عن تفسير مقاتل ، وتطابقها مع عبارة الثعلبي .

٢ . عدم وجود القول أحياناً في تفسير مقاتل ، ووروده بنصه في تفسير الثعلبي منسوباً لمقاتل .

وقد يصعب ضرب الأمثلة ؛ لكثرة استشهاده بآراء مقاتل . وهناك مشكلة يجدر الإشارة إليها ، وهي الالتباس بين مقاتل بن سليمان ومقاتل بن حيان في التفسير ، وذلك عند إطلاق الواحدي اسم مقاتل من دون تحديد ، ومع أنه من خلال الاستقراء ظهر أنه يقصد عند الإطلاق مقاتل بن سليمان ، إلا أنه يقصد به أحياناً ابن حيان ، وما أدري لعل بعض النصوص التي ذكرت أنها وردت في تفسير مقاتل بمعناه أن تكون قد وردت في تفسير مقاتل بن حيان بنصه ، ولم أستطع التحقق من ذلك ؛ لأن تفسيره مفقود - بحسب علمي - وكذلك ما يرد في تفسير الثعلبي ولا يكون في تفسير مقاتل بن سليمان ، فلعله يكون من تفسير مقاتل بن حيان وأبهمه الثعلبي ، خاصة أن تفسيره من مصادر الثعلبي - كما ذكر في مقدمته - ومن أمثلة ذلك :

عند قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [إبراهيم : ٣٦] ، أطلق اسم مقاتل وهو ابن حيان ، فقال : وقال مقاتل : ومن عصاني في ما دون الشرك فإنك غفور رحيم ؛ فمقاتل هنا هو ابن حيان ، فقد وردت هذه العبارة بنصها منسوبة إليه في تفسير الثعلبي : ١٥٦ / ٧ ب ، والبغوي : ٣ / ٣٧ ، وابن الجوزي :

٣٦٥ / ٤ ، أما في تفسير مقاتل بن سليمان : ١ / ١٩٤ أ ، فعبارته ، قال : ومن عصاني فكفر فإنك غفور رحيم .

ومثله عند قوله تعالى : ﴿وَأَتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ [النحل: ١٢٢] ، قال : وقال مقاتل : يعني الصلوات عليه مقرونةً بالصلاة على محمد ﷺ ؛ وهو قول المتشهد : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم ، فهذا الخبر نُسِبَ إلى مقاتل بن حيان في تفسير البغوي وابن الجوزي ، ولم أجده في تفسير مقاتل بن سليمان .

وعند قوله تعالى : ﴿وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ [الإسراء: ٧٠] قال : وقال مقاتل : السمن والزبد والحلاوي ، وجعل رزق غيرهم ما لا يخفى عليكم ، وهذا القول بنصه في تفسير الثعلبي : ٧ / ١٤٤ أ ، ولم يرد في تفسير مقاتل بن سليمان ، فلعله من تفسير مقاتل بن حيان .

ثانياً : تفسير الطبري^(١) أو جامع البيان عن تأويل آي القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري : (٢٢٤)^(٢) .

التعريف بهذا التفسير وطريقة مؤلفه فيه :

يعدُّ تفسير ابن جرير من أقوم التفاسير وأشهرها ، ويعدُّ أيضاً المرجع الأول عند المفسرين الذين عنوا بالتفسير النقلي ، وإن كان في الوقت نفسه مرجعاً غير قليل الأهمية من مراجع التفسير العقلي ؛ نظراً لما فيه من الاستنباط ، وتوجيه الأقوال ، وترجيح بعضها على بعض ترجيحاً يعتمد على النظر العقلي ، والبحث الحر الدقيق .

ويقع تفسير ابن جرير في ثلاثين جزءاً من الحجم الكبير ، وقد كان هذا الكتاب من عهد قريب يعدُّ مفقوداً لا وجود له ، ثم قدَّر الله له الظهور والتداول ، فكانت مفاجأة سارة للأوساط العلمية في الشرق والغرب أن وجدت - في حيازة أمير (حائل) الأمير حمود بن عبدالرشيد من أمراء نجد- نسخة مخطوطة كاملة من

(١) طبع هذا التفسير طبعات عدة ، أشهرها طبعة البابي الحلبي بمصر ، وأفضلها التي حققها العلامة أحمد شاكر وأخوه محمود ، لكنها لم تكتمل .

(٢) الإمام العلم الفرد القدوة الحافظ صاحب التصانيف المشهورة ، أبو جعفر ، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب من أهل آمل طبرستان ، أكثر التطواف وسمع كبار المشايخ ، ولد سنة ٢٢٤ هـ ، وكان من أفراد الدهر علماً وذكاءً ، وقلَّ أن ترى العيون مثله . قال الخطيب : كان ابن جرير أحد أئمة العلماء يحكم بقوله ويرجع إلى رأيه معرفته وفضله ، وكان قد جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره ، فكان حافظاً لكتاب الله ، عارفاً بالقراءات ، بصيراً بالمعاني ، فقيهاً بالأحكام ، عالماً بالسنن وطرقها ، وصحيحها وسقيمها ، وناسخها ومنسوخها ، عارفاً بأقوال الصحابة والتابعين الحلال والحرام ، عارفاً بأيام الناس وأخبارهم ، وله تصانيف حسان كثيرة ، وتفرَّد بمسائل حفظت عنه . توفي - رحمه الله - سنة ٣١٠ هـ . ومن تصانيفه تاريخ الأمم والملوك ، وجامع البيان عن تأويل آي القرآن ، وتهذيب الآثار ، واختلاف الفقهاء . انظر : تاريخ بغداد ٢/ ١٦٢ ، وتاريخ دمشق ٥٢/ ١٨٨ ، ومعجم الأدباء ١٨/ ٩٠ ، ووفيات الأعيان ٤/ ١٩١ ، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٧١٠ .

هذا الكتاب ، طبع عليها الكتاب من زمن قريب ، فأصبحت في يدنا دائرة معارف غنية في التفسير المأثور^(١) .

ولو أننا تتبّعنا ما قاله العلماء في تفسير ابن جرير ، لوجدنا أن الباحثين في الشرق والغرب قد أجمعوا الحكم على عظيم قيمته ، واتفقوا على أنه مرجع لا غنى عنه لطالب التفسير ، فقد قال السيوطي رضي الله عنه : وكتابه -يعني تفسير محمد بن جرير- أجل التفاسير وأعظمها ، فإنه يتعرض لتوجيه الأقوال ، وترجيح بعضها على بعض ، والإعراب ، والاستنباط ، فهو يفوق بذلك على تفاسير الأقدمين^(٢) .

وقال النووي : «أجمعت الأمة على أنه لم يُصنّف مثل تفسير الطبري»^(٣) . وقال أبو حامد الإسفراييني : «لو سافر رجل إلى الصين حتى يحصل على كتاب تفسير محمد بن جرير لم يكن ذلك كثيراً»^(٤) .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : «وأما التفاسير التي في أيدي الناس ، فأصحها تفسير ابن جرير الطبري ؛ فإنه يذكر مقالات السلف بالأسانيد الثابتة ، وليس فيه بدعة ، ولا ينقل عن المتهمين ، كمقاتل بن بكير^(٥) والكلبي»^(٦) .

ويذكر صاحب لسان الميزان أن ابن خزيمة استعار تفسير ابن جرير من ابن خالويه فردّه بعد سنين ، ثم قال : «نظرت فيه من أوله إلى آخره فما أعلم على أديم

(١) المذاهب الإسلامية في تفسير القرآن ٨٦ .

(٢) الانتقان ٢ / ١٩٠ .

(٣) المرجع السابق .

(٤) معجم الأدباء ٤٢ / ١٨ .

(٥) هكذا بالأصل ؛ ولعله ابن سليمان ، وهو مقاتل بن سليمان بن بشير ، وهو متهم بالكذب .

(٦) فتاوى ابن تيمية ٢ / ١٩٢ .

الأرض أعلم من ابن جرير» ، فابن خزيمة ما شهد هذه الشهادة إلا بعد أن أطلع على ما في هذا التفسير من علم واسع غزير .

هذا وقد كتب نولدكه في سنة ١٨٦٠ م بعد اطلاعه على بعض فقرات من هذا الكتاب : «لو كان بيدنا هذا الكتاب لاستغنيا به عن كل التفسير المتأخرة ، ومع الأسف فقد كان يظهر أنه مفقود تماماً ، وكان مثل تاريخه الكبير مرجعاً لا يغيض معينه أخذ عنه المتأخرون معارفهم»^(١) .

ويظهر مما بأيدينا من المراجع ، أن هذا التفسير كان أوسع مما هو عليه اليوم ، ثم اختصره مؤلفه إلى هذا القدر الذي هو عليه الآن ، وقد ظفر كتابه في التاريخ بمثل هذا البسط والاختصار ، فابن السبكي يذكر في طبقاته الكبرى^(٢) : «أن أبا جعفر قال لأصحابه : أنتشطون لتفسير القرآن ؟ قالوا : كم يكون قدره ؟ فقال : ثلاثين ألف ورقة ، فقالوا : هذا ربما تفنى الأعمار قبل تمامه ، فاختصره في نحو ثلاثة آلاف ورقة ، ثم قال : هل تنشطون لتاريخ العالم من آدم إلى وقتنا هذا ؟ قالوا : كم قدره ؟ فذكر نحواً مما ذكره في التفسير ، فأجابوه بمثل ذلك ، فقال إنا لله ، ماتت الهمم ، فاختصره في نحو ما اختصر التفسير» . اهـ .

هذا ونستطيع القول : إن تفسير ابن جرير هو التفسير الذي له الأولوية بين كتب التفسير ؛ أولوية زمنية ، وأولوية من حيث الفن والصناعة . أما أوليته الزمنية ، فلأنه أقدم كتاب في التفسير وصل إلينا ، وما سبقه من المحاولات التفسيرية ذهبت بمرور الزمن ، ولم يصل إلينا شيء منها ، إلا ما وصل إلينا منها في ثنايا ذلك الكتاب الخالد الذي نحن بصددده .

(١) المذاهب الإسلامية في تفسير القرآن ٨٥ .

(٢) ١٣٧/٢ .

وأما أوليته من حيث الفن والصناعة ؛ فذلك أمر يرجع إلى ما يمتاز به الكتاب من الطريقة البديعة التي سلكها فيه مؤلفه ، حتى أخرجه للناس كتاباً له قيمته ومكانته .

ونريد أن نعرض هنا لطريقة ابن جرير في تفسيره بعد أن نظرنا سريعاً في كتابه ، حتى يتبين للقارئ أن الكتاب واحد في بابه ، سبق به مؤلفه غيره من المفسرين ، فكان عمدة المتأخرين ، ومرجعاً مهماً من مراجع المفسرين على اختلاف مذاهبهم ، وتعدد طرائقهم .

طريقة ابن جرير في تفسيره

تجلى طريقة ابن جرير في تفسيره بكل وضوح إذا قرأنا فيه وقطعنا في القراءة شوطاً بعيداً ، فأول ما نشاهده أنه إذا أراد أن يفسر الآية من القرآن يقول : «القول في تأويل قوله - تعالى - كذا وكذا» ، ثم يفسر الآية ويستشهد على ما قاله بما يرويه بسنده إلى الصحابة أو التابعين من التفسير المأثور عنهم في هذه الآية ، وإذا كان في الآية قولان أو أكثر ، فإنه يعرض لكل ما قيل فيها ، ويستشهد على كل قول بما يرويه في ذلك عن الصحابة أو التابعين .

ثم لا يقتصر على مجرد الرواية ، بل نجده يتعرض لتوجيه الأقوال ، ويرجح بعضها على بعض ، ونجده يتعرض لנاحية الإعراب إن دعت الحال إلى ذلك ، ويستنبط أيضاً الأحكام التي يمكن أن تؤخذ من الآية ، مع توجيه الأدلة وترجيح ما يختار .

إنكاره على من يفسر بمجرد الرأي

ثم يخاصم بقوة أصحاب الرأي المستقلين في التفكير ، ولا يزال يُشدد في ضرورة الرجوع إلى العلم الراجع إلى الصحابة أو التابعين ، المنقول عنهم نقلاً صحيحاً مستفيضاً ، ويرى أن ذلك وحده هو علامة التفسير الصحيح ؛

فمثلاً عندما فسّر قوله تعالى : ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعَصِرُونَ﴾ [يوسف : ٤٩] نجده يذكر ما ورد في تفسيرها عن السلف مع توجيهه للأقوال وتعرضه للقراءات بقدر ما يحتاج إليه تفسير الآية ، ثم يعرج بعد ذلك على من يفسر القرآن برأيه من دون اعتماد منه على شيء إلا على مجرد اللغة ، فيفند قوله ، ويبطل رأيه ، فيقول ما نصه : « . . . وكان بعض من لا علم له بأقوال السلف من أهل التأويل ، ممن يفسر القرآن برأيه على مذهب كلام العرب ، يوجه معنى قوله تعالى : ﴿وَفِيهِ يَعَصِرُونَ﴾ إلى : وفيه ينجون من الجذب والقحط بالغيث ، ويزعم أنه من العصر ، والعصر التي بمعنى المنجاة ، من قول أبي زبيد الطائي :

صَادِيًا يَسْتَنْغِيثُ غَيْرَ مُعَاثٍ وَلَقَدْ كَانَ عُصْرَةَ الْمَنْجُودِ
أي : المقهور ، ومن قول لبيد :

فَبَاتَ وَأَسْرَى الْقَوْمُ آخِرَ لَيْلِهِمْ وَمَا كَانَ وَقَافًا بِغَيْرِ مُعَصِّرٍ

وذلك تأويل يكفي من الشهادة على خطئه خلافاً قول أهل العلم جميعهم من الصحابة والتابعين^(١) . وكثيراً ما يقف ابن جرير مثل هذا الموقف حيال ما يروي عن مجاهد أو الضحاك أو غيرهما ممن يروون عن ابن عباس ؛ فمثلاً عند قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ [البقرة : ٦٥] ، يقول ما نصه : حدثني المثنى ، قال : حدثنا أبو حذيفة ، قال : حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ قال : «مسخت قلوبهم ولم يمسخوا قردة ، وإنما هو مثل ضربه الله لهم ، كمثل الحمار يحمل أسفاراً» اهـ ، ثم يعقب ابن جرير بعد ذلك على قول مجاهد فيقول ما نصه : «وهذا القول الذي قاله مجاهد ، قول لظاهر ما دل عليه كتاب الله مخالف . . . الخ»^(٢) .

(١) تفسير ابن جرير ١٣٨ / ٢٢ .

(٢) تفسير ابن جرير ١٣٨ / ٢٢ .

ومثلاً آخر عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢٩] تجده يروي عن الضحاك في معنى هذه الآية : أَنَّ مَنْ طَلَّقَ لغير العدة فقد اعتدى وظلم نفسه ، ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون ، ثم يقول : وهذا الذي ذكر عن الضحاك لا معنى له في هذا الموضع ؛ لأنه لم يجرٍ للطلاق في العدة ذكر ، فيقال تلك حدود الله ، وإنما جرى ذكر العدد الذي يكون للمطلق فيه الرجعة ، والذي لا يكون له فيه الرجعة ، من دون ذكر البيان عن الطلاق للعدة . اهـ^(١) .

وهكذا نجد ابن جرير في غير موضع من تفسيره ، ينبري للرد على مثل هذه الآراء التي لا تستند إلا على مجرد الرأي أو محض اللغة .

موقفه من الأسانيد

ثم إن ابن جرير - وإن التزم في تفسيره ذكر الروايات بأسانيدها - إلا أنه في الأعم الأغلب لا يتعقب الأسانيد بتصحيح ولا تضعيف ؛ لأنه كان يرى - كما هو مقرر في أصول الحديث - أن من أسند لك فقد حملك البحث عن رجال السند ومعرفة مبلغهم من العدالة أو الجرح ، فهو بعمله هذا قد خرج من العهدة ، ومع ذلك فابن جرير يقف من السند أحياناً موقف الناقد البصير ، فيعدل من يعدل من رجال الإسناد ، ويجرح من يجرح منهم ، ويرد الرواية التي لا يثق بصحتها ، ويصرح برأيه فيها بما يناسبها ، فمثلاً نجده عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿قَالُوا يَنْدَا الْقُرَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ [الكهف: ٩٤] ، يقول ما نصه : «روى عن عكرمة في ذلك - يعني في ضم سين (سداً) وفتحها - ما حدثنا به أحمد بن يوسف ، قال : حدثنا القاسم ، قال : حدثنا حجاج ، عن هارون ، عن أيوب ، عن عكرمة ، قال : ما كان من صنعة بني آدم

فهو السَّدُّ ، وما كان من صنع الله فهو السَّدُّ . ثم يعقب على هذا السند فيقول : «وأما ما ذكر عن عكرمة في ذلك ، فإن الذي نقل ذلك عن أيوب هارون ، وفي نقله نظر ، ولا نعرف ذلك عن أيوب من رواية ثقات أصحابه» . اهـ^(١) .

تقديره للإجماع

كذلك نجد ابن جرير في تفسيره يقدر إجماع الأمة ، ويعطيه سلطاناً كبيراً في اختيار ما يذهب إليه من التفسير ، فمثلاً عند قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجاً غَيْرَهُ ﴾ [البقرة: ٢٣٠] يقول ما نصه : «فإن قال قائل : فأبي النكاحين عنى الله بقوله : ﴿ فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجاً غَيْرَهُ ﴾ ؟ النكاح الذي هو جماع ، أم النكاح الذي هو عقد تزويج ؟

قيل : كلاهما ؛ وذلك أن المرأة إذا نكحت زوجاً نكاح تزويج ، ثم لم يطأها في ذلك النكاح ناكحها ولم يجامعها حتى يطلقها لم تحل للأول ، وكذلك إن وطئها واطئ بغير نكاح لم تحل للأول ؛ لإجماع الأمة جميعاً ، فإذا كان ذلك كذلك فمعلوم أن تأويل قوله : فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجاً غيره ، نكاحاً صحيحاً ، ثم يجامعها فيه ، ثم يطلقها ، فإن قال : فإن ذكر الجماع غير موجود في كتاب الله - تعالى - ذكره ، فما الدلالة على أن معناه ما قلت ؟ قيل : الدلالة على ذلك إجماع الأمة جميعاً على أن ذلك معناه»^(٢) .

موقفه من القراءات

كذلك نجد ابن جرير يعنى بذكر القراءات ، وينزلها على المعاني المختلفة ، وكثيراً ما يردُّ القراءات التي لا تعتمد على الأئمة الذين يعدُّون عنده وعند علماء القراءات حجة ، والتي تقوم على أصول مضطربة ، مما يكون فيه تغيير وتبديل

(١) تفسير ابن جرير : ج ١٦ / ١٣ .

(٢) تفسير ابن جرير ، ج ٢ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ .

لكتاب الله ، ثم يتبع ذلك برأيه في آخر الأمر مع توجيه رأيه بالأسباب ؛ فمثلاً عند قوله تعالى : ﴿ وَلَسْلَيْمَنْ الرِّيحَ عَاصِفَةً ﴾ [الأنبياء : ٨١] ، يذكر أن قراء الأمصار عامة قرؤوا (الريح) بالنصب على أنها مفعول لسخرنا المحذوف ، وأن عبدالرحمن الأعرج قرأ (الريح) بالرفع على أنها مبتدأ ثم يقول : « والقراءة التي لا أستجيز القراءة بغيرها في ذلك ما عليه قراء الأمصار لإجماع الحجة من القراء عليه » .

وقد يرجع السبب في عناية ابن جرير بالقراءات وتوجيهها إلى أنه كان من علماء القراءات المشهورين ، حتى إنهم ليقولون عنه : إنه أَلَفَ فيها مؤلفاً خاصاً في ثمانية عشر مجلداً ، ذكر فيه القراءات جميعها من المشهور والشواذ ، وعلل ذلك وشرحه ، واختار منها قراءة لم يخرج بها عن المشهور^(١) ، وإن كان هذا الكتاب قد ضاع بمرور الزمن ، ولم يصل إلى أيدينا كشأن الكثير من مؤلفاته .

موقفه من الإسرائيليات

ثم إننا نجد ابن جرير يأتي في تفسيره بأخبار مأخوذة من القصص الإسرائيلى ، يرويها بإسناده إلى كعب الأحبار ، ووهب بن منبه ، وابن جريج والسدي ، وغيرهم ، ونراه ينقل عن محمد بن إسحاق كثيراً مما رواه عن سلمة النصارى ، ومن الأسانيد التي تسترعي النظر هذا الإسناد : « حدثني ابن حميد قال : حدثنا سلمة عن ابن إسحاق عن أبي عتاب . . . رجل من تغلب كان نصرانياً عمراً من دهره ، ثم أسلم بعد ، فقرأ القرآن وفقه في الدين ، وكان في ما ذُكِرَ أنه كان نصرانياً أربعين سنة ، ثم عمّر في الإسلام أربعين سنة » .

يذكر ابن جرير هذا الإسناد ، ويروي لهذا الرجل النصراني الأصل خبراً عن آخر أنبياء بني إسرائيل ، عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ أَحْسَنَتُمْ أَحْسَنَتُمْ لَأَنْفُسِكُمْ

وَأِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسْتَوْفُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبَرَّكُوا مَا عَلُوا تَتَبَرَّكُوا ﴿١﴾ [الإسراء: ٧].

ونراه عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ [الكهف: ٨٣] ، الآية يسوق هذا الإسناد : «حدثنا ابن حميد قال : حدثنا سلمة قال : حدثنا محمد بن إسحاق قال : حدثني بعض من يسوق أحاديث الأعاجم من أهل الكتاب ممن قد أسلم ، مما توارثوا من علم ذي القرنين : أن ذا القرنين كان رجلاً من أهل مصر ، اسمه مرزبان بن مردبة اليوناني من ولد يونن بن يافث بن نوح . . . إلخ»^(٢) .

وهكذا يكثر ابن جرير من رواية الإسرائيليات ، ولعل هذا راجع إلى ما تأثر به من الروايات التاريخية التي عالجها في بحوثه التاريخية الواسعة .

وإذا كان ابن جرير يتعقب كثيراً من هذه الروايات بالنقد ، فتفسيره لا يزال يحتاج إلى النقد الفاحص الشامل ، احتياج كثير من كتب التفسير التي اشتملت على الموضوع والقصص الإسرائيليين ، على أن ابن جرير - كما قدمنا - قد ذكر لنا السند بتمامه في كل رواية يرويها ، وبذلك يكون قد خرج من العهدة ، وعلينا نحن أن ننظر في السند ونتفقد الروايات .

انصرافه عما لا فائدة فيه

ومما يلفت النظر في تفسير ابن جرير أن مؤلفه لا يهتم فيه - مثل ما يهتم غيره من المفسرين - بالأمر التي لا تعني ولا تفيد ، فنراه مثلاً عند تفسيره لقوله - تعالى - في سورة المائدة : ﴿إِذْ قَالَ الْخَوَارِثُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾ [المائدة: ١١٢] إلى قوله تعالى : ﴿وَأَرْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّزُقِينَ﴾

(١) تفسير ابن جرير ٣٣/١٥ ، ٣٤ .

(٢) تفسير ابن جرير ١٦/١٤ .

يعرض لذكر ما ورد من الروايات في نوع الطعام الذي نزلت به مائدة السماء . . . ، ثم يعقب على هذا بقوله : «وأما الصواب من القول في ما كان على المائدة فأن يقال : كان عليها مأكول ، وجائز أن يكون سمكاً وخبزاً ، وجائز أن يكون ثمرأً من الجنة ، وغير نافع العلم به ، ولا ضار الجهل به وإذا أقرَّتْ تالي الآية بظاهر ما احتمله التنزيل» . اهـ^(١) .

ونراه عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴾ [يوسف : ٢٠] ، يعرض لمحاولات قدماء المفسرين في تحديد عدد الدراهم ، هل هي عشرون ؟ أم اثنان وعشرون ؟ أم أربعون ؟ . . . إلى آخر ما ذكره من الروايات . . . ثم يعقب على ذلك كله بقوله : «والصواب من القول أن يقال : إن الله - تعالى ذكره - أخبر أنهم باعوه بدراهم معدودة غير موزونة ، ولم يحدد مبلغ ذلك بوزن ولا عدد ، ولا وضع عليه دلالة في كتاب ولا خبر من الرسول ﷺ ، وقد يحتمل أن يكون كان اثنان وعشرين ، وأن يكون كان أربعين ، وأقل من ذلك وأكثر ، وأي ذلك كان فإنها كانت معدودة غير موزونة ، وليس في العلم بمبلغ وزن ذلك فائدة تقع في دين ، ولا في الجهل به دخول ضر فيه ، والإيمان بظاهر التنزيل فرض ، وما عداه فموضوع عنا تكلف علمه»^(٢) اهـ .

احتكامه إلى المعروف من كلام العرب

وثمة أمر آخر سلكه ابن جرير في كتابه ، ذلك أنه عدَّ الاستعمالات اللغوية بجانب النقول المأثورة ، وجعلها مرجعاً موثقاً به عند تفسيره للعبارات المشكوك فيها ، وترجيح بعض الأقوال على بعض .

(١) تفسير ابن جرير ٧/ ٨٨ .

(٢) تفسير ابن جرير ١٢/ ١٣ .

فمثلاً عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ حَقَّ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهِمَا مِنْ كُلِّ رَوْحَيْنِ أَتَيْنِ ﴾ [هود: ٤٠] ، نراه يعرض لذكر الروايات عن السلف في معنى لفظ التنور ، فيروي لنا قول من قال : إن التنور وجه الأرض ، وقول من قال : إنه تنوير الصبح ، وقول من قال : إنه أعلى الأرض وأشرفها ، وقول من قال : إنه ما يختبئ فيه . . . ثم يقول بعد أن يفرغ من هذا كله : « وأولى هذه الأقوال عندنا بتأويل قوله : ﴿ التَّنُّورُ ﴾ قول من قال : التنور الذي يختبئ فيه ؛ لأن ذلك هو المعروف من كلام العرب ، وكلام الله لا يوجه إلا إلى الأغلب الأشهر من معانيه عند العرب ، إلا أن تقوم حجة على شيء منه بخلاف ذلك فيسلم لها ، وذلك أنه - جل ثناؤه - إنما خاطبهم بما خاطبهم به لإفهامهم معنى ما خاطبهم به . . . » اهـ^(١) .

رجوعه إلى الشعر القديم

كذلك نجد ابن جرير يرجع إلى شواهد من الشعر القديم بصورة واسعة ، متبعاً في هذا ما أثاره ابن عباس في ذلك ، فمثلاً عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٢] يقول ما نصه : « قال أبو جعفر : والأنداد جمع ند ، والند : العدل والمثل ، كما قال حسان بن ثابت :

أَتَهْجُوهُ وَلَسْتَ لَهُ بِنْدٌ فشرُّكمَا خَيْرُكُمَا فِدَاءٌ

يعني بقوله : « (ولست له بند) : لست له بمثل ولا عدل ، وكل شيء كان نظيراً لشيء وشيئها ، فهو له ند »^(٢) ثم يسوق الروايات عن ذلك من السلف .

(١) تفسير ابن جرير ٢٥ / ١٢ .

(٢) تفسير ابن جرير ١٢٥ / ١ .

اهتمامه بالمذاهب النحوية

كذلك نجد ابن جرير يتعرض كثيراً لمذاهب النحويين من البصريين والكوفيين في النحو والصرف ، ويوجه الأقوال ، تارة على المذهب البصري ، وأخرى على المذهب الكوفي ؛ فمثلاً عند قوله تعالى : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ ﴾ [إبراهيم: ١٨] ، يقول ما نصه «اختلف أهل العربية في رافع (مثل) ، فقال بعض نحويي البصرة : «إنما هو كأنه قال : ومما نقص عليكم مثل الذين كفروا ، ثم أقبل يفسره كما قال : مثل الجنة . . . وهذا كثير» .

وقال بعض نحويي الكوفيين : «إنما المثل للأعمال ، ولكن العرب تقدم الأسماء لأنها أعرف ، ثم تأتي بالخبر الذي تخبر عنه مع صاحبه ، ومعنى الكلام : مثل أعمال الذين كفروا برههم كرماد . . . إلخ»^(١) .

وهكذا يكثر ابن جرير في مناسبات متعددة من الاحتكام إلى ما هو معروف من لغة العرب ، ومن الرجوع إلى الشعر القديم ليستشهد به على ما يقول ، ومن التعرض للمذاهب النحوية عندما تمس الحاجة ، وهذا جعل الكتاب يحتوي على جملة كبيرة من المعالجات اللغوية والنحوية التي أكسبت الكتاب شهرة عظيمة .

والحق أن ما قدمه لنا ابن جرير في تفسيره من البحوث اللغوية المتعددة ، التي تُعدُّ كنزاً ثميناً ومرجعاً مهماً في بابها ، أمر يرجع إلى ما كان عليه صاحبنا من المعرفة الواسعة بعلوم اللغة وأشعار العرب ، معرفة لا تقل عن معرفته بالدين والتاريخ . ونرى أن ننبّه هنا إلى أن هذه البحوث اللغوية التي عالجها ابن جرير في تفسيره لم تكن أمراً مقصوداً لذاته ، وإنما كانت وسيلة للتفسير ، على معنى أنه يتوصل بذلك إلى ترجيح بعض الأقوال على بعض ، وهو يحاول بذلك - أحياناً -

أن يوفق بين ما صح عن السلف وبين المعارف اللغوية ، بحيث يزيل ما يتوهم من التناقض بينهما .

معالجته للأحكام الفقهية

كذلك نجد في هذا التفسير آثاراً للأحكام الفقهية ، يعالج فيها ابن جرير أقوال العلماء ومذاهبهم ، ويخلص من ذلك كله برأي يختاره لنفسه ، ويرجحه بالأدلة العلمية القيمة ؛ فمثلاً عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل: ٨] ، نجده يعرض لأقوال العلماء في حكم أكل لحوم الخيل والبغال والحمير ، ويذكر قول كل قائل بسنده . . . وأخيراً يختار قول من قال : إن الآية لا تدل على حرمة شيء من ذلك ، ووجه اختياره هذا ، فقال ما نصه : « والصواب من القول في ذلك عندنا ما قاله أهل القول الثاني - وهو أن الآية لا تدل على الحرمة - وذلك أنه لو كان في قوله - تعالى - ذكره : (لِتَرْكَبُوهَا) دلالة على أنها لا تصلح - إذ كانت للركوب - للأكل ، لكان في قوله تعالى : ﴿ فِيهَا دِفٌّ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ [النحل: ٥] دلالة على أنها لا تصلح - إذ كانت للأكل والدفء - للركوب . وفي إجماع الجميع على أن ركوب ما قال - تعالى - ذكره : ﴿ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ جائز حلال غير حرام ، وهذا دليل واضح على أن أكل ما قال (لِتَرْكَبُوهَا) جائز حلال غير حرام ، إلا بما نص على تحريمه ، أو وضع على تحريمه دلالة من كتاب أو وحي إلى رسول الله ﷺ ، فأما بهذه الآية فلا يحرم أكل شيء ، وقد وضع الدلالة على تحريم لحوم الحمر الأهلية بوحيه إلى رسول ﷺ ، وعلى البغال بما قد بينا في كتابنا كتاب الأطعمة ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع ؛ إذ لم يكن هذا الموضع من مواضع البيان عن تحريم ذلك ، وإنما ذكرنا ما ذكرنا ليدل على أن لا وجه لقول من استدل بهذه الآية على تحريم لحم الفرس » . اهـ^(١) .

(١) تفسير ابن جرير ١٤ / ٥٨ - ٦٧ .

خوضه في مسائل الكلام

ولا يفوتنا أن ننبه على ما نلاحظه في هذا التفسير الكبير ، من تعرض صاحبه لبعض النواحي الكلامية عند كثير من آيات القرآن ، مما يشهد له بأنه كان عالماً ممتازاً في أمور العقيدة ، فهو إذا طبّق أصول العقائد على ما يتفق مع الآية أفاد في تطبيقه ، وإذا ناقش بعض الآراء الكلامية أجاد في مناقشته ، وهو في جدله الكلامي وتطبيقه ومناقشته موافق لأهل السُّنَّة في آرائهم ، ويظهر ذلك جلياً في ردّه على القدرية في مسألة الاختيار .

فمثلاً عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧] ، نراه يقول مانصه : «وقد ظن بعض أهل الغباء من القدرية أن في وصف الله - جل ثناؤه - النصراري بالضلال بقوله ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾ ، وإضافة الضلال إليهم دون إضافة إضلالهم إلى نفسه ، وتركه وصفهم بأنهم المضللون كالذي وصف به اليهود أنهم مغضوب عليهم ، دلالة على صحة ما قاله إخوانه من جهلة القدرية ، جهلاً منه بسعة كلام العرب وتصاريف وجوهره . ولو كان الأمر على ما ظنه الغبي الذي وصفنا شأنه ، لوجب أن يكون كل موصوف بصفة أو مضاف إليه فعل لا يجوز أن يكون فيه سبب لغيره ، وأن يكون كل ما كان فيه من ذلك لغيره سبب ، فالحق فيه أن يكون مضافاً إلى مسببه . ولو وجب ذلك بإضافة الجري إلى الفلك ، ولوجب أن يكون خطأ قول القائل : تحركت الشجرة إذا حركتها الرياح ، واضطربت الأرض إذا حركتها الزلزلة ، وما أشبه ذلك من الكلام الذي يطول بإحصائه الكتاب . وفي قوله جل ثناؤه : ﴿حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكَ وَجَرَّجَنَ بِهِمُ﴾ [يونس: ٢٢] ، وإن كان جريها بإجراء غيرها إياها ، ما يدل على خطأ التأويل الذي تأوله من وصفنا قوله في قوله تعالى : ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾ ، وادعائه أن في نسبة الله - جل ثناؤه - الضلالة إلى من نسبها إليه من النصراري تصحيحاً لما ادعى المنكرون أن يكون لله - جل ثناؤه - في أفعال خلقه سبب من أجلها وجدت أفعالهم ، مع إبانة الله - عز ذكره - نصّاً في آي كثيرة من تنزيله : أنه المضل الهادي ، فمن ذلك قوله جل ثناؤه :

﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوْنَهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ٢٣] ، فأنبأ - جل ذكره - أنه المضل الهادي دون غيره ، ولكن القرآن نزل بلسان العرب على ما قدمنا البيان عنه في أول الكتاب ، ومن شأن العرب إضافة الفعل إلى من وجد منه وإن كان مسببه غير الذي وجد منه أحياناً وأحياناً إلى مسببه ، وإن كان الذي وجد منه الفعل غيره ، فكيف بالفعل الذي يكتسبه العبد كسباً ، ويوجده الله - جل ثناؤه - عيناً منشأة ؟ بل ذلك أحرى أن يضاف إلى مكتسبه كسباً له بالقوة منه عليه ، والاختيار منه له ، وإلى الله - جل ثناؤه - بإيجاد عينه وإنشائها تديراً^(١) .

وكثيراً ما نجد ابن جرير يتصدى للرد على المعتزلة في كثير من آرائهم الاعتقادية ، فنراه - مثلاً - يجادلهم مجادلة حادة في تفسيرهم العقلي التنزيهي للآيات التي تثبت رؤية الله عند أهل السنة ، ونراه أيضاً يذهب إلى ما ذهب إليه السلف من عدم صرف آيات الصفات عن ظاهرها مع المعارضة لفكرة التجسيم والتشبيه ، والرد على أولئك الذين يشبهون الله بالإنسان^(٢) .

وهكذا نجد ابن جرير لم يقف موقفاً بعيداً عن مسائل النزاع التي تدور حول العقيدة في عصره ، بل نراه يشارك في هذا المجال من الجدل الكلامي بنصيب لا يستهان به ، مع حرصه كل الحرص على أن يحتفظ بسننائه ضد وجوه النظر التي لا تتفق وتعاليم أهل السنة .

وبعد ، فإن ما جمعه ابن جرير في كتابه من أقوال المفسرين الذين تقدموا عليه ، وما نقله لنا عن مدرسة ابن عباس ، ومدرسة ابن مسعود ، ومدرسة علي بن أبي

(١) تفسير ابن جرير ٦٤ / ١ .

(٢) انظر : تفسيره لقوله تعالى ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُمْنُوا بِمَا قَالُوا﴾ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُفْقُ كَيْفَ يَشَاءُ ﴿[المائدة : ٦٤] ، وما بعدها ، وتفسيره لقوله تعالى ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر : ٦٧] وما بعدها .

طالب ، ومدرسة أبي بن كعب ، وما استفاده مما جمعه ابن جريج والسدي وابن إسحاق وغيرهم من التفاسير ، جعلت هذا الكتاب أعظم الكتب المؤلفة في التفسير بالمأثور ، وما جاء في الكتاب من إعراب وتوجيهات لغوية واستنباطات في نواح متعددة وترجيح لبعض الأقوال على بعض ، كان نقطة التحول في التفسير ، ونواة لما وجد بعد من التفسير بالرأي ، وقد كان -أيضاً- مظهراً من مظاهر الروح العلمية السائدة في هذا العصر الذي يعيش فيه ابن جرير .

والحق أن شخصية ابن جرير الأدبية والعلمية جعلت تفسيره مرجعاً مهماً من مراجع التفسير بالرواية ، فترجيحاته المختلفة تقوم على نظرات أدبية ولغوية وعلمية قيمة فوق ما جمع فيه من الروايات الأثرية المتكاثرة .

وعلى الإجمال فخير ما وصف به هذا الكتاب ما نقله الداودي عن أبي محمد عبدالله بن أحمد الفرغاني في تاريخه ، حيث قال : « فتم من كتبه -يعني محمد بن جرير- كتاب تفسير القرآن ، وجوّده ، وبيّن فيه أحكامه ، وناسخه ومنسوخه ، ومشكله وغريبه ، ومعانيه ، واختلاف أهل التأويل والعلماء في أحكامه وتأويله ، والصحيح لديه من ذلك ، وإعراب حروفه ، والكلام على الملحدّين فيه ، والقصص ، وأخبار الأمة والقيامة ، وغير ذلك مما حواه من الحكم والعجائب كلمة كلمة ، وآية آية ، من الاستعاذة ، وإلى أبي جاد ، فلو ادّعى عالم أن يصنف منه عشرة كتب ، كل كتاب منها يحتوي على علم مفرد وعجيب مستفيض لفعل » . اهـ^(١) .

هذا وقد جاء في معجم الأدباء : ٦٤\١٨-٦٥ وصفٌ مسهبٌ لتفسير ابن جرير ، جاء في آخره مانصه « . . . وذكر فيه من كتب التفاسير المصنفة عن ابن عباس خمسة طرق ، وعن سعيد بن جبير طريقين ، وعن مجاهد بن جبر ثلاثة طرق ، وعن

الحسن البصري ثلاثة طرق ، وعن عكرمة ثلاثة طرق وعن الضحاك بن مزاحم طريقين ، وعن عبدالله بن مسعود طريقاً ، وتفسير عبدالرحمن بن زيد بن أسلم ، وتفسير ابن جريج ، وتفسير مقاتل بن حيان ، سوى ما فيه من مشهور الحديث عن المفسرين وغيرهم ، وفيه من المسند حسب حاجته إليه ، ولم يتعرض لتفسير غير موثوق به ، فإنه لم يدخل في كتابه شيئاً عن كتاب محمد بن السائب الكلبي ، ولا مقاتل بن سليمان ، ولا محمد بن عمر الواقدي ؛ لأنهم عنده أظناء والله أعلم .

وكان إذا رجع إلى التاريخ والسير وأخبار العرب حكى عن محمد بن السائب الكلبي ، وعن ابنه هشام ، وعن محمد بن عمر الواقدي ، وغيرهم في ما يفتقر إليه ولا يؤخذ إلا عنهم ، وذكر فيه مجموع الكلام والمعاني من كتاب علي بن حمزة الكسائي ، ومن كتاب يحيى بن زياد الفراء ، ومن كتاب أبي الحسن الأخفش ، وكتاب أبي علي قطرب ؛ وغيرهم مما يقتضيه الكلام عند حاجته إليه ، إذ كان هؤلاء هم المتكلمون في المعاني ، وعنهم يؤخذ معانيه وإعراجه ، وربما لم يسمهم إذا ذكر شيئاً من كلامهم ، وهذا كتاب يشتمل على عشرة آلاف ورقة أو دونها بحسب سعة الخط أو ضيقه . اهـ .

ونجد في معجم الأدباء أيضاً قبل ذلك بقليل ، ما يدل على أنَّ الطبري أتم تفسيره هذا في سبع سنوات ، إملاءً على أصحابه ، فقد جاء في الجزء ١٨ / صفحة ٤٢ ، عن أبي بكر بن بالويه أنه قال : « قال لي أبو بكر محمد بن إسحاق يعني ابن خزيمة : بلغني أنك كتبت التفسير عن محمد بن جرير ؟ قلت : نعم ، كتبنا التفسير عنه إملاءً ، قال : كله ؟ قلت : نعم ، قال : في أي سنة ؟ قلت : من سنة ثلاث وثمانين إلى سنة تسعين . . . إلخ » .

وبعد فأحسب أنني قد أفضت في الكلام عن هذا التفسير ، وتوسعت في الحديث عنه ، وأقول : إن السرَّ في ذلك هو أن الكتاب يعدُّ المرجع الأول والأهم للتفسير بالمأثور ، وتلك ميزة لا نعرفها لغيره من كتب التفسير بالرواية^(١) .

لذلك ذاعت شهرة تفسير ابن جرير في الآفاق ، وأصبح مضرب المثل في غزارة المادة واستقامة المنهج ، قال السيوطي في الإتيقان ، بعد أن ساق أسماء جماعة من المفسرين بالمأثور قبل الطبري : «وبعدهم ابن جرير الطبري ، وكتابه أجل التفاسير وأعظمها . . . إلخ» .

ثم قال : «فإن قلت : فأَيُّ التفاسير ترشد إليه ، وتأمّر الناظر أن يعول عليه ؟ قلت : تفسير الإمام أبي جعفر بن جرير الطبري ، الذي أجمع العلماء المعترفون على أنه لم يؤلف مثله» .

قال النووي في تهذيبه : «كتاب ابن جرير في التفسير لم يصنّف أحد مثله»^(٢) . ولا يزال العلماء ينهلون من هذا التفسير العظيم ، وقلماً تجد كتاب تفسير يخلو من أقوال ابن جرير الطبري .

ولقد استفاد الواحدي في كتابه البسيط من ابن جرير ويظهر ذلك من كثرة النقول والآثار عن السلف في التفسير ، وقد نقل عنه أيضاً في المسائل اللغوية والقراءات وغير ذلك ، ومما يلحظ أنّ الواحدي كثيراً ما يورد أقوال الطبري ويناقشها ، ولعل من أسباب ذلك اختلاف المنهج الذي يسلكه الطبري في التفسير عن منهج الواحدي ، فبينما يعتمد ابن جرير منهج السلف والاعتماد على الآثار في التفسير ، ولا يأخذ بأقوال المتكلمين في باب العقائد ، نجد الواحدي بخلاف ذلك ، حيث يعتمد التفسير بالرأي أكثر ، ويأخذ بأقوال المتكلمين في باب العقائد .

(١) انظر : التفسير والمفسرون ١/ ٢٠٥-٢٢٤ .

(٢) كتاب الإتيقان في علوم القرآن ٢/ ١٦٠ ، طبعة الميمنية سنة ١٣١٧ هـ .

ومن الأمثلة على إفادة الواحدى من الطبرى ما ذكره عند تفسير قوله تعالى : ﴿ مَلِكٍ يَوْمَ الدِّينِ ﴾ [الفاتحة : ٤] ، ذكر القراءات في ﴿ مَلِكٍ ﴾ ، وقال : « واحتج محمد بن جرير لهذه القراءة ، فقال : إن الله نبّه على أنه مالكهم بقوله : ﴿ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الفاتحة : ٢] فَحَمَلَ قوله : (مَلِكٍ يَوْمَ الدِّينِ) على وصف زائد أحسن»^(١) ، ثم قال في موضع آخر : « . . . ومن نصر هذه القراءة - يريد القراءة بـالك - أجاب ابن جرير بأن قال : ما ذكرت لا يرجح قراءة (مَلِكٍ) ؛ لأن في التنزيل أشياء على هذه الصورة قد تقدمها العام ، وذكر بعده الخاص ، كقوله تعالى : ﴿ أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴾ [العلق : ١ ، ٢] وقوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ﴾ [البقرة : ٣] ثم قال : ﴿ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ [البقرة : ٤] في أمثال كثيرة لهذا» .

ومثال آخر للواحدى الناقد الفاحص للأقوال المميز لها ، نقل عن ابن جرير في تفسير قوله تعالى : ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ﴾ [البقرة : ١٠] . قال : « وقال ابن جرير : معناه : في اعتقاداتهم مرض ؛ أي : شك وشبهه ، فاستغنى بذكر القلوب عن ذكر الاعتقادات ؛ لأن محلها القلوب مثل قولهم : يا خيل الله اركبي» .

ثم قال الواحدى : « وليس الأمر على ما قال ؛ لأن الشك في القلب على الحقيقة ، فأى فائدة لتقدير الاعتقاد ها هنا ؟ ولأن الشك يناهى الاعتقاد ، وهم ليسوا معتقدين إذا كانوا شاكّين»^(٢) .

وما نقلناه على سبيل المثال لا على الحصر ؛ لأن البسيط مليء بأقوال الطبرى سواء كان النقل مباشرة أم عن طريق شيخه .

(١) انظر : البسيط ، تفسير الفاتحة الآية ٣ ، والطبرى ١ / ١٥٠ ، نقله الواحدى بمعناه .

(٢) انظر : البسيط ، تفسير البقرة ، آية ١٠ ، والطبرى ١ / ٢٧٨ نقل المؤلف كلامه بتصرف .

ثالثاً: الكشف والبيان^(١) للثعلبي^(٢)

يعدُّ الكشف والبيان أو تفسير الثعلبي من المصادر الرئيسة عند الواحدي ؛ وذلك لأنَّ الثعلبي شيخ الواحدي وأخذ عنه التفسير ، وذكر الواحدي في مقدمة البسيط في أثناء حديثه عن شيخه العروضي الذي قال له : « . . . أما آن لك أن تتفرغ لتفسير كتاب الله العزيز تقرؤه على هذا الرجل الذي يأتيه البعداء من أقاصي البلاد ، وتركه أنت على قرب ما بيننا من الجوار . يعني الأستاذ الإمام أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي - رحمه الله - . . . »^(٣) ، ثم يقول : « . . . ثم فرغت للأستاذ الإمام أبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي رحمه الله ، وكان حبر العلماء بل بحرهم ، ونجم الفضلاء بل بدرهم ، وزين الأئمة بل فخرهم ، وأوحد الأمة بل صدرهم ، وله التفسير الملقب بالكشف والبيان عن تفسير القرآن ، الذي رفعت به المطايا في السهل والأوعار ، وسارت به الفلك في البحار ، وهب هبوب الرياح في الأقطار :

وسارَ مسيرَ الشمسِ في كلِّ بلدةٍ وهبَّ هبوبَ الرِّيحِ في البرِّ والبحرِ

(١) كان الكتاب لا يزال مخطوطاً وقت إعداد معظم رسائل هذا الكتاب ، وقد طبع بعدها طبعة تجارية رديئة ، وحُقق في نحو عشرين رسالة جامعية في جامعة أم القرى ، وهو قيد التنسيق والإخراج في دار الفلاح بالفيوم على غرار هذا الكتاب .

(٢) هو الإمام الحافظ العلامة ، شيخ المفسرين أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي ، ويقال : الثعالبي لقب لا نسب ، كان أواخر زمانه في علم التفسير الكبير ، قال الذهبي : وكان حافظاً رأساً في التفسير والعربية متين الديانة من أهل نيسابور ، له اشتغال بالتاريخ ، توفي - رحمه الله - سنة ٤٢٧ هـ ، من مصنفاته الكشف والبيان عن تفسير القرآن ، والعرائس في قصص الأنبياء ، وريبع المذكرين . انظر : ترجمته في معجم الأدباء ٣٦/٥ ، ٣٧ ، ووفيات الأعيان ١/٧٩ ، ٨٠ ، والعبر ٣/١٦ ، وتذكرة الحفاظ ٣/١٠٩ ، والطبقات للسبكي ٤/٥٨ ، ٥٩ ، وطبقات المفسرين ٥ .

(٣) مقدمة البسيط ٣٨٠ .

وأصفت عليه الأمة كافة على اختلاف نحلهم» إلى أن قال :
 « . . . وقرأت عليه من مصنفاته أكثر من خمسمائة جزء ، وتفسيره الكبير ، وكتابه
 المعنون بالكامل في علم القرآن ، وغيرهما »^(١) .

التعريف بهذا التفسير وطريقة مؤلفه فيه

ألقى مؤلف هذا التفسير ضوءاً عليه في مقدمته ، أوضح فيها منهجه وطريقته
 التي سلكها فيه ، فذكر أولاً اختلافه منذ الصغر إلى العلماء ، واجتهاده في الاقتباس
 من علم التفسير الذي هو أساس الدين ورأس العلوم الشرعية ، ومواصلته ظلام
 الليل بضوء الصباح بعزم أكيد وجهد جهيد ، حتى رزقه الله ما عرف به الحق
 من الباطل ، والمفضول من الفاضل ، والحديث من القديم ، والبدعة من السنة ،
 والحجة من الشبهة ، وظهر له أنَّ المصنفين في تفسير القرآن فرق على طرق مختلفة :
 فرقة أهل البدع والأهواء ، وعدَّ منهم الجبائي والرماني .

وفرقة من ألفوا فأحسنوا ، إلا أنهم خلطوا بأباطيل المبتدعين بأقاويل السلف
 الصالحين ، وقد عدَّ منهم أبا بكر القفال . وفرقة اقتصر أصحابها على الرواية
 والنقل من دون الدراية والنقد ، وعدَّ منهم أبا يعقوب إسحاق بن إبراهيم
 الحنظلي .

وفرقة حذفت الإسناد الذي هو الركن والعماد ، ونقلت من الصحف
 والدفاتر ، وحررت على هوى الخواطر ، وذكرت الغث والسمين ، والواهي
 والمتين ، قال : « ليسوا في عداد العلماء ، فصُنَّت الكتاب عن ذكرهم » . وفرقة حازوا
 قصب السبق ، في جودة التصنيف والحدق ، غير أنهم طولوا في كتبهم بالمعادات ،
 وكثرة الطرق والروايات ، وعدَّ منهم ابن جرير الطبري . وفرقة جردت التفسير
 من دون الأحكام ، وبيان الحلال والحرام ، والحل عن الغوامض والمشكلات ،

والرد على أهل الزيغ والشبهات ، كمشايع السلف الماضين ، مثل مجاهد والسدي والكلبي .

ثم بين أنه لم يعثر في كتب من تقدمه على كتاب جامع مذهب يعتمد . . . ثم ذكر ما كان من رغبة الناس إليه في إخراج كتاب في تفسير القرآن وإجابته لمطلوبهم ، رعاية منه لحقوقهم ، وتقرباً به إلى الله . . . ثم قال : « فاستخرت الله - تعالى - في تصنيف كتاب ، شامل ، مذهب ، ملخص ، مفهوم ، منظوم ، مستخرج من زهاء مائة كتاب مجموعات مسموعات . سوى ما التقطته من التعليقات والأجزاء المتفرقات ، وتلقفته عن أقوام من المشايخ الأثبات ، وهم قريب من ثلاثمائة شيخ ، نسقته بأبلغ ما قدرت عليه من الإيجاز والترتيب » .

ثم قال : « وخرجت فيه الكلام على أربعة عشر نحواً : البسائط والمقدمات ، والعدد والتنزلات ، والقصص والنزولات ، والوجوه والقراءات ، والعلل والاحتجاجات ، والعريية واللغات ، والإعراب والموازنات ، والتفسير والتأويلات ، والمعاني والجهات ، والغوامض والمشكلات ، والأحكام والفقهيات ، والحكم والإشارات ، والفضائل والكرامات ، والأخبار والمتعلقات ، أدرجتها في أثناء الكتاب بحذف الأبواب ، وسميته كتاب الكشف والبيان عن تفسير القرآن . . . » ثم ذكر في أول الكتاب أسانيده إلى من يروي عنهم التفسير من علماء السلف ، واكتفى بذلك عن ذكرها في أثناء الكتاب ، وقد ذكر أسانيده إلى مصنفات أهل عصره - وهي كثيرة - وكتب الغريب والمشكل والقراءات ، ثم ذكر باباً في فضل القرآن وأهله ، وباباً في معنى التفسير والتأويل ، ثم شرع في التفسير .

عثرت على هذا التفسير في مكتبة الأزهر ، فوجدته مخطوطاً غير كامل ، وجدت منه أربعة مجلدات ضخام (الأول والثاني والثالث والرابع) . والرابع ينتهي عند أواخر سورة الفرقان ، وباقي الكتاب مفقود لم أعثر عليه بحال .

قرأت في هذا التفسير فوجدته يفسر القرآن بما جاء عن السلف ، مع اختصاره للأسانيد ، اكتفاء بذكرها في مقدمة الكتاب ، ولاحظت عليه أنه يعرض للمسائل النحوية ويخوض فيها بتوسع ظاهر ؛ فمثلاً عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ بِسْمَا أَشْرَوْا يَوْمَ أَنْفُسُهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ ﴾ [البقرة: ٩٠] نجده يتوسع في الكلام على نَعَمَ وبئس ، ويفيظ في ذلك ^(١) .

ويعرض أيضاً لشرح الكلمات اللغوية وأصولها وتصاريحها ، ويستشهد على ما يقول بالشعر العربي ، فمثلاً عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً ﴾ [البقرة: ١٧١] ، نجده يحلل كلمة ﴿ يَنْعِقُ ﴾ تحليلاً دقيقاً ويصرفها على وجوهها كلها ^(٢) .

ومثلاً عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ فَمَنْ أَضْطَرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ ﴾ [البقرة: ١٧٣] نجده يحلل لفظ البغي ويتكلم على أصل المادة بتوسّع ^(٣) :

ومما لاحظته على هذا التفسير أنه يتوسّع في الكلام عن الأحكام الفقهية عندما يتناول آية من آيات الأحكام ، فتراه يذكر الأقوال والخلافات والأدلة ، ويعرض للمسألة من نواحيها جميعها ، إلى درجة أنه يخرج عما يراد من الآية ، انظر إليه عندما يعرض لقوله تعالى : ﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ ﴾ [النساء: ١١] تجده يفرض في الكلام عما يُفَعَّلُ بتركة الميت بعد موته ، ثم يذكر جملة الورثة والسهام المحددة ، ومن فرضه الربع ، والثلثان ، والثلث ، والسدس . . . وهكذا ، ثم يعرض لنصيب الجد والجددة والجندات ، ثم يقول بعد هذا : فصل في بساط الآية ، وفيه يتكلم على نظام الميراث عند الجاهلية وقبل مبعث الرسول ﷺ ^(٤) .

(١) الكشف والبيان عن تفسير القرآن ١/ ٨٣ ، ٨٤ .

(٢) المصدر السابق ١/ ١٢٣ .

(٣) المصدر السابق ٢/ ١٢٥ .

(٤) المصدر السابق ١/ ٩١ .

وارجع إليه عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ [النساء: ٢٤]، تجده قد توسّع في نكاح المتعة، وتعرّض لأقوال العلماء، وذكر أدلتهم بتوسّع ظاهر^(١).

وارجع إليه عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنْ تَجَتَنَّبُوا كِبَارَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ [النساء: ٣١]، تجده يقول: «فصل في أقاويل أهل التأويل في عدد الكبائر، مجموعة من الكتاب والسنة، مقرونة بالدليل والحجة». ثم يسردها جميعاً، ويذكر أدلتها على وجه التفصيل^(٢).

وارجع إليه عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرَهَقًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ [النساء: ٤٣]، تجده يعرض لأقوال السلف في معنى اللبس والملازمة... ثم يقول: واختلف الفقهاء في حكم الآية على خمسة مذاهب، ويتوسع على الخصوص في بيان مذهب الشافعي ويسرد أدلته، ويذكر تفصيل كيفية الملازمة عنده، ويعرض أيضاً لأقوال العلماء في التيمّم ومذاهبهم وأدلتهم بتوسع ظاهر عندما يتكلم على قوله تعالى: ﴿فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾^(٣).

وهكذا يتطرق الكتاب إلى نواحٍ علمية متعددة، في إكثار وتطويل يكاد يخرج به عن دائرة التفسير بالمأثور.

ثم نجد ناحية أخرى يمتاز بها هذا التفسير، هي التوسع إلى حد كبير في ذكر الإسرائيليات من دون أن يتعقّب شيئاً من ذلك أو ينبّه على ما فيه على الرغم من استبعاده وغرابته، وقد قرأت فيه قصصاً إسرائيلية نهاية في الغرابة.

(١) المصدر السابق ٢/ ١٠٢-١٠٤.

(٢) المصدر السابق ٢/ ١١٠-١١٢.

(٣) المصدر السابق ٢/ ١٢٥-١٣٦.

ويظهر لنا أن الثعلبي كان مولعاً بالأخبار والقصص إلى درجة كبيرة ؛ بدليل أنه ألّف كتاباً يشتمل على قصص الأنبياء ، ولو أنك رجعت إليه عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ﴾ [الكهف: ١٠] ، لوجدته يروي عن السدي ووهب وغيرهما كلاماً طويلاً في أسماء أصحاب الكهف ، وعددهم ، وسبب خروجهم إليه ، ولوجدته يروي عن كعب الأخبار ، ما جرى لهم مع الكلب حين تبعهم إلى الغار ، ولعجبت حين تراه يروي أن النبي ﷺ طلب إلى ربه رؤية أصحاب الكهف ، فأجابه الله بأنه لن يراهم في دار الدنيا ، وأمره بأن يعث لهم أربعة من خيار أصحابه ليلغوهم رسالته . . . إلى آخر القصة التي لا يكاد العقل يصدقها^(١) .

ثم ارجع إليه عند تفسيره أيضاً لقوله تعالى : ﴿قَالُوا يَٰذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ [الكهف: ٩٤] ، تجده قد أطال وذكر كلاماً لا يمكن أن يُقبل بحال ؛ لأنه أقرب إلى الخيال منه إلى الحقيقة^(٢) .

ثم ارجع إليه عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ﴾ [مريم: ٢٧] ، تجده يروي عن السدي ووهب وغيرهما قصصاً كثيرة ، وأخباراً في نهاية الغرابة والبعد^(٣) .

ثم إن الثعلبي لم يتحرّر الصحة في كل ما ينقل من تفاسير السلف ، بل نجده - كما لاحظنا عليه وكما قال السيوطي في الإتيان^(٤) - يكثر من الرواية عن السدي الصغير عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس .

(١) المصدر السابق ٤/ ١٢١-١٢٥ .

(٢) المصدر السابق ٤/ ١٤٠-١٤٣ .

(٣) المصدر السابق ٤/ ١٤٧-١٤٩ .

(٤) المصدر السابق ٢/ ١٨٩ .

كذلك نجده قد وقع في ما وقع فيه كثير من المفسرين من الاغترار بالأحاديث الموضوعية في فضائل القرآن سورة سورة ، فروى في نهاية كل سورة حديثاً في فضلها منسوباً إلى أبي بن كعب ، وقد اغتر بكثير من الأحاديث الموضوعية على ألسنة الشيعة ، فسوّد بها كتابه من دون أن يشير إلى وضعها واختلاقها .

وفي هذا ما يدل على أن الثعلبي لم يكن له باع في معرفة صحيح الأخبار من سقيمها .

هذا . . . وإن الثعلبي قد جرّ على نفسه وعلى تفسيره بسبب هذه الكثرة من الإسرائيليات ، وعدم الدقة في اختيار الأحاديث ، اللوم المير والنقد اللاذع من بعض العلماء الذين لاحظوا هذا العيب في تفسيره ، فقال ابن تيمية في مقدمته في أصول التفسير :^(١) والثعلبي هو في نفسه كان فيه خير ودين ، وكان حاطب ليل ، ينقل ما وجد في كتب التفسير من صحيح وضعيف وموضوع . وقال أيضاً في مجموع الفتاوى^(٢) ، وقد سئل عن بعض كتب التفسير : «وأما الواحدي فإنه تلميذ الثعلبي ، وهو أخبر منه بالعربية ، لكن الثعلبي فيه سلامة من البدع ، وإن ذكرها تقليداً لغيره ، وتفسيره وتفسير الواحدي البسيط والوسيط والوجيز فيها فوائد جليّة ، وفيها غث كثير من المنقولات الباطلة وغيرها» . اهـ .

ومن يقرأ تفسير الثعلبي يعلم أن ابن تيمية لم يتقوّل عليه ، ولم يصفه إلا بما هو فيه .

(١) المصدر السابق ١٩ .

(٢) المصدر السابق ١٩٣/٢ .

وقال الكتاني في الرسالة المستطرفة^(١) عند الكلام على الواحدي المفسّر :
« ولم يكن له ولا لشيخه الثعلبي كبير بضاعة في الحديث ، بل في تفسيرهما
- خصوصاً الثعلبي - أحاديث موضوعة وقصص باطلة » . اهـ .

والحق أن الثعلبي رجل قليل البضاعة في الحديث ؛ بل ولا أكون قاسياً
عليه إذا قلت إنه لا يستطيع أن يميز الحديث الموضوع من غير الموضوع ، وإلا لما
روى في تفسيره أحاديث الشيعة الموضوععة على علي ، وأهل البيت ، وغيرها من
الأحاديث التي اشتهر وضعها ، وحذر العلماء من روايتها .

والعجب أن الثعلبي بعد هذا كله يعيب كل كتب التفسير أو معظمها ، حتى
كتاب محمد بن جرير الطبري الذي شهد له خلق كثير ، وليته إذ ادعى في مقدمة
تفسيره أنه لم يعثر في كتب من تقدمه من المفسرين على كتاب جامع مذهب يعتمد ،
أخرج لنا كتابه خالياً مما عاب عليه المفسرون . . . ليته فعل ذلك . . . إذاً لكان قد
أراحنا وأراح الناس من هذا الخلط والخطب الذي لا يخلو منه موضع من كتابه^(٢) .

أخذ الواحدي عن الثعلبي كثيراً من الآثار المروية عن السلف في التفسير ،
خصوصاً أقوال ابن عباس وغيره ، مثل مجاهد وعبد الرحمن بن زيد ، وقد أخذ
عنه أقوال الكلبي ومقاتل ، والحسين بن الفضل وغيرهم ، وأخذ عنه أيضاً بعض
الإسرائيليات .

وإنه لينقل أيضاً قول الثعلبي في تفسير الآية ، وغالباً ما يذكره بعد قوله : قال
المفسرون .

(١) المصدر السابق ٥٩ .

(٢) انظر : التفسير والمفسرون ٣/ ٢٣٢-٢٣٤ .

ومما يثير العجب أنه مع عظم تقدير الواحدي لشيخه الثعلبي وإعجابه به - وهذا يظهر في كلامه السابق على الرغم من كثرة ما نقل عنه - فإنه لا يذكره إلا نادراً .

من أمثلة نقله عن الثعلبي من كلام السلف قوله في تفسير قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ ﴾ [البقرة: ٢] وروى عن ابن عباس أنه قال : «معناه ذلك الكتاب الذي أخبرتك أني أوحيه إليك» .

وقال يمان بن رباب : ذلك الكتاب الذي ذكرته في التوراة والإنجيل . . . (١) .

ومثال للإسرائيليات التي انتقلت للبسيط من تفسير الثعلبي ، ما ذكره في تفسير قوله تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠] قال : «قال المفسرون : وذلك أن الله - تعالى - خلق السماء والأرض ، وخلق الملائكة والجن ، فأسكن الملائكة السماء ، وأسكن الجن الأرض ، فغبروا دهرًا طويلاً في الأرض ، ثم ظهر فيهم الحسد والبغي ، فاقتتلوا وأفسدوا ، فبعث إليهم جنوداً من الملائكة يقال لهم : الجن ، رأسهم إبليس ، وهم خُزَّانُ الجنان اشتق لهم اسم من الجنة ، فهبطوا إلى الأرض وطردهوا الجن عن وجوهها إلى شعوب الجبال وجزائر البحور ، وسكنوا الأرض ، وكانوا أخف الملائكة عبادة ؛ لأن أهل السماء الدنيا أخف عبادة من الذين فوقهم . . . إلخ» ، ونقل مثل هذا طويلاً بنصه عن الثعلبي (٢) .

ومثال آخر في تفسير قوله تعالى : ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٨] روى عن مقاتل عن الضحاك عن ابن عباس قال : «يريد أن عن يمين العرش نهراً من نور ؛

(١) انظر : البسيط [البقرة: ٢] ، الثعلبي ٣٩/١ ب .

(٢) انظر : البسيط [البقرة: ٣٠] .

مثل السموات السبع والأرضين السبع ، والبحار السبع ، يدخل جبريل فيه كل سحر ، فيغتسل فيزداد نوراً إلى نوره ، وجمالاً إلى جماله ، وعظماً إلى عظمه ، ثم ينتفض ، فيخلق الله من كل نفضة تقع من ريشه كذا وكذا ألف ملك ، يدخل منهم كل يوم سبعون ألفاً البيت المعمور ، وفي الكعبة سبعون ألفاً ، لا يعودون إليه إلى أن تقوم الساعة . وقد ورد بنصه في تفسير الثعلبي ، وكما ينقل الواحدي عن الثعلبي آثار السلف والإسرائيليات والقضايا التفسيرية ، فإنه ينقل عنه مسائل لغوية أو نحوية ، مثال ذلك في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُقْفُونَ ﴾ [البقرة: ٣] قال : «ومعنى الإنفاق في اللغة إخراج المال من اليد ، ومن هذا يقال : نفق المبيع إذا كثر مشتروه فخرج عن يد البائع ، ونفقت الدابة إذا خرجت روحها ، والنفق سرب له مخلص إلى مكان آخر يخرج منه ، والنافق من جحرة اليربوع : هو الذي يخرج منه إذا أخذ من جهة أخرى » . فيظهر أن الواحدي اعتمد في هذا التحليل للفظ الإنفاق على الثعلبي لتطابق عبارته مع الثعلبي ^(١) .

ومثال آخر في جانب النحو واللغة : ما ذكره عند قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَرْبِصْنَ أَنْفُسِهِنَّ أَزْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ﴾ [البقرة: ٢٣٤] . قال الواحدي : « ﴿ وَعَشْرًا ﴾ بلفظ التأنيث ، وأراد الأيام ، وإنما كان كذلك تغليب الليالي على الأيام إذا اجتمعن في التاريخ وغيره ، وذلك أن ابتداء الشهر يكون بالليل ، فلما كانت الليالي الأوائل غلبت ؛ لأن الأوائل أقوى من الثواني ^(٢) . فهذا منقول من تفسير الثعلبي من دون عزو .

ومن أمثلة ذلك في جانب الأحكام الفقهية قول الواحدي في تفسير آيات الصيام : « والمرض الذي يبيح الإفطار هو كل مرض كان الأغلب من أمر صاحبه بالصوم الزيادة في علته زيادة لا يحتمله ، والأصل فيه : أنه إذا أجهد الصوم

(١) انظر : الثعلبي ١/٤٧ ، ب .

(٢) تفسير الثعلبي ٢/١٥٩ .

أفطر ، وحثَّ السَّفَرِ الذي يبيح الإفطار : ستة عشر فرسخاً^(١) فصاعداً . والإفطار رخصة من الله للمسافر ، فَمَنْ أَفْطَرَ فبرخصة الله أخذ ، ومن صام ففرضه أدَّى ، على هذا عامة الفقهاء .

فهذا النص منقول من تفسير الثعلبي من دون عزو إليه ، والأمثلة على ذلك كثيرة ولا تحصى ؛ لأن تفسير الثعلبي كالعمود الفقري وعمود الخيمة بالنسبة إلى تفسير البسيط .

ويمكن أن نسجل هنا مقارنة بين الكشف والبيان للثعلبي والبسيط للواحد في النقاط الآتية :

١ . يعدُّ تفسير الثعلبي من تفاسير الرواية المسندة ؛ حيث يروي كثيراً من الأحاديث والآثار والأخبار والأشعار بسنده ، بينما لا نجد هذا في البسيط إلا قليلاً ، وغالب ما فيه من الرويات مأخوذ من تفسير شيخه .

٢ . بسط الواحد في البحث في مجال اللغة والقراءات تدقيقاً وتحقيقاً ومناقشةً وتوجيهاً ، بينما نجد هذين الجانبين في تفسير الثعلبي على نحو مختصر ، وكأنَّ كتاب الواحد استدرأ على كتاب شيخه في هذين الجانبين .

٣ . أكثر الثعلبي في كتابه من الإسرائيليات والأحاديث الضعيفة والموضوعة ، وقد تقدم أنه ذكر الحديث الموضوع في فضائل السور ، وهذا مما أخذ عليه ، قال ابن الجوزي عن تفسير الكشف والبيان :

(١) الفرسخ : ثلاثة أميال هاشمية ، والميل : ستة آلاف ذراع ، والذراع : أربعة وعشرون أصبعاً معتدلة ؛ أي إن طول الفرسخ قرابة ٦ كم . انظر : المجموع شرح المذهب ٤ / ١٩٠ ، والقاموس ٣٢٩ ، والمكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري ٩٤ .

«ليس فيه ما يعاب به ، إلا ما ضمَّنه من الأحاديث الواهية التي هي في الضعف متناهية ، خصوصاً أوائل السور»^(١) .

ويقول شيخ الإسلام رحمه الله : «لقد أجمع أهل العلم بالحديث أنه روى طائفة من الأحاديث الموضوعة ، كالحديث الذي يرويه في أول كل سورة ، وأمثال ذلك ، ولهذا يقال : هو كحاطب ليل»^(٢) .

ويقول أيضاً : «والثعلبي هو في نفسه كان فيه خير ودين ، وكان حاطب ليل ، ينقل ما وجد في كتب التفسير من صحيح وضعيف وموضوع»^(٣) .

ويقول في موضع آخر : «الثعلبي والواحدي وأمثالهما ، هؤلاء من عادتهم يروون ما رواه غيرهم ، وكثير من ذلك لا يعرفون هل هو صحيح أم ضعيف ؟ ويروون من الأحاديث الإسرائيلية ما يعلم غيرهم أنه باطل في نفس الأمر ؛ لأن وظيفتهم النقل لما نُقل ، أو حكاية أقوال الناس ، وإن كان كثير من هذا وهذا باطلاً ، وربما تكلموا على صحة بعض المنقولات وضعفها ، ولكن لا يتردون هذا ولا يلتزمون»^(٤) .

ونجد أن الواحدي لقلة الرواية في تفسيره هذا نسبة إلى تفسير شيخه قد تجاوز كثيراً من المرويات السقيمة والإسرائيليات ، ولم يعرج عليها ، وإن كان لم يسلم منها ، ومما يحمد له أنه لم يذكر حديث فضائل السور الموضوع في البسيط ، لكنه ذكره في الوسيط .

(١) نقله عنه ابن تغري بردي في النجوم الزاهرة ٢٨٣/٤ ، انظر : مقدمة التحقيق لتفسير الثعلبي ، الكشف والبيان ١/٢٠٠ .

(٢) منهاج السنة النبوية ٤/٤ ، وانظر أيضاً : ٨٢/٤ .

(٣) مجموع الفتاوى ١٣/٣٥٤ .

(٤) منهاج السنة ٤/٨٤ .

٤. بيّن الثعلبي - رحمه الله - في مقدمة تفسيره أسانيده إلى أئمة التفسير ، الذين شهرُوا بالتفسير ، مثل ابن عباس وابن مسعود ومجاهد^(١) .

بينما لم يذكر الواحدي هذه الأسانيد في مقدمة كتابه ، وإنما ذكر بعضاً منها مفرداً في ثنايا كتابه .

٥. ذكر الثعلبي في مقدمته أنه بنى كتابه على أربعة عشر أساساً ، وعد منها الحكم والإشارات ، يعني التفسير الإشاري^(٢) ، وقد نقل شيئاً من ذلك في كتابه من كتاب شيخه أبي عبدالرحمن السلمي الذي قال عنه الثعلبي : «قرأته كله على مصنفه أبي عبدالرحمن السلمي ، فأمر لي به»^(٣) ، وقد أفاد من كتب أخرى في هذا الباب : مثل تفسير القرآن العظيم لسهل التستري^(٤) ، لكن الثعلبي لم يتابع شيخه السلمي في ما أخطأ فيه ، وانتقد بسببه ، وصان تفسيره من التأويلات الرمزية التي تخالف اللغة العربية^(٥) ، بينما لم يلتفت الواحدي إلى شيء من ذلك ، وعرفنا موقفه من تفسير السلمي في ما تقدم .

(١) انظر : مقدمة تفسير الثعلبي ١/ ٢٤٥-٣٢٧ تحقيق د. خالد العنزي .

(٢) وهو تأويل آيات القرآن الكريم على خلاف ما يظهر منها بمقتضى إشارات خفية تظهر لأرباب السلوك ، ويمكن التطبيق بينها وبين الظواهر المرادة . انظر : التفسير والمفسرون ٢/ ٣٥٢ .

(٣) مقدمة تفسير الثعلبي ١/ ٣٣١ تحقيق : د. العنزي .

(٤) هو سهل بن عبدالله التستري ، الصوفي الزاهد ، صاحب ذا النون المصري ، له كلمات نافعة ومواعظ حسنة وقدم راسخة في الطريق كما قال الذهبي . توفي سنة ٢٨٣ هـ . انظر : حلية الأولياء ١٠/ ١٨٩ ، وسير أعلام النبلاء ١٣/ ٣٣٠ .

(٥) انظر : الثعلبي ودراسة كتابه الكشف والبيان ٢/ ٦١٦ ، ومقدمة التحقيق لتفسير الثعلبي ١/ ١٤٠ للدكتور العنزي .

ثانياً : علم القراءات :

«الحجة للقراء السبعة»^(١) لأبي علي الفارسي^(٢)

ما أَلَّفَ أبو علي كتاب الحجة للقراء السبعة ، إلاَّ ليستدل ويحتج للقراءات ويوثقها ، ويوجهها ، ويلتمس الدليل لقراءة كل قارئ من القراء السبعة الذين اختارهم ابن مجاهد ، إما بالاستناد إلى قاعدة مشهورة في العربية ، أو بالتماس علة خفية بعيدة الإدراك يحاول اقتناصها ، أو توليدها ، أو الاعتماد على القياس ، وحشد النظائر ومقارنة المثل بالمثل ، وهو ممَّا برع فيه أبو علي الفارسي .

وكان أبو علي الفارسي يسوق لكل أسلوب من أساليب احتجاجه الآيات القرآنية ، والشعر الصالح للاحتجاج ، والحديث النبوي ، والأمثال العربية ، ولغات العرب ولهجاتها ، وأقوال أئمة العربية وعلى رأسهم سيبويه الذي انتشرت عبارات كتابه في حجته .

وطريقته في ذلك طريقة المتن والشرح ، فهو يعرض أولاً نص ابن مجاهد في عرضه لاختلاف القراء في كل حرف من الحروف ، مصرِّحاً باسمه أو مغفلاً

(١) اسم الكتاب الحجة للقراء السبعة أئمة الأمصار بالحجاز والعراق والشام الذين ذكرهم أبو بكر بن مجاهد ، طبع الكتاب بتحقيق بدر الدين قهوجي ، وبشير حويجاني ، ومراجعة عبدالعزيز رباح ، وأحمد الدقاق ، في دار المأمون بدمشق .

(٢) هو الحسن بن أحمد بن عبدالغفار بن محمد بن سليمان بن أبان الفارسي الفسوي ، أبو علي ، نحوي ، صرفي ، عالم بارع بالعربية والقراءات ، ولد ببلدة فسا ، وقدم بغداد ، سمع الحديث ، وبرع في علم النحو وانفرد به ، وقصده الناس من الأقطار ، وعلت منزلته في العربية ، وقدم حلب سنة ٣٤١هـ ، فأقام عند سيف الدولة فأكرمه وأحسن نزله ، ثم رجع إلى فارس وصحب عضد الدولة بن بويه ، وتقدم عنده فعلمه النحو ، وروى القراءة عرضاً عن أبي بكر بن مجاهد ، وعرضاً عن الملك بن بكران ، وانتهت إليه رئاسة النحو .

قال الذهبي : «كان فيه اعتزال» ، توفي سنة ٣٧٧هـ في ربيع الأول . من مصنفاته الحجة للقراء السبعة ، والتذكرة ، والتكملة والإيضاح . انظر : تاريخ بغداد ٢٧٥ / ٧ ، ٢٧٦ ، ووفيات الأعيان ١ / ١٦٣ ، ١٦٤ ، وسير أعلام النبلاء ١٦ / ٣٧٩ .

له مكتفياً بقوله : اختلفوا . . . ثم يعقبه بقول شيخه ابن السراج ، وذلك في القسم الذي شرع في تفسيره من الفاتحة وسورة البقرة ، أو بكلامه هو بقوله : قال أبو علي .

ولعل أبرز ما يتميز به أسلوب أبي علي هو ظاهرة الاستطراد والانطلاق بعيداً عن أصل الموضوع المطروق حتى يكاد ينسي آخره أوله ، فهو ينتقل بالقارئ من الكلام على الحرف والخلاف فيه والاحتجاج له إلى تفسير الآية ، فيغوص في الأعماق ، فيستخرج من كنوز المعاني ودرر الحقائق ما ينتزع إعجاب العلماء بسعة عقله ونفاذ فكره ، أو يتناول الكلمة وما يتفرع عنها من معانٍ ، وما تدل عليه من دلالات ، فيتناولها معنى معنى ؛ مبيناً له مع شواهد ، ثم يتجاوزها إلى الحديث عن الوجوه الإعرابية أو العلل الصرفية ، ويناقش ذلك جميعه ويحشد له الشواهد والأدلة ، فيشبعه ولا يترك بعده زيادة لمستزيد ، وهو أشبه ما يكون بالنبع الغزير المتدفق في الأرض المستوية ، ينبثق فيشق دروباً لنفسه في كل مكان قبل أن يأخذ مجراه .

ثم ذكر الواحدي صلته بكتب أبي علي الفارسي عموماً في مقدمته ، حينما قال : « . . . وقرأت على الأستاذ سعيد مصنفات ابن مهران ، وروى لنا كتب أبي علي الفسوي عنه . . . »^(١) .

وذكر صلته بكتاب الحجة بصفة خاصة ، حينما قال : « وذكرت وجوه القراءات السبع التي اجتمع عليها أهل الأمصار من دون تسمية القراء ، واعتمدت في أكثرها على كتاب أبي علي الحسن بن أحمد الفارسي ، الذي رواه لنا سعيد بن محمد الحيري عنه . . . »^(٢) .

(١) مقدمة البسيط للمؤلف .

(٢) المصدر السابق .

ولقد اعتمد الواحدي اعتماداً كبيراً على كتاب الحجة في توجيه القراءات ، ونقل عنه وأطال ، ولعله اكتفى بتلك الإحالة التي ذكرها في المقدمة ، حين قال : « . . واعتمدت في أكثرها على كتاب أبي علي الحسن بن أحمد الفارسي . . . » ؛ ولهذا لم يعزله إلا قليلاً ، مع أنه في أكثر المواضع ينقل كلام أبي علي بنصه ، وقد يتصرف فيه تصرفاً يسيراً .

على أنه مما ينبغي ذكره أن أبا علي لما أطال في كتابه على هذا النسق جعل الكتاب صعب العبارة ، لا يستطيع الإفادة منه إلا القليل . ذكر هذا تلميذه ابن جني ، حينما قال : « وقد كان شيخنا أبو علي عمل كتاب الحجة في قراءة السبعة ، فأغمضه وأطال حتى منع كثيراً - ممن يدعي العربية فضلاً عن القراءة - منه ، وأجفاهم عنه »^(١) .

ونقل الواحدي عن الحجة وإطالته في ذلك وقع في كتابه شيء من الغموض وصعوبة العبارة ، تلاحظ ذلك وأنت تقرأ في حجج القراءات عند الواحدي أو في بعض المباحث اللغوية والنحوية .

وأمثلة ما نقله عن الحجة كثيرة ، ففي كل موضع تكلم فيه على القراءات نقل فيه عن أبي علي ، من ذلك في قوله تعالى : ﴿ مَلِكٍ يَوْمَ الدِّينِ ﴾ [الفاتحة : ٤] ذكر القراءات فيها ، ثم ذكر الاحتجاج لها ، ونقل في ذلك عن الحجة من دون عزو ، قال : « قال محمد بن السري : الملك الذي يملك الكثير من الأشياء ، ويشارك غيره من الناس بالحكم عليه في ملكه . . . »^(٢) . وأخذ بعد ذلك عن أبي علي بتصرف .

(١) المحتسب ١/ ٢٣٦ ، وانظر : مقدمة المحققين على كتاب الحجة ٢٦ ، طبعة دار المأمون .

(٢) انظر : البسيط تفسير الفاتحة [الآية : ٤] .

ومثال آخر في قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ﴾ [البقرة: ٦] ، نقل في الاحتجاج للقراءات في «أنذرتهم» قريباً من عشر صفحات^(١) .

على أن أخذ الواحد من الحجة لم يقتصر على الاحتجاج للقراءات ، حيث إنَّ أبا علي في الحجة يستقصي المسائل يتتبعها ، ويخرج عن مجال الاحتجاج للقراءات إلى بيان أصول بعض الكلمات ، أو الوجه التفسيري للآية ، فنقل عنه الواحد في ذلك كثيراً .

ومن أمثلة ذلك في قوله تعالى : ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢] ، قال : «وقال أناس من النحويين : إنه قد تُجرى الأسماء التي ليست بمصادر مجرى المصادر ، فيقولون : جلس جلسة ، وركب ركبة ، ويقولون : عجت من دهنك لحيتك ، وينشدون :

وبعد عَطَائِكَ المائَةَ الرِّتَاعَا

فَيُجْرَى مُجْرَى الإِعْطَاءِ . . . إلخ»^(٢) .

فهذا - مع كلام بعده - نقله عن الحجة بتصرف يسير في العبارة ، ونص كلام أبي علي في الحجة : « . . ويقويه أن ناساً من النحويين يزعمون أنه قد يجري الأسماء التي ليست بمصادر مجرى المصادر ، فيقولون : عجت من دهنك لحيتك . . . إلخ»^(٣) .

ونقل عنه في موضع آخر مع عزو الكلام إليه ، فقال في تفسير قوله تعالى : ﴿وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البقرة: ٣٠] قال : «قال أبو علي الفارسي : معنى نقدر لك : ننزهك

(١) انظر : البسيط تفسير سورة البقرة [الآية ٦] .

(٢) البسيط عند تفسير [الآية ٢] .

(٣) الحجة ١ / ١٨٢ .

عن السوء ، فلا ننسبه إليك ، وفيه على حدها في قوله : ﴿رَدَفَ لَكُمْ﴾ [النمل : ٧٢] ؛ لأن المعنى تنزيهه ، وليس المعنى أنه يَنْزَهُ شيء من أجله . . . الخ»^(١) .

ثالثاً : معاني القرآن

١ . معاني القرآن^(٢) للفرّاء أبي زكريا يحيى بن زياد^(٣) :

لقد ألف الفرّاء كتابه معاني القرآن ، وحشد فيه من المسائل النحوية والصرفية واللغوية ، ومذاهب العرب ، وتوجيه القراءات ، وتفسير القرآن من وجهة عربية ؛ لإبراز مذهبه الكوفي في علوم العربية .

وقد أفاد الواحدي من كتاب معاني القرآن ونقل عنه كثيراً إما بالعزو إليه ، فيقول : قال الفرّاء ، ومن أمثلة ذلك تفسير قوله تعالى : ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [البقرة : ٢] . عن معنى (ذلك) قال : «قال الفرّاء : وإنما يجوز (ذلك) بمعنى (هذا)

(١) البسيط عند تفسير [الآية : ٣٠] .

(٢) ذكر ثعلب سبب إملاء كتاب الفرّاء في المعاني أن عمر بن بكير كان من أصحابه ، وكان منقطعاً إلى الحسن بن سهل ، فكتب إلى الفرّاء : «إن الأمير الحسن بن سهل ربما سألني عن الشيء بعد الشيء من القرآن ، فلا يحضرني فيه جواب ، فإن رأيت أن تجمع لي أصولاً أو تجعل في ذلك كتاباً أرجع إليه فعلت» . فقال الفرّاء لأصحابه : «اجتمعوا حتى أملّ عليكم كتاباً في القرآن» . وقد أملى الفرّاء كتابه من حفظه في سنتين من رمضان ٢٠٢ هـ إلى ٢٠٤ هـ . وقد طبع بتحقيق الأستاذين محمد علي النجار وأحمد يوسف نجاتي .

(٣) هو يحيى بن زياد بن عبدالله بن منظور الأسلمي ، المعروف بالفرّاء الديلمي أبو زكريا ، مولاهم الكوفي ، صاحب التصانيف ، سكن بغداد وأملى بها كتاب معاني القرآن وغير ذلك . ولد سنة ١٤٤ هـ . قال ابن الأنباري : «كان يقال للفرّاء أمير المؤمنين في النحو» . وقال ثعلب : «لولا الفرّاء لما كانت عربية ؛ لأنه خلصها وضبطها ، ولولا الفرّاء لسقطت العربية ؛ لأنه كانت تتنازع ويدعيها كل من أراد ويتكلم الناس فيها على مقادير عقولهم وقرائحهم فتذهب ، توفي - رحمه الله - سنة ٢٠٧ هـ بطريق مكة ، عن عمر ثلاث وستين سنة . من مصنفاته الحدود ، ومعاني القرآن ، والوقف والابتداء ، والمصادر . انظر : ترجمته في وفيات الأعيان ٢/ ٣٠١-٣٠٤ ، ومعجم الأدباء ٩/ ٢٠-١٤ ، وأخبار النحويين البصريين ٥١ ، وتذكرة الحفاظ ١/ ٣٣٨ .

لما مضى وقرب وقت تقضيه ، أو تقضي ذكره ، فأما الموجود الحاضر فلا يقال فيه (ذلك) ... إلخ»^(١).

وربما نقل عنه بالسند كما في تفسيره قوله تعالى : ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ﴾ [البقرة: ٢٩] قال : «أخبرني أبو سعيد بن أبي عمرو والنيسابوري - رحمه الله - ثنا محمد بن يعقوب المعقلي ابنا محمد بن الجهم^(٢) ، عن الفرّاء قال : الاستواء في كلام العرب على جهتين ؛ إحداهما : أن يستوي الرجل وينتهي شبابه وقوته ، ويستوي من اعوجاج ... إلخ»^(٤).

وقد ينقل عنه من دون عزو ، وذلك في تفسير قوله تعالى : ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ نَفْسًا فَادْرَأْهَا ثُمَّ فِيهَا﴾ الآية [البقرة: ٧٢] ، قال : «وقوله : ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ﴾ ينعطف على قوله : ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَمُوسَى﴾ [البقرة: ٥٥] ، ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا﴾ [البقرة: ٥٠] ، والذكر مضمّر فيها كأنه قال : «واذكروا إذ قتلتم» ، ولهذا لم يأتَ لـ (إذ) بجواب . ومثله قوله : ﴿وَالْإِنَّمُودُ أَخَاهُمْ صَاحِبًا﴾ [هود: ٦١] وليس شيء قبله تراه ناصباً لصالح ، فعلم بذكر النبي ، وبالرسل إليه أن فيه إضمار (أرسلنا) . ومثله قوله : ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِنْ قَبْلُ﴾ [الأنبياء: ٧٦] ، ﴿وَذَا التُّونِ﴾ [الأنبياء: ٨٧] ، وهذا يجري على مثال ما قال في سورة ص : ﴿وَأَذْكُرْ عِبَادَنَا﴾ [ص: ٤٥] ، ثم ذكر الذين من بعدهم بغير (واذكر) ؛ لأن معناه متفق ، فجاز ذلك ...»^(٥).

(١) انظر : البسيط عند تفسير الآية [٢] ، ومعاني القرآن ١٠ / ١ .

(٢) هو محمد بن الجهم السمرّي ، أبو عبدالله راوي كتاب معاني القرآن للفرّاء . انظر : ترجمته في تاريخ بغداد ١٦١ / ٢ ، والإكمال ٥٢٩ / ٤ ، وغاية النهاية في طبقات ٣٢٧ / ١ ، وسير أعلام النبلاء ١٦٣ / ١٣ ، وتذكرة الحفاظ ٣١٤ / ٢ .

(٣) معاني القرآن ١ / ١٤ ، والبسيط عند الآية [٢٩] .

(٤) معاني القرآن ١ / ٢٥ ، والبسيط ، الموضع السابق .

(٥) البسيط ١٠٧٧ ، والكلام في معاني القرآن للفرّاء مع اختلاف يسير في العبارة ١ / ٣٥ .

ويتضح من هذه النصوص أنه ينقل عن الفرّاء في المسائل النحوية واللغوية والقضايا التفسيرية وغيرها .

٢ . معاني القرآن^(١) للزّجاج^(٢)

ذكر المؤلف صلته بمعاني القرآن للزّجاج في مقدمة البسيط في أثناء كلامه عن شيخه سعيد بن محمد الحيري ، قال : « . . . وقرأت عليه بلفظي كتاب الزّجاج في المعاني روايته عن ابن مقسم^(٣) عنه ؛ وسمع بقراءتي الخلق الكثير . . . »^(٤) .

منهج الزّجاج في معاني القرآن

طريقته تحليل بعض ألفاظ الآية من الناحية الاشتقاقية ، ثم ذكر إعراب الآية ومناقشة النحويين ، وإيراد قراءات اللغويين ، وهي قراءات شاذة غالباً ، والقراءات المشهورة ، وبيان المعنى على كل ، وقد يقف عند الحروف فيشرحها^(٥) .

(١) طبع الكتاب بتحقيق د . عبد الجليل شليبي ، المطابع الأميرية ، القاهرة ، خرج منه مجلدان ، ثم طبع كاملاً في عالم الكتب ببلن في خمسة أجزاء .

(٢) هو أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل . كان في أول حياته يحترف خراطة الزّجاج فسمي الزّجاج ، عالم بالنحو واللغة ، ذو دين وفضل وحسن اعتقاد ، أخذ العلم عن المبرّد وثعلب وغيرهما ، ومن أشهر تلامذته أبو علي الفارسي والجوهري وغيرهما ، ومن مصنفاته معاني القرآن ، والاشتقاق ، والعروض ، ومختصر النحو ، وما تكلمت به العرب على لفظ فعلت وأفعلت ، وغيرها من المصنفات النافعة .
انظر : تاريخ بغداد ٦/ ٨٩-٩٣ ، ومعجم الأدباء ١/ ١٣٠-١٥١ ، والأنساب ٦/ ٢٧٣ ، وإنباه الرواة : ١/ ١٩٤-٢٠٠ .

(٣) ابن مقسم محمد بن الحسن بن يعقوب بن الحسن بن مقسم العطار أبو بكر البغدادي ، إمام نحوي مقرئ له مؤلفات جليلة في التفسير ومعاني القرآن ، وله اختيار في القراءة تكلم فيها بعض العلماء ، توفي سنة ٣٥٤هـ وله ٨٩ سنة . انظر : إنباه الرواة ٣/ ١٠٠ ، ومعجم الأدباء ١٨/ ١٥٠ ، وغاية النهاية ٣/ ١٢٣ ، ولسان الميزان ٥/ ١٣٠ ، وطبقات المفسرين للداودي ٢/ ١٣١ .

(٤) انظر : مقدمة البسيط ٣٨٤ .

(٥) انظر : مقدمة د . شليبي على معاني القرآن .

وقد اعتمد الواحدي على كتاب معاني القرآن اعتماداً كبيراً ، وأفاد منه كثيراً ، ولا يفسر آية إلا وينقل غالباً عن الزَّجَّاج فيها قائلاً : قال أبو إسحاق ، أو قال الزَّجَّاج .

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى : ﴿ رَبِّ اَلْعَالَمِیْنَ ﴾ [الفاتحة: ١] قال : « قال أبو إسحاق : وإنما لم يستعمل الواحد من لفظه ؛ لأن (العالم) اسم لأشياء مختلفة ، فإن جعل لواحد منها اسم من لفظه صار جمعاً لأشياء متفقة »^(١) .

وفي تفسير قوله تعالى : ﴿ يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَّعَ الْحَيَوةَ الدُّنْيَا ﴾ [يونس: ٢٣] ، قال : « قال أبو إسحاق : (متاع الحياة الدنيا) يُقْرَأُ بالرفع والنصب ، فالرفع من جهتين ... إلخ »^(٢) .

وربما نقل عنه بالسند كما في تفسير قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ ﴾ [البقرة: ٢٩] ، فقال : « أقرأني سعيد بن محمد الحيري - رحمه الله - عن أبي الحسن بن مقسم وأبي علي الفارسي عن الزَّجَّاج قال : قال قوم في قوله : ﴿ ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ ﴾ عمد وقصد إلى السماء ، كما تقول فرغ الأمير من بلد كذا ثم استوى إلى بلد كذا ، معناه : قصد بالاستواء إليه ، قال : وقول ابن عباس : (ثم استوى إلى السماء) ؛ أي صعد ، معناه : صعد أمره إلى السماء » . انتهى كلامه^(٣) .

وقد ينقل عنه ولا يعزوله ، وهذا كثير ، مثال ذلك في تفسير قوله تعالى : ﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ [البقرة: ٢] ، قال : « . . . فإن قيل : فما أنكرت أن يكون جواب هل

(١) انظر : البسيط تفسير الفاتحة الآية [٢] .

(٢) البسيط ٣/ ل ١١ بالنسخة الأزهرية .

(٣) انظر : البسيط [البقرة: ٢٩] ، وانظر : كلام الزَّجَّاج في معاني القرآن ١/ ٧٤ ، ٧٥ ، والنص أقرب إلى ما في تهذيب اللغة ١٣/ ١٢٥ .

رجل في الدار؟ قيل: معنى (لا رجل في الدار) عمهم النفي، لا يجوز أن يكون في الدار رجل ولا أكثر منه، وكذلك: هل من رجل في الدار؟ استفهام عن الواحد وأكثر منه... إلخ^(١).

فهذا التساؤل وجوابه والكلام بعده وقبله أخذه عن معاني القرآن للزجاج^(٢)، وهو يتصرف في كلام الزجاج حين ينقل عنه سواء كان بعزو أو من دون عزو.

ومما يلحظ من النصوص السابقة وغيرها بالتبعية أنه لا ينقل عن الزجاج القضايا النحوية واللغوية فقط، بل ينقل عنه في القضايا التفسيرية وغيرها أيضاً.

رابعاً: اللغة

تهذيب اللغة^(٣) لأبي منصور الأزهري^(٤):

يعدُّ تهذيب اللغة من أهم المعاجم اللغوية وأضخمها، وقد تميز عما سبقه بوفرة مادته اللغوية، وكثرة المصادر التي أفاد منها، فهو موثق المادة

(١) انظر: البسيط عند تفسير سورة البقرة الآية [٢].

(٢) انظر: معاني القرآن للزجاج ٣١/١، ٣٢.

(٣) طبع الكتاب محققاً أول مرة، من جماعة مختارة من المحققين والمراجعين بالتعاون مع العلامة عبد السلام هارون، وصنع له فهرساً يسر الانتفاع به، وصدر عن الدار المصرية للتأليف والنشر، القاهرة، ١٩٦٤-١٩٦٧م في ستة عشر مجلداً. ثم رتبته الأستاذ رياض زكي قاسم ألفبائياً، وصدر عن دار المعرفة ٢٠٠١م في أربعة مجلدات.

(٤) هو أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهر، الهروي، العلامة، الشافعي، وشهرته الأزهري، وهي نسبة إلى أزهر أحد أجداده، ولد سنة ٢٨٢هـ، وكان رأساً في اللغة والفقه، ثقة ثبتاً ديناً، وقع في الأسر عند عودته من الحج، وذلك في فتنة القرامطة، وأقام في الأسر قرابة عشرين عاماً، ثم تخلص منه، ودخل بغداد، وقد استفاد من القوم الذين وقع في سهمهم، وكانوا في عامتهم أعراباً بداءة، وقد ألف كتابه التهذيب بعد بلوغه السبعين، ولما دخل بغداد أخذ عن كبار شيوخها، ثم عاد إلى هراة ليأخذ عن شيوخها.

فصيحها؛ وقد صرح في مقدمته بأنه لم يودع كتابه إلا ما صح له سماعاً من العرب، أو رواية عن ثقة، أو حكاية عن خط ذي معرفة ثاقبة اقترنت إليها معرفته.

والتهذيبُ عمدة لما ظهر بعده من المعجمات، فصاحب لسان العرب يقول: «لم أجد في كتب اللغة أجمل من تهذيب اللغة لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري...»، ويضيف في مكان آخر، في مقدمته: «وأنا مع ذلك لا أدعي فيه دعوى فأقول شافهت أو سمعت، أو فعلت وصنعت، أو شددت أو رحلت، أو نقلت عن العرب العرباء أو حملت»؛ فكل هذه الدعاوى لم يترك فيها الأزهرِيُّ وابن سِدهَ لقائل مقالاً، ولم يخلها فيه لأحد مجالاً، فإنَّهما عَيَّنَا في كتابيهما عَمَّن رويَا، وبرهنا عَمَّا حويَا، ونشرا في خطيهما ما طويَا، ولعمرى لقد جمعا فأوعيا، وأتيا بالمقاصد ووفيا».

مصادر التهذيب

استنفذ الأزهرِيُّ في معجمه علم من كتبوا قبله، ورحل إلى البادية سعياً وراء المشافهة والسماع من أفواه العرب الخُلص، واستقصى في تتبُّع ما حصَّل من علوم العربية والاستشهاد بشواهد أشعارها المعروفة بفصاحتها التي احتجَّ بها أهل المعرفة، واستفاد -أيضاً- من إقامته سنوات طويلة في الأسر؛ فقد اختلط بأقوام عامتهم من هوازن، واختلط بهم أصراً من تميم وأسد، ممَّن نشؤوا في البادية «يتبَّعون مساقط الغيث أيام التُّجع، ويرجعون إلى أعداد المياه، ويرعون النَّعم، ويعيشون بألبانها، ويتكلَّمون بطباعهم البدوية وقرائحهم التي اعتادوها، ولا

= توفي الأزهرى سنة ٣٧٠هـ وكان عمره تسعين عاماً، من مصنفاته الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي، وعلل القراءات، والرد على الليث، وتفسير إصلاح المنطق. انظر: معجم الأدباء ١٧/ ١٦٤-١٦٧، ووفيات الأعيان ٤/ ٣٣٤، ونزهة الألباء في طبقات الأدباء ٢٣٧، وسير أعلام النبلاء ١٦/ ٣١٥.

يكاد يقع في منطقهم لحنٌ أو خطأ فاحش . . . ، وكنا نتشتَّى الدهناء^(١)، ونترَبَّع الصَّمان^(٢)، ونتقيَّظ السَّتارين^(٣). واستفدتُ من مخاطباتهم ومحاوره بعضهم بعضاً ألفاظاً جمَّة ونوادير كثيرة . . . ».

وفي مقدمة الأزهري ذكرُ وافٍ لطبقات أئمة اللغة الذين اعتمد عليهم في تصنيف تهذيبه، وهم خمس طبقات، من أبرزهم أبو عمرو بن العلاء^(٤)، وخلف الأحمر^(٥)، والمفضل الضبي^(٦)، وأبو زيد الأنصاري^(٧)، وأبو عمرو الشيباني^(٨)، وأبو عبيدة معمر بن المثنى^(٩)، والأصمعي^(١٠)،

(١) الدهناء أرض واسعة في بادية العرب، في ديار بني تميم، وقيل هي سبعة أجبل من الرمل، وقيل هي في بادية البصرة في ديار بني سعد. وفيات الأعيان ٣٣٦/٤.

(٢) الصَّمان جبل أحمر ينقاد ثلاث ليال، وليس له ارتفاع، يحاور الدهناء، وقيل إنه قرب رمال عاليج، وبينه وبين البصرة تسعة أيام. وفيات الأعيان ٣٣٦/٤.

(٣) السَّتاران ثنية ستار. وهما واديان في ديار بني سعد، يقال لهما سورة. وفيات الأعيان ٣٣٦/٤، وقال ياقوت في معجم البلدان (ستار): «والستاران في ديار بني ربيعة واديان يقال لهما السَّوْدَة، يقال لأحدهما الستار الأغبر وللآخر الستار الجابري، وفيهما عيون فَوَّارة تسقي نخيلاً كثيرة . . . ، وهي من الأحساء على ثلاثة أميال . . . ».

(٤) هو أبو عمرو بن العلاء، بن عمار بن عبد الله المازني، النحوي المقرئ. اختلف في اسمه على أحد وعشرين قولاً. مات سنة أربع - وقيل تسع - وخمسين ومائة. انظر: إنباه الرواة ١٢٥/٤، ومعجم الأدباء ٣/٣٤٥، وبغية الوعاة ٢/٢٣١.

(٥) هو أبو محرز خلف بن حيَّان المعروف بخلف الأحمر. مات في حدود الثامنة بعد المائة بغية الوعاة ١/٥٥٤.

(٦) هو أبو عبد الرحمن، المفضل بن محمد الضبي. توفي نحو ١٧٨ هـ.

(٧) هو أبو زيد سعيد بن أوس الأنصاري. توفي سنة ٢١٤ هـ.

(٨) هو أبو عمرو وإسحاق بن مرار الشيباني. توفي سنة ٢٠٦ هـ في خلافة المأمون، وقيل سنة ٢١٠ هـ، نزهة الألباء ٩٦.

(٩) في سنة وفاته خلاف؛ فقد قال الصولي: توفي سنة ٢٠٧ هـ، وقال مظفر بن يحيى: توفي سنة ٢٠٩ هـ، وهو ابن ثلاث وتسعين سنة، وقيل: توفي بالبصرة سنة ٢١٣ هـ وله ثمان وتسعون سنة في خلافة المأمون. نزهة الألباء ١١١.

(١٠) هو أبو بكر عبد الملك بن قُريب. توفي سنة ٢١٣ هـ، وقيل سنة ٢١٧ هـ في خلافة المأمون. نزهة الألباء

والكسائي^(١)، والنضر بن شميل^(٢)، والفرّاء^(٣)، وسيبويه^(٤)، وأبو عبيد القاسم بن سلام^(٥)، واللّحّاني^(٦)، وعمرو بن أبي عمرو الشيباني^(٧)، وأبو حاتم السجستاني^(٨)، وابن السكّيت^(٩)، وثعلب^(١٠)، والمبرّد^(١١)، والزّجاج^(١٢).

وهو حين ينقل عمّن سبقه قد يصرّح باسم المرجع الذي نقل عنه، وقد لا يصرّح، لكنّ المادة الموثّقة بأسانيدھا، المعزّوة إلى القائل تغلب على مواده.

وينبغي، هنا، أن نشير إلى أن الأزھري حين ينقل عن كتاب العين فإنّما ينقل عنه بعبارة: «قال الليث»؛ لأنّه كان يرى أن كتاب العين من صنيع الليث^(١٣)، فقد أملاه الخليل بن أحمد على الليث بعد تلقّفه إيّاه عن فيه، وهو منهج صدر عن

١٢٣.

- (١) هو أبو الحسن علي بن حمزة. ستأتي ترجمته.
- (٢) توفي النضر سنة ثلاث - أو أربع - ومائتين في خلافة المأمون. نزهة الألباء ٨٨.
- (٣) سبق ترجمته.
- (٤) هو أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، ستأتي ترجمته، توفي سنة ١٨٨ هـ، وقيل ١٩٤ هـ، والأول أشبه؛ لأنّه مات قبل الكسائي. نزهة الألباء ٦٦.
- (٥) ستأتي ترجمته.
- (٦) هو أبو الحسن علي بن المبارك، وقيل: ابن حازم. توفي سنة ٢٢٠ هـ. نزهة الألباء ١٧٦، وبغية الوعاة ٢/ ١٨٥، ونشأة النحو. محمد الطنطاوي ١٠٢.
- (٧) راية أبيه (أبي عمرو الشيباني)، توفي عمرو سنة ٢٣١ هـ.
- (٨) هو أبو حاتم سهل بن محمد، توفي سنة ٢٥٠ هـ، وقيل سنة ٢٥٥ هـ. نزهة الألباء ١٩١.
- (٩) هو أبو يوسف يعقوب بن إسحاق السكّيت، توفي سنة ٢٤٣ هـ، وقيل ٢٤٤ هـ، وقيل ٢٤٦ هـ. نزهة الألباء ١٧٩.
- (١٠) هو أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار الشيباني، أبو العباس ثعلب، شيخ اللغة العربية، إمام الكوفيين، حفظ كتب الفرّاء، ولازم ابن الأعرابي، توفي سنة ٢٩١ هـ.
- (١١) هو أبو العباس محمد بن يزيد المبرّد، ستأتي ترجمته.
- (١٢) سبق ترجمته في هذه المقدمة نفسها.
- (١٣) هو الليث بن المظفر، هكذا سماه الأزھري. وقال في بغية الوعاة ٢/ ٢٧٠: الليث بن نصر بن يسار الخراساني. وقال غيره: الليث بن رافع بن نصر بن يسار. ولم تُؤرخ وفاته.

شكَّ سيطر على الأزهرى ، مفاده التجريح بالمعجمات التي سبقتها وعاصرتها ، ولما لم يستطع مهاجمة الخليل نفسه تبَّنى فكرة نسبة العين إلى الليث ليستطيع تجريحه .

وهو على الرغم من موقفه الملتبس من الخليل ، كثير الانتفاع من العين ، فأثر منهج الخليل بادٍ في تهذيب اللغة ، وكذلك الإفادة الكثيرة من مادة العين المروية أو المدوَّنة ، مباشرة ، أو عن طريق الجمهرة لابن دريد .

منهج الأزهرى في تهذيب اللغة :

رتَّب الأزهرى مواد تهذيبه على مخارج الحروف ، متبعاً منهج كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي ، وقد حاكاه في تقاليب الكلمة والأبنية .

ويصرِّح في مقدمته بهذا المنهج وتلك المحاكاة بقوله : « ولم أرَ خلافاً بين اللغويين أن التأسيس المجل في أول كتاب العين ، لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد ، وأن ابن المظفر أكمل الكتاب عليه بعد تلقُّفه إياه عن فيه . وعلمت أنه لا يتقدَّم أحدُ الخليل في ما أسَّسه ورسَّمه ، فرأيت أن أحكيه بعينه لتتأمَّله وتردَّد فكرك فيه ، وتستفيد منه ما بك الحاجةُ إليه ، ثمَّ أتبعه بما قاله بعض النحويين ، ممَّا يزيد في بيانه وإيضاحه » .

والمنهج المذكور يتَّضح في النظام الآتي :

١ . ترتيب الأبجدية العربية ترتيباً صوتياً ، يبدأ بأقصى مخارج الحروف في الحلق وأدخلها ، وهو العين ، ثم ما قرب مخرجه منها الأرفع فالأرفع ، حتى يأتي إلى آخر الحروف ، وهو الياء ، وهذا انتظامها : ع ح هـ خ غ / ق ك / ج ش ض / ص س ز / ط د ت / ظ ذ ث / ر ل ن / ف ب م / و ا ي .

٢ . ترتيب الأبنية ترتيباً تصاعدياً يبدأ بالثنائي فالثلاثي فالرباعي فالخماسي .

- أ. أمّا الثنائي فتبدأ أبوابه من الحرف الأول وهو العين وما يليها ، وهو الحاء ، ثم العين مع الهاء ، فالعين مع الخاء ، حتى يأتي إلى آخر الحروف .
- ب. يقلّب الثنائي ، إن أمكنه قلبه ؛ نحو : عق = قع .
- ج. أبواب الثلاثي الصحيح . يبدأ بالعين مع الحاء وما يثلاثها بترتيب الحروف ، ثم العين مع الهاء ، ثم مع الخاء والغين ، حتى يأتي إلى آخر الحروف .
- د. يقلّب كلّ مادة ثلاثية بذكر الصور الست الممكنة في مكان واحد ؛ نحو : هقم - همق - قهم - قمه - مهق - مقه .
- ويشير إلى المستعمل منها والمهمّل ؛ فيقول في تقاليب هقم : مستعملات ، ويقول في تقاليب هكد : هكد - كهّد - كده - دهك : مستعملة . أهمل الليث هكد . ويقول في هكس : استُعمل من وجوهه : سَهَك . ويقول في هكز : أهمله الليث .
- هـ. ثم أبواب الثلاثي المعتل ، وهو ما فيه حرفان صحيحان وحرف علة واحد . وهي تجري على النظام السابق ، مع إلحاق المهموز بالمعتل بالألف .
- و. اللفيف ، فمن لفيف حرف الهاء : هاه - أوه - هيه - إيه - هيأ - هوأ - هأي - وهوه - يهيا - وهي - أيه - هوى - هوي .
- ز. الرباعي ، فالخماسي . يشار هنا إلى أنّ الأزهرى ربّ الرباعي على أبوابه ، ولم يفعل ذلك في الخماسي .
- ح. أدرج المعتل في آخر الكتاب^(١) .

(١) انظر : تهذيب اللغة ، طبعة دار المعرفة ، بتحقيق د . رياض زكي قاسم .

ولقد ذكر الواحدي صلته بكتاب تهذيب اللغة ، إذ كان الأزهري من شيوخ العروضي أحد شيوخ الواحدي .

يقول الواحدي في مقدمة كتابه البسيط عن شيخه العروضي : « . . . وأدرك المشايخ الكبار وقرأ عليهم وروى عنهم ، كأبي منصور الأزهري ، روى عنه كتاب التهذيب وغيره من الكتب . . . »^(١) . ثم يقول : « . . . وقرأت عليه الكثير من الدواوين وكتب اللغة . . . »^(٢) ولا بد أن يكون كتاب التهذيب في طليعة تلك الكتب .

لقد أفاد الواحدي من كتاب تهذيب اللغة كثيراً ، ويعد مصدراً مهماً له في مجال اللغة واشتقاق الكلمات ، إذ إن شرح الكلمات القرآنية وبيان أصولها واشتقاقها وما فيها من غريب يأخذ حيزاً كبيراً في تفسير الواحدي يبدأ به كل آية ، وقد اعتمد في أكثر ذلك على كتاب تهذيب اللغة ، وله ثلاث طرائق في إفادته من الكتاب :

الطريقة الأولى :

أن ينقل بالسند عن طريق أبي الفضل العروضي ، مثال ذلك أنه قال في أثناء تفسير لفظ الجلالة «الله» : «أخبرني أبو الفضل أحمد بن محمد بن عبد الله العروضي - رحمه الله - قال : أبنا أبو منصور أحمد بن محمد الأزهري ، أبنا أبو الفضل المنذري قال : سألت أبا الهيثم خالد بن يزيد الرازي عن اشتقاق اسم «الله» في اللغة ، فقال «الله» أصله «إلاه» . قال جل ذكره : ﴿وَمَا كَانَتْ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ﴾ [المؤمنون : ٩١] . . . إلخ»^(٣) .

(١) انظر : مقدمة البسيط ٣٧٨ .

(٢) انظر : مقدمة البسيط ٣٨٠ .

(٣) انظر : البسيط ، للمؤلف في تفسير الفاتحة .

وكلام أبي الهيثم قد ورد في التهذيب ضمن كلام طويل مع اختلاف يسير في العبارة . قال الأزهري : « وأخبرني المنذري عن أبي الهيثم أنه سأله عن اشتقاق اسم الله في اللغة ، فقال : « . . . » »^(١) .

وقد أخذ الواحدي عن الأزهري من هذه الطريقة في مواضع من كتابه ، فعند تفسير لفظ « الناس » وبيان أصلها في قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ ﴾ [البقرة : ٨] ، قال : « فقد أقرأني العروضي ، قال : أقرأني الأزهري ، قال أخبرني المنذري عن أبي الهيثم أنه سأل عن « الناس » ما أصله ، قال أصله « أناس » . . . إلخ »^(٢) .

الطريقة الثانية :

أن ينقل عن الأزهري من دون سند ويعزو إليه ، وهذا أكثر من الطريقة الأولى ، قال عند تفسير « المرض » في قوله : ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ [البقرة : ١٠] ، قال : « وقال الأزهري : أخبرني المنذري عن بعض أصحابه قال : المرض : إظلام الطبيعة واضطرابها بعد صفائها ، قال : والمرض الظلمة وأنشد . . . إلخ » .

ومثال آخر في تفسير قوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ أَذَىٰ آلَا تَعْمَلُونَ ﴾ [النساء : ٣] قال ناقلاً كلام الأزهري دفاعاً عن الشافعي : « قال الأزهري وهذا يدل على أن الشافعي لم يخطئ من جهة اللغة ؛ لأن الكسائي ثقة مأمون ، قال : والمعروف من كلام العرب ، عال الرجل يعول : إذا جار ومال ، وأعال إذا كثر عياله »^(٣) .

(١) تهذيب اللغة ٦/ ٤٢٣ .

(٢) انظر : البسيط ٢/ ١١٠ ، ١١١ [البقرة : ٨] ، والتهذيب (أنس) ٨٨/ ١٣ .

(٣) البسيط ل ٢٢٨ من المخطوطة الأزهرية ، والتهذيب ، ٣/ ١٩٤ (عال) .

الطريقة الثالثة :

أن يفيد منه من دون عزو ، وهذه أكثر الطرائق ، وقلَّ أن تجد في تفسير البسيط كلاماً في اللغة إلا وقد أفاد الواحد من التهذيب إما بنصه أو بمعناه ، ولو تتبعنا هذا الجزء المحقق لأدركت ذلك ، وأوضح مثال على ذلك مقدمة الكتاب ؛ فقد نقل الواحد في كلاماً بنصه عن مقدمة تهذيب اللغة من دون عزو ، قال في المقدمة : « والله - تعالى ذكره - أنزل كتابه على قوم عرب أولي بيان فاضل وفهم بارع ، أنزله - جل ذكره - بلسانهم ، وصيغة كلامهم الذي نشؤوا عليه وجبلوا على النطق به ، فتدربوا به يعرفون وجوه خطابه ويفهمون فنون نظامه . . . إلخ »^(١) ، وهذا الكلام بنصه في مقدمة تهذيب اللغة^(٢) . ومثال آخر عند تفسيره «مالك» في قوله تعالى : ﴿ مَلِكٌ يَوْمَ الدِّينِ ﴾ [الفاتحة : ٤] قال : « ويقال : ما تمالك فلان أن يفعل كذا ؛ أي : لم يستطع أن يضبط نفسه وقال :

فلا تمالك عن أرض لها عمداً

وملاك الأمر ما يضبط به الأمر ، يقال : « القلب ملاك الجسد . . . »^(٣) ، فهذا الكلام نقله عن التهذيب مع التصرف اليسير في العبارة . وربما نقل عن الأزهرى ذاكراً شيوخ الأزهرى ولم يذكره هو ، قال في تفسير قوله تعالى : ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة : ٢] « الحراني عن ابن السكيت يقال : اتقاه بحقه يتقيه ، وتقاه يتقيه وأنشد عن الأصمعي . . . »^(٤) ، ونص الكلام في التهذيب : « وأخبرني المنذري عن الحراني عن ابن السكيت قال . . . ثم ذكره . . . »^(٥) .

(١) انظر : مقدمة البسيط ، وفروق النص بعد المقارنة مع التهذيب .

(٢) انظر : مقدمة تهذيب اللغة ١ / ٤ .

(٣) البسيط ١ / ٤٥٢ ، وانظر : التهذيب (ملك) ١٠ / ٢٧١ .

(٤) البسيط عند تفسير الآية ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ .

(٥) تهذيب اللغة ، ٩ / ٢٥٧ (تقى) .

وبهذه الأمثلة يتضح مدى إفادة الواحدي من كتاب تهذيب اللغة للأزهري .

القسم الثاني من المصادر : المصادر الثانوية

وهي أقل من الأولى في اعتماد المؤلف عليها .

١ . الكتاب ^(١) لسيبويه ^(٢) :

لقد ألف سيبويه كتابه في علم النحو ومسائله ومقاييسه وعلله ، وهو لا نظير له في بابهِ ، وقد اعتمد المؤلف عليه ونقل منه مسائل في النحو أو الصرف ، وتارة ينقل بوساطته مثل تفسير الثعلبي ، ومعاني القرآن وإعرابه ، أو كتاب الحجة لأبي علي الفارسي ، أو تهذيب اللغة .

وعند عرضه لأقوال سيبويه تارة يذكر قوله ، وتارة يحكي مذهبه ، ومن أمثلة ذلك عند قوله تعالى : ﴿ لِيَغْفَرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ ﴾ [إبراهيم : ١٠] بَيِّنَ مذهب سيبويه في زيادة (من) ، فقال : قال أبو عبيدة : (من) زائدة ، وأنكر سيبويه زيادتها في الواجب .

(١) علم على اسم كتاب سيبويه في النحو ، قال السيرافي : وكان كتاب سيبويه لشهرته وفضله علماً عند النحويين ، فكان يقال بالبصرة : قرأ فلان الكتاب ، فيعلم أنه كتاب سيبويه ، ولأهميته في بابهِ كان أحد النحاة يَحْتَمِهُ كل خمسة عشر يوماً . وطبع الكتاب طبعات عدة ، أشهرها طبعة مكتبة الخانجي بالقاهرة ، والكتاب في أربعة مجلدات والخامس فهارس ، بتحقيق الأستاذ عبدالسلام هارون .

(٢) أبو بشر ، عمرو بن عثمان بن قنبر ، الفارسي ، ثم البصري إمام النحو وحجة العرب ، أخذ النحو والأدب عن الخليل بن أحمد ، ويونس بن حبيب ، وأبي الخطاب الأخفش ، وعيسى بن عمر ، وورد بغداد ، وناظر بها الكسائي بحضور سعيد الأخفش والفراء ، وتعصبوا عليه ، ثم وصله يحيى بعشرة آلاف ، فسار إلى بلاد فارس ، فاتفق موته بشيراز . قيل : عاش اثنتين وثلاثين سنة ، وقيل أربعين سنة ، توفي - رحمه الله - سنة ١٨٠ هـ على الأصح .

انظر : المعارف لابن قتيبة ٢٣٧ ، ومراتب النحويين لأبي الطيب ٦٥ ، وتاريخ بغداد ١٢ / ١٩٥ ، ونزهة الألباء لابن الأنباري ٨١ ، ٨٢ ، وسير أعلام النبلاء ٨ / ٣٥١ .

وعند قوله تعالى : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ [إبراهيم: ١٨] ذكر مذهب سيبويه في رفع (مثل) فقال : اختلفوا في الرفع للمثل ، فقال الزَّجَّاج : هو مرفوع على معنى : وفي ما يتلى عليكم ، وهذا مذهب سيبويه .

وعند قوله تعالى : ﴿ حَمَلٌ مَّسْتُونٌ ﴾ [الحجر: ٢٦] قال : وقال سيبويه : المسنون المصوَّر على صورة ومثال ، من سُنَّةِ الْوَجْهِ ، وهي صورته . فهذا القول لم أجده في الكتاب ، وورد بنصه في تفسير الثعلبي ، ١٤٨ / ٢ أ .

وعند قوله تعالى : ﴿ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾ [الحجر: ٣٠] ، قال : قال الخليل وسيبويه : أجمعون تأكيد بعد تأكيد . وقد ورد هذا الكلام بنصه في معاني القرآن وإعرابه .

وعند قوله تعالى : ﴿ سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا ﴾ [الإسراء: ١] ، قال : قال سيبويه : معنى سبحان الله : براءة الله من السوء . وقد ورد كلامه هذا بنصه في الكتاب وفي تهذيب اللغة ، فيحتمل أنه نقله من التهذيب ؛ لأنه من مصادره الرئيسة .

ومن أمثلة نقله بوساطة :

- قول الله تعالى : ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ ﴾ (٣٨) فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ ﴿ [الشعراء: ١٩٨ ، ١٩٩] ، قال الواحدي : « قال أبو علي الفارسي : أعجم صفة ، كأحمر ؛ لأنه قد وُصف به في النكرة . . . والذي قلنا من أن الأعجمين جمع أعجمي هو قول سيبويه ؛ وقد نص عليه . . . قال سيبويه في الباب المترجم : هذا بابٌ من الجمع بالواو والنون ، وتكسير الاسم . سألت الخليل عن قولهم : الْأَشْعَرُونَ ؛ فقال : إِنَّمَا أَلْحَقُوا الْوَاوَ وَالنُّونَ وَحَذَفُوا يَاءَ الْإِضَافَةِ ، كَمَا كَسَرُوا ، فَقَالُوا : الْأَشَاعِرُ ، وَالْأَشَاعِثُ ، وَالْمَسَامِعَةُ ، فَلَمَّا كَسَرُوا مِسْمَعًا وَالْأَشْعَثُ حِينَ أَرَادُوا مَعْنَى بَنِي مِسْمَعٍ

وبني الأشعث ، ألحقوا الواو والنون ، فكذلك الأعجمون . . . انتهت الحكاية عن أبي علي . الإغفال في ما أغفله الزَّجَّاجُ : ٢ / ٢١٣ .

- قول الله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَيْنِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ ﴾ [الروم: ٢٥] ، قال الواحدي : « وقال النحاس : ﴿ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً ﴾ ليس بوقف ؛ لأنه لم يأت بجواب (إذا) وجواب (إذا) ، على قول الخليل وسيبويه : ﴿ أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ ﴾ ؛ أي : خرجتم . وكذا قال سيبويه : ﴿ وَإِنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴾ [الروم: ٣٦] تقديره عنده : قنطوا . والقول ما قال النحاس » . قول سيبويه ذكره النحاس ، القطع والائتناف : ٢ / ٥٣٢ .

- قول الله تعالى : ﴿ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَابُ اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيَكَانَهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾ [الفصص: ٨٢] قال الواحدي : « قال سيبويه في هذه الكلمة : سألت عنها الخليل فرغم أنها : وَيَ ، مفصولة من كَأَنَّ ، وأن القوم تنبهوا ، فقالوا : وَيَ ، متندمين على ما سلف منهم ، وكل من تندم أو ندم فإظهار ندامته أن يقول : وَيَ » . الكتاب ، ٢ / ١٥٤ ، بمعناه . وذكره بنصه الزَّجَّاجُ ٤ / ١٥٦ .

٢ . كتب الكسائي^(١) :

نقل الواحدي عن الكسائي جملة من الآراء والاختيارات اللغوية والنحوية ، وغالبها نقلت - في ما يبدو - بوساطة بعض ما تقدم من المصادر ، كتهذيب اللغة ،

(١) هو أبو الحسن علي بن أحمد بن حمزة بن بهمن بن فيروز الأسدي الكوفي أحد القراء السبعة ، وكان إماماً في النحو واللغة والقراءات . روى عن أبي بكر بن عباس وحمزة الزيات وغيرهما ، وأخذ عنه القراء أبو عبيد والقراء وغيرهما ، له مصنفات منها معاني القرآن ، ومختصر النحو ، وكتاب القراءات ، توفي سنة ١٨٩ هـ بالري .

انظر : وفيات الأعيان ٣ / ٢٩٥ ، والفهرست : ٩٧ ، وتاريخ بغداد ١١ / ٤٠٣ .

وتفسير الثعلبي ، وبعض النصوص ليست فيها ، ولعلها من كتاب معاني القرآن للكسائي^(١) ، وهو من المفقودات ، وهو من روايات شيخه الثعلبي كما صرح به في تفسيره^(٢) .

٣ . المصادر للفرء^(٣) :

المصادر للفرء من الكتب المفقودة ، وقد صرح الواحدي - رحمه الله - عدة مرات بالنقل عنه ، ويلاحظ أن معظم النقولات عن هذا الكتاب هي في أبنية الكلمات وأصولها واشتقاقها ، وقد وردت إحالات كثيرة إلى الفرء لم أقف عليها في المعاني ، وأغلب الظن أنها من هذا الكتاب ؛ لما بين هذه النصوص من التشابه ، ومن أمثلة ما نقله : قول الواحدي : والقصاص مصدر ؛ لأنه فعال من المفاعلة .

قال الفرء في كتاب المصادر : قاصصته قصصاً ، وأقصصته : إذا أقدته من أخيه إقصاصاً ، ويقال : قصصت أثره قصاً وقصاً ، وقصصت عليه الحديث قصاً ، عند قوله تعالى : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَتَأُولَىٰ آلَ لَبِيبٍ ﴾ [البقرة: ١٧٩] .

وعند قوله تعالى : ﴿ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ ﴾ [النحل: ٥] قال : وقال الفرء في المصادر : يقال للرجل دفيت فانت تدفاً ، دفاً ساكنة الفاء مفتوحة الدال ، ودِفاءً بالكسر والمد ، وزاد غيره دفاءً ودِفاءً .

وعند قوله تعالى : ﴿ إِنَّا كُلُّوهُ مِنْهُ لَحِمًا طَرِيًّا ﴾ [النحل: ١٤] قال : وقال الفرء في المصادر : ما كان طرياً ، ولقد طري يطراً طراءاً ممدود ، وطراوة ، ويقال أيضاً : شقي يشقى شقاءً وشقاوةً .

(١) ذكر هذا الكتاب الففطي في إنباه الرواة ٢/ ٢٥٧ ، والذهبي في سير أعلام النبلاء ٩/ ١٣٣ .

(٢) تفسير الثعلبي ١/ ٣٣٨ ، ٣٣٩ .

(٣) سبق ترجمته .

وعند قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ﴾ [الإسراء: ٧٨] قال: وقال الفرّاء في المصادر: أغسق الليل إغساقاً وغسق غسوقاً.

٤. مجاز القرآن^(١) لأبي عبيدة معمر بن المثنى^(٢):

ألّف أبو عبيدة هذا الكتاب في تفسير القرآن، ويعد أول كتاب مطبوع من كتب غريب القرآن^(٣)، وله أسماء متعددة^(٤)، ويعد أكثر كتب الغريب استشهاداً بالشعر^(٥)، وقد فسر غريب القرآن باللغة مقتصرّاً عليها في الغالب^(٦)، ولم يخضع أبو عبيدة في مجازة لأي من المدرستين البصرية والكوفية، ولم يتقيد بتلك القيود التي كانت تضعها تلك المدرستان لفهم النصوص العربية.

وتجدر الإشارة هنا أن معنى المجاز عند أبي عبيدة يختلف كل الاختلاف عن المعنى الذي حدده علماء البلاغة، فالمجاز عند أبي عبيدة عبارة عن الطريق التي

(١) طبع هذا الكتاب بتحقيق الدكتور فؤاد سزكين في مجلدين، تحت إشراف مؤسسة الرسالة.

(٢) هو العلامة البحر، أبو عبيدة، معمر بن المثنى التيمي، مولاها، البصري، النحوي، صاحب التصانيف، ولد سنة ١١٠ هـ، في الليلة التي توفي فيها الحسن البصري. روى عن هشام بن عروة، ورؤية بن العجاج، وأبي عمرو بن العلاء وغيرهم، وروى عنه علي بن المديني، وأبو عبيد القاسم بن سلام، وأبو عثمان المازني، وغيرهم. وتذكر كتب التراجم أنه من الخوارج، توفي سنة ٢٠٩ هـ.

من مصنفاته معاني القرآن، ونقائص جرير والفرزدق، ومقاتل الفرسان، وأخبار قضاة البصرة. يقول الدكتور مساعد الطيار في التفسير اللغوي ٣٣٤: بل لا يبعد أن يكون أول كتاب للغويين يتعلق بتفسير القرآن نظراً إلى الحملة الاستنكارية التي قامت عليه، وهذا يدل على أنه بدع في التأليف في هذا المجال.

(٤) منها غريب القرآن، ومعاني القرآن، وإعراب القرآن، وقد عدّت هذه الأسماء كتباً مختلفة، والظاهر أنها أوصاف لهذا الكتاب، وأشهر أسمائه مجاز القرآن، ولم يسمه أبو عبيدة بذلك، لكنه اللفظ الذي يكثر ذكره في كتابه. انظر: التفسير اللغوي ٣٣٥.

(٥) بلغت شواهد ٩٥٢. انظر: ترقيم المحقق للشواهد.

(٦) وهذا أحد أهم أسباب انتقاد العلماء له، ووقوعه في الخطأ. انظر: التفسير اللغوي ٣٤٧.

يسلكها القرآن في تعبيراته ، وهذا المعنى أعم بطبيعة الحال من المعنى الذي حدده علماء البلاغة^(١) .

وقد نقل الواحدي - رحمه الله - عن أبي عبيدة من مجازه من دون الإشارة إلى الكتاب ، واكتفى بقوله : قال أبو عبيدة ، أما المجالات التي نقل عنها فمتنوعة ؛ إذ لم يقتصر على اللغة ، بل شملت - كذلك - التفسير والصرف والشواهد الشعرية وغيرها ، ومن أمثلة ذلك :

عند قوله تعالى : ﴿ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ ﴾ [إبراهيم: ٩] نقل عنه تفسير الآية ، فقال : وقال أبو عبيدة : مجاز هذا مجاز المثل ، ومعناه : كَفُّوا عَمَّا أَمَرُوا بقبوله من الحق ولم يؤمنوا به ، قال : ويقال ردَّ يده في فمه ، أي : أمسك ولم يجب .

وعند قوله تعالى : ﴿ وَأَجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴾ [إبراهيم: ٣٥] نقل عنه شاهداً شعرياً على أن جَنْبُتُهُ وجَنْبَتُهُ واحد ، فقال : وأنشد أبو عبيدة لأُمَيَّةَ بن الأَسْكَرَ :

وَتَنْفُضُ مَهْدَهُ شَفَقاً عَلَيْهِ وَتَجْنُبُهُ قَلَائِصُنَا الصَّعَابَا

وعند قوله تعالى : ﴿ مُهْطِعِينَ ﴾ [إبراهيم: ٤٣] نقل عنه معنى الغريب ، فقال : وأما تفسير الإهطاع ، فقال أبو عبيدة : هو الإسراع .

وعند قوله تعالى : ﴿ فَزَلَّ قَدَمٌ بَعْدَ بُوتِهَا ﴾ [النحل: ٩٤] نقل عنه معنىً بلاغياً ، فقال : قال أبو عبيدة : وزليل القدم مثل لكل مبتلى بعد عافية أو ساقط في وَرْطَةٍ بعد سلامة .

(١) انظر : مقدمة مجاز القرآن ، لفؤاد سزكين ٩/١ وما بعدها .

وعند قوله تعالى : ﴿وَلَا تَلُكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ [النحل: ١٢٧] نقل عنه قضية صرفية ، فقال : وقال أبو عبيدة : ضَيْقٌ تخفيف ضَيْقٍ : مثل مَيْتٍ ، يقال : أمر ضَيْقٌ وضَيْقٌ .

وقد ينقل عن أبي عبيدة بوساطة ، ومثاله قول الله تعالى : ﴿أَسْأَلُكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَأَضْمَمَ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَنُوكَ بُرْهَنَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَسِيقِينَ﴾ [القصص: ٣٢] ، قال الواحدي : «قال أبو علي : قال أبو عبيدة : جناحا الرجل : يده» . الحجة للقراء السبعة ، ٥ / ٤١٤ ، بنصه ، وفي مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢ / ١٠٤ : ﴿جَنَاحَكَ﴾ ؛ أي : يدك .

وقد ينسب الواحدي القول لأبي عبيدة ، وهو غير موجود في المجاز ، مثاله قول الله تعالى : ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ [العنكبوت: ١٧] .

قال الواحدي : «قال أبو عبيدة : الأوثان كل ما كان منحوتاً من خشب أو حجر ، والصنم ما كان من ذهب أو فضة أو نحاس» .

٥ . معاني القرآن^(١) للأخفش^(٢) :

يعد كتاب معاني القرآن من أوائل الكتب المؤلفة في بيان معاني القرآن^(٣) ، لكنه قصّره في الغالب على النحو مبرزاً مذهبه البصري ، وليس فيه من المعاني إلا التّزّير اليسير^(٤) ، ولعل السر في ذلك أنه أفرد المعاني في كتاب آخر في غريب القرآن^(٥) ، ويعدّ الأخفش من العلماء الذين اهتموا بالنحو من دون اللغة^(٦) ، ولذلك أخذ عنه الواحدي كثيراً من مسائل النحو ، أحياناً يكون النقل مباشرة وتارة يكون بوساطة .

- (١) طبع الكتاب بتحقيق الدكتور فائز فارس في مجلدين ، وتحقيق عبد الأمير الورد في مجلدين . وتحقيق هدى قراعة في مجلدين .
- (٢) هو أبو الحسن ، سعيد بن مسعدة المجاشعي بالولاء ، البلخي ، المعروف بالأخفش ، نحوي ، لغوي ، عروضي ، روى عن هشام بن عروة ، والكلبي ، وعمرو بن عبيد ، وأخذ عن الخليل ، ولزم سيبويه حتى برع ، وكان من أسنان سيبويه ، بل أكبر .
- (٣) قال أبو حاتم السجستاني : كان الأخفش قدريّاً رجلاً سوء ، وكتابه في معاني القرآن صويلح ، وفيه أشياء في القدر . توفي سنة ٢١٥ هـ .
- من مصنفاته كتاب الأوسط في النحو ، ومعاني القرآن ، والاشتقاق ، والعروض ، والمقاييس في النحو .
- انظر : مراتب النحويين ١٠٦ ، وأخبار النحويين البصريين ٥١ ، ٥٠ ، وإنباه الرواة ٣٦ / ٢ ، ووفيات الأعيان ٣٨٠ / ٢ ، وسير أعلام النبلاء ١٠ / ٢٠٦ ، ومعجم الأدباء ٨٦٨ / ١ .
- (٤) يدل على ذلك ما ورد عنه أنه ألّف كتابه تلبية لطلب الكسائي ، ثم جعله الكسائي إماماً ، وعمل عليه كتاباً في المعاني ، وعمل الفراء كتابه في المعاني عليهما . انظر : إنباه الرواة ٣٧ / ٢ وإشارة التعيين ١٣٢ .
- (٥) يؤكّد ذلك ذكره لبعض الأبواب النحوية عند بعض الآيات ، كباب الإضافة ٣٩ / ١ ، وباب اسم الفاعل ٤٤ / ١ ، وباب إضافة أسماء الزمان إلى الفعل ٤٥ / ١ .
- (٥) اعتمد الثعلبي على هذا الكتاب ، وذكر ذلك في مقدمة تفسيره .
- (٦) انظر : طبقات النحويين واللغويين ٧٣ .

مثال النقل مباشرة

تفسير قوله تعالى: ﴿بَكِلْ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَاطِئَتُهُ﴾ [البقرة: ٨١].
قال: وقال الأخفش: الخِطْء: الإثم، وهو ما أصابه متعمداً، والخطأ غير المتعمد. ويقال من هذا: أخطأ يُخطئ.

قال الله تعالى: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ، وَلَٰكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [الأحزاب: ٥]، واسم الفاعل من هذا: خطئ، فأما خطيئة فاسم الفاعل منه: خاطئ، وهو المأخوذ به فاعله، وفي التنزيل ﴿لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ﴾ [الحاقة: ٣٧]^(١).

نقل عنه في النحو، عند قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ﴾ [النحل: ١١٦] فقال: واختلفوا في وجه انتصاب الكذب؛ فقال الأخفش: جعل (ما تصف) اسماً للفعل؛ كأنه قال: ولا تقولوا لوصف ألسنتكم الكذب. ورد بنصه في معانيه.

ونقل عنه في الغريب: عند قوله تعالى: ﴿وَأَيْنَا نَعْمُدُ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً﴾ [الإسراء: ٥٩] قال: قال الأخفش: المِْبْصِرَةُ: البَيِّنَةُ؛ كما تقول: الموضحة والمبيئة. ورد بنصه في معانيه.

ومن أمثلة النقل بوساطة:

قول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا فُرَةَ أَعْيُنٍ وَأَجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤]، قال الواحدي: «وحكى أبو علي الفارسي،

(١) يذكر الأزهري في التهذيب: ٩/ ٢٠ قول أبي حاتم: ولم يكن عالماً بكلام العرب، وكان عالماً بقياس النحو. وقد ورد ما يدل على علمه باللغة، مثل ما ورد في طبقات النحويين ٧٤، لكنه في باب النحو أبصر.

عن الأخفش قال : الإمام هاهنا جمع أمّ ، فاعل من أمّ ، يُجمع على فِعال ، نحو : صاحب ، وصِحاب .

قول الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعَمَ أَجْرُ الْعَمِلِينَ ﴾ [العنكبوت: ٥٨] ، قال الواحدي : « قال الأخفش : قرأ الأعمش : (لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا) قال : ولا يعجبني ذلك ؛ لأنك لا تقول : أثويته الدار » ، لم أجده عند الأخفش في المعاني ، لكن ذكر أبو علي أنَّ أبا الحسن قال : قرأ الأعمش . الحجة للقراء السبعة : ٤٤٠ / ٥ .

قول الله تعالى : ﴿ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسَلِّ بِهِ خَيْرًا ﴾ [الفرقان: ٥٩] قال الواحدي : « وقال أبو إسحاق : المعنى : فاسأل عنه خيراً . وهو مذهب الأخفش ، وجماعة جعلوا الباء ، بمعنى عن ، مثل قوله تعالى : ﴿ سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴾ [المعارج: ١] . لم أجده في كتابه المعاني : ٦٤٢ / ٢ ، عند هذه الآية . ونسبه إليه النحاس ، القطع والائتناف : ٤٨٦ / ٢ .

٦ . كتب أبي عبيد القاسم بن سلام^(١) ، توفي سنة ٢٢٤ هـ :

لأبي عبيد كتب كثيرة في اللغة والقراءات وفي فنون أخرى من العلم ، وقد أفاد الواحدي من كتبه ، فمن ذلك كتاب الناسخ والمنسوخ في كتاب الله العزيز^(٢) ، حيث نقل منه الواحدي في مواضع من تفسيره ، يعزو أحياناً ، ويغفل أخرى .

(١) هو الإمام الحافظ المجتهد ، ذو الفنون ، أبو عبيد ، القاسم بن سلام بن عبد الله ، ولد سنة ١٥٠ هـ ، أخذ العلم عن أبي زيد الأنصاري ، وأبي عبيدة معمر بن المثنى ، والأصمعي وغيرهم ، وقرأ القرآن على الكسائي ، وإسماعيل بن جعفر ، وشجاع بن أبي نصر ، صنّف التصانيف المؤنقة التي سارت بها الركبان . توفي - رحمه الله - سنة ٢٢٤ هـ في مكة .

من مصنفاته غريب المصنف ، والأمثال السائرة ، والناسخ والمنسوخ ، والقراءات ، والأبيان والندور . انظر : ترجمته في سير أعلام النبلاء ١٠ / ٤٩٠ ، ومعجم المؤلفين ٦٤٢ / ٢ .

(٢) طبع بتحقيق محمد المديفر في مجلد .

وأما في اللغة ؛ فالغالب أنه ينقل أقواله عن طريق تهذيب اللغة للأزهري ،
وأما توجيه القراءة فقد يكون من كتابه الذي ألّفه في القراءات ، وهو مفقود^(١) .

٧ . تأويل مشكل القرآن^(٢) لعبدالله بن مسلم بن قتيبة^(٣) :

تكلم ابن قتيبة على السبب الذي دفعه إلى تأليف هذا الكتاب ، فقال :
«وقد اعترض كتاب الله بالطعن ملحدون ، ولغوا فيه وهجروا ، واتبعوا : ﴿ مَا
شَبَّهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ﴾ [آل عمران : ٧] بأفهام كليلّة ، وأبصار عليّة ،
ونظر مدخول ؛ فحرفوا الكلام عن مواضعه ، وعدلوه عن سبله ؛ ثم قضوا عليه
بالتناقض ، والاستحالة في اللحن ، وفساد النظم ، والاختلاف ، وأدلوا في ذلك
بعلل ربما أمالت الضعيف الغمر ؛ والحديث الغرّ ، واعترضت بالشبه في القلوب ،
وقدحت بالشكوك في الصدور

فأحببت أن أنضح عن كتاب الله ، وأرمي من ورائه بالحجج النيّرة ، والبراهين
البيّنة ، وأكشف للناس ما يلبسون ، فألّفتُ هذا الكتاب جامعاً لتأويل مشكل
القرآن ؛ مستنبطاً ذلك من التفسير بزيادة في الشرح والإيضاح ، وحاملاً ما أعلم
فيه مقالاً لإمام مطلع على لغات العرب ؛ لأري المعاند موضع المجاز ، وطريق

(١) ذكر هذا الكتاب الداودي في طبقات المفسرين ٣٦ / ٢ .

(٢) قامت دار التراث بطبعه ، وحققه السيد أحمد صقر .

(٣) العلامة الكبير ، ذو الفنون ، أبو محمد ، عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، وقيل : المروزي ، الكاتب ،
صاحب التصانيف ، نزل بغداد ، وجمع ، وبعد صيته ، وولي قضاء دينور ، ولد سنة ٢١٣ هـ في أواخر خلافة
المأمون .

قال الخطيب البغدادي : كان ثقة ديناً فاضلاً . توفي - رحمه الله - سنة ٢٧٦ هـ .

من مصنفاته غريب القرآن ، وأدب الكاتب ، وعيون الأخبار ، وطبقات الشعراء ، والمعارف ، وجامع
الفقه .

انظر : ترجمته طبقات النحويين ١١٦ ، وتاريخ بغداد ١٠ / ١٧٠ ، وإنباه الرواة ٢ / ١٤٣ ، ووفيات
الأعيان ٣ / ٤٢ ، وسير أعلام النبلاء ١٣ / ٢٩٦ .

الإمكان ، من غير أن أحكم فيه برأي ، أو أقضي عليه بتأويل ، ولم يجز لي أن أنص بالإسناد إلى من له أصل التفسير ؛ إذ كنت لم أقتصر على وحي القوم حتى كشفت ، وعلى إيمانهم حتى أوضحته ، وزدت في الألفاظ ونقصت ، وقدمت وأخرت ، وضربت لذلك الأمثال والأشكال حتى يستوي في فهمه السامعون»^(١) .

ثم فسر معنى التشابه والمشكل .

وأصل التشابه أن يشبه اللفظ اللفظ في الظاهر والمعنيان مختلفان . . . ، ومنه يقال : اشتبه علي الأمر ؛ إذا أشبه غيره فلم تكد تفرق بينهما . وشبّهت علي إذ لبّست الحق بالباطل .

ثم يقال لكل ما غمض ودقّ : متشابه ، وإن لم تقع الحيرة فيه من جهة الشبه بغيره^(٢) .

وكتاب تأويل مشكل القرآن كتاب فريد تحدث فيه عن موقف علماء الكلام من أهل الحديث ، وما تحدثوا عنهم به من شتى التُّهم والمثالب ؛ وعرض بالنقد لما ذهب إليه النظام من اعتراضه على أبي بكر وعمر وعلي ، وطعنه على ابن مسعود وحذيفة وأبي هريرة . ونقد كذلك ثمانية بن الأشرس ، ومحمد بن الجهم البرمكي ، والجاحظ ، وأبا الهذيل العلاف ، وغيرهم ؛ وعرض لأهل الرأي ، وأبان عن منابذتهم للكتاب والسنة ، وأدار الجزء الأكبر من كتابه على الأحاديث التي ادّعي عليها التناقض والاختلاف ومخالفة القرآن ؛ والأحاديث التي زعموا أن النظر يدفعها ، وحجة العقل تدمغها ؛ فكشف عن معانيها التي صرفهم عن فقهاها الهوى الجموح ، ولفتهم عن وجه الحق فيها إلحاد الضمائر والقلوب والعقول^(٣) .

(١) انظر : مقدمة تأويل مشكل القرآن ١٧ .

(٢) انظر : مقدمة تأويل مشكل القرآن ٧٧ ، ٧٨ .

(٣) انظر : مقدمة تأويل مشكل القرآن ٢٤ ، ٢٥ .

٨ . تفسير غريب القرآن^(١) . وهو أيضاً لابن قتيبة :

قال ابن قتيبة في مقدمة الغريب : «نفتح كتابنا هذا بذكر أسمائه الحسنی وصفاته العلی ؛ فنخبر بتأويلهما واشتقاقهما ، ونتبع ذلك ألفاظاً كثر ترددها في الكتاب ، لم نر بعض السور أولى بها من بعض ، ثم نبتدئ في تفسير غريب القرآن من دون تأويل مشكله ؛ إذ كنا قد أفردنا للمشكل كتاباً جامعاً كافياً بحمد الله .

وغرضنا الذي امتثلناه في كتابنا هذا أن نختصر ونكمل ، وأن نوضح ونجمل ؛ وألاً نستشهد على اللفظ المبتذل ، ولا نكثر الدلالة على الحرف المستعمل ، وألاً نحشو كتابنا بالنحو وبالحديث والأسانيد .

فإننا لو فعلنا ذلك في نقل الحديث لاحتجنا أن نأتي بتفسير السلف ، رحمة الله عليهم ، ولو أتينا بتلك الألفاظ لكان كتابنا كسائر الكتب التي ألّفها نقله الحديث^(٢) .

ولقد اعتمد الواحدي في كتابه على ابن قتيبة من دون أن يصرح بكتبه التي نقل عنها ، وقد ظهر أن أغلب النقول كانت من كتابيه ؛ تفسير غريب القرآن ، وتأويل مشكل القرآن ، وكان النقل من الأول أكثر ، ويتميز النقل من المشكل بالإطالة مع التصرف والاختصار وأحياناً بنصه ، في حين ينقل عن الغريب كلمات يسيرة ، معظمها في الغريب على اسمه ؛ وقد ينقل عنه بعض الردود والتعليلات . ومن أمثلة ذلك :

عند قوله تعالى : ﴿ مَسْنُونٌ ﴾ [الحجر : ٢٦] ، قال : وقال ابن قتيبة : المسنون المتغير الرائحة . نقله عن الغريب بنصه .

(١) طبع الكتاب بتحقيق السيد أحمد صقر .

(٢) انظر : مقدمة غريب القرآن ٣ .

وعند قوله تعالى : ﴿ وَفَضَّلْنَا إِلَيْهِ ﴾ [الحجر: ٦٦] ، قال : وقال ابن قتيبة : أي أخبرناه . نقله عن الغريب بلفظه .

وعند قوله تعالى : ﴿ لِيَأْمُرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الحجر: ٧٩] ، نقل عنه تعليل تسمية الطريق إماماً ، فقال : وقال ابن قتيبة : لأنَّ المسافر يأتُمُّ به حتى يصير إلى الموضع الذي يريد . نقله عن الغريب بنصه .

وعند قوله تعالى : ﴿ لِأَرْجُلًا مَّسْحُورًا ﴾ [الإسراء: ٤٧] ، نقل عنه ردّه على أبي عبيدة في قوله : «يريد بشراً ذا رئة» فقال : قال ابن قتيبة : «ولست أدري ما الذي اضطرّهُ إلى هذا التفسير المستكبره ، وقد سبق التفسير من السلف بما لا استكراه فيه ، قال مجاهد في قوله : ﴿ رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴾ ، أي : مخدوعاً ؛ لأن السحر حيلة وخديعة» . نقله عن الغريب .

وعند قوله تعالى : ﴿ سَجْدًا لِلَّهِ ﴾ [النحل: ٤٨] ، نقل في معنى السجود نقلاً طويلاً عن المشكل مع التصرف والاختصار ، فقال : وشرح ابن قتيبة هذا شرحاً شافياً ، فقال : أصل السجود التَّطَاطُؤُ والميل ، يقال : سجد البعير ، إذا طأطأ رأسه ليركب ، وسجدت النخلة إذا مالت لكثرة الحمل ، ثم قد يُستعارُ السجود فيوضع موضع الاستسلام والطاعة والذل ، ومن الأمثال المبتذلة : اسجد للقرود في زمانه ، يُراد : اخضع للئيم في دولته ، ولا يُراد معنى سجود الصلاة ، والشمس والظل خَلْقَانِ مُسَخَّرَانِ لِأَنَّهُمَا يَعَاقِبُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ بِغَيْرِ فَضْلِ ، فالظلُّ في أول النهار قبل طلوع الشمس يُعَمُّ الأرضَ ، كما تَعَمُّها ظلمة الليل ، ثم تطلُعُ الشمسُ فتَعَمُّ الأرضَ إلا بما سترته الشُّحُوصُ ، فإذا سَكَرَ الشَّخْصُ شيئاً عاد الظلُّ ، فرجوعُ الظلِّ بعد أن كان شمساً ودورانه من جانب إلى جانب هو سُجُودُهُ ؛ لأنه مستسلم منقاد مطيع بالتسخير ، وهو في ذلك يميل ، والميل سجود ، وكذلك قوله : ﴿ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴾ [الرحمن: ٦] ؛ أي : يستسلمان لله بالتسخير .

وعند قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ [النحل: ١٢٠]، قال: وقال ابن قتيبة: «أي إماماً يَقْتَدِي به الناس؛ لأنه ومن اتَّبَعَهُ أُمَّةٌ، فَسُمِّيَ أُمَّةً؛ لأنه سبب الاجتماع»، هذا وجه قول من قال: أُمَّةٌ: معلماً للخير، ومن قال: أُمَّةٌ: أي مؤمناً وحده؛ «فلأنه اجتمع عنده من خلال الخير ما يكون مثله في أُمَّةٍ، ومن هذا يقال: فلان أُمَّةٌ وحده، أي: هو يقوم مقام أمة». فهذان نقلان اقتبسهما عن المشكل بنصه.

٩. كتب المبرِّد^(١) (ت ٢٨٥هـ):

للمبرِّد مؤلفات كثيرة تربو على الخمسين^(٢)، معظمها في الأدب واللغة والنحو والقرآن، وقد نسب الواحدي إلى المبرِّد أقوالاً في اللغة خاصة، لم أقف عليها في كتبه المطبوعة^(٣).

وتعد أقوال المبرِّد وآراؤه أحد المصادر المهمة لتفسير الواحدي، وهي في أغلب المواضيع تُنْقَلُ عن طريق مصادره السابقة، كالحجة وسر صناعة الإعراب، وفي القليل ينقل عن كتب المبرِّد مباشرة خصوصاً المقتضب؛ ففي تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾ [البقرة: ٤١] قال في (أول): «... وقال المبرِّد في كتاب المقتضب: أول يكون على ضربين: يكون اسماً، ويكون نعتاً موصولاً به (من كذا) ... إلخ».

وكتاب معاني القرآن^(٤)، وهو كتاب لم يصل إلينا، وقد وقفنا على نص واحد طويل نقله بوساطة التهذيب، ومن أمثلة ذلك:

(١) هو: أبو العباس محمد بن يزيد المبرِّد، كان على قدر كبير من العلم وغزارة الأدب وكثرة الحفظ، له كتب من أشهرها المقتضب في النحو، والكامل في الأدب، مات سنة ٢٨٦هـ. انظر: ترجمته في طبقات النحويين واللغويين للزبيدي ١٠١، وتاريخ بغداد ٣/ ٣٨٠، ونزهة الألباء ١٦٤، وإنباه الرواة ٣/ ٢٤١.

(٢) انظر: مقدمة كتاب الكامل للمبرِّد ١٤/ ١.

(٣) منها الكامل، والمقتضب، وما اتفق لفظه واختلف معناه، والتعازي والمراثي.

(٤) ذكر المترجمون له هذا الكتاب في مؤلفاته، انظر: إنباه الرواة ٣/ ٢٥١، وطبقات المفسرين للدودي

عند قوله تعالى : ﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ ﴾ [الإسراء: ٧٨] ، قال : وقال المبرّد : دلوك الشمس من لدن زوالها إلى غروبها عند العرب .

وعند قوله تعالى : ﴿ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ ﴾ [الإسراء: ١٠٠] ، قال : قال المبرّد : المعروف في الإنفاق أنه إخراج المال عن اليد ، فإن كان قد روي في اللغة معنى الإعدام ، فهو كما قال أبو عبيدة ، وإلا فمعنى الكلام في الآية : خشية أن يستفرغكم الإنفاق ويحذف بكم ، فيكون الكلام من باب حذف المضاف على تقدير : خشية ضرر الإنفاق وما أشبهه .

وعند قوله تعالى : ﴿ جَنَائِكُمْ لَفِيفًا ﴾ [الإسراء: ١٠٤] ، قال : وقال المبرّد : الأكثر عند العرب أن اللفيف إنما يقال للمختلطين من كل شكل ، وكل شيء خلطته بشيء فقد لففته ، ومنه قيل لففت الجيوش إذا ضربت بعضها ببعض ، والتفت الزحوف .

وقد يكون النقل من كتابي المقتضب والكامل ، مثاله :

١ . قول الله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يَعِضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ۖ ﴾ [يونس: ٢٧] ، قال : قال المبرّد : «قال المبرّد : قولهم : يا فل أقبل ، ليس بترخيم فلان ؛ ولو كان كذلك قيل : يا فلا أقبل . ومما يزيده وضوحاً قولهم للأثنى : يا فلة أقبلي . قال : ولكنها كلمة على حدة . قال : وقد تستعمل في غير النداء ، كقوله :

فِي جَلَّةٍ أَمْسَكَ فُلَانًا عَنْ فُلٍ

المقتضب : ٢٣٧ / ٤ ، ولم أجد قول المبرّد عند الأزهري .

٢. قول الله تعالى: ﴿إِنْ نَشَأْ نُزِيلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾ [الشعراء: ٤]، قال الواحدي: «قال المبرّد: وهذا قول أبي زيد في هذه الآية قال: أعناقهم: جماعاتهم». المقتضب، ١٩٩/٤، ونسبه لأبي زيد الأنصاري. ولم أجده في تهذيب اللغة.

٣. قول الله تعالى: ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [القصص: ١١]، قال الواحدي: «قال المبرّد: فلان يقصّ أثر الجيش؛ أي: يتبعه متعرفاً». الكامل للمبرّد ١٠١٨/٢.

١٠. نظم القرآن^(١) لأبي علي الجرجاني^(٢):

أفاد الواحدي من كتاب نظم القرآن ونقل عنه كثيراً، خصوصاً عند الحديث عن نظم الآيات، ونقل عنه مسائل في اللغة والنحو، ومن أمثلة ذلك:

(١) كتاب نظم القرآن مفقود، وهو يقع في مجلدين - كما ذكر السهمي - والظاهر أنه كان معروفاً لدى العلماء كالعلم، وقد قام مكّي بتأليف كتاب للرد عليه في أربعة أجزاء سماه انتخاب نظم القرآن للجرجاني وإصلاح غلطه، وقد ذكر خبر كتاب مكّي هذا القفطي في ترجمة مكّي، وذكره الزركشي في البرهان، ونقل عنه بعض النصوص. انظر: تاريخ جرجان للسهمي ١٨٧، وإنباه الرواة ٣١٦/٣، والبرهان ٩٢/٢.

(٢) الجرجانيون الذين كُنُوا بأبي علي، وذكر أنهم ألفوا في نظم القرآن، أثنان: الأول: أبو علي، الحسن بن علي بن نصر الطوسي الجرجاني، الإمام الحافظ المجوّد، سمع محمد بن يحيى وأحمد بن الأزهر، وروى عنه إسحاق بن محمد الكيساني، وابن سلمة القطان، له تصانيف حسان، ذكر الداودي أن له كتاب نظم القرآن، توفي سنة ٣٠٨هـ، وقيل ٣١٢هـ، انظر: سير أعلام النبلاء ٢٨٧/١٤، وطبقات الحفاظ ٧٨٧/٣، ولسان الميزان ٢٣٢/٢، وطبقات المفسرين للداودي ١٤١/١.

والثاني: أبو علي، الحسن بن يحيى بن نصر الجرجاني، قال السهمي: «كان مسكنه بجرجان بباب الخندق...»، له من التصانيف عدة؛ منها في نظم القرآن مجلدان، وكان - رحمه الله - من أهل السنة، روى عن العباس بن يحيى العقيلي، وروى عنه أبو النصر محمد بن محمد بن يوسف الطوسي».

انظر: تاريخ جرجان للسهمي ١٨٧، والأنساب ٤٠/٢، ومقدمة تفسير الثعلبي ١٠/١ ب.

والراجح أن الذي كان ينقل عنه الواحدي هو الثاني؛ لأن الثعلبي ذكر في مقدمته تفسيره أن من مصادره كتاب =

عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ﴾ [البقرة: ٢٣] قال: «... وقال أبو علي الجرجاني: نظم الآية: «فأتوا بسورة من مثله» من دون الله «وادعوا شهداءكم» أي من مثل القرآن من غير الله... قال: ومثل هذا قوله: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَأَدْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾. ونظمه: فأتوا بعشر سور مثله مفتريات من دون الله، وادعوا من استطعتم من الناس».

وقال في سورة يونس في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَجِرْ دَعْوَهُمْ إِنَّ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [يونس: ١٠] «قال صاحب النظم: وأن هاهنا زائدة».

وفي تفسير سورة الدخان: ﴿حَمِّ ۝ وَالْكِتَابِ الْمُمِينِ﴾ [الدخان: ١، ٢]، «وقال صاحب النظم: لولا أنَّ قوله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾ صفة للقرآن الذي أقسم به وأخبر عنه، لاحتمل أن يكون جواباً للقسم، ولكن ليس من عادتهم أن يقسموا بالشيء نفسه إذا أخبروا عنه».

النظم، للرجل نفسه، قال: قرأ علينا أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب بلفظه، قال: قرأت على أبي النصر محمد بن محمد بن يوسف بطوس، قال: قرأت على أبي علي الحسن بن يحيى بن نصر الجرجاني. وأغلب الظن أن الواحدي استفاد من هذا المصدر عن طريق شيخه الثعلبي. والذي يؤكد أنه هو صاحب النظم الوارد في البسيط، أن ابن القيم أورد بعض النقول في كتابه الروح ٥٤٧/٢-٥٦٠ ونسبها للجرجاني، وقد صرح في الصفحة ٥٥٩ أنه الحسن بن يحيى الجرجاني. وأسلوب هذه النقول يتفق مع ما ينقله الواحدي عن صاحب النظم، بل إن الكلام الذي نقله ابن القيم عنه في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢] ورد بنصه في البسيط.

انظر: الروح ٥٤٧/٢، والبسيط، وتحقيق الفايض ٩١٠/٣.

التوفيق بين الآيات المتشابهات وإزالة الإشكال : عند قوله تعالى ﴿إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ﴾ [الحجر: ٤] وفق بين هذه الآية وآية الشعراء : ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ﴾ [الشعراء: ٢٠٨] ، قال : «قال صاحب النظم : والفرق بينهما أن دخول الواو يقلب حال ما بعدها إلى الابتداء ، وخروجها منه يدل على أن ما بعدها في موضع حال ، اعتباراً بقولك : ما أهلكنا من قرية إلا ظالماً أهلها ، فيكون نصباً على الحال ، فإذا دخلت الواو قلت : إلا وأهلها ظالمون ، فقلبت الواو الحال إلى أن جعلتها مبتدأة ، فانقلبت رفعاً عن النصب ، وهذا فرق من حيث اللفظ ، والمعنى واحد أثبت الواو أو حذفها» .

إيراد المسائل النحوية : عند قوله تعالى : ﴿كَذَلِكَ نَسْأَلُكَ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الحجر: ١٢] ، قال : «واختلفوا في المكنى في قوله : ﴿نَسْأَلُكَ﴾ ، فذكر أقوالاً مأثورة ، ثم قال : قال صاحب النظم : الهاء كناية عن الاستهزاء ودلّ عليه الفعل ؛ مثل قولهم : من كذب كان شراً له ، والفعل يدل على المصدر ؛ مثل قوله تعالى : ﴿وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر: ٧] ؛ أي : الشكر ، فأضمره لدلالة الفعل عليه» .

نقل معنى «الغريب» : عند قوله تعالى : ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ﴾ [الحجر: ٦٦] ، قال : «وقال صاحب النظم : أي : فرغنا منه ؛ مثل قوله : ﴿ثُمَّ أَقْضُوا إِلَيَّ﴾ [يونس: ٧١] ، وقد مر» .

إزالة الإشكال النحوي عن الآية وبيان معناها : عند قوله تعالى : ﴿كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ﴾ [الحجر: ٩٠] قال : «قال صاحب النظم ، المعنى : إني أنذرتكم ما أنزلناه على المقتسمين ، وتكون الكاف زائدة» .

اختيار الوقف وتوجيهه : عند قوله تعالى : ﴿وَالْأَنْعَمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفٌّ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [النحل: ٥] بين أن الوقف إما على ﴿خَلَقَهَا﴾ ، وإما على ﴿خَلَقَهَا لَكُمْ﴾ ، ثم ذكر اختيار صاحب النظم ، فقال : «قال : قال

صاحب النظم : أحسن الوجهين أن يكون الوقف عند قوله : ﴿خَلَقَهَا﴾ ؛ لقوله في النسق على ما قبلها : ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ﴾ [النحل : ٦٠] .

نقل اللطائف البلاغية : عند قوله تعالى : ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ [النحل : ٣٣] ، قال : «قال صاحب النظم : إنهم لا ينتظرون ذلك على الحقيقة ؛ لأنهم كانوا لا يؤمنون بالله ، كيف ينتظرون أمره ؟ ! ولكن لما كان امتناعهم عن الدخول في الإيمان موجبا عليهم إتيان أمر الله والملائكة بما قدر عليهم من العذاب ، وكان عاقبة أمرهم إلى ذلك ، أضيف ذلك إليهم على المجاز والسعة ، وجعل مجيء ذلك انتظارا منهم له ؛ فكأنه - عز وجل - قال : هل يكون مدة إقامتهم على كفرهم إلا مقدار إيقاعي بهم وإنزالي العذاب عليهم ؟ وهذا كما قلنا في لام العاقبة في مواضع ، لما كانت العاقبة تؤدي إلى ذلك جعل سببا له وإن لم يكن في الحقيقة كذلك ؛ كقوله تعالى : ﴿فَالْقَظَّةُ الْفَرْعُونَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَذَابٌ﴾ الآية [القصاص : ٨] وقد مر . ثم عقب الواحدي بقوله : وهذا الذي ذكره صاحب النظم وجه جيد في هذه الآية لم يذكره في نظيرها في سورة البقرة والأنعام .

توجيه حروف المعاني : عند قوله تعالى : ﴿فَمَا لِلَّذِينَ فَضَّلُوا بِرَادَىٰ رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ﴾ [النحل : ٧١] ، قال : وقال صاحب النظم : «معنى الفاء في قوله : ﴿فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ﴾ حتى ؛ لأن التأويل : ﴿فَمَا لِلَّذِينَ فَضَّلُوا﴾ بجاعلي رزقهم لعبيدهم حتى يكون عبيدهم فيه معهم سواء في الملك ، فقوله : ﴿فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ﴾ صفة لما تقدّمه من الخبر لا جواب له ؛ ولو كان جوابا له لكان قد أوجب أن يكون المولى والعبيد في ذلك سواء ، وهو - عز وجل - إنما أراد أنهم لا يستوون في الملك . وهذا قول جيد انفرد به

صاحب النظم ، وانظر الأقوال الأخرى التي ذكرتها في التعليق على الآية في التحقيق .

ذكر المناسبات وتوجيه المعنى : عند قوله تعالى : ﴿ أَيْمُسِكُهُ عَلَى هُونٍ ﴾ [النحل: ٥٩] قال : « وقال صاحب النظم : قوله : ﴿ أَيْمُسِكُهُ ﴾ متصل في النظم بقوله : ﴿ وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ [النحل: ٥٨] ، والكظيم بمعنى الكاظم ، ومعنى الكظم : ستر الشيء في القلب وترك إظهاره ، ومنه : ﴿ وَالْكَظِيمِينَ أَلْقَيْطُ ﴾ [آل عمران: ١٣٤] ، والتأويل : وهو كاظم ﴿ أَيْمُسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ ﴾ أي : إن هذا المعنى في قلبه من شدة الغم وهو يكظمه ولا يظهره .

١١ . كتب أبي بكر بن الأنباري :

تعدُّ كتب أبي بكر محمد بن القاسم الأنباري^(١) من المصادر الرئيسة ، وقد أفاد الواحدي منها كثيراً ، فكانت أقوال ابن الأنباري في معاني القرآن واللغة والنحو مصدراً رئيساً من أهم مصادره في تفسيره ، وكلامه ينال إعجاب الواحدي فيشيد به . أخذ عنه في المسائل النحوية واللغوية والقضايا التفسيرية وخصوصاً في ما يتعلق بمشكل القرآن أو النكات والفوائد . نقل عنه كثيراً ، ولم أجد مما نسب إليه في كتب ابن الأنباري التي وصلت إلينا سوى نتف يسيرة في كتاب الزاهر^(٢) . ولا بن الأنباري كتاب في المشكل في معاني القرآن ، وصل فيه إلى سورة طه ، أملاه

(١) هو محمد بن القاسم بن محمد بن بشار بن الحسن الأنباري ، أبو بكر البغدادي إمام ثقة لغوي نحوي مفسر أديب حافظ برز في فنون من العلم ، وهو من أعلم الناس باللغة والأدب ، ومن أحفظ نحاة الكوفة ، توفي سنة ٣٢٧ هـ .

انظر : إشارة التعيين ٣٣٥ ، والبلغة ٢١٢ ، وبغية الوعاة ١/ ٢١٢ ، وطبقات المفسرين للداودي ٢/ ٢٢٧ .

(٢) كتاب الزاهر يذكر فيه الأقوال المأثورة والأمثال ويشرحها . طبع الكتاب في مجلدين بتحقيق د . حاتم صالح الضامن .

في سنين كثيرة ، ورسالة المشكل ردّ فيها على ابن قتيبة وأبي حاتم السجستاني ، ولم يصل إلينا^(١) ، ولعل السبب في عدم وصول مثل هذه الكتب ما ذكره الخطيب البغدادي : من أنه كان يملئ ، ولم يكن يكتب^(٢) .

ويترجّح عندي أن الواحدي اعتمد على هذين الكتابين في ما أفاده عن ابن الأنباري ، لأن أغلب ما نقل عنه يتعلق بمشكل القرآن ، ولتصريحه بالرد على ابن قتيبة أحياناً نقلاً عن ابن الأنباري .

والكلام الذي نستطيع أن نرجعه إلى ابن الأنباري ، هو ما صرح الواحدي فيه بنقله عنه . ويغلب على ظني أن هناك مواضع كثيرة نقل فيها عنه من دون عزو ، لشبهه العبارة بكلام ابن الأنباري ، ولأنه اتضح لي أن الواحدي ينقل عن مصادره بعزو ، وأحياناً من دون عزو .

وأذكر بعض الأمثلة لأخذ الواحدي عن ابن الأنباري ففي تفسير البسملة قال : «قال أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار : سألت أبا العباس ، لم جمع بين الرحمن الرحيم^(٣) ؟

فقال : لأن الرحمن عبراني ، فأتى معه الرحيم العربي واحتج بقول جرير . . . الخ» . وفي تفسير قوله تعالى : ﴿ كَمْثَلِ الَّذِي أَسْتَوْفَدَ نَارًا ﴾ [البقرة: ١٧] ، قال : «وقال ابن الأنباري : (الذي) في هذه الآية واحد في معنى الجمع ، وليس على ما ذكره ابن قتيبة ، لأن (الذي) في البيت الذي احتج به جمع واحده (اللد) ، و(الذي) في الآية واحد في اللفظ لا واحد له ، ولكن المراد منه الجمع» .

(١) انظر : تاريخ بغداد ٣/ ١٨٤ ، ومعجم الأدباء ١٨/ ٣١٢ .

(٢) انظر : تاريخ بغداد ٣/ ١٨٤ .

(٣) هكذا في النسخ جميعها ، ولعل الأولى «الرحمن والرحيم» كما في الزاهر ١/ ٥٣ .

ومثال آخر يوضح مدى إفادة الواحدي من ابن الأنباري ما ذكر في تفسير قوله تعالى: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ الآية [يونس: ٤] قال: «فإن قيل: لم أفرد المؤمنين بالقسط من دون غيرهم وهو يجزي الكافر -أيضا- بالقسط؟

قال ابن الأنباري: «لو جمع الله الصنفين بالقسط لم يتبين ما يقع بالكافرين من العذاب الأليم، ففصلهم عن المؤمنين، ليبين ما يجزيهم به مما هو عدل غير جور؛ فلهذا خص المؤمنين بالقسط وأفرد الكافرين بخبر يرجع إلى تأويله بزيادة الإبانة...»^(١).

١٢. أبو القاسم الزَّجَّاجي^(٢):

أخذ الواحدي عن أبي القاسم الزَّجَّاجي خصوصاً في المسائل اللغوية والنحوية، ونقل عنه مقاطع طويلة، ولم أستطع أن أهتدي إلى الكتاب الذي نقل عنه بعد أن أطلعت على كتبه المطبوعة جميعها، فلعل الواحدي أخذ عن مصدر مفقود أو عن كتاب غير كتب الزَّجَّاجي يعتني بذكر أقواله، أو عن طريق أحد شيوخه مشافهة.

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عن معنى الإيمان في تفسير قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ [البقرة: ٣] قال: «... على أن أبا القاسم الزَّجَّاجي شرح معنى الإيمان بما

(١) البسيط ٣/ ١٣ نسخة الأزهرية.

(٢) أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق البغدادي، النهاوندي، لقب الزَّجَّاجي، نسبة إلى شيوخه إبراهيم بن السري أبي إسحاق لملازمته له، نحوي، لغوي أصله من نهاوند، وولد فيها، وسكن بغداد، أخذ عن الزَّجَّاج وابن دريد ونفطويه وأبي الحسن الأخفش، سكن طبرية ودمشق وتوفي فيها سنة ٣٣٧هـ.

ومن تصانيفه الجمل الكبرى في النحو، واللامات في اللغة، وشرح مقدمة أدب الكاتب، وكتاب اشتقاق أسماء الله، وغيرها.

انظر: إنباه الرواة ٢/ ١٦٠، ووفيات الأعيان ٣/ ١٣٦، وبغية الوعاة ٢/ ٧٧.

هو أظهر مما ذكره الأزهري ، وهو أنه قال : معنى التصديق في الإيمان لا يعرف من طريق اللغة إلا بالاعتبار والنظر ؛ لأنَّ حقيقته ليست للتصديق ، ألا ترى أنك إذا صدَّقت إنساناً في ما يخبرك به ، لا تقول آمنت به ؟ لكنك إذا نظرت في موضوع هذه الكلمة وصرفته حق التصريف ظهر لك من باطنها معنى يرجع إلى التصديق . . . إلخ» .

ومثال آخر في قوله تعالى : ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْقُوا رَبِّهِمْ﴾ الآية [البقرة: ٤٦] قال : «وذكر أبو القاسم الزجاجي حقيقة الظن في اللغة ، فقال : هو اعتقاد الشيء على طريقة التقدير والحدس ، فإن أصاب في ما ظن صار يقيناً ، وإن لم يصب كان مخطئاً في تقديره ، ولهذا ذكر أهل اللغة هذه اللفظة في باب الأضداد . . . إلخ»^(١) .

١٣ . كتب أبي جعفر النحاس^(٢) :

أفاد الواحدي في البسيط من كتب أبي جعفر النحاس في مواضع متعددة خصوصاً من كتاب القطع والائتناف^(٣) ، وهو الوقف والابتداء ، ومن أمثلة ذلك .

١ . قول الله تعالى : ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ [الروم: ٢٥] قال الواحدي : «وقال النحاس : ﴿إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً﴾ ليس بوقف ؛ لأنه لم يأت بجواب

(١) انظر : البسيط عند تفسير الآية ٤٦ .

(٢) هو أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي ، النحاس ، النحوي ، المصري ، عرف بابن النحاس ، وعرف بالصفار ، نحوي ، لغوي ، مفسر ، أديب ، فقيه ، رحل إلى بغداد وأخذ عن المبرّد والأخفش ونفطويه والزجاج وغيرهم ، ثم رجع إلى مصر وأقام بها إلى أن توفي سنة ٣٣٨ هـ . من مصنفاته إعراب القرآن ، ومعاني القرآن ، والناسخ والمنسوخ ، والكافي في النحو .

انظر : وفيات الأعيان ١/ ٣٥ ، ومعجم الأدباء ٤/ ٢٢٤ ، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٩٩ .

(٣) انظر : البسيط تفسير سورة الدخان .

(إذا) وجواب (إذا) على قول الخليل وسيبويه : ﴿ أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ ﴾ أي :
خرجتم .

وكذا قال سيبويه : ﴿ وَإِنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴾ [الروم: ٣٦]
تقديره عنده : قنطوا . والقول ما قال النحاس . القطع والائتناف : ٥٣٢ / ٢ .

٢ . قول الله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسَلَّ بِهِ
خَبِيرًا ﴾ [الفرقان: ٥٩] ، قال الواحدي : « وكان علي بن سليمان يذهب
إلى أن الكناية في ﴿ بِهِ ﴾ تعود إلى السؤال . وقوله : ﴿ فَسَلَّ ﴾ يدل
على السؤال . والمعنى : فاسأل عالماً بسؤالك . القطع والائتناف ،
٤٨٦ / ٢ .

٣ . في سورة الدخان : ﴿ حَمَّ ۝١٠١ ۝ وَالْكَتَبِ الْمُبِينِ ﴾ [الدخان: ١-٢] ، قال :
« قال النحاس : يجوز أن يجعل جواب القسم : «إنا أنزلناه حم» فيكون
تمام الكلام عند قوله «المبين» ، وإن جعلت جواب القسم «إنا أنزلناه»
اتصل بالكلام الأول»^(١) .

١٤ . الإغفال في ما أغفله الزَّجَّاج من المعاني^(٢) لأبي علي الفارسي :

وفي هذا الكتاب تعقَّب أبو علي الفارسي^(٣) كتاب أبي إسحاق الزَّجَّاج معاني
القرآن وإعرابه في مسائل ذكرها الزَّجَّاج . وقد أطال أبو علي في كثير منها وتوسع
طويلاً وسلك منهجاً قريباً من منهجه في الحجة في إيراد المسائل اللغوية والنحوية
والصرفية ، وقد أفاد الواحدي من الإغفال في مسائل كثيرة ، بعضها بالعزو ،
وبعضها من دون عزو .

(١) البسيط ٥/١٣٣ النسخة الأزهرية . انظر : القطع والائتناف للنحاس ٦٥٤ .

(٢) حقق محمد حسن محمد إسماعيل الكتاب في رسالة علمية لنيل الماجستير في كلية الآداب جامعة عين
شمس بالقاهرة ، ولم تطبع بعد .

(٣) سبق ترجمته .

ومن أمثلة ذلك في لفظ الجلالة (الله) نقل عن الإغفال طويلاً من دون عزو ، حيث قال : «وقوله : (الله) ؛ أما أصل هذه الكلمة فقد حكى أصحاب سيبويه عنه : فيه قولين : أحدهما قال : كان أصل هذا الاسم (إلاها) ففأوها (همزة) ، وعينها (لام) و(الألف) أَلَفَ فَعَالَ الزائدة ، واللام (هاء) . . . إلخ»^(١) ، وأخذ عنه في ذلك صفحات عديدة ، أكثره بنصه ، وقد يتصرف بالعبارة أحياناً ، ويقدم بعض الكلام على بعض .

ونص كلام أبي علي في الإغفال : «فأما قولنا : (الله) فقد حملة سيبويه على ضريين :

أحدهما : أن يكون أصل الاسم (إلاه) ففاء الكلمة على هذا (همزة) وعينها (لام) والألف (ألف) فَعَالَ الزائدة و(اللام) هاء . . . إلخ»^(٢) . وفي آخر الموضوع نقل عنه كلاماً طويلاً حول الإمالة في لفظ الجلالة (الله) ، ولم أجده عند أحد غير أبي علي^(٣) سوى ما نقله عنه ابن سيده في المخصص والواحي في البسيط .

ومثال آخر في قوله تعالى : ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾ [البقرة: ٤٨] ، نقل عنه كلاماً طويلاً مع عزوه له . فقال : «قال أبو علي : والظرف نوع من أنواع المفعولات المنتصبة عن تمام الكلام ، وهو زمان أو مكان»^(٤) .

واستمر ينقل عنه في الظروف كلاماً لا علاقة له بالتفسير ، وبمثل هذا النهج نقل عنه كلاماً طويلاً حول (الآن)^(٥) .

(١) البسيط تفسير البسطة .

(٢) الإغفال ١١ . ونقل ابن سيده كلام أبي علي بنصه مع عزوه له في المخصص ١٧/ ١٣٦- ١٥١ .

(٣) انظر : الإغفال ٤٧ .

(٤) انظر : البسيط عند تفسير سورة البقرة الآية [٤٨] ، والإغفال ١٧٤ (رسالة ماجستير) .

(٥) انظر : البسيط تفسير سورة البقرة [٧١] ، والإغفال ١ .

ومثال آخر في قوله تعالى: ﴿فَأَنكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبْعَ﴾ الآية [النساء: ٣]، ذكر كلام أبي إسحاق الزَّجَّاج، ثم قال: «هذا كلام أبي إسحاق، وقد أخطأ في موضعين من هذا الفصل أصلحهما^(١) أبو علي، وذكر معنى العدل فقال: اعلم أنَّ العدل ضرب من الاشتقاق، فكل معدول مشتق، وليس كل مشتق معدولاً... إلخ»^(٢).

١٥. المسائل الحلييات^(٣) لأبي علي الفارسي:

وقد أفاد منه الواحدي ونقل عنه قليلاً، وذكرته هنا لمناسبة ذكر كتب أبي علي الفارسي، أخذ عنه في تفسير (الناس) في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتِيَوْمَ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٨]، قال: «وذكر أبو علي في المسائل الحلييات أن الكسائي قال: إن (الأناس) لغة، و(الناس) لغة أخرى، وكأنَّه يذهب إلى أنَّ (الفاء) محذوف من الناس، وهذا ما يذهب إليه سيبويه، والدلالة على أنَّها من لفظ واحد، وليساً من كلمتين مختلفتين أنهم قالوا: (الأناس) في المعنى الذي قالوا فيه (الناس)... إلخ»^(٤). وبالرجوع للمسائل الحلييات، نجد الواحدي نقل كلام أبي علي بالمعنى^(٥).

(١) كتاب أبي علي الإغفال يسمى المسائل المصلحة، فقد ورد هذا الاسم في أول الكتاب. انظر: الإغفال ١.

(٢) البسيط تفسير سورة النساء [الآية: ٣].

(٣) طبع كتاب المسائل الحلييات بتحقيق د. حسن هندواي في مجلد.

(٤) البسيط تفسير سورة البقرة [الآية: ٨].

(٥) انظر: المسائل الحلييات ١٦٦-١٧٠.

١٦ . الإيضاح العضدي :

ذكر أبو علي في هذا الكتاب مباحث في النحو والصرف ، والعضدي نسبة للسلطان عضد الدولة ، أبي شجاع ، فَنَاحُشُرُو ، صاحب العراق وفارس ، قال الذهبي في ترجمة عضد الدولة : وله صَنَّف أبو علي كتابي ؛ الإيضاح ، والتكملة^(١) .

﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَتُنَا مِنْ آسَرَةٍ يَلْ﴾ [الشعراء: ١٩٧] قال الواحدي : «قال أبو علي : إذا اجتمع في باب (كان) معرفة ونكرة فالذي يُجعل اسم كان منهما المعرفة ، كما كان المبتدأ المعرفة ، والنكرة الخبر» . ذكر هذا في كتاب الإيضاح ، ونحو هذا ذكر في كتاب الحجة .

١٧ . كتاب سر صناعة الإعراب^(٢) لأبي الفتح عثمان بن جني^(٣) :

تكلم ابن جني في هذا الكتاب على أحكام (حروف المعجم) وأحوالها ومواقعها في كلام العرب .

منهج ابن جني في كتابه :

كان بين أيدي الناس ترتيبان للحروف ؛ أحدهما ترتيبها بحسب المخارج ، وهو الترتيب الذي بنى عليه أصحاب المعجمات مصنفاتهم في اللغة ، كالخليل في كتاب العين ، والأزهري في تهذيب اللغة . والثاني ترتيبها على النحو التالي : (أ . ب . ت . ث . ج . ح . خ . د . ذ . ر . ز . س . ش . ص . ض . ط . ظ . ع . غ .

(١) سير أعلام النبلاء ١٦/٢٤٩ .

(٢) طبع الكتاب في مجلدين بتحقيق د . حسن هنداي .

(٣) هو أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي النحوي اللغوي ، صاحب التصانيف البديعة في الأدب والنحو ، صاحب أبا علي الفارسي طويلاً واستوطن بغداد ، وتوفي سنة ٣٧٢ هـ . من مصنفاته الخصائص ، وسر صناعة الإعراب ، والمصنف في شرح تصريف المازني ، والفسر في شرح ديوان المتنبي . انظر : تاريخ بغداد ١١/٣١١ ، وإنباه الرواة ٢/٣٣٥ ، ومعجم الأدباء ١٢/٨١ ، ووفيات الأعيان ٣/٢٤٦ .

ف . ق . ك . ل . م . ن . هـ . و . لا . ي) ، وهو الذي كان مشهوراً بأيدي الناس في حياة ابن جني ، وهو الترتيب الذي أثره ، فبَوَّب كتابه بحسبه .

وقد عقد أبو الفتح لكل حرف من هذه الحروف باباً تناول فيه الحرف على النحو الآتي : يبدأ أولاً بذكر صفة الحرف من حيث الجهر أو الهمس ، ويبين استعماله في الكلام من حيث الأصالة ، والبدل ، والزيادة ، ويتلوه بالتمثيل لأصالته من حيث وقوعه فاء الكلمة ، وعينها ، ولامها ، فيذكر لكل موقع مثالين ، أحدهما اسم والآخر فعل ، ما عدا باب الهمزة فقد زاد فيه على المثالين ، ويعقبه بذكر الحروف التي أبدل هذا الحرف منها ، ويفصل القول في كل منها ، وبعد ذلك يعرض مواضع زيادته . وفي مطلع باب الهمزة شرح معنى الأصالة والبدل والزيادة ، فقال : « اعلم أن الهمزة حرف مجهور ، وهو في الكلام على ثلاثة أضرب : أصل ، وبدل ، وزائد . ومعنى قولنا أصل : أن يكون الحرف فاء الفعل أو عينه أو لامه . والبدل : أن يقام حرف مقام حرف ، إما ضرورة ، وإما استحساناً وصنعة . فإذا كانت أصلاً وقعت فاء وعيناً ولاماً . فالفاء نحو أنف وأذن وإبرة وأخذ وأمر . والعين نحو فأس ورأس وجُؤنة وذئب وسأل وجأر . واللام نحو قُرء وخطأ ونَبأ وهدأ واستبرأ واستدفاً^(١) .

وقال في باب التاء : « التاء حرف مهموس ، يستعمل في الكلام على ثلاثة أضرب : أصلاً وبدلاً وزائداً . فإذا كانت أصلاً وقعت فاء وعيناً ولاماً ، فالفاء نحو تَمَر وتَنَّا ، والعين نحو فَتَر وقتل ، واللام نحو فَخْتُ ونَحَت .

وأما إبدالها فقد أبدلت من ستة أحرف ، هن الواو ، والياء ، والسين ، والصاد ، والطاء ، والدال .

(١) سر صناعة الإعراب ٦٩ .

إبدالها من الواو : قد أبدلت التاء من الواو فاء إبدالاً صالحاً»^(١) .

وأما زيادة الحرف فتارة يكتفي بذكر الأماكن التي يكون فيها زائداً مع التمثيل ، مثل قوله في زيادة التاء : «وأما الزيادة فقد زيدت التاء أولاً في نحو تَأَلَّبَ وتَجَنَّفَ . . . وزيدت ثانية في نحو افتقار وافتقر . . . وزيدت أيضاً رابعة في سَنَبْتِ . . . وزيدت أيضاً خامسة في نحو ملكوت وجبروت . . . وسادسة في نحو عنكبوت وتَزَنَّمَت . . . وقد زيدت في أوائل الأفعال الماضية للمطاوعة ، كقولك كَسَرْتَهُ فتكسّر . . . وتزاد في أوائل المضارعة لخطاب المذكر نحو أنت تقوم وتقع»^(٢) .

وتارة يبدأ بوضع المقاييس التي يستدل بها على زيادة الحرف ، كقوله في زيادة الهمزة : «اعلم أن موضع زيادة الهمزة أن تقع في أول بنات الثلاثة ، فمتى رأيت ثلاثة أحرف أصولاً وفي أولها همزة ، فاقض بزيادة الهمزة عرفت الاشتقاق في تلك اللفظة أو جهلته ، حتى تقوم الدلالة على كون الهمزة أصلاً ، وذلك نحو أحمر وأصفر»^(٣) .

فإذا جهل الاشتقاق لجأ أبو الفتح إلى القياس للحكم على أصالة الحرف أو زيادته ، من ذلك قوله في التاء والنون : «واعلم أن للتاء ميزاناً وقانوناً يعرف به من طريق القياس كونها أصلاً أو زائدة ، فإذا عدمت الاشتقاق في كلمة فيها تاء أو نون ، فإن حالهما في ما أذكره لك سواء : فانظر إلى التاء أو النون ، فإن كان المثال الذي هما فيه أو إحداهما على زنة الأصول بهما فاقض بأنها أصلان ،

(١) سر صناعة الإعراب ١٤٥ .

(٢) سر صناعة الإعراب ١٥٧-١٥٩ .

(٣) سر صناعة الإعراب ١٠٧ .

وإن لم يكن المثال الذي هما فيه بهما أو بإحدهما على زنة الأصول فاقض بأنهما زائدتان»^(١).

وبعد أن يفرغ من الحديث عن زيادة الحرف يشير إلى حذفه إن كان الحذف قد وقع فيه ، مثل قوله في الهمزة : «وقد حذفت الهمزة فاء نحو ويلمّه ، وناس ، والله في أحد قولي سيويوه . ولأما في جايجي ، وسايسو . وحذفت عيناً في أريت وتصرفه»^(٢).

هذا إذا كان الحرف يستعمل في الكلام أصلاً وبدلاً وزائداً ، فإذا كان لا يقع إلا أصلاً كالحاء ، اكتفى بذكر ذلك فيه ، وعرض ما اختلف فيه مما قد يظن أنه يدخل في باب الإبدال^(٣) . وكذا إذا كان الحرف لا يستعمل إلا أصلاً وبدلاً كالجيم^(٤) ، ومثله الحرف الذي يستعمل أصلاً وزائداً ليس غير كالسين^(٥) .

هذه هي القضايا الأساسية التي كررها المؤلف في كل حرف ، فهي العمود الفقري لكل باب من أبواب الكتاب ، وأما ما عداها من المسائل ، فإنها استطراد إليها استطراداً ، أو ذكرها إيضاحاً لمشكل ، أو لأن لها علاقة وإن كانت بعيدة ببعض المباحث الأساسية .

نخلص من هذا إلى القول : إن مادة الكتاب الأصلية هي الإعلال والإبدال والزيادة والحذف ، وهذه أهم مباحث علم التصريف^(٦) .

-
- (١) سر صناعة الإعراب ١٦٧ .
 (٢) سر صناعة الإعراب ١١٨ .
 (٣) سر صناعة الإعراب ١٨٣ ، ١٨٤ .
 (٤) سر صناعة الإعراب ١٧٥ - ١٧٨ .
 (٥) سر صناعة الإعراب ١٩٧ .
 (٦) انظر : مقدمة سر صناعة الإعراب ٣٣ - ٤١ .

ولقد استفاد الواحدي من كتاب سر صناعة الإعراب كثيراً في المسائل النحوية خصوصاً عن الحروف ومعانيها ، والغالب أنه ينقل عنه من دون عزو ، وقد يعزو له أحياناً قائلاً : قال أبو الفتح الموصلي ، من دون ذكر اسم كتابه الذي أخذ عنه .

ومن أمثلة نقله عنه من دون عزو ما افتتح به كتابه عند الكلام عن (الباء) في تفسير : (بسم الله الرحمن الرحيم) قال : «اختلفت عبارة النحويين في تسمية هذه (الباء) الجارة ، فسموها مرة : حرف إصاق ، ومرة حرف استعانة ، ومرة حرف إضافة ، وكل هذا صحيح من قولهم .

أما الإلصاق : فنحو قولك تمسكت بزيد ، وذلك أنك ألصقت محل قدوتك به ، وبما اتصل به ، فقد صح إذن معنى الإلصاق»^(١) نقل عنه مع التصرف في كلام ابن جني بالتقديم والتأخير والحذف ، وأذكر بعض كلام ابن جني لمقارنته مع نقل الواحدي قال ابن جني :

«واعلم أنهم قد سموا هذه (الباء) في نحو قولهم : (مررت بزيد) و(ظفرت ب بكر) مما تتصل فيه الأسماء بالأفعال ، مرة حرف إصاق ، ومرة حرف استعانة ، ومرة حرف إضافة ، وكل ذلك صحيح من قولهم . . . الخ»^(٢) .

وقال الواحدي : «وأما قول النحويين الباء والكاف واللام الزوائد ، فإنما قالوا فيهن إنهن زوائد ، لأنهن لما كنَّ على حرف واحد ، وقللن غاية القلة واختلطن بما بعدهن ، خشي عليهن لقلتهن وامتزاجهن بما يدخلن عليه أن يظن

(١) انظر : تفسير الفاتحة من البسيط .

(٢) سر صناعة الإعراب ١ / ١٢٢ .

بهن أنهم بعضه وأحد أجزاءه ، فوسموهن بالزيادة ، ليعلموا من حالهن أنهم لسن من أنفس ما وصلن به»^(١) .

وقال ابن جني : «فأما قول النحويين : الباء والكاف واللام الزوائد يعنون نحو بزید ولزید ، فإنما قالوا فيهن إنهن زوائد لما أذكره لك ، وذلك أنهم لما كنَّ على حرف واحد ، وقللن غاية القلة ، واختلطن بما بعدهن خشي عليهن لقلتهن وامتزاجهن بما يدخلن عليه أن يظن بهن أنهم بعضه أو أحد أجزاءه فوسموهن بالزيادة لذلك ، ليعلموا من حالهن أنهم لسن من أنفس ما وصلن به»^(٢) .

وبمثل ذلك تعامل الواحدي مع كتاب أبي الفتح بن جني في مواضع كثيرة من كتاب ، ينقل عنه بتصريف ولا يعزو له . انظر الكلام على (ال) في تفسير ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢] ، نقل عنه صفحات كثيرة بتصريف^(٣) .

وفي تفسير ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة: ٥] عند الكلام على (إيا) ، قال : «اختلفت مذاهب النحويين في هذا الحرف ، وأنا ذاكر لك منها ما يحتمله هذا الكتاب ، ذهب الخليل إلى أن (إيا) اسم مضممر مضاف إلى (الكاف) ، وهذا مذهب أبي عثمان . وحكى أبو بكر عن أبي العباس عن أبي الحسن : أنه اسم مفرد مضممر يتغير آخره مثل ما تتغير أواخر المضممرات لا اختلاف أعداد المضممرين ، وأن (الكاف) في (إياك) كالـكاف في (ذلك) في أنه دلالة على الخطاب فقط مجردة من كونها علامة للضمير ، ولا يميز أبو الحسن في ما يحكى عنه : (إياك وإيا زيد) و(إياي وإيا الباطل) . وقال سيويو : حدثني من لا أتهم . . . الخ»^(٤) .

(١) البسيط تفسير الفاتحة .

(٢) سر صناعة الأعراب ١/ ١٢٠ .

(٣) البسيط تفسير الفاتحة [الآية: ٢] .

(٤) البسيط تفسير الفاتحة [الآية: ٥] .

ونص كلام أبي الفتح : «فهذه مسألة لطيفة عنت لنا في أثناء هذا الفصل ، نحن نشرحها ونذكر خلاف العلماء فيها ، ونخبر بالصواب عندنا من أمرها إن شاء الله ، وهي قوله عز اسمه : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ وما كان مثله . أخبرني أبو علي عن أبي بكر محمد بن السري عن أبي العباس محمد بن يزيد : أن الخليل يذهب إلى أن (إيا) اسم مضممر مضاف إلى الكاف ، وحكى عن المازني مثل هذا القول المحكي عن الخليل في أنه مضممر مضاف .»

قال : «وحكى أبو بكر عن أبي العباس عن أبي الحسن الأخفش ، وأبو إسحاق عن أبي العباس غير منسوب إلى الأخفش : أنه اسم مفرد مضممر بتغير آخره كما تتغير أواخر المضمرات لاختلاف أعداد المضممين . . . » ، إلى أن قال : ولا يميز أبو الحسن في ما حكى عنه : إياك وإيا زيد ، وإياي وإيا الباطل . انتهت الحكاية عن أبي علي .

وقال سيبويه : «حدثني من لا أتهم عن الخليل . . . إلخ»^(١) .

وبعد أن نقل الواحدي عن أبي الفتح بن جني كلاماً طويلاً في هذا قال : « . . وهذا الذي ذكرنا كلام أبي علي وأبي الفتح»^(٢) .

ومن أمثلة أخذه عنه من دون عزو - وهي كثيرة - ما ذكره في حروف التهجي عند تفسير قوله تعالى : ﴿الْمَ﴾ [البقرة : ١]^(٣) وكذلك عن (الفاء) في تفسير قوله تعالى : ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ﴾ [البقرة : ٢٤]^(٤) .

(١) سر صناعة الإعراب ١ / ٣١٢ .

(٢) تفسير الفاتحة [الآية : ٥] .

(٣) البسيط البقرة [الآية : ١] .

(٤) البسيط البقرة [الآية : ٢٤] .

هذه أهم مصادر الواحدي التي تعرفها . وفي تفسيره البسيط حشد كبير من أقوال الصحابة ومن بعدهم من التابعين في مجال التفسير وكذا أقوال أئمة اللغة والنحو ، ونجد الواحدي في الغالب ينقل هذه الأقوال من طريق هذه المصادر .

ففي مجال التفسير ذكر أقوال ابن عباس كثيراً ، بل إنَّ منهجه يقوم على ذكر قول ابن عباس في الآية ما وجد له قولاً فيها ، وذكر ذلك أيضاً في مقدمة كتابه^(١) ، وذكر أقوال ابن مسعود ، وأبي بن كعب . ومن التابعين ومن بعدهم ذكر أقوال مجاهد ، وسعيد بن جبير ، وعطاء بن أبي رباح ، وعكرمة ، وأبي الحسن البصري ، وقتادة ، والسدي ، وغيرهم . وفي الغالب أنه يأخذ أقوال هؤلاء من طريق تفسير الثعلبي أو الطبري .

ومن ذكر قوله في مجال التفسير الحسين بن الفضل^(٢) ، ينقل أقواله في الغالب من طريق الثعلبي . من أمثلة ذلك تفسير قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴾ [البقرة: ٤٥] قال : « . . وقال الحسين بن الفضل : رد الكناية إلى الاستعانة ؛ لأنَّ استعينوا يدل على المصدر . . . »^(٣) .

وقول الحسين ذكره الثعلبي في تفسيره .

كذا الحال بالنسبة لأئمة النحو ، نجد اسم سيبويه يتردد كثيراً في البسيط وفي المواضيع جميعها التي اطلعت عليها ، لم أجده نقل عن الكتاب مباشرة ، وإنما من طريق أحد المصادر السابقة ، من أمثلة ذلك : أنه ذكر قوله سيبويه في (الباء) من

(١) انظر : البسيط ذكر ذلك في المقدمة .

(٢) هو الحسين بن الفضل بن عمير البجلي الكوفي ثم النيسابوري ، المفسر ، الأديب ، إمام عصره في معاني القرآن ، صاحب فنون وتعبد ، توفي وهو ابن مائة وأربع سنين في سنة ٢٨٢ هـ .

انظر : العبر في خبر من غبر ٩٩ / ١ ، والوافي بالوفيات ٢٨١ / ٤ ، وطبقات المفسرين ٧ / ١ ، وسير أعلام النبلاء ٤١٤ / ١٣ .

(٣) انظر : البسيط البقرة [الآية : ٤٥] .

طريق سر صناعة الإعراب ، وذكر قوله في (أراب) من طريق الحجة لأبي علي الفارسي ، وهكذا .

ومثل هذا يقال عن بقية أئمة النحو الذين نقل عنهم كثيراً كالحليل ، وابن كيسان وأبي الحسن الأخفش ، وأبي العباس ثعلب وغيرهم .

وقد ذكر أقوال أئمة اللغة من طريق تهذيب اللغة للأزهري ، مثل أبي عبيد القاسم بن سلام ، وابن السكيت ، والأصمعي ، وأبي حاتم ، واللحياني ، وابن الأعرابي ، وغيرهم .

مثال واحد يوضح ذلك نقل قول أبي عبيد في معنى الصلاة لغة ، وكذا معنى الفلاح ، وكلام أبي عبيد موجود في كتابه غريب الحديث ، لكن النص أقرب إلى ما ذكره الأزهري في تهذيب اللغة ، وقد نقل كلاماً قبله وبعده من التهذيب ، يؤكد أن النقل منه .

منهج الواحد في النقل من مصادره

لقد استفاد الواحد من تلك المصادر كثيراً ، وكانت النقول سمة بارزة في تفسيره . لكن ما طريقة الواحد في النقل ؟ هل هو مجرد ناقل ، أم له جهد في ما ينقله ؟

الحقيقة أن هذه النقول تبرز ما يتمتع به الواحد من مهارة فائقة في حسن الانتقاء وجوده الربط بين الكلام ، ونقاشه للأقوال والترجيح بينها يظهر قوة عقلية ومملكة علمية تدل على أصالته في ذلك ، وقد عبّر الواحد عن هذا النهج في مقدمة كتابه ، حين قال : « . . . ولم يترك الأول للآخر شيئاً غير أن المتأخر

بلطيف حيلته ودقيق فطنته ، يلتقط الدرر ويجمع الغرر ، فينظمها كالعقد على صدور الكعاب ، يروق المتأملين ويؤنق الناظرين»^(١) .

وأذكر بعض الأمثلة التي توضح ذلك

في تفسير قوله تعالى : ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ ﴾ [البقرة: ٦] ، نقل كلاماً بنصه لأبي علي الفارسي من الحجة عن الهمزة في «أُنذِرْتَهُمْ» . فقال : «لفظه لفظ الاستفهام ومعناه الخبر» إلى أن قال : «فكل استفهام تسوية وإن لم يكن كل تسوية استفهاماً»^(٢) . وانتقل من كلام أبي علي مباشرة إلى كلام أبي إسحاق الزَّجَّاج رابطاً الكلام بعضه ببعض فقال : «وحرر أبو إسحاق هذا الفصل فقال : إنما دخلت ألف الاستفهام ، وأم التي هي للاستفهام ، والكلام خبر لمعنى التسوية . . . إلخ»^(٣) .

وفي تفسير قوله تعالى : ﴿ وَكُنْتُمْ أََمْوَاتًا ﴾ [البقرة: ٢٨] نقل كلاماً للفرّاء عن (كان) ، ومنه : « . . قال : وكان الخليل يقول : كَيْئُونَةُ «فَيُعُولَةُ» وهي في الأصل (كَيْئُونُوتَةٌ) التقت (ياء) و(واو) والأولى منها ساكنة فصيرتا (ياء) مشددة مثل ما قالوا : أَلْهَيْنَ ، ثم خففوها فقالوا : كَيْئُونَةُ ، كما قالوا : هَيْنَ لَيْنَ ، قال الفرّاء : فقد ذهب مذهباً ، إلا أن القول عندي هو الأول . قال : ويضمّر هاهنا (قد) ، والتقدير : «وقد كنتم أمواتاً»^(٤) . . . فربط بين كلام الفرّاء عن (كان) وهو منقول عن تهذيب اللغة ، ولم يرد هذا الكلام في تفسير الآية ، ثم ربط به مباشرة في قوله « . . قال : يضمّر هاهنا (قد) . . . » وهذا الكلام ذكره الفرّاء في معاني القرآن^(٥)

(١) انظر : مقدمة المؤلف .

(٢) البسيط البقرة [الآية: ٦] .

(٣) انظر : البسيط البقرة [الآية: ٦] .

(٤) البسيط انظر هذا الكلام عند : تفسير قوله تعالى : ﴿ وَكُنْتُمْ أََمْوَاتًا ﴾ [البقرة: ٢٨] .

(٥) انظر : معاني القرآن للفرّاء ٢٤ / ١ .

فجمع بين النصين من التهذيب ومعاني القرآن ، وأحسن الربط بينهما ، وكأنه من موضع واحد .

ومع حسن سبك الكلام يناقش الأقوال ويوجهها ، ويرجع ما يراه صواباً ويرد ما كان بخلاف ذلك . ففي تفسير البسملة في قوله : ﴿ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ ، نقل كلام أبي العباس ثعلب من طريق ابن الأنباري ، إذ يرى ثعلب أن ﴿ الرَّحْمَنُ ﴾ اسم عبراني ، ويستدل على ذلك بقوله تعالى : ﴿ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ ﴾ [الفرقان : ٦٠] ^(١) ، فيرد عليه الواحدي مبيناً أنَّ الآية لا تقوم دليلاً على مطلوبه ، فيقول : «وأما ما احتجَّ به أبو العباس من قوله تعالى : ﴿ وَمَا الرَّحْمَنُ ﴾ فهو سؤال عن الصفة ، ولذلك قالوا : وما الرحمن ، ولم يقولوا : وَمَنْ ، والقوم جهلوا صفته ، والاسم كان معلوماً لهم في الجملة» ^(٢) .

مثال آخر يدل على ما يتمتع به من ملكة علمية تُمكنه من نقاش كلام فطاحل العلماء ، ما مر بنا قريباً من مناقشته لكلام الطبري ^(٣) قائلاً : «وليس الأمر على ما قال ، لأنَّ الشك في القلب على الحقيقة ، فأى فائدة لتقدير الاعتقاد هاهنا ، ولأنَّ الشك ينافي الاعتقاد ، وهم ليسوا معتقدين إذا كانوا شاكِّين» ^(٤) .

ومثال ثالث في تفسير قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ ﴾ [البقرة : ٢٧] ، ذكر وجهين للزجاج في المراد بالعهد ^(٥) ، ثم قال : «والوجه الأول أصحهما ، من قبل أن الله لا يحتج عليهم بما لا يعرفون ؛ لأنه بمنزلة ما لم يكن إذا

(١) انظر : البسيط عند تفسير قوله تعالى : ﴿ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ [الفاتحة : ٣] .

(٢) انظر : المرجع السابق .

(٣) انظر : كلام الطبري من هذه الدراسة .

(٤) انظر : البسيط عند قوله تعالى : ﴿ يُخَذِّعُونَ اللَّهَ ﴾ [البقرة : ٩] .

(٥) الوجهان ؛ الأول ما أخذه على النيسين ألا يكفروا بالنبي ﷺ . والثاني الذي أخذه من بني آدم من ظهورهم يوم الميثاق . انظر : البسيط عند قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ ﴾ [البقرة : ٢٧] .

كانوا لا يشعرون به ولا لهم دلالة عليه ، والثاني مع هذا صحيح ، لأنهم عرفوا ذلك العهد بخبر الصادق فكان كما لو كانوا يشعرون به ، وهذا الوجه هو قول ابن عباس»^(١) .

وقد ينقل كلام غيره في النقاش والترجيح ، مثال ذلك أنه في أثناء الكلام عن (الواو والياء والألف) التي تلحق التثنية والجمع ، نقل كلاماً طويلاً عن أبي الفتح بن جني ، ومما نقله قول أبي علي الفارسي ، ثم قال بعده : «وهذا استدلال من أبي علي في نهاية الحسن وصحة المذهب وسداد الطريقة»^(٢) . وهذا التوجيه من كلام أبي الفتح بنصه^(٣) .

ومثال آخر حينما تحدث عن (إياك) في تفسير قوله تعالى : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة ٥] ، ذكر أقوال العلماء في ذلك ، ومنه كلام الخليل والزجاج ناقلاً عن أبي الفتح بن جني ، ومما نقله مناقشة أبي الفتح لكلام الخليل ، وكلام الزَّجَّاج وفيه يقول : « . . . أما قول الخليل : أن (إِيَّا) اسم مضمَر مضاف فظاهر الفساد ، وذلك أنه إذا ثبت أنه مضمَر فلا سبيل إلى إضافته»^(٤) . ثم يقول : « . . . وأما قول من قال : (إِيَّاكَ) بكماله الاسم فليس بقوي . . . إلخ»^(٥) . ثم يقول : « . . . وأما قول أبي إسحاق : إن (إِيَّا) اسم مظهر خصّ بالإضافة إلى المضمَر ففساد - أيضاً - وليست (إيا) بمظهر كما زعم إلخ»^(٦) . وكل هذه المناقشات من كلام أبي الفتح بن جني من سر صناعة الإعراب^(٧) .

(١) انظر : المصدر السابق .

(٢) البسيط ٦٥٩ .

(٣) البسيط ٣٠٣ .

(٤) انظر : البسيط عند قوله تعالى : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة ٥] .

(٥) المصدر السابق .

(٦) المصدر السابق .

(٧) انظر : حاشية البسيط في المواضع السابقة .

بعض الملحوظات على نقل الواحدي

مع كثرة النقول في تفسير البسيط وقع الواحدي في بعض الملحوظات ، ويحصل ذلك عندما يختصر النص أو ينقل بعضه ويترك بعضاً ، فيكون لما ذكر ارتباط بما ترك ، أو يستبدل بكلمة أو جملة أخرى تغير المعنى . وهذه بعض الأمثلة توضح ذلك :

في تفسير قوله تعالى : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الفاتحة : ٢] ، نقل نصاً عن تهذيب اللغة ولم يعزه له ، فقال : « وقال الأخفش : الحمد لله الشكر لله ، قال : والحمد - أيضاً - الثناء ، وكأنَّ الشكر لا يكون إلا ثناء ليد أوليته . . . إلخ »^(١) .

وفي التهذيب كلام الأخفش ينتهي عند (الحمد - أيضاً - الثناء) وبدل قوله : « وكأنَّ الشكر لا يكون . . . إلخ » ، « قلت : الشكر . . . » فهو من كلام الأزهري ، وصرح بذلك صاحب اللسان فقال : قال الأزهري : « والشكر لا يكون . . . إلخ » ، ولما أبدل الواحدي (قلت) بـ (كأنَّ) صار الكلام جزءاً من كلام الأخفش ، أو من كلام الواحدي^(٢) .

مثال آخر في قوله تعالى : ﴿ هُدًى يَلْتَفِتِينَ ﴾ [البقرة : ٢] ، قال : « وزعم الأخفش أن من العرب من يؤنث الهدى »^(٣) ، وكلام الأخفش في الحجة : « وقال أبو الحسن : زعموا أنَّ من العرب من يؤنث الهدى »^(٤) ، فالأخفش ناقل للزعم وجعله هو الزاعم .

(١) البسيط عند قوله تعالى : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الفاتحة : ٢] .

(٢) انظر : التعليق على النص في حاشية البسيط عند قوله تعالى : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ .

(٣) البسيط [البقرة : ٢]

(٤) الحجة لأبي علي الفارسي ١/ ١٧٩ ، وانظر : حاشية البسيط [البقرة : ٢] .

ومثال آخر: نقل كلام أبي الفتح في (أل) ومنه قوله: «ومذهب الخليل في هذا أن (أل) حرف التعريف بمنزلة (قد) في الأفعال . . . واحتج لهذا المذهب بفصلين؛ أحدهما: أن العرب قطعت (أل) في أنصاف الأبيات نحو قول عبيد:

يَا خَلِيلِيَّ ازْبَعَا وَاسْتَخْبِرَا أَلْ مَنَزَلَ الدَّارِسَ مِنْ أَهْلِ الْحِلَالِ
مِثْلَ سَحْقِ الْبُرْدِ عَفَى بَعْدَكَ أَلْ قَطَرٌ مَغْنَاهُ، وَتَأْوِيْبُ الشَّالِ

قال: فلو كانت اللام وحدها حرف التعريف لما جاز فصلها من الكلمة التي عرفتها . . .»^(١) فتصرف الواحد في كلام أبي الفتح وصير الكلام كأنه بنصه للخليل، خصوصاً عند قوله: «واحتج لهذا المذهب بفصلين» وقوله: «قال: فلو كانت اللام . . .»، وأذكر نص كلام أبي الفتح ليظهر الفرق بين النصين. «وذهب الخليل إلى أن (أل) حرف تعريف بمنزلة (قد) في الأفعال وأن الهمزة واللام جميعاً للتعريف . . . ويقوي هذا المذهب قطع (أل) في أنصاف الأبيات، نحو قول عبيد:

يا خليلي . . .

وهذه قطعة لعبيد مشهورة عددها بضعة عشر بيتاً يطرد جميعها على هذا القطع الذي تراه إلا بيتاً واحداً من جملتها، ولو كانت اللام وحدها حرف التعريف لما جاز فصلها من الكلمة التي عرفتها . . .»^(٢).

ومثال آخر في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ﴾ [البقرة: ٤٨] قال: «قال أصحاب المعاني: ليس معنى: «لا يقبل الشفاعة» أن هناك شفاعة لا تقبل، وإنما المعنى لا يكون شفاعة فيكون لها قبول . . . إلخ»^(٣).

(١) البسيط [البقرة: ٢].

(٢) سر صناعة الإعراب ١/ ٣٣٣.

(٣) البسيط [البقرة: ٤٨].

فالواحدى نقل هذا عن أبي علي الفارسي من الحجة^(١)، ونسبه لأهل المعاني، ولم يذكره أحد من أهل المعاني الذين اشتهر أخذهم عنهم، كالفرّاء والأخفش والزّجاج. ثم إن في هذا الكلام محذوراً، فظاهره نفي الشفاعة، وهذا قول المعتزلة، ولم ينقده في هذا الموضع، على الرغم من دأبه في نقد آراء المعتزلة، وإن كان قد ذكر القول الصحيح في معنى الآية في موضع آخر، فقال في آخر تفسيرها: «... والآية وإن عمّت في نفي الشفاعة فمعناها الخصوص في من مات على الكفر بدلالة الأخبار الصحيحة في الشفاعة، وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ [الأنبياء: ٢٨]...»^(٢).

* * *

المبحث السادس

منهج الواحدى فى البسيط

● المطلب الأول : مقدمة الكتاب ومنهجه إجمالاً

افتتح الواحدى كتابه بمقدمة طويلة اشتملت على مسائل مهمة، حيث بيّن فيها سبب تأليفه الكتاب، ثم تحدث بإفاضة عن أهمية علم اللغة والنحو والأدب لتفسير القرآن الكريم، وذكر أنه لا بد للمفسر أن يتمكن فيها، قبل تعرضه لتفسير كتاب الله، ثم تحدث عن شيوخه الذين تلقى عنهم العلوم في شتى المجالات، ثم تحدث بعد ذلك عن منهجه في كتابه إجمالاً.

(١) الحجة ٢/ ٤٦، ٤٧.

(٢) البسيط [البقرة: ٤٨].

ولما حوته تلك المقدمة من قضايا مهمة تنمُّ عن شيء من شخصية الواحدي العلمية كانت مرجعاً لكل من أراد التعرف إلى الواحدي أو التعريف به ، فنقل منها بعض العلماء عند تعريفهم بالواحدي ، مثل ما فعل ياقوت في معجم الأدباء^(١) ، ومن المعاصرين أحمد صقر في مقدمته على أسباب النزول^(٢) .

وقد سبق ذكر مقاطع منها عند الحديث عن العلوم التي برز فيها ، وعند الحديث عن شيوخ الواحدي ، وكذا عند الحديث عن مصادره في كتابه ، والآن أستعرض جوانب أخرى في المقدمة لم يسبق الحديث عنها .

ذكر في أولها الموضوعات الأساسية للكتاب ، فقال : «وبعد ، فمنذ دهر تحدثني نفسي بأن أعلق لمعاني إعراب القرآن وتفسيره فقرأ في الكشف عن غوامض معانيه ، ونكتاً في الإشارة إلى علل القراءات فيه في ورقات يصغر حجمها ويكثر غُثمها » .

وقد كان الواحدي موفقاً في تحديد الموضوعات الرئيسة التي ركز عليها في تفسيره ، لكن عبارته توحى بالاختصار والإيجاز ، والواقع بخلاف ذلك ، فقد تعدَّى في بعض المواضع حدود الإطالة إلى الإملال بذكر مسائل لا علاقة لها بالتفسير .

وإذا كان السبب الرئيس للتأليف - وهو ما أفصح عنه - رغبته في الكشف عن غوامض معاني القرآن الكريم ، فهناك سبب آخر دعاه للتأليف ذكره قائلاً : « . . . والأيام تمطلني بصروفها على اختلاف صنوفها إلى أن شدد علي خناق التقاضي قومٌ لهم في العلم سابقة ، وفي التحقيق همم صادقة ، فسمحت قروني بعد الإباء » ، ثم يقول : « . . . هؤلاء شكوا إلي غلظ حجم المصنفات في

(١) انظر : معجم الأدباء ١٢/٢٦٢-٢٧٠ .

(٢) انظر : أسباب النزول ١١ وما بعدها .

التفسير ، وأن الواحدة منها تستغرق العمر كتابتها ، ويستنزف الروح سماعها وقراءتها ، ثم صاحبها بعد أن أنفق العمر على تحصيلها ، ليس يحظى منها بطائل تعظم عائده ، وتعود عليه فائدته» .

أبرز الواحدي أنّ من أسباب تأليفه الكتاب ما شكوا إليه من غلظ حجم المصنفات في التفسير . أقول : لقد جاء كتابه البسيط غليظ الحجم فوقع في ما نقده على غيره .

ثم تحدث الواحدي بعد ذلك عن أصول مهمة لا بد لمن رام تفسير كتاب الله أن يلمّ بها ، فذكر النحو والأدب والبلاغة وأهميتها للمفسر ، فقال : «فقلت : إن طريق معرفة تفسير كلام الله - تعالى - تعلم النحو والأدب ، فإنها عمدتاه وإحكام أصولهما ، وتتبع مناهج لغات العرب في ما تحويه من الاستعارات الباهرة ، والأمثال النادرة ، والتشبيهات البديعة ، والملاحن الغريبة» . ويستطرد طويلاً في بيان أهمية ذلك لتفسير القرآن ، خصوصاً في عصره ، وذلك لأن الصحابة الذين نزل القرآن فيهم ، كانوا عرباً أولي بيان فاضل ، وقد بين لهم النبي ﷺ ما يحتاجون من مجمل الكتاب فيقول : «فاستغنوا بذلك عما نحن إليه محتاجون من معرفة لغات العرب» ، ثم يبين أن المفسر يحتاج مع تعلم اللغة إلى السنن المبينة لمجمل الكتاب ، فيقول ناقلاً عن مقدمة تهذيب اللغة : «فعلينا أن نجتهد في تعلم ما يتوصل بتعلمه إلى معرفة ضروب خطاب الكتاب ، ثم السنن المبينة لمجمل التنزيل الموضحة للتأويل ، لتنتفي عنا الشبه التي دخلت على كثير من رؤساء أهل الزيغ والإلحاد ، ثم على رؤوس ذوي الأهواء والبدع ، الذين تأولوا بأرائهم المدخولة فأخطؤوا ، وتكلموا في كتاب الله - عز وجل - بلكتهم العجمية من دون معرفة ثابتة فضلوا وأضلوا»^(١) فبين بهذا أهمية اللغة والسنة لبيان القرآن ، وخطر التصدي لتفسيره من دون المعرفة الثابتة بهما . ثم

(١) وقد نقله الواحدي عن مقدمة تهذيب اللغة من دون عزو .

ذكر حث السلف على تعلم اللغة وترغيبهم في ذلك فقال : «وقد كان الأكابر من السلف يحثون على تعلم لغة العرب ، ويرغبون فيها لما يعلمون من فضائلها وفرط الحاجة إليها . . . » ، ثم أورد بعض الأحاديث والآثار في بيان قيمة الأدب والحث على تعلمه وتعلم اللغة ، وختم حديثه عن أهمية اللغة والأدب للتفسير فقال : «وكيف يتأتَّى لمن جهل لسان العرب أن يعرف تفسير كتاب جعل معجزة - في فصاحة ألفاظه وبعد أغراضه - لخاتم النبيين وسيد المرسلين - صلى الله عليه وعلى آله الطيبين - في زمان أهله يتحلَّون بالفصاحة ويتحدون بحسن الخطاب وشرف العبارة ، وإنَّ مثل من طلب ذلك مثل من شهد الهيجاء بلا سلاح ، ورام أن يصعد الهواء بلا جناح» .

ثم يقرر قضية مهمة وهي أن من جهل لسان العرب وأصول كلامهم ليس مرشحاً للتعرض لتفسير كتاب الله ، حتى وإن قرأ كتب التفسير ، لأنه مقلد لهم في ذلك غير مدرك لمعاني كتاب الله فيقول : « . . . ثم وإن طال تأمله مصنفات المفسرين وتبعه أقوال أهل التفسير من المتقدمين والمتأخرين فوقف على معاني ما أودعوه كتبهم وعرف ألفاظهم التي عبروا بها عن معاني القرآن لم يكن إلا مقلداً لهم في ما حكوه وعارفاً معاني قول مجاهد ، ومقاتل ، وقتادة ، والسدي وغيرهم ، دون معنى قول الله عز وجل . ألا ترى أن واحداً ممن لم يتدرب بلغة العرب لو سمع قول امرئ القيس :

دِيمَةُ هُطْلَاءٍ فِيهَا وَطْفٌ طَبَقُ الْأَرْضِ تَحَرَّى وَتَدُرُ

فسأل عن معناه : فقليل له : إنه يصف مطراً سحابه هاطل ، كان عارفاً معنى هذا البيت من طريق التقليد ، ولا يكون عارفاً معنى قول امرئ القيس ما لم يعرف تفسير كل حرف على حدته . . . » .

ويستمر يعرض الأمثلة والشواهد حول هذه القضية لينتهي إلى القول : «وإنما ذكرت هذه الأمثلة لتعرف أن من تأمل مصنفات المفسرين ووقف على

معاني أقوالهم لم يقف على معاني كلام الله من دون الوقوف على أصول اللغة والنحو .

ثم يذكر طبقات المصنفين في تفسيره ، ولكنه أثر الاختصار فيها ، لأنه مثل قوله : « الاشتغال بما يعيننا أولى من بيان درجتهم والكشف عن نقصهم ومزيتهم » . ويتتهي إلى القول : « ولم يترك الأول للآخر شيئاً ، غير أن المتأخر بلطيف حيلته ودقيق فطنته يلتقط الدرر ويجمع الغرر ، فينظمها كالعقد على صدر الكعاب . . . » .

ولقد كان الواحدي صادقاً في مقالته ، وكان كتابه تعبيراً عن ذلك فعمل فيه على لقط الدرر وجمع الغرر ونظمها كالعقد ، وقد سبق إيضاح هذه المسألة عند ذكر مصادره في كتابه .

بعد ذلك يذكر الواحدي شيوخه ومصادره التي استقى منها فيقول : « وأظنني لم آل جهداً في إحكام أصول هذا العلم على حسب ما يليق بزماننا هذا ، ويسعه سِنُو عمري على قلة أعدادها ، فقد وفق الله - تعالى - وله الحمد ، حتى اقتبست كل ما احتجت إليه في هذا الباب من مظانّه وأخذته من معادنه . . . » ، ثم أخذ في سرد شيوخه وتحدث عن الكتب التي قرأها وأطال ، وقد سبق نقل مقاطع طويلة منه عند الحديث عن شيوخه وكذا عند ذكر مصادره فلن أطيل بذكرها هنا .

وصف الكتاب ومنهجه فيه وعرضه في المقدمة

وفي نهاية المقدمة يصف الواحدي كتابه الذي عزم على جمعه ، ومنهجه فيه ، فيقول : « وقد استخرت الله العظيم في جمع كتاب أرجو أن يمدني الله فيه بتوفيقه وحسن تيسيره . . . سالك نهج الإعجاز في الإيجاز ، مشتمل على ما نقت على غيري إهماله ، ونعيت عليه إغفاله ، خال عما يكسب المستفيد ملالة ويتصور عند

المتصفح إطالة ، ولا يدع لمن تأمله حازة في صدره حتى يخرج من ظلمة الريب والتخمين إلى نور العلم وثَلَجَ اليقين » .

فهل كتاب الواحدي مثل ما وصفه هنا ؟

لقد درج الكثير من المؤلفين على وصف كتابهم في مقدماتهم التي يكتبونها أولاً ، وربما بالغ بعضهم في ذلك ، وقد يكون المؤلف صادقاً مع نفسه في ما قال ؛ لأنه لو علم خللاً في كتابه لأصلحه ، ونعود إلى كتاب الواحدي فأقول : إن كتابه بحق مثل ما وصفه ، سوى ما ادّعه من سلوكه نهج الإيجاز ، فواقع الكتاب لا يطابق ما شرطه على نفسه في المقدمة ، فإنه استطرد في كتابه إلى مباحث لغوية ونحوية خارجة عن إطار التفسير ، ويأتي مزيد من الإيضاح لذلك ، عندما نعرض لتفصيل منهجه في الجوانب اللغوية والنحوية .

ثم يقول الواحدي عن كتابه : « . . . هذا بعد أن يكون المتأمل مرتاضاً في صنعة الأدب والنحو مهتدياً بطرق الحجاج ، قَارِحاً في سلوك المنهاج فأما الجَذَع المَزْجَى من الْمُقْتَبِسِينَ والرَّيْضَ الكَزُّ من المبتدئين فإنه مع هذا الكتاب كمزاولٍ غَلَقاً ضاع عنه المفتاح ومتخبط في ظلماء ليل خانة المصباح » .

لقد كان الواحدي صادقاً في وصف كتابه ، إذ يوجد فيه مسائل لغوية ونحوية يعسر على القارئ فهمها إلا بعد تأمل طويل ، وأكثر تلك المواضع استطرادات لا علاقة لها بالتفسير .

منهج الواحدي في كتابه إجمالاً

ذكر الواحدي منهجه في كتابه إجمالاً قائلاً : « وابتدئ في كل آية عند التفسير بقول ابن عباس ما وجدت له نصّاً ، ثم بقول من هو قدوة في هذا العلم من الصحابة وأتباعهم مع التوفيق بين قولهم ولفظ الآية . فأما الأقوال الفاسدة والتفسير المردول الذي لا يحتمله اللفظ ولا تساعده العبارة فمما لم أضيع الوقت

بذكره . وذكرت وجوه القراءات السبع التي اجتمع عليها أهل الأمصار من دون تسمية القراء ، واعتمدت في أكثرها على كتاب أبي علي الحسن بن أحمد الفارسي الذي رواه لنا سعيد بن محمد الحيري عنه . فذكر أنّ منهجه أن يبتدئ كل آية بقول ابن عباس ما وجد له نصّاً . وهنا لا بد من إيضاح أمرين :

الأمر الأول : أنه يبدأ الآية غالباً بتحليل ألفاظها وبيان أصولها اللغوية واشتقاقها ، وما فيها من قضايا نحوية ويطيل في ذلك ، فقد أخذت هذه المباحث حيزاً كبيراً في الكتاب ، ثم يذكر ما قيل في تفسير الآية ، ويبدأ ذلك بقوله : «أما التفسير» هذا في الغالب ، وقد يذكر قول ابن عباس أولاً ثم يذكر تحليل ألفاظ الآية .

الأمر الثاني : أنه في الغالب يبدأ بقول ابن عباس ، وقد يذكر قول غيره ثم يذكر قوله بعد ذلك . مثال ذلك في تفسير قوله تعالى : ﴿ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ [الفاتحة: ٤] ، قال : «قال الضحاك وقتادة : الدين : الجزاء يعني يوم يدين الله العباد بأعمالهم . . . وقال ابن عباس والسدي ومقاتل في معنى ﴿ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ : قاضي يوم الحساب . . .»^(١) .

ومثال آخر في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ ﴾ [البقرة: ٤] ، ذكر قول مجاهد ثم ذكر بعده قول ابن عباس^(٢) .

وذكر إن من منهجه التوفيق بين قول السلف ولفظ الآية ، وهذه سمة بارزة في تفسير البسيط ، حيث نجده دائماً يحرص على بيان مدلول لفظ الآية على كل قول يذكره لأحد من الصحابة ، أو من بعدهم ، ويُظهِر بذلك احتمال ألفاظ الآية

(١) البسيط الفاتحة [الآية: ٤] .

(٢) انظر : البسيط الفاتحة [الآية: ٤] .

لهذه الأقوال ، وقد يحاول أن يجمع بينها ويبين أنها تلتقي في النهاية حول معنى واحد .

ثم ذكر أنّ من منهجه أنه لا يذكر الأقوال الفاسدة والتفسير المردول ، ولقد كان عند شرطه في الجملة ، سوى بعض الإسرائيليات التي دخلت عليه من طريق شيخه الثعلبي ، ويأتي الحديث عن ذلك قريباً إن شاء الله .

وذكر أنّ من منهجه أنه يذكر القراءات السبع من دون تسمية القراء ، وفي هذا الجانب يركز على توجيه القراءات ويتوسع في ذلك ، ويذكر ذلك في الغالب بعد تحليل ألفاظ الآية . وذكر ما فيها من مسائل نحوية ، وقبل دخوله في ذكر أقوال السلف والمفسرين في الآية .

وفي أثناء تفسير الآية قد يتعرض لما فيها من أحكام ، وقد يذكر مسائل في الوقف والابتداء ، والربط بين الآيات ، ويذكر فيها أيضاً سبب النزول ، ولا يكثر في كل ذلك ، ويأتي إيضاح هذه الأمور بالأمثلة عند ذكر منهجه مفصلاً إن شاء الله .

● المطلب الثاني : منهجه في كتابه مفصلاً

– المسألة الأولى : تفسير القرآن بالقرآن

يعدُّ القرآن الكريم المصدر الأول للتفسير ، فما أُجملَ في موضع قد يرد مفصلاً في موضع آخر ، وما أهِمَّ في مكان قد يرد مبيناً في مكان آخر وهكذا .

وقد يعتمد الواحد على هذا المصدر في تفسيره ، فكثيراً ما يورد آية لتفسير آية ، وقد يورد الآيات الكثيرة للاستشهاد ، خصوصاً في المسائل النحوية واللغوية .

ومن أمثلة إيراد الآية لتفسير آية أخرى ما ذكره في تفسير قوله تعالى : ﴿ اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الفاتحة: ٢] ، أورد الأقوال في «العالمين» ، فذكر قول الحسن وقتادة في تفسير العالم : إنه جميع المخلوقات ، قال : «يدل على هذا القول من التنزيل قوله : ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ (١) قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴾ [الشعراء: ٢٣، ٢٤] . فسر العالمين بجميع المخلوقات» (١) . ثم قال : «وقال ابن عباس في رواية سعيد بن جبیر : هم الجن والإنس ، اختاره أبو الهيثم والأزهري ، واحتجوا بقوله : ﴿ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [الفرقان: ١] ، وقال الحسين بن فضل وأبو معاذ النحوي : هم بنو آدم لقوله : ﴿ أَتَأْتُونَ الذِّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴾ [الشعراء: ١٦٥]» (٢) .

ومثال آخر في تفسير قوله تعالى : ﴿ صِرْطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ [الفاتحة: ٧] ذكر الأقوال فيها ، ومنها : «وقيل : هم الذين ذكرهم الله في قوله سبحانه : ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴾ [النساء: ٦٩] » (٣) .

ومثال آخر في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ ﴾ [البقرة: ٢٣] قال : «والكناية في مثله تعود إلى (ما) في قوله : ﴿ مِمَّا نَزَّلْنَا ﴾ ، ودليل هذا التأويل قوله : ﴿ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ ﴾ [الطور: ٣٤] وقوله تعالى : ﴿ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ ﴾ [يونس: ٣٨] ، وقوله : ﴿ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ ﴾ [الإسراء: ٨٨] ، كذلك يريد به مثل القرآن» (٤) . والأمثلة على هذا كثيرة .

ويكثر من الاستشهاد بالآيات في المسائل النحوية واللغوية التي يتعرض لها أو ينقلها غيره .

(١) البسيط الفاتحة [الآية: ٢] .

(٢) البسيط الفاتحة [الآية: ٢] .

(٣) البسيط الفاتحة [الآية: ٧] .

(٤) البسيط البقرة [الآية: ٢٣] .

مثال ذلك في قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ ﴾ [البقرة: ٥١] ، قال ^(١) : «وأما (اتخذ) فإنه على ضربين ، أحدهما : أن يتعدى إلى مفعول واحد . والثاني : أن يتعدى إلى مفعولين . فأما تعديه إلى واحد كقوله : ﴿ يَلَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴾ [الفرقان: ٢٧] ، و ﴿ أَمْ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ ﴾ [الزخرف: ١٦] ، وقوله : ﴿ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً ﴾ [الفرقان: ٣] ، ﴿ لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا لَاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا ﴾ [الأنبياء: ١٧] ، وأما تعديه إلى مفعولين ، فإن الثاني منها هو الأول في المعنى ، كقوله : ﴿ اتَّخَذُوا أَيْمَنَهُمْ جُنَّةً ﴾ [المجادلة: ١٦] ، المنافقون: ٢] وقال : ﴿ لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ ﴾ [المتحنة: ١] ، ﴿ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سُخْرِيًّا ﴾ [المؤمنون: ١١٠] » ^(٢) .

– المسألة الثانية : تفسير القرآن بالسنة والأثر

يعدُّ كتاب البسيط للواحدى أقرب إلى كتب التفسير بالدراية منه إلى التفسير بالرواية ، حيث أكثر فيه من المباحث اللغوية والنحوية وتوجيه القراءات والنكات التفسيرية والفوائد حول الآيات ، وأقلَّ من الرواية خصوصاً الحديث ، أما الآثار عن الصحابة والتابعين ومن بعدهم فهي أكثر من الحديث ، بخلاف كتاب الوسيط الذي أكثر فيه من الرواية .

وقد أدرك الواحدى الإسناد ، فقد قال صاحب المنتخب من السياق في أثناء ترجمة الواحدى : «أدرك الإسناد العالى» ^(٣) .

وكانت له بعض المشاركة في خدمة السنة تظهر من خلال كتابيه : أسباب النزول والوسيط في التفسير .

(١) ناقلاً عن الحجة من دون عزو . انظر : حاشية البسيط عند قوله : ﴿ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ ﴾ .

(٢) البسيط البقرة [الآية: ٥١] .

(٣) المنتخب من السياق ل ١١٤ / أ .

ولكن مع ذلك فبضاعة الواحدي في السنة ليست مُرضية عند بعض العلماء ، فوجَّهت إليه الانتقادات في هذا الجانب ، ذكرت طرفاً منها في ما سبق عند الحديث عن أقوال العلماء فيه . ومن تلك الأقوال ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية قال : « . . وفي التفسير من هذه الموضوعات قطعة كبيرة مثل الحديث الذي يرويه الثعلبي والواحدي والزنجشري في فضائل سور القرآن سورة سورة ، فإنه موضوع باتفاق أهل العلم . . . »^(١) ، وقال في موضع آخر : « وأما الواحدي فإنه تلميذ الثعلبي وهو أخبر منه بالعربية لكن الثعلبي فيه سلامة من البدع وإن ذكرها تقليداً لغيره ، وتفسيره وتفسير الواحدي البسيط والوسيط والوجيز فيها فوائد جليلة وفيها غثٌ كثير من المنقولات الباطلة وغيرها »^(٢) .

وأخذ بهذا القول الكتاني ، فقال : « . . . ولم يكن له ولا لشيخه الثعلبي كبير بضاعة في الحديث بل في تفسيريهما - خصوصاً الثعلبي - أحاديث موضوعة وقصص باطلة . . . »^(٣) .

وقد نقل الزركشي في البرهان عن ابن الصلاح اعتراضه على الواحدي في إيراده حديث فضائل السور فيقول : « قال ابن الصلاح : ولقد أخطأ الواحدي المفسر ومن ذكره^(٤) من المفسرين في إيداعه تفاسيرهم » ، ثم يعتذر الزركشي عن الواحدي قائلاً : « قلت : وكذلك الثعلبي ، لكنهم ذكروه بإسناد ، فاللوم عليهم يقل ، بخلاف من ذكره بلا إسناد وجزم به كالزنجشري فإن خطأه أشد »^(٥) .

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية ١٣/ ٣٥٤ .

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية ١٣/ ٣٨٦ .

(٣) الرسالة المستطرفة ٥٩ .

(٤) أي حديث فضائل السور .

(٥) البرهان ١/ ٤٣٢ .

والأحاديث في الوسيط قليلة في الجملة ، وذكر الواحدي بعضها بسنده ، مثال ذلك ما أخرجه في مقدمة البسيط قال : «ولقد أخبرنا الأستاذ أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم -رحمه الله- قال : أخبرني أبو القاسم الحسن بن محمد ابن الحسن ، ثنا أبو الحسن أحمد بن الخضر بن أبان ، ثنا أبو عمرو أحمد بن نصر الخفاف ، ثنا نصر بن علي الجهضمي ، ثنا عامر بن أبي عامر ، ثنا أيوب بن موسى القرشي عن أبيه ، عن جده ، قال : قال رسول الله ﷺ : ما نحل والد ولده نحلة أفضل من أدب حسن»^(١) .

وقد حكم الأئمة على هذا الحديث بالضعف والإرسال .

ومثال آخر ما ذكره في تفسير الفاتحة في معنى (الحمد) قال : «وقد أخبرنا الحسين بن أبي عبد الله الفسوي -رضي الله عنه- أبنا أحمد بن محمد الفقيه ، أبنا محمد بن هاشم ، عن الدَّبَرِي ، عن عبد الرزاق ، عن معمر ، عن قتادة ، عن عبد الله بن عمر أن النبي ﷺ قال : الحمد رأس الشكر ، وما شكر الله عبداً لا يحمده»^(٢) .

والحديث ضعيف ، وقد قال ذلك بعض العلماء^(٣) .

وبعض الأحاديث ذكرها من دون سند ، ولم يحكم عليها بشيء ، وأكثرها وردت للاستدلال بها في المسائل اللغوية ، أوردها اللغويون في كتبهم ، ونقلها الواحدي عنهم .

من أمثلة ذلك في تفسير قوله تعالى : ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤] ، ذكر معاني الدين : الحساب ، فقال : «وقيل : في قوله : «الكيِّس من دان نفسه» ؛ أي :

(١) مقدمة البسيط للمؤلف .

(٢) البسيط عند تفسيره قوله تعالى : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢] .

(٣) انظر : حاشية البسيط عند التعليق على قوله تعالى : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢] .

حاسبها»^(١)، فاستشهد بالحديث على أنَّ الدين يأتي بمعنى الحساب، والكلام مع الاستشهاد بالحديث نقله عن تهذيب اللغة للأزهري^(٢).

ومثال آخر في تفسير قوله تعالى: ﴿يُخَذِّعُونَ اللَّهَ﴾ [البقرة: ٩]، تكلم على أصل معنى الخدع والخداع، ثم قال: «ومنه الحديث: يكون قبل خروج الدجال سنون خداعة . . .»^(٣)، والحديث مع ما قبله وما بعده مما ذكره الأزهري في تهذيب اللغة^(٤).

ومثال آخر في تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ [البقرة: ٦١]، تكلم على لفظ (النبي) وعلى أصله، وقال: « . . . وأما ما روي في الحديث من أنَّ بعضهم قال: يا نبي الله، فقال: لست بنبي الله؛ ولكن نبي الله، فإن أهل النقل ضعفوا إسناد الحديث . . .، والحديث مع التعليق عليه منقول عن الحجة لأبي علي الفارسي»^(٥).

وقد استشهد صاحب كتاب الواحدي ومنهجه في التفسير بالكلام السابق عن السند على أن الواحدي قد يتعرض لنقد الحديث^(٦)، ولم ينتبه إلى أن كلام الواحدي مع قبله وما بعده منقول عن أبي علي الفارسي.

– المسألة الثالثة: تفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين

أعلم الناس بالتفسير بعد رسول الله ﷺ هم أصحابه رضوان الله عليهم، ثم التابعون، وذلك لأنهم شاهدوا أحوال التنزيل، أو عاصروا من شاهدها؛

(١) البسيط الفاتحة [الآية ٤]: .

(٢) انظر: تهذيب اللغة، ١٨٢/١٤ (دان).

(٣) البسيط البقرة [الآية ٩]:

(٤) انظر: تهذيب اللغة ١٥٩/١ (خدع).

(٥) انظر: الحجة لابن علي ٩٢/٢.

(٦) انظر: الواحدي ومنهجه في التفسير ٣٢٥-٣٢٦.

ولأنهم أعلم باللغة التي نزل بها القرآن ؛ وأعرف بأحوال من نزل فيهم القرآن ؛ وأبعد عن البدع ، وأسلم القرون من الضلالات .

وقد ظهر في تفسير البسيط جلياً الاعتماد على أقوال الصحابة والتابعين في التفسير والاعتناء بها ، وتقديمها على غيرها ، بل صرح بذلك في مقدمة تفسيره قائلاً : «وابتدئ في كل آية عند التفسير بقول ابن عباس ما وجدت له نصاً ، ثم بقول من هو قدوة في هذا العلم من الصحابة وأتباعهم ، مع التوفيق بين قولهم ولفظ الآية» .

ويمكن إجمال منهجه في هذا الباب في النقاط الآتية :

أولاً : يفصل في ذكر أسماء المفسرين من الصحابة والتابعين ، وأحياناً يجمعهم تحت قوله : قال المفسرون ، أو أهل التفسير .

ومن أمثلة التفصيل ، ما ذكره عند قوله تعالى : ﴿بِكُلِّ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ﴾ [البقرة: ٨١] ، قال الواحدي : واختلف المفسرون في معنى الخطيئة هاهنا ، فقال ابن عباس والضحاك وأبو وائل وأبو العالية والربيع وابن زيد : هي الشرك يموت عليه الإنسان .

ومن أمثلة الإجمال ، ما ذكره عند قوله تعالى : ﴿بِسْمَا أَشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا﴾ [البقرة: ٩٠] ، قال : «قال المفسرون : البغي هاهنا بمعنى : الحسد» .

ثانياً : لا يذكر السند في غالب الأحيان إليهم ، وقد أسند قليلاً من الآثار ، وذكر طرفاً من الإسناد في مواضع ، ويقتصر في الغالب على الراوي عن الصحابي أو التابعي ، خصوصاً إذا روي عنه أكثر من قول في الآية .

ومن أمثلة ذلك ، ما ذكره عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُمَّ إِنَّكَ لَآ إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: ١٦٣] ، فقال : «وأما التفسير فقال ابن عباس في رواية الكلبي : قالت كفار قريش : يا محمد صف وانسب لنا ربك . فأنزل الله -تعالى- سورة الإخلاص ، وهذه الآية» .

وقال جوير^(١) ، عن الضحاك ، عن ابن عباس : «كان للمشركين ثلاثمائة وستون صنماً ، يعبدونها من دون الله ، فبين الله -سبحانه- لهم أنه واحد ، فأنزل هذه» .

ثالثاً : تنوع طريقته في عرض الأقوال وذكر القائلين بها ، فتارة يذكر كل قول على حدة ، ومن أمثلة ذلك ، ما ذكره عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ١٥٨] ، فقال : «وأما التفسير ؛ فقال مجاهد : (ومن تطوع خيراً) بالطواف بهما ، وهذا على قول من لا يرى الطواف بهما فرضاً» .

وقال مقاتل والكلبي : «ومن تطوع خيراً فزاد في الطواف بعد الواجب» .

ومنهم : من حمل هذا النوع على العمرة ، وهو قول ابن زيد ، وكان يرى العمرة غير واجبة .

وقال الحسن : « ﴿ وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا ﴾ يعني به : الدين كله ؛ أي : فعل غير المفترض عليه ، من طواف وصلاة وزكاة وكل نوع من أنواع الطاعات» . وهذا أحسن هذه الأقاويل ؛ لأن قوله : «ومن تطوَّع خيراً» صيغته تدل على العموم .

وتارة يذكر القول ، ثم يذكر القائلين به من دون أن يذكر ألفاظهم ، أو يذكر ألفاظهم بعد ذلك . ومن أمثلة ذلك ، ما ذكره عند تفسير قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ﴾ [البقرة: ١٧٧] ، فقال : «قال قتادة والربيع

ومقاتل : عنى الله بهذه الآية اليهود والنصارى ، . . . وقال ابن عباس ومجاهد والضحاك وعطاء : المراد به المؤمنون .

رابعاً : يرجح بين الأقوال في بعض الأحيان ، وذلك في المثال قبل السابق عند قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ١٥٨] .

وقد يجمع بينها ، ومن أمثلة ذلك ، ما ذكره عند قوله تعالى : ﴿ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ [البقرة: ١٨٧] ، قال : « أكثر المفسرين على أن المراد بهذا : الولد ؛ أي : اطلبوا بالمباشرة ما قضى الله لكم من الولد » . وقال قتادة : يعنى الرخصة التي كتبت لكم ، وقال معاذ بن جبل وابن عباس في رواية أبي الجوزاء : يعنى : ليلة القدر ، وكل هذا مما تحتمله الآية .

– المسألة الرابعة : منهجه في ذكر الإسرائيليات

الإسرائيليات : هي الأخبار المروية عن أهل الكتاب من يهود أو نصارى ، وسميت إسرائيلية تغليبا ؛ لأن أكثرها من أخبار بني إسرائيل أو من كتبهم^(١) .

وقد بين الحافظ بن كثير في مقدمة تفسيره الموقف الصحيح منها ، بعد ذكره لحديث : « بلغوا عني ولو آية ، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ، ومن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار »^(٢) ، فقال رحمه الله : ولكن هذه الأحاديث الإسرائيلية تذكر للاستشهاد ، لا للاعتضاد ، فإنها على ثلاثة أقسام :

أحدها : ما علمنا صحته مما بأيدينا مما يشهد له بالصدق ، فذاك صحيح .

والثاني : ما علمنا كذبه بما عندنا مما يخالفه .

(١) انظر : في الإسرائيليات ؛ التفسير والمفسرون للذهبي ١/ ١٦٥ ، والإسرائيليات والموضوعات في

كتب التفسير للدكتور محمد أبو شهبة ٢١ ، والإسرائيليات للدكتور رمزي نعناعة ٧١ .

(٢) رواه البخاري في أحاديث الأنبياء ، باب ما ذكر عن بني إسرائيل برقم (٣٤٦١) .

والثالث : ما هو مسكوت عنه ، لا من هذا القبيل ولا من هذا القبيل ، فلا نؤمن به ولا نكذبه ، وتجاوز حكايته لما تقدم ، وغالب ذلك مما لا فائدة فيه تعود إلى أمر ديني ، ولهذا يختلف علماء أهل الكتاب في مثل هذا كثيراً ، ويأتي عن المفسرين خلاف بسبب ذلك^(١) .

وقال في موطن آخر بعد ذكره لبعض أخبارهم : وعندي أن هذا وأمثاله وأشباهه من اختلاق بعض زنادقتهم ، يلبسون به على الناس أمر دينهم ، كما افترى في هذه الأمة - مع جلالة قدر علمائها وحفاظها وأئمتها - أحاديث عن النبي ﷺ وما بالعهد من قدم ، فكيف بأمة بني إسرائيل ، مع طول المدى ، وقلة الحفاظ النقاد فيهم ، وشرهم الخمر ، وتحريف علمائهم الكلم عن مواضعه ، وتبديل كتب الله وآياته ، وإنما أباح الشارع الرواية عنهم في قوله : « وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج » في ما قد يجوزه العقل ، فأما ما تحيله العقول ، ويحكم فيه بالبطلان ، ويغلب على الظنون كذبه فليس من هذا القبيل^(٢) .

ويقول الشيخ أحمد محمد شاكر^(٣) معلقاً على كلام ابن كثير : إن إباحة التحدث عنهم في ما ليس عندنا دليل على صدقه ولا كذبه شيء ، وذكر ذلك في تفسير القرآن ، وجعله قولاً أو رواية في معنى الآيات ، أو في تعيين ما لم يعين فيها ، أو في تفصيل ما أجمل فيها شيء آخر ؛ لأن في إثبات مثل ذلك بجوار كلام

(١) تفسير ابن كثير ١٢ .

(٢) تفسير ابن كثير ١٦٠٩ .

(٣) أحمد بن محمد شاكر بن أحمد بن عبد القادر ، أزهرى محدث مفسر قاض ، ولد سنة ١٣٠٩ هـ بالقاهرة ، من أكبر محققى التراث ، حقق مسند الإمام أحمد ، وسنن الترمذى ، وتفسير الطبرى ، ولم يتم شيئاً منها ، وحقق الرسالة للشافعى ، واختصر تفسير ابن كثير ، ولم يتمه ، قال الزركلى : ولم يخلف مثله في علم الحديث بمصر . انظر : الأعلام ١/ ٢٥٣ ، ومعجم المؤلفين ١٣/ ٣٦٨ .

الله ما يوهم أن هذا الذي لا نعرف صدقه ولا كذبه مبين لمعنى قول الله سبحانه ، ومفصل لما أجمل ، وحاشا لله ولكتابه من ذلك^(١) .

لقد وعد الواحدى - رحمه الله - في مقدمة كتابه باجتناى مثل ذلك ، فقال : «فأما الأقوال الفاسدة ، والتفسير المردول الذى لا يحتمله اللفظ ، ولا تساعده العبارة فمما لم أعبأ به ، ولم أضيع الوقت بذكره»^(٢) .

ولكنه - رحمه الله - وقع فى ما وعد بتركه ، وضيع الوقت - رحمه الله - بذكره ، وتابع بعض من سبقه وفى مقدمتهم شيخه الثعلبى ، الذى ملأ كتابه من تلك المرويات والقصص التى لا زمام لها ولا خطام ، ولا ينتفع بها فى فهم القرآن ، ولا فائدة فيها تعود إلى أمر دينى ، مثل ما أسلف ابن كثير ، من دون تنبيه من الواحدى أو تعليق .

ومن أمثلة ذلك :

- ١ . ما ذكره من الإسرائيليات فى كيفية وسوسة إبليس لآدم وهو فى الجنة .
- ٢ . القصة الطويلة التى ذكرها عند قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ ﴾ [البقرة: ٢٤٨] .

قال رحمه الله : ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ ﴾ الآية ، قال أصحاب الأخبار : إن الله - تعالى - أنزل على آدم تابوتاً فيه صور الأنبياء من أولاده ، فتوارثه أولاد آدم إلى أن وصل إلى يعقوب ، فكان فى بني إسرائيل ، وكانوا إذا اختلفوا فى شيء تكلم وحكم بينهم ، وإذا حضروا القتال قدموه بين أيديهم يستفتحون به على عدوهم ، وكانت الملائكة تحمله فوق العسكر

(١) عمدة التفسير ١٥/١ .

(٢) انظر : مقدمة المؤلف .

وهم يقاتلون العدو ، فإذا سمعوا من التابوت صيحة استيقنوا النصر ، فلما عصوا وفسدوا سلط الله عليهم العمّالقة ، فغلبوهم على التابوت ، وسلبوه فلما سألوا نبينهم البينة على ملك طالوت دعا النبي ربه ، فنزل بالقوم الذين غلبوا بني إسرائيل على التابوت داء بسببه ، وذلك أنهم كانوا قد أخذوا التابوت فجعلوه في موضع غائطهم وبولهم ، وكل من بال عنده أو تغوط ابتلاه الله بالبواسير ، حتى تنبهوا أن ذلك لاستخفافهم بالتابوت ، فأخرجوه ووضعوه على ثورين ، فأقبل الثوران يسيران ، ووكل الله بهما أربعة من الملائكة يسوقونهما ، حتى أتوا به منزل طالوت ، فلما رأوا التابوت عند طالوت ، علموا أن ذلك أمانة ملكه عليهم ، فذلك قوله : ﴿ إِنَّ أَيْكَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ ﴾ الآية ^(١) . . . إلى آخر ما ذكره .

وقد وجدت بالتتبع أنه ينقل ذلك كله من تفسير شيخه مع الاختصار والتصرف ، بيد أنه - رحمه الله - لا يعلق على ذلك بما يدل على الإنكار أو المخالفة .

- المسألة الخامسة : منهجه في عرض القراءات

ذكرُ القراءات والاحتجاج لها هما الباعثان الرئيسان للواحد لتأليف هذا التفسير ؛ إذ يقول في مقدمته : « فمئذ دهر تحدثني نفسي بأن أعلق لمعاني إعراب القرآن وتفسيره فقراً في الكشف عن غوامض معانيه ، ونكتاً في الإشارة إلى علل القراءات فيه في ورقات يصغر حجمها ويكثر غنمها . . . » .

فجعل الإشارة إلى علل القراءات هدفاً مهماً يقابل الكشف عن غوامض التنزيل . فلا غرو أن نرى الواحد يتوسع في بحث القراءات في تفسيره حتى تأخذ حيزاً كبيراً ، خصوصاً في مجال الاحتجاج لها .

(١) انظر : القصة بطولها في تفسير الطبري ٣١٨/٥ ، وتاريخ الأمم والملوك ٤٦٩/١ ، وتفسير الثعلبي ١٣٥٨-١٣٦٢ ، وتفسير البغوي ٢٩٨/١ ، ٢٩٩ ، والبحر المحيط ٢٦١/٢ .

وقد ذكر الواحدى منهجه فى عرض القراءات وتوجيهها فى المقدمة فقال : «وذكرت وجوه القراءات السبع التى اجتمع عليها أهل الأمصار ، من دون تسمية القراء ، واعتمدت فى أكثرها على كتاب أبى على الحسن بن أحمد الفارسى ، الذى رواه لنا سعيد بن محمد الحيرى عنه» . فهذا المنهج الذى ذكره يعتمد على :

١ . ذكر علل القراءات ، وليس الهدف ذكر القراءات نفسها .

٢ . ذكر القراءات السبع من دون غيرها .

٣ . عدم تسمية القراء .

٤ . كتاب الحجة لأبى على الفارسى فى أكثر ما ذكر .

هذا منهجه فى القراءات حسب ما ذكره فى مقدمة كتابه . فلندرس هذا المنهج لنرى مدى التزامه به .

فأقول : بالنسبة للأمر الأول ، وهو أنه اعتمد ذكر علل القراءات ، فإنه التزم ذلك غالباً ، والقارئ لكتاب البسيط يلحظ فى كلامه على القراءات أنه يعتمد كثيراً ذكر علل القراءات وتوجيهها أكثر مما يعتمد ذكر القراءات نفسها ، بل قد أطال فى هذا الجانب إلى حد يعدُّ خروجاً عن القدر اللازم فى كتاب التفسير .

لقد ألّف أبو على الفارسى كتاباً مستقلاً للاحتجاج للقراءات ، وذكر فيه من وجوه اللغة والنحو والتصريف ما عدّه المتخصصون خروجاً عن القدر اللازم ، وما أضفى على الكتاب شيئاً من صعوبة العبارة والغموض ، قال أبو الفتح بن جنى تلميذ أبى على الفارسى : «وقد كان شيخنا أبو على عمل كتاب

الحجة في قراءة السبعة فأغمضه وأطال حتى منع كثيراً - ممن يدّعي العربية فضلاً عن القراء - منه وأجفاهم عنه»^(١).

هذا مع أن كتاب أبي علي مؤلف أصلاً للاحتجاج للقراءات . فما الظن بكتاب تفسير ينقل فيه تلك المباحث الطويلة . ليت الواحدي - مع قدرته البارعة على انتقاء النصوص وحسن سبكها - اختصر تلك المباحث بعبارة أكثر إيجازاً حتى يفيد القارئ ، ويخرج به عن الملالة كما شرط ذلك على نفسه في مقدمة كتابه .

إذاً فجانِب توجيه القراءات في كتاب البسيط قد توسّع فيه الواحدي وأطال كثيراً ، واعتمد في أغلبها - إن لم يكن في كلها - على كتاب الحجة لأبي علي الفارسي ، فما يقال عن كتاب الحجة لأبي علي الفارسي يسري على كتاب البسيط في مجال توجيه القراءات .

وقد تعرض الدكتور جودة محمد محمد المهدي في كتابه الواحدي ومنهجه في التفسير لتوجيه القراءات عند الواحدي ، ووصفه بأنه من فرسان حلبة توجيه القراءات ، ونعى على العلماء الذين كتبوا في هذا أنهم لم يعدوا الواحدي مع الجهابذة كالفارسي ومكي^(٢) .

وقد اختار نصّاً طويلاً من البسيط حول توجيهه القراءات ، واستنتج منه منهج الواحدي في توجيه القراءات ، وبنى عليه مقالته السابقة ، ولم يرجع ذلك النص لمصدره وهو الحجة ليعرف أن الواحدي نقله بنصه ، والواحدي صرح في مقدمة كتابه أنه اعتمد في مجال القراءات على الحجة ، ولو أجرى الدكتور جودة دراسة توثيقية للنصوص التي بنى عليها دراسته لمنهج الواحدي في القراءات أو في غيرها لكان له رأي آخر .

(١) المحتسب: ٢٣٦/١ .

(٢) انظر : كتاب الواحدي ومنهجه في التفسير ٢٩٦ .

إنَّ المشكلة تكمن في نقل بعض الدارسين لمناهج العلماء نصَّ العالم الذي يُدرَسُ منهجه ، ويجرون الدراسة على ذلك النص قبل أن يسبق ذلك دراسة توثيقية ، لمعرفة أن تلك الأفكار لذلك العالم بالأصالة ، أم هو ناقل بالمعنى ، أو ناقل بالنص مثل الواحدي .

إن غالب كلام الواحدي في مجال الاحتجاج للقراءات منقول بنصه من الحجة لأبي علي ، فهل تصحُّ بعد ذلك تلك الصفة التي أطلقها الدكتور جودة على الواحدي ؟

أعود فأذكر أمثلة توضح أنَّ الواحدي اعتمد ذكر توجيه القراءات أكثر مما اعتمد ذكر القراءات نفسها ، وتوضح الأمثلة مدى إطلالته في هذا^(١) . منها ما ذكره عند تفسير قوله تعالى : ﴿ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ [الفاحة: ٤] ، ذكر القراءات في (مالك) ، ثم دخل في ذكر الاحتجاج لكل قراءة بما يطول ذكره .

ومثال آخر عند تفسير قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [البقرة: ٣] ، ذكر أنَّ في (يؤمنون) قراءتين ، ثم دخل في احتجاج طويل لكل قراءة .

كذلك عند تفسير قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ ﴾ [البقرة: ٦] ، ذكر أنَّ في (أأنذرتهم) وجهين في القراءة ، ثم دخل في ذكر الاحتجاج لكل وجه بما يطول ذكره هنا .

الأمر الثاني : الذي ذكره الواحدي في منهجه في القراءات هو أنه يعتمد ذكر القراءات السبع من دون غيرها .

(١) أكتفي هنا بالإشارة إلى الآية لطول الكلام ، ويمكن للقارئ أن يرجع إلى النص ويرى المقارنة بين كلام أبي علي والواحد ، كما هو مثبت في الحواشي .

اعتمد هذا الأمر في الغالب ، حيث إنه عوّّل كثيراً على كتاب الحجة لأبي علي الفارسي ، وأبو علي الفارسي اعتمد في كتابه ذكر القراءات السبع التي ذكرها ابن مجاهد في كتابه السبعة ، لذلك كان ما أخذه الواحد من الحجة مقتصرًا على القراءات السبع ، وهو أغلب ما ذكره في مجال القراءات في البسيط ، على أنه ذكر قراءات غير سبعة أيضاً ، وهي في أغلبها قراءات شاذة مما يذكره اللغويون في كتبهم ، وربما كان فيها قراءة عشرية ، ومصدره فيها - غالباً - معاني القرآن للفرّاء ، ومعاني القرآن للزّجاج ، وربما أخذ من غيرهما .

فمن المواضع التي اعتمد على غير الحجة في ذكر القراءات ، ما ذكره عند تفسير قوله تعالى : ﴿ يَبْنِيْ اِسْرَءِيْلَ اُذْكُرُوْا نِعْمَتِيَ الَّتِيْ اَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ ﴾ [البقرة: ٤٠] ، قال : «والأجود في نعمتي فتح الياء ، وكل ياء كانت من المتكلم ففيها لغتان الإرسال والفتح . فإذا لقيها ألف ولام اختارت العرب اللغة التي حركت فيها الياء وكرهوا الأخرى» .

وقال : «وقال الزّجاج : اختيار فتح الياء مع اللام لالتقاء الساكنين ، ويجوز أن تحذف الياء في اللفظ لالتقاء الساكنين والاختيار الفتح» .

ففي النص الأول ينقل عن الفرّاء من دون عزو ، ثم ينقل عن الزّجاج والكلام عن القراءات في ياءات الإضافة ، وهذه الطريقة في عرض القراءات ليست طريقة أئمة القراء في كتبهم ، وإنما هي طريقة اللغويين ومن سار على نهجهم ، فهم يذكرون القراءات المتواترة وغيرها ويتكلمون عنها من الناحية اللغوية والنحوية ، ولا ينظرون للسند . فانظر إلى قوله : الأجود في نعمتي فتح الياء . . . بينما أجمع القراء العشرة على فتح الياء في قوله : ﴿ نِعْمَتِيَ الَّتِي ﴾ في مواضعها الثلاثة في البقرة ، وقرأ بتسكينها الحسن^(١) وابن محيصن ، فهي قراءة شاذة عند علماء أهل الفن .

(١) انظر : النشر ١٦٢/٢ ، والقراءات الشاذة للقاضي ٢٣ ، وانظر : حاشية البسيط في الموضوع المذكور .

ومثال آخر لقراءة شاذة نقلها الفرّاء في قوله تعالى : ﴿ قَالُوا أَدْعُ لِنَارِكَ يَبْنَ لَنَا مَا لَوْنُهَا ﴾ [البقرة: ٦٩] ، قال : اللون مرفوع لأنك لم ترد أن تجعل (ما) صلة ، فتقول : يبين لنا لونها ، وقد قرئ بها شاذاً وهو صواب .

فالقراءة الثابتة بالرفع ، والقراءة بالنصب شاذة من ناحية سندها ، ونجد الفرّاء ذهب إلى تصويبها من ناحية قواعد اللغة ، وتبعه الواحدي في ذلك ، ولعل مرادهم ثبوت القراءة بها .

الأمر الثالث : الذي ذكره الواحدي في منهجه في القراءات هو عدم تسمية القرّاء ، فهل التزم الواحدي هذا المنهج ؟ الواقع أن الواحدي لم يلتزم ذلك ، فإنّه يسمي القرّاء أحياناً ، وأحياناً لا يسمّيهم . ولايضاح هذا الأمر نعود إلى كتاب الحجة لأبي علي الفارسي الذي اعتمد عليه الواحدي كثيراً في ذكر القراءات والاحتجاج لها ، حيث ذكر أبو علي منهجه في مقدمة كتابه ، وقال : إنه يذكر أولاً ما ذكره ابن مجاهد في كتابه السبعة ، ثم يتبعه بالاحتجاج^(١) لها ، وابن مجاهد قد سمّى صاحب القراءة عند ذكر قراءتهم ، وأبو علي تبعه في ذلك ، وعند الاحتجاج قد يسمي صاحب القراءة ، وقد لا يسميه اكتفاء بما ذكره أولاً ، والواحدي نقل عن أبي علي في مجال الاحتجاج من دون ذكر القراءات التي أخذها أبو علي من كلام ابن مجاهد ، ولهذا تبعه الواحدي في تسمية القرّاء وعدمها .

وأذكر بعض الأمثلة التي توضح ذلك :

عند تفسير قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ﴾ [البقرة: ٣] ، ذكر القراءات في (يؤمنون) ، فقال : «وفي قوله ﴿ يُؤْمِنُونَ ﴾ قراءتان تحقيق الهمزة وتليينها ، فمن

(١) انظر : مقدمة الحجة ٦ / ١ .

حقيق فحجته . . . فلم يسمّ القراء ، كذلك أبو علي في الحجة قال : فأما حجة من قرأ ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ بتحقيق الهمزة . . . إلخ^(١) . فلم يسمّ اكتفاء بها ذكره أولاً^(٢) .

ومن الأمثلة على تسميته للقراء ، عند تفسير قوله تعالى : ﴿إِنَّ الْأَذْيَرَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٦] ، ذكر القراءات في ﴿ءَأَنذَرْتَهُمْ﴾ ومنه قوله : «وأما أبو عمرو فكان يلين الثانية ويجعل بينهما مدة . . . » ، وتبع في ذلك أبا علي حيث قال : «وحجة من فصل بين الهمزتين بآلف وخفف الهمزة الثانية مع الفصل بينهما بآلف ، وهو الثبت عن أبي عمرو عندنا . . . »^(٣) .

ومثال آخر عند تفسير قوله تعالى : ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٩] ، ذكر القراءات في قوله تعالى : ﴿وَهُوَ﴾ ومما قاله : «كان أبو عمرو والكسائي يخففان ﴿وَهُوَ﴾ ويسكنان الهاء مع الواو والفاء واللام . . . »^(٤) .

ومثال آخر عند تفسيره قوله تعالى : ﴿قَالَ إِنِّي أَغْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠] ، ذكر القراءات في (إِنِّي) ومنه قوله : «وفتح أبو عمرو وابن كثير الياء في قوله : ﴿إِنِّي أَغْلَمُ﴾ [البقرة: ٣٠] و ﴿إِنِّي أَرَى﴾ [الأنفال: ٤٨ ، يوسف: ٤٣ ، الصافات: ١٠٢] عند الهمزة المفتوحة ، وزاد أبو عمرو عند الهمزة المكسورة مثل : ﴿إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾ [يونس: ٧٢ ، هود: ٢٩ ، سبأ: ٤٧] ، وزاد نافع عند المضمومة مثل : ﴿عَذَابِي أُصِيبُ﴾ [الأعراف: ١٥٦] ، ﴿فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ﴾ [المائدة: ١١٥] ، ﴿إِنِّي أُرِيدُ﴾ [المائدة: ٢٩ ، القصص: ٢٧] . . . »^(٥) .

(١) الحجة ١/ ٢٣٨ .

(٢) انظر : الحجة ١/ ٢١٤ .

(٣) الحجة ١/ ٢٨٤ ، ٢٨٥ .

(٤) البسيط ٦٧٧ .

(٥) البسيط ٧٠٩ .

الأمر الرابع : في منهج الواحدي في القراءات قوله : « واعتمدت في أكثرها على كتاب أبي علي الحسن بن أحمد الفارسي الذي رواه لنا سعيد بن محمد الحيري عنه » . هذا أمر واضح في كتابه ، فقد اعتمد على كتاب أبي علي في أغلب ما ذكر في مجال القراءات سوى نزر يسير أخذه من طريق الفراء أو الزجاج أو غيرهما .

والواحدى يأخذ من كتاب أبي علي بالنص ، وربما تصرف في عبارته وقد يعزوله ، والغالب أنه ينقل عنه من دون عزو ، ولعله اكتفى بهذه الإحالة في المقدمة . وسبق ذكر ذلك عند الحديث عن مصادره .

وخلاصة القول في منهج الواحدي في القراءات : أنه اعتمد ذكر القراءات السبع في الغالب ، وربما ذكر غيرها على طريقة اللغويين والنحويين ، وبذل جهده في الاحتجاج للقراءات أكثر من تقرير القراءات ، وأنه قد يسمي القراء وقد لا يسميهم ، فلم يلتزم ما ذكره في مقدمته ، وكان كتاب الحجة لأبي علي الفارسي المصدر الرئيس في هذا المجال .

– المسألة السادسة : منهجه في علوم القرآن

كان الواحدى أستاذ عصره في التفسير ، كذا قال عنه العلماء الذين ترجموا له^(١) ، ولم يصل إلى تلك المكانة إلا لأنه كان متأهلاً لذلك بمعرفة العلوم التي تعينه على كشف غوامض التنزيل ، ومن أهمها علوم القرآن الكريم ، وأنواع علوم القرآن كثيرة واسعة ، وكان للواحدى مشاركة قوية في هذا المجال ، فقد صنف في ذلك كتباً كثيرة منها ما وصل إلينا مثل أسباب النزول ، ومنها كتب لم تصل إلينا مثل مختصر فضائل القرآن ، ونفي التحريف عن القرآن الشريف . وبجانب هذه الكتب كانت له آراء في علوم القرآن ضمَّنَّها كتابه البسيط ، وهي كثيرة منها :

(١) انظر : معجم الأدباء ١٢/٢٥٨ ، ووفيات الأعيان ٣/٣٠٣ ، وإنباه الرواة ٢/٢٢٣ .

١ . في أسباب النزول :

هذا أكثر ميادين علوم القرآن التي شارك فيها الإمام الواحدي ، حيث أخرج فيه مؤلفاً مستقلاً يعدُّ من أول ما كتب في ذلك ، وقد نال الشهرة حتى عدَّ أبرز ما كتب في هذا الفن ، وكان لهذا أثره الواضح في مؤلفاته في التفسير ، ومنها تفسير البسيط ، حيث أعطى هذا الجانب عناية جيدة ، فنراه يذكر سبب نزول الآية - عند تعرُّضه لتفسيرها - إن وجد لها سبباً للنزول .

مثال ذلك عند تفسير قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [البقرة: ٦] ، قال : « قال ابن عباس نزلت هذه الآية في اليهود الذين كانوا بنواحي المدينة على عهد رسول الله ﷺ . . . وقال الضحاك : نزلت في أبي جهل وخمسة من أهل بيته ، وقال الربيع : نزلت في قادة الأحزاب يوم بدر . . . » .

ومثال آخر عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَاسْأَلُونَا مَاذَا نُفِيقُونَ ﴾ [البقرة: ٢١٩] قال : « نزلت في سؤال عمرو بن الجموح . . . »^(١) .

وعند تفسير قوله تعالى : ﴿ الطَّلَقُ مَرَّتَانِ ﴾ [البقرة: ٢٢٩] قال : قال أهل التفسير : « أتت امرأة عائشة فشكت أن زوجها يطلقها ويسترجعها يضارها بذلك ، وكان الرجل في الجاهلية إذا طلق امرأته ثم راجعها قبل أن تنقضي عدتها كان له ذلك ، وإن طلقها ألف مرة ، فذكرت ذلك عائشة لرسول الله ﷺ فنزلت . . . »^(٢) .

(١) البسيط ١/ ل ١٣٣ ، من النسخة الأزهرية .

(٢) البسيط ١/ ل ١٣٩ ، من النسخة الأزهرية .

٢ . الوقف والابتداء :

أحد علوم القرآن المهمة ، وبه يعرف كيف أداء القرآن ، وبه تتضح معاني الآيات^(١) . قال الزركشي : « وهذا الفن معرفته تحتاج إلى علوم كثيرة ، قال أبو بكر بن مجاهد : لا يقوم بالتمام في الوقف إلا نحوي عالم بالقراءات ، عالم بالتفسير والقصص ، وتلخيص بعضها من بعض ، عالم باللغة التي نزل بها القرآن . . . »^(٢) . كان للواحدي عناية بهذا العلم ، يظهر ذلك في تفسيره البسيط ، حيث يذكر الوقف في مواضع من كتابه ، من ذلك عند تفسير قوله تعالى : ﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَرِهِمْ غِشْوَةً ﴾ [البقرة: ٧] ، فبعد أن فسّر قوله : ﴿ وَعَلَى سَمْعِهِمْ ﴾ قال : وتم الكلام ها هنا ، ثم قال : ﴿ وَعَلَى أَبْصَرِهِمْ غِشْوَةً ﴾^(٣) .

وعند تفسير قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ ﴾ [البقرة: ٧١] ، قال ناقلاً عن ابن الأنباري : قال ابن الأنباري : غلط أبو حاتم في هذا ؛ لأنه قال : الوقف جيد على قوله ﴿ ذَلُولٌ ﴾ ثم يُبتدأ بـ ﴿ تُثِيرُ الْأَرْضَ ﴾ وقال : إن الله وصف هذه البقرة بما لا يعرفه الناس وصفاً لغيرها من البقر ، فجعلها تثير الأرض ولا تسقي الحرث على خلاف ما نشاهده من بقرنا . وقد أبطل الفراء وغيره من كبار النحويين هذا الوقف .

وفي سورة يونس عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ ﴾ [يونس: ٢] قال : « . . . تم الكلام عند قوله ﴿ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ ، ثم ابتداء فقال : ﴿ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا ﴾ . . . »^(٤) .

(١) انظر : البرهان ١/ ٣٤٢ .

(٢) البرهان ١/ ٣٤٣ .

(٣) البسيط ٤٨٥ .

(٤) البسيط ٣/ ٢ ل ، من النسخة الأزهرية .

٣. الناسخ والمنسوخ :

وهو من العلوم المهمة للمفسر ، قال الأئمة : « لا يجوز لأحد أن يفسر كتاب الله إلا بعد أن يعرف منه الناسخ والمنسوخ »^(١) . وقد أولى الواحدي هذا الفن عناية خاصة في تفسيره البسيط ، تكلم عليه بإفاضة ، فذكر تعريفه وأنواعه والخلاف في بعضها ، وكأنه يتكلم في كتاب خاص بعلوم القرآن . وذلك عند تفسير قوله تعالى : ﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا ﴾ [البقرة: ١٠٦] عرض أولاً لتعريف النسخ في اللغة والاصطلاح ، ناقلاً عن الأئمة فقال : « قال الزَّجَّاج : النسخ في اللغة : إبطال شيء وإقامة آخر مقامه ، والعرب تقول : نسخت الشمس الظل . والمعنى : أذهبت الظل وحلت محله ، وقال غيره : تناسخ الأزمنة والقرن بعد القرن هو مضي الأول ومجيء الثاني بعده يخلفه في محله . . . ثم قال ويجوز النسخ إلى بدل وإلى غير بدل . . . » ، وفصّل في ذلك ، ثم ذكر أنواع النسخ في القرآن ، فقال : « . . . ثم النسخ في القرآن على ضروب : منها ما يكون حكمه مرفوعاً وخطه مثبت . . . »^(٢) ، وذكر الأنواع وضرب الأمثال لها ، ثم ذكر حكم الفرق بين النسخ والترك ، ثم ذكر الخلاف في نسخ القرآن بالسنة^(٣) .

ولا يكفي بهذا البسط لمباحث النسخ ، بل يأخذ في التطبيق العملي ، فلا يمر بتفسير آية ناسخة أو منسوخة إلا يقف عندها ويذكر ما قيل فيها ، مثال ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَّعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ﴾ [البقرة: ٢٤٠] ، تكلم على سبب نزول الآية ، ثم ذكر عدة المتوفى عنها في أول الإسلام ، وهو ما ذكر في هذه الآية ، وقال : « . . . ثم ورد النسخ على هذه الآية من وجهين : أحدهما : أن العدة صارت مقدرة

(١) البرهان ٢/ ٢٩ .

(٢) البسيط ١/ ٧٨ .

(٣) انظر : البسيط ١/ ٧٨ .

بأربعة أشهر وعشر ، وقد تقدمت الآية^(١) الناسخة . والوجه الثاني : أنَّ الميراث ثبت لها وسقطت نفقة العدة»^(٢) .

٤ . الربط بين الآيات :

وهو أحد أنواع علوم القرآن ، قال الزركشي : « وهذا النوع يهمله بعض المفسرين أو كثير منهم وفوائده غزيرة »^(٣) ، ثم نقل عن عز الدين بن عبد السلام قوله : « . . ولكن يشترط في حسن ارتباط الكلام أن يقع في أمر متحد مرتبط بأوله بآخره ، فإن وقع على أسباب مختلفة لم يشترط فيه ارتباط أحدهما بالآخر . قال : ومن ربط ذلك فهو متكلف بما لا يقدر عليه إلا برباط ركيك»^(٤) .

وقد أورد الواحدي هذا النوع في تفسيره ، حيث يذكر الارتباط بين الآيات ولا يتكلف ذلك ، بل يذكره بين الآيات التي يوجد بينها تناسب من وجهه .

مثال ذلك عند تفسير قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [البقرة: ٦٠] ربط الآية بما بعدها فقال : . . . ثم ذكر الله - تعالى - سبب تركهم الإيمان فقال : ﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ . . . ﴾ الآية .

ومثال آخر : ذكر فيه الارتباط بين قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ ﴾ الآية [البقرة: ٢٣] وبين ما قبلها من الآيات ، وهي قوله : ﴿ يَأْتِيهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ٢١] وكذا الآية بعدها . فقال : « قال المفسرون : ومعنى الآية أن الله - تعالى -

(١) وهي قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَرْبِضْنَ بِأَنْسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ﴾ [البقرة: ٢٣٤] .

(٢) البسيط ١/ ١٤٧ ل ، النسخة الأزهرية .

(٣) البرهان ١/ ٣٦ .

(٤) البرهان ١/ ٣٧ .

لما احتج عليهم في إثبات توحيده احتج عليهم -أيضاً- في إثبات نبوة محمد ﷺ بما قطع عذرهم ، فقال : وإن كنتم في شك من صدق هذا الكتاب الذي أنزلناه على محمد عليه الصلاة والسلام ، وقتلتم : لا ندري ، هل هو من عند الله أم لا ؟ فأتوا بسورة من مثله . . .

من هذه الأمثلة نلاحظ كيف يورد الربط في ثنايا التفسير من دون تكلف ، ولا يعنون له بقوله : ارتباط الآية أو نحو ذلك ، فيأتي سلساً لا تحل فيه .

هذه بعض علوم القرآن التي وردت في تفسير البسيط .

- المسألة السابعة : منهجه في تقرير مسائل العقيدة ، والرد على الفرق

درس الواحدي العقيدة على أصول الأشعرية ، فقد نشأ في بيئة نيسابور التي يسود فيها معتقد الأشعري^(١) ؛ لذا فهو أشعري المعتقد ، وعلى هذا النهج سار في تقرير مسائل العقيدة في تفسيره البسيط ، بل كان من المنافحين عن أصول الأشعرية . ومن المعلوم أن منهجهم مثل سائر المتكلمين يقوم على تقرير العقيدة على أسس عقلية . وهذا النهج غير مرض عند علماء السلف ، الذين رأوا أن الطريقة الصحيحة في تقرير العقيدة الأخذ بما كان عليه رسول الله ﷺ وصحابته من بعده ، والتابعون لهم بإحسان ، وذلك باتباع النص وعدم الدخول في طرق كلامية ، وإن اضطر بعض المتأخرين منهم لاستعمال الجدال العقلي للرد على المخالفين ، لا في تقرير أصول العقيدة^(٢) .

(١) انظر : مبحث عقيدته من هذه الدراسة .

(٢) انظر : ما كتبه ابن أبي العز في شرح العقيدة الطحاوية ٢٢٢ ، ٢٢٣ .

وقد سبق أن ذكرت بعض الأمثلة من تفسير الواحدي البسيط للتدليل على مذهبه العقائدي^(١)، وأذكر هنا أمثلة أخرى تؤكد هذه الحقيقة وتوضح بجلاء كيف استعمل الطرق الكلامية في تقرير العقيدة في تفسيره .

من ذلك أنه عندما تعرض في تفسير البسملة للاسم هل هو المسمى أو غيره ، فذكر الأقوال في ذلك ، ثم قال : . . . والثاني وهو الصحيح : أن الاسم هو المسمى ، كقوله تعالى : ﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ﴾ [النساء: ٥٩] ، فلو كان الاسم غير المسمى وجب أن يكون المأمور بطاعته غير الله وغير الرسول .

وما قرّره ورّجّحه في هذه المسألة هو قول الأشاعرة فيها ، والصواب ما قرره علماء السلف من أنه لا يقال : الاسم هو المسمى ولا غيره على الإطلاق ، وإنما يكون الاسم هو المسمى تارة ، وقد يراد به اللفظ الدال عليه تارة أخرى .

ومثال آخر في مسألة الإيمان قرر فيها أن معنى الإيمان هو التصديق فقال : « . . . والقول في معنى الإيمان ما قاله الأزهري . . . »^(٢) ، وإذا عدنا إلى ما نقله الواحدي عن الأزهري وجدناه يقول : « قال الأزهري : اتفق العلماء أن الإيمان معناه التصديق ، مثل قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا ﴾ [يوسف: ١٧] ؛ أي بمصدق . . . »^(٣) والقول : إن الإيمان مجرد التصديق هو المشهور عند الأشاعرة ، ولهم قول آخر كقول السلف وهو : أن الإيمان قول وعمل^(٤) . فأخذ الواحدي في هذه المسألة بمشهور قول الأشاعرة فيها .

(١) انظر : مبحث عقيدته من هذه الدراسة .

(٢) البسيط ٤٢٩ .

(٣) البسيط ٤٢٧ .

(٤) ذكره ابن تيمية في الإيمان الأوسط ٥١ .

ومثال آخر في حقيقة التوحيد ومعنى الوحدانية لله ، قرر هذه المسألة على طريقة المتكلمين من الأشاعرة فيقول : « وقال أصحابنا حقيقة الواحد في وصف الباري - سبحانه - أنه واحد لا قسيم له في ذاته ، ولا بعض له في وجوده بخلاف الجملة الحاملة التي يطلق عليها لفظ الواحد مجازاً مثل قولهم : دار واحدة وشخص واحد ، ولهذا قال أصحابنا : التوحيد هو نفي الشرك والقسيم والشريك والشبيه ، فالله - سبحانه وتعالى - واحد في أفعاله لا شريك له يشاركه في إثبات المصنوعات ، وواحد في ذاته لا قسيم له ، وواحد في صفاته لا يشبه الخلق فيها »^(١) .

فهذه الأنواع التي أثبتوها في معنى التوحيد فيها ألفاظ مبهمة محتملة ، ولو كان كل ذلك حقاً ، فالإقرار به لم يخرج المشركين من دائرة الشرك التي وصفهم الله بها ، ولا بد من الإقرار بتوحيد الإلهية^(٢) .

في باب صفات الله سلك فيها كذلك مسلك الأشعرية ؛ حيث يؤول الصفات جميعها التي وردت في القرآن الكريم ، عدا الصفات السبع التي يشبتها الأشاعرة ؛ لأن العقل دلَّ عليها مثل ما يقولون^(٣) . وسبق ذكر أمثلة لهذا عند ذكر عقيدته ، فلا داعي للإطالة بذكر أمثلة أخرى ، وهي مسألة واضحة . هذا في جانب تقرير العقيدة .

الرد على الفرق

أما بالنسبة إلى الرد على الفرق ، فكان للواحد في ذلك اليد الطولى ، خصوصاً المعتزلة والقدرية الذين كانت لهم صولة وجولة في تلك الحقب التي عاشها الواحد .

(١) البسيط ١/ ١٠٠ ، من النسخة الأزهرية .

(٢) انظر : رد ابن تيمية في الرسالة التدمرية ١٧٩- ١٨٥ . وانظر : ٥٤- ٥٥ من هذه الدراسة ، حيث سبق

ذكر للواحد ونقل بعض كلام ابن تيمية في الرد عليه .

(٣) انظر : الرسالة التدمرية ٣٣ .

وقف الواحد في وجوههم يقابل الحجة بالحجة ، ويقوم بالرد عليهم في كل موضع يكون محل شبهة لهم ؛ حيث يستدلون بالنص القرآني على تقرير عقائدهم ومبادئهم .

من أمثلة ذلك عند تفسير قوله تعالى : ﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ ﴾ [البقرة: ٧] ، ذكر المعنى المراد بختم الله على قلوب الكفار ، ثم قال : « . . . فأما قول من قال معنى ﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ ﴾ حكم الله بكفرهم فغير صحيح ؛ لأن أحدنا يحكم بكفر الكافر ، ولا يقال ختم على قلبه » ، والقول الذي ردّه هنا هو قول المعتزلة .

ثم يسمي القدرية ويذكر قولهم ويرد عليهم فيقول : وذهب بعض المتأولين من القدرية إلى أن معنى ﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ ﴾ وسماها سمة تدل على أن فيها الكفر ؛ لتعرفهم الملائكة بتلك السمة وتفرق بينهم وبين المؤمنين الذين في قلوبهم الشرع . قال : والختم والطبع واحد ، وهما سمة وعلامة في قلب المطبوع على قلبه .

ثم ينقض عليهم ناقضاً حجتهم معتمداً على اللغة التي نزل بها القرآن ؛ لبيان بطلان مأخذهم من اللغة ، فيقول : وهذا باطل ؛ لأن الختم في اللغة ليس هو الإعلام ، ولا يقال ختمت على الشيء بمعنى أعلمت عليه ، ومن حمل الختم على الإعلام فقد تشبه على أهل اللغة ، وجرّ كلامهم إلى موافقة عقيدته .

وفي موضع آخر يرد على المعتزلة والقدرية من دون تسميتهم ، وذلك في تفسير قوله تعالى : ﴿ يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴾ [البقرة: ٢٦] ، يقول : ولا يجوز أن يكون معنى الإضلال الحكم والتسمية ؛ لأن أحدنا إذا حكم بضلالة إنسان لا يقال : أضله ، وهذا لا يعرفه أهل اللغة^(١) .

(١) وإلى نحو هذا ذهب الزمخشري ورد عليه صاحب الإنصاف في ما تضمنه الكشف من الاعتزال . انظر : الكشف ، ومعه الإنصاف ٢٦٧ / ١ .

ومثال آخر يرد فيه على المعتزلة من دون تسميتهم عند تفسير قوله تعالى : ﴿أَسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ [البقرة: ٣٥]، يقول : «والمراد بقوله : ﴿الْجَنَّةَ﴾ جنة الخلد من قبل أن التعريف فيها بالألف واللام يجعلها كالعلم على جنة الخلد ، فلا يجوز العدول عنها بغير دلالة ، ألا ترى أنك لو قلت : نسأل الله الجنة ، لم يكن ذلك إلا جنة الخلد .

فيقرر أنها جنة الخلد ، ويرد على من قال غير ذلك من دون تصريح بالقائل ولا بمقالته . ومشهور مذهب المعتزلة أنها جنة في الدنيا^(١) ، فهو يرد عليهم تلك المقالة .

ومن استقراء تلك الردود ، يتضح الأسلوب الجدلي العقلي الذي يستعمله فيقابل الحجة بالحجة ، ويعتمد على اللغة في بيان ضعف مستمسك الخصم من الاستدلال بالآية على مذهبه . وكان علماء المعتزلة من كبار أئمة اللغة فحاولوا تطويع النصوص القرآنية من الناحية اللغوية لتقرير أصولهم ، فأتاهم الواحد من الباب الذي ولجوا منه ، وبين في كل مسألة تعرض لها أن اللغة لا تدل على ما أرادوا .

وبوساطة تلك النصوص نجد ردود الواحد متجهة إلى المعتزلة والقدرية ، ولم نر له رداً على أحد سواهم ؛ ذلك لأن المعركة الكلامية كانت قائمة على أشدها في ذلك الوقت بين الأشاعرة من جانب ، وبين المعتزلة والقدرية^(٢) من جانب آخر .

(١) ذكره الثعلبي ١/٦٠ ، وابن عطية ١/١٢٨ ، والقرطبي ١/٣٠٢ .

(٢) انظر : ما كتبه د . عبد المجيد أبو الفتوح بدوي في كتابه التاريخ السياسي والفكري للمذهب السني في المشرق الإسلامي ٢٩-٣٢ .

على أن الشيعة كانت لهم صولات في ذلك الوقت خصوصاً في عهد البويهيين ، وقد عاصر الواحدي تلك الحقبة ، ومع ذلك لم نجد له أي كلام عن الشيعة ولا مجرد ذكر لهم .

– المسألة الثامنة : منهجه في المسائل الفقهية والأصولية

قد قدمت في ترجمة أبي الحسن الواحدي – رحمه الله – أنه كان من علماء الشافعية ، وأدلة ذلك أظهر من أن تُذكر ، والناظر في تفسيره يدرك ذلك بأدنى تأمل ، إذ إنه – رحمه الله – يقدم أقوال الشافعية ، ويستدل لها ، ويرجحها ، ويقتصر على مذهب الشافعي في كثير من المواطن ، فلا يكاد يذكر معه غيره إلا لماماً .

ويمكن أن أسجل الملاحظات الآتية في منهجه هنا :

١ . يعرض الواحدي للأحكام بصورة مختصرة ، من دون توغل في ذكر الفروع والمسائل التي لا صلة للآية بها إلا نادراً ، في الوقت الذي يطيل فيه إطالة بالغة عند توجيه القراءات ، وذكر مسائل اللغة والنحو ، ونحو ذلك ، كما أسلفت .

٢ . يقتصر الواحدي في عرض الأحكام على مذهب الشافعي ، ويحتج له ، وقلماً يذكر معه غيره ، وقد يورد خلاف الحنفية ، ولعل سبب ذلك كون مذهبهم مشهوراً في المشرق الإسلامي ، أما مذهب مالك فنادر ما يتعرض له ، وأندر منه مذهب الإمام أحمد ، ولعله لعدم اشتجارهما في المشرق حينذاك .

ومن أمثلة ذلك عند تفسير قوله تعالى : ﴿ أَلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ ﴾ [البقرة: ١٩٧] ،

قال : « . . قال ابن عباس في هذه الآية : جعلهن الله للحج ، وسائر الشهور للعمرة ، فلا يصح أن يحرم بالحج إلا في أشهر الحج . وهذا مذهب الشافعي

— رحمه الله — . . . وعند أبي حنيفة : إذا أحرم بالحج في غير أشهر الحج كره ذلك ، ويُجزّيه .

٣ . قد يورد الحكم المستنبط من الآية مجرداً من دون قائل ، أو مخالف ، وعند التحقيق يكون على مذهب الشافعية .

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند قوله تعالى : ﴿فَمَنْ عَفَىٰ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ﴾ [البقرة: ١٧٨] ، قال الواحدي : في قوله : (شيء) دليل على أن بعض الأولياء إذا عفا سَقَطَ القود ؛ لأن شيئاً من الدم قد بطل بعفو البعض ، والله — تعالى — قال : ﴿فَمَنْ عَفَىٰ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ﴾ .

٤ . قد يفرد المسألة أو الحكم بفصل مستقل ، وذلك قليل . ومن أمثلته : أفراد أحكام التأمين بفصل بعد تفسير الفاتحة .

٥ . قد يذكر مذاهب الصحابة والتابعين ويسميهم تفصيلاً ، وهو قليل في جملة الكتاب .

ومثال ذلك ذكره لأقوال الصحابة في قوله تعالى : ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: ١٨٥] ، قال : وقوله تعالى : ﴿فَلْيَصُمْهُ﴾ : قال ابن عباس وأكثر أهل التأويل : معناه : فليصم ما شهد منه ؛ لأنه إن سافر في حال الشهر كان له الإفطار ، وذهب طائفة إلى أنه إذا شهد أول الشهر مقيماً ثم سافر لم يحل له الإفطار ، وهو قول النخعي والسدي وابن سيرين ومذهب جماعة .

قد يتوسع في ذكر الأحكام ، ويفصل في ذلك تفصيلاً بيناً ، وهو قليل أيضاً في جملة الكتاب .

ومن أمثلة ذلك : قوله : ولأهل التأويل في قوله : ﴿غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾ [البقرة: ١٧٣] طريقان :

أحدهما قول ابن عباس في رواية عطاء : غير باغ على المسلمين ، ولا عاد عليهم ، وهذا قول مجاهد وسعيد بن جبّير والضحاك والكلبي ، قالوا : غير قاطع للطريق ، ولا مفارق للأئمة ، مشاقق للأئمة .

وعلى هذا التأويل كل من عصى بسفره لم يحل له أكل الميتة عند الضرورة ؛ لأنه باغ عاد ، وهو مذهب الشافعي رحمه الله ، قال : إن الإباحة إعانة له على فساده وظلمه ، ولكن يتوب ويستبيح .

والثاني أن هذا البغي والعدوان يرجعان إلى الأكل ، ومعناه : غير أكلها تلذذاً من غير اضطرار ، (ولا عاد) ولا مجاوز ما يدفع به عن نفسه الجوع ، وهذا قول السدي .

وقال الحسن وقتادة والربيع وابن زيد : غير باغ بأكله من غير اضطرار ، ولا عاد يتعدى الحلال إلى الحرام ، فيأكلها وهو غني عنها .

وعلى طريقة هؤلاء يُباح للعاصي بسفره تناول الميتة عند الضرورة ، وهو مذهب أهل العراق .

والتأويل الأول أولى من حيث اللفظ والمعنى .

أما اللفظ فرجوع البغي والعدوان إلى حال المضطر أولى من رجوعهما إلى أكله ، وهو المفهوم من اللفظ ؛ لأنه لم يسبق للأكل ذكر حتى يكون البغي والعدوان صفة له ، راجعاً إليه ، ومثله من الكلام أن يقال : قد حرم الأمير ركوب الخيل ، ولبس السلاح ، فمن أخرج غير فارٍّ ولا ذاهبٍ فلا حرج عليه ، فالذي يسبق إلى الوهم من هذا ، ويليق باللفظ ، أن معناه : غير فار بنفسه ولا ذاهب ، وأن الفرار والذهاب يعود إلى نفس المضطر ، لا إلى شيء سواه .

وَوِزَانِ التَّأْوِيلِ الثَّانِي مِنْ هَذَا الْكَلَامِ أَنَّ يَكُونُ الْمَعْنَى : غَيْرَ فَارِ بِسِلَاحِهِ ، وَلَا ذَاهِبٍ بِهِ .

وَأَمَّا مِنْ حَيْثُ الْمَعْنَى ؛ فَإِنَّ نَفْسَ الْمُؤْمِنِ يَعَافُ الْمِيتَةَ وَالدَّمَ ، وَيَسْتَقْذِرُهُمَا اسْتِقْذَارًا يَمْنَعُهُ مِنْ أَكْلِهِمَا ؛ وَلِهَذَا لَا يَقَامُ الْحَدُّ عَلَى أَكْلِهِمَا ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَحْتَجْ فِي الزَّجْرِ عَنْهُمَا إِلَى الْحَدِّ ، لَا كَالْخَمْرِ فَإِنَّ لَهَا دَوَاعِيَ مِنَ النَّفْسِ ، وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَلَيْسَ يَتَجَاوَزُ أَحَدٌ فِي أَكْلِ الْمِيتَةِ قَدْرَ التَّشْبِيعِ عِنْدَ الضَّرُورَةِ ، وَلَا يَتَعَدَّى الْحَلَالَ الَّذِي مَعَهُ ، فَيَأْكُلُهَا تِلْذُذًا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَرَدَّ بِهَذَا نَهْيٍ ، وَإِنْ جَازَ وَرُودُ النَّهْيِ تَأْكِيدًا ، فَلِهَٰذَيْنِ الْوَجْهَيْنِ قُلْنَا : إِنَّ التَّأْوِيلَ الْأَوَّلَ أَوْلَى .

٦ . وَجَدْتُ بِالتَّبَعِ أَنَّهُ يَنْقَلُ غَالِبُ الْأَحْكَامِ مِنْ تَفْسِيرِ شَيْخِهِ الثَّعْلَبِيِّ ، وَيَتَابَعُهُ فِي الْإِطَالَةِ وَالِاخْتِصَارِ وَالتَّفْصِيلِ وَالِإِجْمَالِ وَذِكْرِ الْخِلَافِ وَالْمُخَالَفِينَ ، وَلَكِنْ عَلَى عَادَتِهِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - بِالتَّصَرُّفِ وَالِاخْتِصَارِ وَالتَّقْدِيمِ وَالتَّأْخِيرِ .

٧ . أَمَّا الْمَسَائِلُ الْأَصُولِيَّةُ فَقَلِيلَةٌ جَدًّا فِي هَذَا التَّفْسِيرِ ، وَمِنْ أَمْثَلِهِ ذَلِكَ مَا ذَكَرَهُ مِنْ مَعْنَى النِّسْخِ وَأَقْسَامِهِ عِنْدَ تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة: ١٠٦] .

قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ : النِّسْخُ لَهُ مَعْنِيَانِ :

أَحَدُهُمَا : تَحْوِيلُ الْكِتَابِ مِنْ حَيْثُ هُوَ إِلَى نَسْخَةٍ أُخْرَى ، يَقَالُ : نَسَخْتُ الْكِتَابَ ؛ أَيْ : كَتَبْتُ مِنْهُ نَسْخَةً أُخْرَى ، ثُمَّ يَقَالُ : نَسَخْتُ مِنْهُ نَسْخَةً ، وَإِنْ لَمْ تَحْوِلْهُ مِنْ مَكْتُوبٍ إِلَى غَيْرِهِ ، كَأَنَّكَ كَتَبْتَهُ عَنْ حِفْظِكَ ، وَمِنْ هَذَا قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الحاثية: ٢٩] ، يُجَوِّزُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ : نَسْخَ ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴾ [الصافات: ١٤] ؛ أَيْ : يَسْخَرُونَ ، وَيُجَوِّزُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ : نَسْتَدْعِي ذَلِكَ ، وَهُوَ أَمْرُ الْمَلَائِكَةِ بِكِتَابَتِهِ . وَعَلَى الْوَجْهَيْنِ جَمِيعًا هُوَ كِتَابَةٌ

لا من نسخة ، فعلى هذا المعنى القرآن كله منسوخ ؛ لأنه نُسخَ للنبي ﷺ من أم الكتاب فأنزل عليه .

والثاني : هو رفعُ الحكم وإبطاله ، ثم يجوز النسخ إلى بدل وإلى غير بدل .
فالذي إلى بدل قولهم : نَسَخَتِ الشَّمْسُ الظِّلَّ ، فالظلُّ يزول ويبطل ،
والشمس تكون بدلاً عنه .

والذي إلى غير بدل قولهم : نَسَخَتِ الرِّيحُ الأَثَرَ ، أي : أبطلتها وأزالتها .
وهذا المعنى هو المراد بالآية .

ثم النسخ في القرآن على ضرب : . . . إلى آخر ما ذكر .

وقد عني - رحمه الله - بذكر الإجماع لكنه متساهل في حكايته ونقله .

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند قوله تعالى : ﴿ بَكَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَظَّتْ
بِذُنُوبِهِ حَظِيَّتَهُ فَاُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [البقرة : ٨١] ، قال : وإجماع
أهل التفسير أن السيئة ها هنا الشرك^(١) ، وأن الآية وردت في اليهود^(٢) ، وقد
قيل : إنها عامة في الكفار جميعهم . اهـ . والصحيح : أن هذا قول أكثر السلف ،
والقول الآخر أن السيئة هي كبائر الذنوب التي توعدها الله عليها بالنار ، والخطيئة
هي الكفر ، ومن قال به الحسن والسدي .

(١) هذا الإجماع ذكره الواحدي - أيضاً - في الوسيط ١/ ١٦٤ ، وانظر : كتاب الإجماع في التفسير ١٧٧ .

(٢) ذكر الإجماع على أنها في اليهود ، الزَّجَّاج في معاني القرآن ١/ ١٦٢ ، قال : « والإجماع أن هذا لليهود خاصة ؛ لأنه - عز وجل - في ذكرهم » ، والطبري لم يذكر سوى ذلك ، وكأن المؤلف نقض الإجماع بقوله :
وقد قيل .

ومن أمثلته أيضاً ما ذكره عند تفسير قوله تعالى : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة: ١٨٠] ، قال : « وقد اجتمعت العلماء على نسخ هذه الآية »^(١) .

ومن أمثلته أيضاً ما ذكره عند تفسير قوله تعالى : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٣] ، قال : وإجماع المفسرين على أن المراد بهذا الصيام صيام شهر رمضان^(٢) .

– المسألة التاسعة : منهجه في اللغة وفنونها

يعدُّ هذا الجانب أبرز الجوانب في تفسير الواحدي ، وأوضحها للقارئ ، حتى إنه ليُعدُّ أحد المراجع في هذا الفن ، وسوف نتحدث في هذا الموضوع من أربعة جوانب ، وهي :

١ . الجانب اللغوي :

للجانب اللغوي أهمية خاصة بالنسبة لتفسير البسيط ؛ ذلك لما حواه هذا الكتاب من مادة لغوية كثيرة ، أثار ذلك انتباه بعض العلماء منهم الزركشي الذي عدَّ كتاب البسيط من كتب التفسير التي غلب عليها الطابع اللغوي ، حيث

(١) تابع المؤلف - رحمه الله - الرَّجَاج في معاني القرآن ٢٤٩/١ في هذا الإجماع ، وسيأتي في كلامه ما يدل على

نقض هذا الإجماع ، وعن ذكر الخلاف في الآية فأطنب الإمام الطبري في تفسيره ٣/٣٨٧ ، ولو قال رحمه الله : أجمع العلماء على نسخ حكم هذه الآية في القريب الوارث لكان مقارياً ، وهذا ما ذكره بعد عدة أسطر .

(٢) حكى الواحدي هذا الإجماع في تفسيره الوسيط ١/٢٧٢ ، ولا يسلم له ؛ لورود الخلاف ؛ حيث يرى

جماعة أن المراد صيام ثلاثة أيام من كل شهر ، أو صيامها وصيام عاشوراء ، على خلاف بين القائلين بذلك ، وبه قال قتادة وعطاء ، وروي عن ابن عباس . وقد بيّن الحافظ في فتح الباري ٨/١٧٨ أن

الناس اختلفوا في التشبيه الذي دلت عليه الكاف ، هل هو على الحقيقة ، فيكون صيام رمضان قد كتب على الذين من قبلنا ؟ أو المراد : مطلق الصيام من دون وقته وقدره ؟ قولان ، والثاني قول الجمهور .

وانظر : في ذكر الخلاف تفسير الطبري ٣/٤١٤ ، والمحرم الوجيز ١/٢٥٠ ، والنكت والعيون

١/٢٧٣ ، والإجماع في التفسير ١٩٩ ، ٢٠٠ .

كثر فيها الغريب ، فيقول وهو يتحدث عن التفسير : وقد أكثر الناس فيه من الموضوعات ، ما بين مختصر ومبسط ، وكلهم يقتصر على الفن الذي يغلب عليه ، فالزجاج والواحدي في البسيط يغلب عليهما الغريب»^(١) .

وذلك البعد اللغوي في كتاب البسيط ليس غريباً على شخصية الواحدي العلمية التي استجليناها في ما سبق^(٢) ، فقد أدرك منذ نشأته الأولى أهمية اللغة لتفسير كتاب الله ، فصرّف همته لذلك ، حتى إذا نضجت فيه تلك الملكة ، أبرزها في كتابه البسيط .

يقول في مقدمة كتابه البسيط مبيناً أهمية اللغة لفهم القرآن وتفسيره : «والله -تعالى ذكره- أنزل كتابه على قوم عرب ، أولي بيان فاضل ، وفهم بارع ، أنزله -جل ذكره- بلسانهم ، وصيغة كلامهم الذي نشؤوا عليه . . . يعرفون وجوه خطابه ، ويفهمون فنون نظامه ، ولا يحتاجون إلى تعلم مشكله وغريب ألفاظه حاجة المولدين الناشئين مع من لا يعلم لسان العرب حتى يعلمه . . . وبين النبي ﷺ للمخاطبين من أصحابه -رضي الله عنهم- ما عسى بهم الحاجة من معرفة بيان مجمل الكتاب ، وغامضه ومتشابهه ، ووجوه جميعها التي لا غنى لهم وللأمة عنه .

فاستغنوا بذلك عما نحن إليه اليوم محتاجون من معرفة لغات العرب واختلافها والتبحر فيها ، والاجتهاد في تعلم وجوه العربية الصحيحة التي بها نزل الكتاب وورد البيان»^(٣) .

ويقول : «وقد كان الأكابر من السلف يحثون على تعلم لغة العرب ، ويرغبون فيها لما يعلمون من فضلها وفرط الحاجة إليها ، في معرفة ما في الكتاب ،

(١) البرهان ١/ ١٣ .

(٢) انظر : ما سبق من الحديث عن العلوم التي برز فيها .

(٣) مقدمة البسيط للمؤلف ، والنص نقله الواحدي عن مقدمة تهذيب اللغة ٤ / ١ .

ثم في السنن والآثار وأقاويل أهل التفسير من الصحابة والتابعين من الألفاظ الغربية والمخاطبات العربية ، فإنَّ مَنْ جَهِلَ لسان العرب وكثرة ألفاظها وافتنانها في مذاهبها جهل جمل علم الكتاب»^(١) .

ويقول : «وكيف يتأتى لمن جهل لسان العرب أن يعرف تفسير كتاب جُعِلَ معجزة في فصاحة ألفاظه وبعد أغراضه - لخاتم النبيين وسيد المرسلين ، ﷺ ، وعلى آله الطيبين - في زمان أهله يتحلون بالفصاحة ، ويتحدون بحسن الخطاب وشرف العبارة ، وإن مثل من طلب ذلك مثل من شهد الهيجاء بلا سلاح ، ورام أن يصعد الهواء بلا جناح»^(٢) .

ومن هذه النصوص وغيرها مما قال في مقدمة كتابه التي تركتها خشية الإطالة ندرك مدى اهتمام الواحدي باللغة ، وانصراف همته لها تعلماً وتأليفاً ، فجاء كتابه البسيط أحد كتب التفسير التي غلب عليها الطابع اللغوي مثل ما قال الزركشي .

لقد أصاب الزركشي في ما قال ، فالواحدى إن كان قد أجاد في شرح اللفظة القرآنية ببيان أصلها في اللغة ، وربط ذلك بتفسير الآية ، فإنه قد توسع في بعض المباحث اللغوية ، حتى عُدَّ ذلك خروجاً عن نهج التفسير ، بل وعن النهج الذي شرطه على نفسه في مقدمة كتابه .

والمنهج اللغوي الذي سلكه الواحدى في تفسيره البسيط يقوم على بيان أصول الألفاظ القرآنية واشتقاقها وتصاريقها وما فيها من فروق لغوية مع الاعتناء بالألفاظ الغربية وبيان مدلولاتها ، ومن ثم ربط ذلك بتفسير الآية فيطوع

(١) مقدمة البسيط للمؤلف ، وهو منقول عن مقدمة تهذيب اللغة ٥ / ١ ، انظر : التعليق على حاشية البسيط .

(٢) مقدمة البسيط .

المباحث اللغوية لخدمة التفسير ، ويوجه الأقوال ويرجح بعضها على بعض بما يملك من ملكه لغوية مصقولة .

ويبدأ تفسيره - في الغالب - بتحليل ألفاظ الآية وبيان أصولها واشتقاقها وشرح غريبها .

ولقد اعتمد الواحدي كثيراً على كتاب تهذيب اللغة للأزهري في جانب اللغة ، وأفاد كذلك من كتاب الحجة والإغفال لأبي علي الفارسي ، ومعاني القرآن للفرّاء وللزّجاج ، وأقوال ابن الأنباري ، وهذه أهم مصادره في اللغة .

ومن الأمثلة على مدى عنايته في الجانب اللغوي ، ما ذكره عند تفسير قوله تعالى : ﴿ مَلِكٍ يَوْمَ الدِّينِ ﴾ [الفاتحة: ٤] . تكلم على أصل (مالك) في اللغة وعن تصريفها ، فقال : المالك في اللغة الفاعل من الملك ، يقال : ملك فلان الشيء يملكه مُلْكاً ومِلْكاً ومُلْكاً ومَلَكَةً ومَمْلُكَةً ، ويقال : إنه لحسن المَلَكَةِ والمِلْك ، وأصل المُلْك والمِلْك راجع إلى معنى واحد ، وهو الربط والشد فمالك الشيء من ربطه لنفسه ، ومُلْكُهُ ما يختص به وَشُدَّ بعقد يخرج به عن أن يكون مباحاً لغيره . . . ، ويستمر في شرح طويل لهذه اللفظة .

ثم يأتي إلى لفظ الدين في الآية ، رابطاً بين شرح اللفظة وبين الاستدلال بالقرآن والنقل عن السلف في معناها ، فيقول : «الدين ، قال الضحاك وقتادة : الدين الجزاء ، يعني يوم يدين الله العباد بأعمالهم ، تقول العرب : دنته بما فعل ؛ أي : جازيته ، ومنه قوله تعالى : ﴿ أَلَيْسَ لَدَيْنُنَا ﴾ [الصفات: ٥٣] ؛ أي مجزيون ، وقال :

وَاعْلَمَ وَأَيَّقِنَ أَنَّ مُلْكَكَ زَائِلٌ واعلم بأن كما تدين تُدانُ

أي : تجزى بما تفعل . ويقوي هذا التفسير قوله : ﴿ أَلْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ ﴾ [غافر: ١٧] ، وقوله تعالى : ﴿ أَلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الجاثية: ٢٨] . قال ابن عباس والسدي ومقاتل : «معنى قوله : ﴿ مَلِكٍ يَوْمَ الدِّينِ ﴾ [الفاتحة: ٤]

قاضي يوم الحساب» ، واختار أبو عبيد هذا القول . . . ثم قال :
«وللدين معانٍ كثيرة في اللغة ، وكل موضع انتهينا إليه من القرآن ذكرنا
ما فيه» .

وعند تفسير قوله تعالى : ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ
عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ١٠] قال عن (العذاب) : «أصل العذاب في كلام
العرب من العذب وهو المنع ، يقال : عَذَبْتُهُ عَذْبًا ؛ أي : منعته منعاً ،
فَعَذَبَ عَذُوبًا ؛ أي : امتنع ، ومنه يقال : للفرس إذا قام في المelf ولم
يتناول العلف وامتنع عنه : عَذُوبٌ وَعَذِيبٌ ، ومنه الماء العَذْبُ ؛ لأنه
يمنع العطش ، فسمي العذاب عذاباً ؛ لأنه يعذبُ المعاقب عن معاودة
ما عوقب عليه ، وَيَعَذُبُ غيره من ارتكاب مثله» .

وعند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ ﴾ [البقرة: ٤٩] ، يتكلم
على أصل لفظ (آل) ، وعن اشتقاقه في اللغة ، فيقول : «اختلف أهل العربية في
الآل ، واشتقاقه من اللغة ، وأصله . فقال جماعة : أصله من الأول ، بمعنى
الرجوع ، فآل الرجل كأنه شيعة الذين يؤولون إليه ويؤول إليهم . . . » ، ثم
يذكر أشياء تشبه بآل الرجل ، فيقول : « . . هذا معنى الآل في اللغة ، ثم شُبِّهَ بآل
الرجل أشياء تسمى بهذا الاسم ، وإن لم يوجد فيه معنى الأول ، كعضد الخيمة
تسمى : (آلاً) تشبيهاً بآل الإنسان ، وآل البعير ألواحه . . . » .

ثم ينقل كلاماً طويلاً عن أبي الفتح الموصلي عن أصل (آل) ، وما حصل
عليها من إبدال وتغير في بنية الكلمة .

واهتمام الواحدي بالاشتقاق اللغوي بارز في المباحث اللغوية التي
طرقها ، ومن الأمثلة التي توضح ذلك عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا
هَذِهِ الْقَرْيَةَ ﴾ [البقرة: ٥٨] ، ذكر اللغات في القرية ، ثم قال : «وقال أصحاب

الاشتقاق : اشتقاق القرية من قرية ، أي : جمعت ، والمقراة : الخوض يجمع فيه الماء ، والقَرْيُ : مسيل يجتمع الماء إليه ، ويقال لبيت النمل : قرية ؛ لأنه يجمع النمل» .

٢ . الجانب النحوي :

أدرك الواحد من اتجاهه إلى التحصيل أهمية النحو والأدب في تفسير القرآن ، وأنها عمدها ، فيقول : «فقلت : إن طريق معرفة تفسير كلام الله -تعالى- تعلم النحو والأدب فإنها عمدها» .

ويقول : «وقلَّ من تقدم في علم من العلوم إلا بمعرفة الأدب ومقاييس العربية والنحو» ، لذلك اتجه إلى النحو فجلس إلى الشيوخ يقرأ جوامع النحو والتصريف . يقول : «وأما النحو فإني لما كنت في ميعة صباي وشرح شيبتي وقعت إلى الشيخ أبي الحسن علي بن محمد بن إبراهيم الضرير رحمه الله ، وكان من أبرع أهل زمانه في لطائف النحو وغوامضه ، وأعلمهم بمضايق طرق العربية ودقائقها ، وقرأت عليه جوامع النحو والتصريف والمعاني ، وعلقت عنه قريباً من مائة جزء في المسائل المشكلة ، ثم ورد علينا الشيخ الإمام أبو الحسن عمران بن موسى المغربي المالكي ، وكان واحد عصره وباقعة دهره في علم النحو ، لم يلحق أحد ممن سمعنا شأوه في معرفة الإعراب ، ولقد صحبته مدة مقامه عندنا حتى استنزفت غرر ما عنده» .

لقد استوعب من مسائل النحو ما جعله يُعَدُّ في مصاف أئمة هذا الشأن ، والمستحق لقب النحوي الذي أطلقه عليه أكثر الذين ترجموا^(١) له ، وفي مقدمتهم

(١) انظر : معجم الأدباء ، وإنباه الرواة ٢/٢٢٣ ، والبلغة في تراجم أئمة النحو واللغة ١٤٦ .

صاحب السياق الذي قال : الإمام المصنف المفسر النحوي^(١) ، ويقول ابن خلكان : كان أستاذ عصره في النحو والتفسير^(٢) .

وقد أفرغ في كتابه البسيط كثيراً مما جمعه ووعاه من مسائل النحو ودقائقه وفروعه ، حتى أصبح الكتاب أقرب إلى موسوعة نحوية منه إلى كتاب تفسير . يقول السيوطي وهو يتحدث عن أنواع الذين صنفوا في التفسير : فالنحوي تراه ليس له هم إلا الإعراب ، وتكثير الأوجه المحتملة فيه ، ونقل قواعد النحو ومسائله وفروعه وخلافياته كالزجاج والواحدي في البسيط وأبي حيان في البحر والنهر^(٣) .

وأقول : إن السيوطي مصيب في ما قال ، فقد أثقل الواحدي كتابه البسيط بمسائل نحوية لا علاقة لها بالتفسير إطلاقاً ، وإنما يقوده إليها الاستطراد وشغفه بذلك العلم . وأذكر بعض الأمثلة التي توضح ذلك :

المثال الأول هو ما افتتح الواحدي به كتابه ؛ فعند تفسير البسملة أول عبارة بدأ بها قوله : « اختلفت عبارة النحويين في تسمية هذه الباء الجارة . . . الخ » ، ثم استطرد في صفحات يذكر أقوال النحويين وخلافاتهم عن الباء وعن بعض حروف الجر مثل كاللام والكاف ، وقد نقل هذا الموضوع من كتاب سر صناعة الإعراب لأبي الفتح بن جني ولم يعزه له .

وعند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ ﴾ [البقرة: ٢٣] ذكر الأقوال في (من) في قوله : ﴿ مِّن مِّثْلِهِ ﴾ وهذا متعلق

(١) انظر : المنتخب من السياق ل ١١٤ .

(٢) وفيات الأعيان ٣/٣٠٣ .

(٣) الإتقان ٢/٢٤٣ .

بتفسير الآية . ثم ذكر أوجه (من) عموماً ، فقال : قال النحويون : (من) يكون على أربعة أوجه ، وأخذ يذكرها ويمثل لها .

ثم قال بعده مباشرة : «هاهنا فصل يحتاج إليه في كثير من المواقع ، ذكرته هاهنا ، وهو : أن الحروف عند النحويين لا يليق بها الزيادة ولا الحذف . . . إلخ» ، ثم أخذ في شرح طويل لهذه المسألة . فما مناسبة هذا الفصل لتفسير الآية ؟ إن مكانه كتب النحو لا كتب التفسير ، وهذا الفصل بكامله وينصه قد نقله عن كتاب سر صناعة الإعراب لأبي الفتح بن جني^(١) من دون عزو .

وعند تفسير قوله تعالى : ﴿عَوَانُ بَيْرِكْ ذَلِكَ﴾ [البقرة: ٦٨] ، تحدث عن (بين) ، وأخذ عن أبي علي الفارسي من كتاب الإغفال كلاماً طويلاً عن (بين) ، ومنه : «قال أبو علي : اعلم أن (بين) اسم يستعمل على ضربين : مصدر وظرف . . . إلخ» ، واستمر في سرد طويل في صفحات . ومثله ما كتبه عن (الآن) ناقلاً عن الفراء وأبي علي الفارسي .

إنَّ حشو كتب التفسير بمثل هذه المباحث الطويلة يبعد القارئ عن تفسير القرآن ، ويطيل الكتاب ، ويجلب الملل للقارئ . رحم الله الواحدي .

مذهبه النحوي :

هناك مدرستان نحويتان اشتهرتا بمدرسة البصرة ومدرسة الكوفة ، ولكل من المدرستين قواعد وأصول تخالف المدرسة الأخرى ، ولكل واحدة منهما علماء عرفوا بذلك ، فمن أشهر رجال مدرسة البصرة : الخليل بن أحمد ، وسيبويه ، والمازني ، وقطرب ، والمبرّد ، والزّجاج ، والزّجاجي ، وأبو علي الفارسي ،

(١) انظر : البسيط البقرة [الآية: ٢٣] ، والتعليق على النص .

وغيرهم^(١). ومن أشهر رجال مدرسة الكوفة : الفراء ، والكسائي ، وثعلب ، وأبو بكر ابن الأنباري^(٢).

ونشأت بعد ذلك مدرسة ثالثة من جراء الخلط بين أصول المدرستين ، وقد عُرِفَت بالمدرسة البغدادية ، ومن رجالها ابن كيسان وابن السراج^(٣) ، وعدَّ بعضهم منها أبا الفتح بن جني ، وعدَّه بعضهم بصرياً^(٤).

فمن أي المدارس الثلاث يمكن أن يعدَّ الواحدي ؟

للإجابة عن هذا السؤال نعود إلى المادة النحوية التي ذكرها الواحدي في كتابه البسيط ، فنراه قد نقل عن أئمة المدارس الثلاث ، فأخذ عن الزَّجَّاج والفارسي والمبرد والزَّجَّاجي وغيرهم من مدرسة البصرة ، وأخذ عن الفراء وابن الأنباري وثعلب من مدرسة الكوفة ، ونقل أيضاً آراء ابن كيسان وابن السراج ، وأخذ عن أبي الفتح بن جني ، ومن ثم نراه قد نقل من قواعد المدارس الثلاث في كتابه .

ونلاحظ أيضاً أنه يذكر قول الكوفيين والبصريين في المسألة الواحدة ، وربما رجح قول أهل البصرة أو قول أهل الكوفة .

مثال على ذلك : لما تعرض لتفسير الاسم في تفسير البسملة ذكر أقوال الطرفين ، ثم قال : قالوا : ولا يصح مذهب الكوفيين في هذا الحرف ، لأنه لا يعرف شيء حذفت منه فاء الفعل فدخلت عليه ألف الوصل مثل العدة والزنة .

(١) انظر : طبقاتهم كما ذكرها الزبيدي في كتابه طبقات النحويين واللغويين ٢١-١٢١ ، وانظر : تاريخ النحو ٣٤ .

(٢) انظر : طبقاتهم كما ذكرها الزبيدي في كتابه طبقات النحويين واللغويين ١٢٥-١٥٤ ، وانظر : تاريخ النحو ٤١ .

(٣) انظر : تاريخ النحو ٩٣ ، ٩٤ .

(٤) وبه أخذ محمد النجار في مقدمته على الخصائص لابن جني ١ / ٤٥ .

بينما نراه في موضع آخر يأخذ بقول الكوفيين ، ولا يذكر قول البصريين أصلاً ، فعند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [البقرة: ١٢] ، قال : أصل لكن لا ، ك ، إن ، لا للنفي ، والكاف للخطاب ، وإن للإثبات ، فحذفت الهمزة استخفافاً . فما قرره في لكن هو رأي الكوفيين ، أما أهل البصرة فيرون أنها بسيطة غير مركبة^(١) . ولعل هذا مما أفاده من ابن الأنباري وهو كوفي كما سبق .

نصل من هذا إلى أن الواحدي أفاد في كتابه من أئمة النحو من بصريين وكوفيين ، يختار من أقوالهم ما يراه إلى الصواب أقرب ولا يلتزم مدرسة بعينها ، لكن نقوله عن البصريين أكثر ؛ لأن أغلب الأئمة الذين أخذ عنهم من مشايخ البصرة ، مثل الفارسي والزجاج والزجاجي ، وابن جني عند بعضهم ، والله أعلم بالصواب .

المسائل النحوية التي يُعنى بها في البسيط :

لقد طرق الواحدي في كتابه أغلب مسائل النحو ، ولا تأتي مناسبة في تفسيره لمسألة نحوية إلا تعرض لها سواء أكانت تتعلق بالتصريف أو بإعراب الكلمة أو غير ذلك ، وسبق ذكر نماذج لعنايته بتصريف الكلمة وأصولها في منهجه اللغوي ، ونلاحظ من مجموع المسائل النحوية التي تعرض لها عنايته بأمرين مهمين ، وهما : إعراب القرآن ، والأدوات والحروف . أما بالنسبة للأمر الأول وهو إعراب القرآن ، فإن له أهمية كبرى ؛ فبالإعراب يتبين المعنى ويتضح ، وبه يوقف على أغراض المتكلم ، وقد أُلْفِت في إعراب القرآن كتب كثيرة ، منها كتاب مشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب ، وإملاء ما من به الرحمن لأبي البقاء العكبري وغيرهما^(٢) .

(١) انظر : الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين ٢٠٩ / ١ .

(٢) انظر : البرهان ٣٠١ / ١ .

وقد أولى الواحدي هذا الجانب عناية كبيرة لما له من أثر في وضوح معاني الآيات ، ومن الأمثلة على ذلك في تفسير قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ [البقرة: ٢] ، قال : وموضع (لا ريب) رفع بالابتداء عند سيبويه ؛ لأنه بمنزلة (خمسة عشر) إذا ابتدأت به ، ولهذا جاز العطف عليه بالرفع في قوله :

لَا أُمِّي إِنْ كَانَ ذَاكَ وَلَا أَبُ

ومن نصب المعطوف فهو عطف على اللفظ .

وقوله : (فيه) يجوز أن تجعله خبراً للابتداء الذي هو (لا ريب) ، ويجوز أن تجعله صفة لقوله : (لا ريب) ، وإذا جعلته صفة أضمرت الخبر ، كأنه قيل : لا ريب فيه واقع أو كائن . . . إلخ .

وعند تفسير قوله تعالى : ﴿ إِنَّا الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ ﴾ [البقرة: ٦] ، قال : «و(سواء) في الآية رفع بالابتداء ، ويقوم (أأنذرتهم أم لم تنذرهم) مقام الخبر في المعنى ، كأنه بمنزلة قولك : (سواء عليهم الإنذار وتركه) لا في الإعراب ، لأنك إذا قدرت هذا التقدير في الإعراب صار (سواء عليهم) خبراً مقدماً ، والجملة في موضع رفع بأنها خبر (إن) ويجوز أن يكون خبر (إن) قوله : (لا يؤمنون) ، كأنه قيل : إن الذين كفروا لا يؤمنون سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم . . . إلخ» .

ونلاحظ ربط الإعراب بمحاولة إيضاح المعنى على الوجوه جميعها . والاستفادة من إعراب القرآن للكشف عن معاني الآية ظاهرة في تفسير الواحدي ، يتضح ذلك من الأمثلة السابقة ، وأذكر مثلاً آخر يوضح هذا الأمر أكثر ، عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ﴾ [البقرة: ٢٦] ، قال : «وفي نصب قوله : (مثلاً) وجوه ، أحدها : الحال ، لأنه جاء بعد تمام الكلام ، كأنه قيل : ماذا أراد الله بهذا مبيناً .

والثاني: التمييز والتفسير للمبهم وهو هذا، كأنه قيل: ماذا أراد الله بهذا من الأمثال.

والثالث: القطع كأنه قيل: ماذا أراد الله بهذا المثل، إلا أنه لما جاء نكرة نصب على القطع عن إتباع المعرفة، وهذا مذهب الفراء وأحمد بن يحيى.

الأمر الثاني: عناية بالأدوات والحروف. ودراسة الحروف من مسائل النحو المهمة، إذ ألّف فيها كتب مستقلة^(١)؛ لأن معانيها تختلف بحسب موقعها من الكلام، ولذلك لا بد للمفسر من معرفة ذلك^(٢)، وعناية الواحدي بها بارزة في تفسير البسيط فلا يمر شيء من الحروف والأدوات إلا ويبسط القول فيها عن تركيبها، وعن استعمالها، واختلاف مدلولاتها بحسب الاستعمال. ومن الأمثلة على ذلك ما سبق قريباً عن (الباء) و(من) و(بين) و(الآن)، ومن الأمثلة الأخرى ما ذكره عن (لم) و(لن) عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾ الآية [البقرة: ٢٤]، قال: (لم) حرف يجزم الفعل المضارع ويقع بعدها بمعنى الماضي، كما يقع الماضي بعد حرف الجزاء بمعنى الاستقبال، وهذه المشابهة بينها وبين حروف الجزاء اختيار الجزم بـ(لم). ثم قال: وأما (لن) فهي حرف قائم بنفسه، وضع لنفي الفعل المستقبل، ونصبه للفعل كنصب (أن)، وليس ما بعد (لن) بصلة لها؛ لأن (لن يفعل) نفي سيفعل، وتعمل ما بعدها في ما قبلها مثل قولك: زيداً لن أضرب... واستمر في بيان أقوال النحويين في أصل (لن).

(١) منها كتاب الأزهية في علم الحروف لعلي بن محمد الهروي، وحروف المعاني للزجاجي، ورصف

الباني في شرح حروف المعاني للمالقي، ومغني اللبيب لابن هشام.

(٢) انظر: البرهان ١/ ١٧٥.

وقد اعتمد الواحدي في المسائل النحوية كثيراً على كتاب سر صناعة الإعراب لأبي الفتح بن جني ، ومعاني القرآن للفرّاء وللزّجاج ، وكتاب الإغفال والحجة لأبي علي الفارسي ، وعلى أقوال ابن الأنباري .

وكان اعتماده على كتاب سر صناعة الإعراب كبيراً ، نقل منه مسائل طويلة بنصّها ، وعندما درس صاحب كتاب الواحدي ومنهجه في التفسير الجانب النحوي في التفسير عند الواحدي اختار نصين من البسيط ، أحدهما عن الباء ، والثاني عن أل ، وبنى عليهما دراسته لمنهجه النحوي ، وكأنّ الكلام للواحدي ، مع أنّ هذين النصين منقولان بطولهما من كتاب سر صناعة الإعراب لأبي الفتح بن جني ، ودور الواحدي هو حسن الانتقاء والعرض ،^(١) سبقت الإشارة لمثل هذا قريباً عند الحديث عن منهج الواحدي في عرض القراءات .

٣ . الجوانب البلاغية :

علم البلاغة من أجلّ علوم العربية قدراً ؛ إذ به تعرف دقائق اللغة وسر الفصاحة فيها ، وبه يعرف بعض وجوه إعجاز القرآن الكريم ، فلا غنى للمفسر عنه ، يقول الزركشي : « وهذا العلم أعظم أركان المفسر ، فإنه لا بدّ من مراعاة ما يقتضيه الإعجاز من الحقيقة والمجاز وتأليف النظم ، وأن يؤاخي بين الموارد ويعتمد ما سيق له الكلام حتى لا يتنافر وغير ذلك . . . وقال الزمخشري : من حق مفسر كتاب الله الباهر وكلامه المعجز أن يتعاهد في مذهب بقاء النظم على حسنه والبلاغة على كمالها ، وما وقع به التحدي سليماً من القادح ، وإذا لم يتعاهد أوضاع اللغة فهو من تعاهد النظم والبلاغة على مراحل . . . »^(٢) .

(١) انظر : الواحدي ومنهجه في التفسير ٢٣٧-٢٤١ .

(٢) البرهان ٣١١/١ .

ولقد كان الواحدي سباقاً في ذلك ، فقد جعل البلاغة إحدى القواعد المهمة لتفسير كتاب الله ، فيقول : فقلت : إن طريق معرفة تفسير كلام الله - تعالى - تعلم النحو والأدب فإنهما عمدتاه ، وإحكام أصولهما ، وتتبع مناهج لغات العرب في ما تحويه من الاستعارات الباهرة والأمثال النادرة والتشبيهات البديعية ، والملاحن الغريبة ، والدلالة باللفظ اليسير على المعنى الكثير مما لا يوجد مثله في سائر اللغات .

فجعل البلاغة مع النحو والأدب طريقاً إلى معرفة تفسير كلام الله ، وذكر بعض أنواع البلاغة ، كالاستعارة والتشبيه والإيجاز وغير ذلك مما يدخل تحت قوله : «والملاحن الغريبة» .

وقد دأب في كتابه البسيط على محاولة إظهار إعجاز القرآن بما حوى من فصاحة في الأسلوب وبلاغة في التركيب ، وكان هذا النهج واضحاً في تناوله لمفردات الآيات وتركيبها ، وما اعتماده كتاب نظم القرآن لأبي علي الجرجاني مصدراً مهماً في تفسيره إلا دلالة قوية على ذلك . وأفاد أيضاً من كتب ابن الأنباري حول تفسير مشكل القرآن شيئاً من الصور البلاغية .

ونأخذ أمثلة من كتابه لننظر مدى إثرائه في هذا الجانب ، منها ما ذكره عند تفسير قوله تعالى : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] قال : ناقلًا عن ابن الأنباري : «قال أبو بكر : وقوله ﴿إِيَّاكَ﴾ بعد قوله : ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤] رجوع من الغيبة إلى الخطاب ، والعرب تفعل ذلك كثيراً ، وهو نوع من البلاغة والتصرف في الكلام ، ومثل قوله : ﴿وَسَقَلَهُمْ رَبُّهُمْ سَرَابًا طَهُورًا﴾ [الإنسان: ٢١] ، ثم قال : ﴿إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُ جَزَاءً﴾ [الإنسان: ٢٢] . فذكر أحد أنواع علم المعاني التي يسميها البلاغيون الالتفات .

وعند تفسير قوله تعالى : ﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ ﴾ [البقرة: ٧] ذكر نوعاً آخر من أنواع البلاغة - ناقلاً كذلك عن ابن الأنباري - قال : « وقال ابن الأنباري : أراد وعلى مواضع سمعهم ، فحذف المضاف ، كما تقول العرب : تكلم المجلس ، وهم يريدون أهله ، وحذف المضاف كثير في التنزيل والكلام . . . وهذا النوع يسميه علماء البلاغة : (مجازاً عقلياً) ، ويذكر هذا النوع كذلك عند تفسير قوله تعالى : ﴿ فَمَارِجَتْ يَجْرَثُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾ [البقرة: ١٦] ، قال : ومعنى قوله : ﴿ فَمَارِجَتْ يَجْرَثُهُمْ ﴾ ؛ أي : ما ربحوا في تجارتهم ، وأضاف الربح إلى التجارة ؛ لأن الربح يكون فيها ، وهذا كلام العرب يقولون : ربح بيعك ، وخسر بيعك ، ونام ليلك ، وخاب سعيك . . . إلخ » .

ويتحدث عن التشبيه وهو أحد أنواع علم البيان ، فيعرفه ويذكر أهميته لما فيه من حسن البيان وقرب الاستدلال ، لذلك كثر في القرآن ، فيقول عند تفسير قوله تعالى : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا ﴾ [البقرة: ١٧] ، قال المبرّد : . . . والمثل من الكلام : قول سائر يشبه به حال الثاني بالأول ، والأصل فيه التشبيه ، فمعنى قولهم : مثل بين يديه إذا انتصب ، معناه : أشبه الصورة المنتصبة بين يديه . . . والأمثال أصل كبير في بيان الأشياء ؛ لأن الشيء يُعرف بشبهه ونظيره ، والأمثال تخرج ما يخفى تصوره إلى ما يظهر تصوره ، والمثل بيان ظاهر على أن الثاني مثل الأول ، والأمثال متداولة سائرة في البلاد ، وفيها حكم عجيبة وفوائد كثيرة ، وقد ذكر الله - تعالى - الأمثال في غير موضع من كتابه لما فيها من حسن البيان وقرب الاستدلال ، والمقصود بالمثل البيان عن الحال الممثل ، وحقيقته ما جعل من القول كالعلم للتشبيه بحال الأول .

ثم يدخل في بيان تطبيقي على الآية ، موضحاً التشبيه فيها بذكر المشبه والمشبه به ووجه الشبه مع قرن ذلك بتفسير الآية ، فيقول : فأما التفسير فقال ابن عباس وقتادة والضحاك ومقاتل والسدي : يقول : مثل هؤلاء المنافقين كمثل رجل

أوقد ناراً في ليلة مظلمة في مفازة ، فاستضاء بها واستدفاً ورأى ما حوله فاتقى ما يحذر ويخاف وأمن ، فبينما هو كذلك إذ طُفئت ناره ، فبقي مظلماً خائفاً متحيراً ، كذلك المنافقون لما أظهروا كلمة الإيمان واستناروا بنورها ، واعتزُّوا بعزها وأمنوا ، فناكحوا المسلمين ووارثوهم وقاسموهم الغنائم ، وأمنوا على أموالهم وأولادهم ، فلما ماتوا عادوا إلى الظلمة والخوف وبقوا في العذاب والنقمة ، وهذا القول اختيار الرَّجَّاج . . . وعلى ما قاله أبو إسحاق : التمثيل وقع بين تجملهم بالإسلام وبين النار التي يستضاء بها . . . واستمر في ذكر الأقوال في الآية مبرزاً أركان التشبيه فيها .

٤ . الشواهد الشعرية :

لقد تضلع الواحدي من علوم اللغة والأدب ، ذلك لأنه أدرك أنها طريق تفسير كتاب الله - تعالى - الذي نزل بلغة عربية فصيحة ، وكان الواحدي حريصاً في تفسيره على توثيق الأقوال والآراء والمعاني التي يذكرها جميعها بالأدلة ، اتباعاً للمنهج العلمي الأصيل ، فلا يترك قولاً في التفسير أو اللغة أو النحو أو البلاغة إلا ويحاول الاستدلال له إما بآية من القرآن ، أو حديث من السنة ، أو أثر عن السلف ، أو بيت من أشعار العرب ، وسبق الحديث عن منهجه في الاستدلال بالقرآن والسنة والأثر ، وكان مما عرف عن المنهج الواحدي هناك أنه لا يستدل بالقرآن والسنة والأثر على مسائل التفسير فقط ، بل وعلى مسائل اللغة والنحو .

وأما استشهاده بالشعر ، فهو مجال الحديث الآن ، ومما ينبغي استحضاره الآن تلك الهمة التي بذلها الواحدي لدراسة الأدب ، والشعر بالدرجة الأولى . وقد ذكرت هذا في أكثر من موضع ، ويكفي هنا أن نستعيد ما قاله الواحدي عن معاتبة شيخه العروضي له : « . . حتى عاتبني شيعي - رحمه الله - يوماً من الأيام ، وقال : إنك لم تبق ديواناً من الشعر إلا قضيت حقه ، أما أن لك أن تنفرغ لتفسير كتاب الله العزيز . . . فقلت : يا أبتِ إنما أترج بهذا إلى ذلك الذي تريد ، وإذا لم

أحكم الأدب بجدة وتعب لم أرم في غرض التفسير عن كتب»^(١). فيدل هذا النص من كلام الواحدي على مقدار ما بذل في سبيل تحصيل الأدب ، وكم من دواوين الشعر قرأها واستوعب ما فيها ، وأنه يرى أن ذلك طريق لتفسير كتاب الله . وقبل كلامه هذا ساق الآثار عن السلف في بيان مكانة الشعر العربي في تفسير القرآن ، فيروي عن سعيد بن المسيب قصة عمر - رضي الله عنه - وهو على المنبر ، وفيها يقول عمر : «يا أيها الناس : عليكم بديوانكم لا يضل ، قالوا : وما ديواننا ؟ قال : شعر الجاهلية ، فإن فيه تفسير كتابكم ومعاني كلامكم» .

ويروي بسنده عن ابن عباس قال : «إذا قرأ أحدكم شيئاً من القرآن فلم يدر ما تفسيره فليلتزمه في الشعر ؛ فإنه ديوان العرب» .

وبسنده عن ابن عباس : أنه كان يسأل عن الشيء من عربية القرآن فينشد الشعر .

ألا يدل سياق الواحدي لتلك الآثار في مقدمة كتابه البسيط على ما كان يراه من مكانة مهمّة للشعر العربيّ في تفسير القرآن ؟

ثم إن الواحدي قد حاول قول الشعر من صغره حتى تكونت لديه ملكة شعرية ، وقد عدّه بعضهم شاعراً^(٢) ، تلك الملكة مكنته من اختيار أجزل الشعر وأرصنه للاستشهاد به على مسائل اللغة والنحو وغيرهما .

وقد حوى كتاب البسيط المئات من الشواهد الشعرية مما يقلُّ مثله في كتب التفسير الأخرى .

(١) مقدمة البسيط .

(٢) قال ذلك الأسنوي ، انظر : ما سبق .

وأكثر الشواهد الشعرية جاءت في المسائل اللغوية ، أو النحوية ، أو البلاغية .
وقد يؤيد بها رأياً في التفسير .

فمن أمثلة الشواهد الشعرية في المسائل اللغوية عند تفسير قوله تعالى :
﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ٣٢] ذكر معنى الحكيم وتصريفها وما تأتي عليه من
المعاني ، فقال : ومعنى الحكيم هو المحكم للأشياء ، صرف من مفعل إلى فاعل ،
كسميع في قوله :

أَمِنْ رِيحَانَةِ الدَّاعِي السَّمِيعِ^(١)

قال ابن المظفر : . . . والحكم القضاء بالعدل - أيضاً - قال النابغة :

وَإِحْكُمْ كَحُكْمِ فَتَاةٍ الْحَيِّ إِذْ نَظَرْتُ إِلَى حَمَامٍ سِرَاعٍ وَارِدِ الثَّمَدِ
. . . قال الأصمعي : أصل الحكومة رد الرجل عن الظلم ، ومنه سميت
حَكَمَةُ اللجام ، لأنها ترد الدابة . قال : ومنه قول لبيد :

أَحْكَمَ الْجِنْيُ مِنْ عَوْرَاتِهَا كُلَّ حِرْبَاءٍ إِذَا أُكْرِهَ صَلُّ
قال الأزهري : والعرب تقول : حَكَمْتُ وَأَحْكَمْتُ وَحَكَّمْتُ بمعنى :
رَدَدْتُ ومنعت . . . ومنه قول لبيد :

أَبْنِي حَنِيفَةً أَحْكِمُوا سُفَهَاءَكُمْ

(١) تخريج الأبيات ونسبتها لقائلها وشرح غريبها موجود في حواشي البسيط .

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونُوا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ٣٥]، تكلم على معنى الظلم، وعلى أصله، ومنه قوله: . . . قال أبو عبيد: ويقال لذلك: اللبن المظلوم والظليم، وأنشد شمر:

وَقَائِلَةٌ ظَلَمْتُ لَكُمْ سِقَائِي وَهَلْ يَخْفَى عَلَى الْعَكِدِ الظَّلِيمُ
وقال الفرّاء: ظَلَمَ الوادي إذا بلغ الماء منه موضعاً لم يكن ناله في ما خلا،
وأنشد:

يَكَادُ يَطْلُعُ ظُلْمًا ثُمَّ يَمْنَعُهُ عَنِ الشَّوَاهِقِ فَالْوَادِي بِهِ شَرِقُ
وقال ابن السكيت في قول النابغة:

والتَّوَيُّ كَالْحَوْضِ بِالْمَظْلُومَةِ الْجَلْدِ

يعني: بالمظلومة أرضاً في برية حَوْضُوا فيها حوضاً سقوا فيه إبلهم، وليست بموضع تحويض، قال: وأصل الظُّلم وضع الشيء غير^(١) موضعه، قال: ومنه قول ابن المقبل:

هُزْتُ الشَّقَاشِقَ ظَلَامُونَ لِلْجُزْرِ

وظلم الجزور أنهم نحروها من غير مرض، فوضعوا النحر في غير موضعه.

(١) في تهذيب اللغة: (في غير موضعه)، تهذيب اللغة، ١٤/٣٨٤ (ظلم)

وقول زهير :

وَيُظْلَمُ أَحْيَانًا فَيَنْظِلُّمُ

فهذا الحشد الكبير من الأبيات الشعرية عند شرح مفردة واحدة من مفردات القرآن وهي الظلم يدل على مقدار ما حوى البسيط من الشواهد الشعرية .

ومن الأمثلة على الشواهد الشعرية على المسائل النحوية ما ذكره عند تفسير قوله تعالى : ﴿ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ [الفاتحة : ٧] وتكلم على (لا) ، فقال : . . . والذين يجوزون زيادة (لا) يقولون : إنما تجوز إذا تقدمها نفي ، مثل قوله :

مَا كَانَ يَرْضَى رَسُولُ اللَّهِ دِينَهُمُ وَالطَّيِّبَانِ أَبُو بَكْرٍ وَلَا عُمَرُ

وليس كذلك فقد جاءت زيادتها في الإيجاب كما جاءت في النفي ، قال ساعدة الهذلي :

أَفَعَنكَ لَا بَرَقُ كَأَنَّ وَمِيضَهُ غَابَ تَشِيمُهُ ضِرَامٌ مُثَقَّبُ

وأنشد أبو عبيدة :

وَيَلْحَيْنِي فِي اللَّهْوِ أَلَّا أَحِبَّهُ وَلِلَّهِ دَاعٍ دَائِبٌ غَيْرُ غَافِلٍ

ومن الشواهد الشعرية في مسائل بلاغية ما ذكره عند تفسير قوله تعالى : ﴿ إِنَّا لَنَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة : ٥] فذكر من البلاغة فيها الالتفات ، وذلك بالرجوع من الغيبة إلى الخطاب ، فقد جاءت الآية بعد قوله تعالى : ﴿ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ [الفاتحة : ٤] ، وقال : إن هذا نوع من البلاغة ، وهو كثير في كلام العرب ، وذكر أبياتاً شواهد على ذلك ، فقال : وقال الأعشى :

عِنْدَهُ الْبِرُّ وَالتَّقَى وَأَسَا الصَّد عِ وَحَمْلٍ لِيُضْلِعَ الْأَثْقَالِ
وَوَفَاءٌ إِذَا أَجَزَتْ فَمَا غَرَّ تِ حِبَالٌ وَصَلَّتْهَا بِحِبَالِ

وأنشد أبو عبيدة :

يَا لَهْفَ نَفْسِي كَانَ جِدَّةَ خَالِدٍ وَبَيَاضُ وَجْهِكَ لِلتُّرَابِ الْأَغْفَرِ

وقال كثير :

أَسِيْبِي بَنَاءُ أَوْ أَحْسِنِي لَا مَلُومَةٌ لَدَيْنَا وَلَا مَقْلِيَّةٌ إِنْ تَقَلَّتْ .

وعند تفسير قوله تعالى : ﴿فَمَا رِيحَتْ يَحْدَرْتُهُمْ﴾ [البقرة: ١٦] ، ذكر المجاز فيها ، وقال : إن هذا كثير في كلام العرب ، ثم قال : « . . . وقال جرير :

وَأَعْوَرَ مِنْ نَبْهَانَ أَمَّا نَهَارُهُ فَأَعْمَى وَأَمَّا لَيْلُهُ فَبَصِيرُ

فأضاف العمى والإبصار إلى الليل والنهار ، ومراده بهما الموصوف من نبهان» .

● المطلب الثالث : مقارنة بين تفاسير الواحدي الثلاثة

إن المتأمل لعناوين هذه التفاسير البسيط ، الوسيط ، الوجيز ليدرك الفرق الجوهرية بينها ، ويعلم أنها درجات متفاوتة في الطول والقصر ، والبسط والإيجاز .

ويمكن أن أستعرض أهم الفروق بين هذه التفاسير في النقاط الآتية :

١ . إن البسيط أوسعها بحثاً ، وأكثرها مسائل ، وفيه من التدقيق والتحقيق والإطناب ما ليس في الآخرين ، ثم يأتي من بعده الوسيط ، ثم من بعدهما الوجيز .

يوضح ذلك قول المؤلف في مقدمة الوسيط : «وقديماً كنت أطالب بإملاء كتاب في تفسير وسيط ، ينحط عن درجة البسيط الذي تنجر فيه أذيال الأقوال ، ويرتفع عن مرتبة الوجيز الذي اقتصر فيه على الإقلال ، بتصنيف ما رُسم من

تفسير ، أعفيه من التطويل والإكثار ، وأسلمه من خلل الوجازة والاختصار ، وآتي به على النمط الأوسط ، والقصد الأقوم ، حسنة بين السيئتين ، ومنزلة بين المنزلتين ، لا إقلال ، ولا إملال»^(١) .

ويقول في مقدمة الوجيز : « . . . فإني كنت قد ابتدأت بإبداع كتاب لم أسبق إلى مثله ، وطال عليّ الأمر في ذلك . . . ثم استعجلني قبل إتمامه والتقصي عمّا لزمني من عهدة إحكامه نفر متقاصرو الرغبات ، منخفضو الدرجات ، أولو البضاعة المزجاة ، على إيجاز كتاب في التفسير ، يقرب على من تناوله ، ويسهل على من تأمله ، من أوجز ما عمل في باب ، وأعظمه فائدة على متحفظيه وأصحابه ، وهذا كتاب أنا نازل فيه إلى درجة أهل زماننا ، تعجيلاً لمنفعتهم ، وتحصيلاً للمثوبة في إفادتهم ، بما تمنوه طويلاً ، فلم يغن عنهم أحد فتياً ، وتارك ما سوى قول واحد معتمد لابن عباس - رحمه الله - أو من هو في مثل درجته ، كما يترجم عن اللفظ العويص بأسهل منه»^(٢) .

٢. إن الأقوال في البسيط مذكورة بتمامها ، واختلاف وجوها مع الاستدلال والترجيح أحياناً ، بينما اختصر ذلك في الوسيط ، واقتصر في الوجيز على قول واحد معتمد لابن عباس رضي الله عنه ، أو من هو في مثل درجته .

٣. يظهر من النصوص السابقة أن المادة العلمية في الوسيط إجمالاً منتقاة من البسيط ؛ ولذا قال القفطي : وهو مختار من البسيط^(٣) .

(١) الوسيط ١ / ٥٠ .

(٢) الوجيز ١ / ٨٧ .

(٣) إنباه الرواة ٢ / ٢٢٣ .

٤. استطرد الواحدي بوضوح في البحوث اللغوية والنحوية ، في الوقت الذي جاءت على نحو مختصر كاف في الوسيط ، أما في الوجيز فلم يعرّج عليها .

٥. يلاحظ أن الوسيط تميز عن الآخرين في جانب الرواية ، فهو يذكر فيه أحاديث وآثاراً ، ويسوق أسانيد كثير منها ، لا يذكرها ألبتة في الوجيز ، ويقل منها في البسيط .

٦. ويفتح في الوسيط أيضاً كل سورة بما ورد في فضلها ، ولا يشير إلى ذلك في تفسيريهِ الآخرين ، وحديث فضائل السور المشهور إنما ذكره في الوسيط فقط ، وهو حديث موضوع لا يخفى على أحد ، وقد تقدم ذكر ذلك .

٧. اعتنى الواحدي في البسيط بتوجيه القراءات وتعليلها ، واستطرد في ذلك إلى الغاية القصوى ، وضمن كتابه خلاصة الحجة لأبي علي الفارسي ، بينما نجده مقلداً في الوسيط بوضوح ، وأما الوجيز فلا يكاد يذكر شيئاً من ذلك إلا نادراً .

٨. أما من حيث ترتيب تأليف هذه التفاسير ، فإنه قد يفهم من النصين السابقين أنه بدأ بالوسيط ، وقبل إتمامه ألف الوجيز ليحقق رغبة من قصرت همتهم ، ثم ألف الوسيط الذي صرح بأنه ألفه بعد البسيط .

ومن الأمثلة التي تبين الفرق بين هذه التفاسير الثلاثة : ما ذكره في تفسير قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الصَّافَّاءَ وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَابِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ١٥٨] .

فقد فسر ه في البسيط بقوله :

قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ ﴾ الآية الصفا جمع صفاة ، وهي الحجارة ، قال أبو العباس الصفا : كل حجر لا يخلطه غيره ، من طين أو تراب يتصل به ، واشتقاقه من صفا يصفو إذا خلص .

والمروة واحدة المرو ، وهي حجارة بيض براقه ، يكون فيها النار . قال الأعشى :

وَتُوَلِّي الْأَرْضَ خُفًّا ذَابِلًا فَإِذَا مَا صَادَفَ الْمَرْوَ رَضَخَ
وهما اسمان لجبلين معروفين في بمكة .

وشعائر الله واحدتها شعيرة ، قال المفسرون وأهل اللغة جميعاً : شعائر الله : متعبداته التي أشعرها الله ؛ أي : جعلها أعلاماً لنا ، وهي كل ما كان من مشعر أو موقف أو مسعى أو منحصر ، وهي من قولهم : شعرت ؛ أي : علمت ، وهي كلها معلومات ، وهذا قول الزَّجَّاج ، واختياره .

ويحتمل أن تكون الشعائر مشتقة من الإشعار ، الذي هو الإعلام على الشيء ، ومنه الشعائر : بمعنى العلامة ؛ ولهذا تسمى الهدايا شعائر ؛ لأنها تشعر بحديدة في سنامها من جانبها الأيمن حتى يخرج الدم ، قال الكميت :

شَعَائِرُ قُرْبَانٍ بِهِمْ يُتَقَرَّبُ

ويحتمل أن يكون من الإعلام بالشيء ، وبه قال مجاهد في قوله : «من شعائر الله» ، قال : يعني : من الخبر الذي أخبركم عنه ، كأنه إعلام من الله عباده أمر الصفا والمروة .

وقوله تعالى : ﴿فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ﴾ قال الليث : أصل الحج في اللغة زيارة شيء تعظمه . وقال يعقوب والزجاج : أصل الحج القصد ، وكل من قصد شيئاً فقد حجه .

وقال كثير من أهل اللغة : أصل الحج إطالة الاختلاف إلى الشيء . واختار ابن جرير هذا القول ، قال : لأن الحاج يأتي البيت قبل التعريف ، ثم يعود إليه للطواف يوم النحر ، ثم ينصرف عنه إلى منى ، ثم يعود إليه لطواف الصّدر ، فلتكراره العود إليه مرة بعد أخرى قيل له : حاج ، وكلهم احتجوا بقول المخبل القريعي :

يَحْجُّونَ سَبَّ الزُّبْرِ قَانَ الْمَرْغُفَا

وقال سيبويه : «ويقال : حَجَّ حَجًّا ، كقولهم : ذكر ذكراً» . وقال الفراء : «الحج والحج لغتان ، يقال : حَجَّجْتُ حِجَّةً لِلْمَرَّةِ الْوَاحِدَةِ ، لم يأت عن العرب غيره» . ولو قيل : حَجَّةً بِالْفَتْحِ كما قالوا : مَرَرْتُ بِهِ مَرَّةً ، كان صواباً ، مثل : مددته مدةً ، وقددته قدةً ، هذا كلامه . فأما قولهم : حُجَّجْ ، وهم يريدون جمع الحاج ، فيمكن أن يكونوا سموا بالمصدر ، وتقديره : ذوو حج ، قاله أبو علي ، قال : وأنشد أبو زيد :

وَكَأَنَّ عَافِيَةَ النُّسُورِ عَلَيْهِمْ حُجَّجٌ بِأَسْفَلِ ذِي الْمَجَازِ نُزُولُ

وقوله تعالى : ﴿أَوْاعْتَمِرْ﴾ . قال الزجاج : قصد ، وقال غيره : زار ، قال أعشى باهلة :

وَرَاكِبٌ جَاءَ مِنْ تَثْلِيثِ مَعْتَمِرٍ

قال الأزهري : وقد يقال : الاعتبار القصد ، وأنشد للعجاج :

لَقَدْ سَمَا ابْنُ مَعْمَرٍ حِينَ اعْتَمَرَ مَغْزَى بَعِيداً مِنْ بَعِيدٍ وَضَبَرُ

يعني : حين قصد مغزى بعيداً .

وقوله تعالى : ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ﴾ الجناح : الإثم ، وأصله : من الجنوح ، الذي هو الميل ، يقال : جَنَحَ : مال ، ومنه قوله : ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾ [الأنفال: ٦١] ، وقيل للأضلاع جوانح ؛ لا عوجاجها ، قال ابن دريد : معنى (لا جناح عليكم) أي : لا ميل إلى مآثم . وجناح الطائر من هذا ؛ لأنه يميل في أحد شقيه ، ليس على مستوى خلقته ، فمعنى الجناح الميل عن الحق .

وقال أبو علي الجرجاني : معنى ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ﴾ أينما ذكر في القرآن : لا ميل لأحد عليه بمطالبة شيء من الأشياء ، هذا هو الأصل ، ثم صار معناه : لا حرج عليه ، ولا ذنب عليه .

قال ابن عباس : كان على الصفا صنم ، وعلى المروة صنم ، وكان أهل الجاهلية يطوفون بينهما ، ويمسحونهما ، فلما جاء الإسلام وكسرت الأصنام كره المسلمون الطواف بينهما ؛ لأجل الصنمين ؛ فأنزل الله - عز وجل - هذه الآية ، منبهاً لهم على أن الطواف بالصفا والمروة لا تبعة فيه عليهم ، وأنه طاعة لله تعالى ، وغير تعظيم للصنمين .

فالآية تدل بظاهرها على إباحة ما كرهوه ، ولكن السنة أوجبت الطواف بينهما والسعي ، وهو قوله ﷺ : «يا أيها الناس كتب عليكم السعي فاسعوا» ، وهو مذهب الشافعي رضي الله عنه .

والواجب أن يبدأ بالصفا ، ويختم بالمروة ، ويسعى بينهما سعياً ، فيكون مصيره من الصفا إلى المروة شوطاً من السبع ، وعوده من المروة إلى الصفا شوطاً ثانياً ، فإن بدأ بالمروة إلى الصفا لم يحسب هذا الشوط ؛ لأن النبي ﷺ لما دنا من الصفا في حجته قال : «إن الصفا والمروة من شعائر الله ابدؤا بها بدأ الله به» ، فبدأ

بالصفا فرقى عليه ، حتى رأى البيت ، ثم مشى حتى إذا تصوبت قدماه في الوادي سعى .

وقوله تعالى : ﴿وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾ فيه وجهان من القراءة :

أحدهما : (تَطَوَّعَ) على (تَفَعَّلَ) ماضياً ، وهذه القراءة تحتل أمرين :

أحدهما : أن يكون موضع (تَطَوَّعَ) جزماً ، وتجعل (مَنْ) للجزاء ، وتكون الفاء مع ما بعدها من قوله : ﴿فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ في موضع جزم لوقوعها موقع الفعل المجزوم ، والفعل الذي هو (تَطَوَّعَ) على لفظ المثال الماضي ، والمراد به المستقبل ، كقولك : إن أتيتني أتيتك .

الثاني : ألا تجعل (مَنْ) للجزاء ، ولكن تكون بمنزلة (الذي) وتكون مبتدأ بها ، ولا موضع حيثئذ للفعل الذي هو (تَطَوَّعَ) ، والفاء مع ما بعدها في موضع رفع ، من حيث كان خبر المبتدأ الموصول ، والمعنى فيه معنى الجزاء ؛ لأن هذه الفاء إذا دخلت في خبر الموصول أو النكرة الموصوفة آذنت أن الثاني إنها وجب لوجوب الأول ، كقوله تعالى : ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣] ، (وما) : مبتدأ موصول ، والفاء مع ما بعدها جواب له ، وفيه معنى للجزاء ؛ لأن تقديره : ما ثبت بكم من نعمة ، أو مادام بكم من نعمة فمن ابتداء الله إياكم بها ، فسبب ثبات النعمة ابتداءه [ذلك] كما أن استحقاق الأجر إنما هو من أجل الإنفاق كقوله تعالى : ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِالْإِتِلِ وَالْثَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ [البقرة: ٢٧٤] ، وعلى هذا كل ما في القرآن من هذا الضرب ، قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا﴾ إلى قوله : ﴿فَلَهُمْ عَذَابٌ جَهَنَّمُ﴾ [البروج: ١٠] ، وقوله : ﴿وَمَنْ عَادَ فَيَنْقِمُ اللَّهُ مِنْهُ﴾ [المائدة: ٩٥] ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ﴾ [البقرة: ١٢٦] و ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠] و ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩] ،

ونذكر هذه المسألة مشروحة عند قوله: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِالْإِتِلِ وَالْتَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ [البقرة: ٢٧٤].

الوجه الثاني من القراءة: (يَطَوَّعُ) بالياء وجزم العين، وتقديره: يتطوَّع إلا أن التاء أدغمت في الطاء لتقاربهما، وهذا حسن؛ لأن المعنى على الاستقبال، والشرط والجزاء الأحسن فيهما الاستقبال، وإن كان يجوز أن تقول: من أتاك أعطيته، فتوقع الماضي موقع المستقبل في الجزاء، إلا أن اللفظ إذا كان وفق المعنى كان أحسن.

وأما التفسير؛ فقال مجاهد: (ومن تطوَّع خيراً) بالطواف بهما، وهذا على قول من لا يرى الطواف بهما فرضاً.

وقال مقاتل والكلبي: ومن تطوع خيراً فزاد في الطواف بعد الواجب.

ومنهم من حمل هذا النوع على العمرة، وهو قول ابن زيد، وكان يرى العمرة غير واجبة.

وقال الحسن: ﴿وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾ يعني به الدين كله؛ أي: فعل غير المفترض عليه، من طواف وصلاة وزكاة ونوع من أنواع الطاعات. وهذا أحسن هذه الأقاويل؛ لأن قوله: (ومن تطوَّع خيراً) صيغته تدل على العموم.

وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾؛ أي: مجاز بعمله، ﴿عَلِيمٌ﴾ بِنَيْتِهِ. قال أهل المعاني: وحقيقة الشاكر في اللغة هو المظهر للإنعام عليه، والله - تعالى - لا تلحقه المنافع والمضار، فالشاكر في وصفه مجاز، ومعناه: المجازي على الطاعة بالثواب، إلا أن اللفظ خرج مخرج التلطف للعباد، مظهرة في الإحسان إليهم، كما قال: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ﴾ [البقرة: ٢٤٥]، وهو - تعالى - لا يستقرض من عوز؛ ولكنه

تلطف في الاستدعاء . كأنه قيل : من الذي يعمل عمل المقرض ، بأن يقدم فيأخذ أضعاف ما قدم في وقت فقره وحاجته .

وقال في تفسير الوسيط :

قوله : ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ : هما جبلان معروفان في مكة .
و﴿شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ : متعبداته ، التي أشعرها الله ، أي جعلها أعلاماً لنا ، وهي كل ما كان من موقف أو مسعى أو منحرف .

﴿فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ﴾ أصل الحج في اللغة : زيارة شيء تعظمه . قال الزَّجَّاج : أهل الحج : القصد ، وكل من قصد شيئاً فقد حجه .

وقوله : ﴿أَوْ اعْتَمَرَ﴾ قال الزَّجَّاج : أي : قصد ، وقال غيره : زاره .

﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ﴾ أي : لا إثم عليه ولا حرج ولا ذنب ﴿أَنْ يَطُوفَ بِهِمَا﴾ .

أخبرنا منصور بن عبد الوهاب البزار ، أخبرنا محمد بن أحمد بن سنان ، أخبرنا حامد بن محمد بن شعيب ، حدثنا محمد بن بكار ، حدثنا إسماعيل بن زكريا ، عن عاصم عن أنس بن مالك . قال : كانوا يمسكون عن الطواف بين الصفا والمروة ، وكانا من شعائر الجاهلية ، وكنا نتقي الطواف بهما ، فأنزل الله تعالى : ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطُوفَ بِهِمَا . . .﴾ الآية .

رواه البخاري عن أحمد بن محمد ، عن عبد الله ، عن عاصم .

أخبرني سعيد بن العباس القرشي ، أخبرنا العباس بن الفضل النضروي ، أخبرنا أحمد بن نجدة ، حدثني سعيد بن منصور ، حدثنا هشيم ، عن داود ، عن الشعبي ، قال : كان لأهل الجاهلية صنمان يقال لأحدهما يساف والآخر نائلة ،

وكان يساف على الصفا ، وكان نائلة على المروة ، وكانوا إذا طافوا بين الصفا والمروة مسحوهما فلما جاء الإسلام ، قالوا : أنها كان أهل الجاهلية يطوفون بينهما لمكان هذين الصنمين وليسا من شعائر الحج ، فأنزل الله تعالى : ﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ ﴾ ، فجعلهما الله من شعائر الحج .

والآية بظاهرها تدل على إباحة ما كرهوه ، ولكن السنة أوجبت الطواف بينهما والسعي ، وهو قوله ﷺ : « يا أيها الناس كتب عليكم السعي فاسعوا » ، وهو مذهب الشافعي رحمه الله .

وقوله : ﴿ وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا ﴾ قال الحسن : يعني به الدين كله ، والمعنى فعل غير المفترض عليه من طواف وصلاة وزكاة ونوع من الطاعة .

وقرأ حمزة (ومن يَطَوَّعْ) بالياء وجزم العين ، وتقديره : يتطوع إلا أن التاء أدغمت في الطاء لمقاربتهم ، وهذا حسن ؛ لأن المعنى على الاستقبال ، والشرط والجزاء الأحسن فيهما الاستقبال ، وإن كان يجوز أن تقول : من أتاك أعطيته ، فتوقع الماضي موقع المستقبل في الجزاء ، إلا أن اللفظ إذا كان وفق المعنى كان أحسن .

وقوله : ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾ أي : مجاز له بعمله ، ومعنى الشاكر في وصف الله : المجازي على الطاعة بالثواب^(١) ، (عَلِيمٌ) بنية المتطوع^(٢) .

وقال في الوجيز :

﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ ﴾ وهم جبلان معروفان بمكة ﴿ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ ﴾ أي : متعبداته ، ﴿ فَمَنْ حَجَّ أَلْبَيْتَ ﴾ زاره معظمًا له ﴿ أَوْ اعْتَمَرَ ﴾ قصد البيت للزيارة ،

(١) بيناً في التعليق على البسيط التفسير الصحيح لمعنى اسم الله (الشاكر) .

(٢) التفسير الوسيط ١/ ٢٤١-٢٤٣ .

﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ﴾ فلا إثم عليه ﴿أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ بالجبليين ، وذلك أن أهل الجاهلية كانوا يطوفون بينهما وعليهما صنمان يمسخونهما ، فكره المسلمون الطواف بينهما ، فأنزل الله - تعالى - هذه الآية .

﴿وَمَنْ تَطَوَّعَ حَيْرًا﴾ فعل غير المفترض عليه من طواف وصلاة وزكاة وطاعة .
﴿فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ مجاز له بعمله ﴿عَلِيمٌ﴾ بنيته ^(١) .

* * *

المبحث السابع

قيمة الكتاب العلمية

بعد هذه الدراسة حول كتاب البسيط ومعرفة منهج الواحدي فيه أقف وقفة سريعة لاستجماع أطراف الحديث ، ومحاولة تحديد المكانة العلمية لكتاب البسيط في المكتبة التفسيرية ، وأين موقعه فيها ، من خلال ما أضافه من معان جديدة ، وأذكر أيضاً بعض الملاحظات التي توصلت إليها في أثناء دراستي لهذا الكتاب ، فأقول :

يحتل تفسير البسيط مكانة علمية عالية في المكتبة القرآنية ، ويعدُّ مرجعاً مهماً للمتخصصين في التفسير . ومع ما له من أهمية بقي هذا الكتاب إلى هذا الوقت حبيساً لم يخرج إلى المكتبة ، وهذا منع الدارسين أو الباحثين من الاستفادة منه .

(١) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ١٤٠ ، ١٤١ .

على أنني أرى أن الكتاب لا يفيد منه إلا العلماء وطلبة العلم الذين تكونت لديهم الملكة التي تعينهم على فهم بحوثه اللغوية والنحوية العميقة ، أمّا عامّة القراء فهم مع هذا الكتاب مثل ما وصفهم الواحدي «كمحاول غلقاً ضاع منه المفتاح» .

تلك المكانة التي أرى أن الكتاب حُرِّي بها تعود إلى الأمور الآتية :

أولاً : ما حواه الكتاب من ثراء علمي خصوصاً في مجال اللغة والنحو ، حيث انطلق الواحدي في كتابه واضعاً نصب عينيه أن اللغة والنحو والأدب ركائز أساسية لتفسير كتاب الله ، فبعد أن تضلع من تلك الركائز راح يسخرها لخدمة التفسير ، وذلك بإيضاح اللفظة القرآنية وبيان أصلها ، وذكر الشواهد على ذلك ، ويربط الوجه التفسيري بالإعراب ، يذكر الأوجه البلاغية في النظم القرآني ، فخرج الكتاب موسوعة جمعت التفسير بفروع اللغة ، وسخرت الثاني لخدمة الأول ، صحيح أن الواحدي انساق وراء بعض تلك المسائل إلى حد يعدّ خروجاً عن مجال التفسير ، ومع ذلك يبقى الكتاب ذا عطاء سيال في مجال التفسير بالدراية الذي يعتمد اللغة والنحو من الأسس لفهم النص القرآني .

ثانياً : عنايته بالفوائد والنكات التفسيرية ، وهذا من الجوانب المهمة ، خصوصاً إذا ارتبط ذلك بحسن العرض وجمال الأسلوب ، كما هو الحال في تفسير الواحدي ، فكثيراً ما يتصيد تلك الفوائد فيوردها ، وربما ذكرها على صيغة سؤال أو إشكال ، فيجيب عنه بما يشفي ويقنع .

ومن الأمثلة على ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى : ﴿يُخَذِّعُونَ اللَّهَ وَلَٰذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يُخَذِّعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ٩] ، قال : وقوله في وصف

الكافرين (لا يشعرون) أبلغ في الذم من وصفهم بأنهم لا يعلمون ، لأن البهيمة قد تشعر من حيث تحس^(١) فكأنهم وصفوا بنهاية الذهاب عن الفهم .

وعند تفسير قوله تعالى : ﴿ أَتُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ الشُّفَهَاءُ ﴾ [البقرة: ١٣] قال : فإن قيل : كيف يصح النفاق مع المجاهرة بقولهم : ﴿ أَتُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ الشُّفَهَاءُ ﴾ ؟ قيل : إنهم كانوا يظهرون هذا القول في ما بينهم لا عند المؤمنين ؛ لأن الله - تعالى - قد قال : ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا ﴾ [البقرة: ١٤] . أو أنهم لم يفصحوا بهذا القول وإنما أتوا بما يفهم عنهم بالمعنى ، ولا يقوم به حجة توجب الحكم من جهة المشاهدة .

وعند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٣] قال : وقد يبقى في هذه الآية سؤال لم نجد أحداً ممن تكلم في تفسير القرآن ولا في معانيه تعرّض له ، وهو من أهم ما يسأل عنه . وذلك أن يقال : من أين علمت الملائكة لما خبرها آدم - عليه السلام - بتلك الأسماء صحة قوله ومطابقة الأسماء للمسميات ؟ وهي لم تكن عالمة بذلك من قبل ، إذ لو كانت عالمة لأخبرت بالأسماء ، ولم تعترف بفقد العلم . والكلام يقتضي أنهم لما أنبأهم آدم بالأسماء علموا صحتها ومطابقتها للمسميات ، ولولا ذلك لم يكن لقوله : ﴿ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنيْ أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [البقرة: ٢٣] ، معنى . ثم أجاب عن هذا السؤال بما يطول ذكره هنا .

وفي سورة يونس عند تفسير قوله تعالى : ﴿ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ ﴾ [يونس: ٤] قال : « فإن قيل لم أفرد المؤمنين بالقسط من دون غيرهم وهو يجزي الكافر أيضاً بالقسط ؟

قال ابن الأنباري : لو جمع الله الصنفين بالقسط لم يتبين ما يقع بالكافرين من العذاب الأليم ، ففصلهم عن المؤمنين ليبين ما يجزيهم به مما هو عدل غير جور ،

(١) في نسخة (ب) : (لا تحس) .

فلهذا خص المؤمنين بالقسط ، وأفرد الكافرين بخبر يرجع إلى تأويله بزيادة الإبانة^(١) .

ثالثاً : يعدُّ تفسير البسيط مرجعاً مهماً لنصوص كثيرة من كتب مفقودة ، إذ اعتمد الواحدي على مصادر عدة ، ونقل عنها كثيراً ، ومنها كتاب نظم القرآن لأبي علي الجرجاني ، وإلى اليوم يعدُّ هذا الكتاب مفقوداً ، وقد نقل عنه الواحدي كثيراً ، فأصبح مرجعاً لكثير من أقواله ، وكذا الحال لأقوال ابن الأنباري ، فقد نقل عنه كثيراً ، وترجَّح لي أنَّ أغلب تلك النقول من كتابين ، هما : المشكل في معاني القرآن ، ورسالة المشكل التي رد فيها على ابن قتيبة ، وهذان الكتابان مفقودان كذلك ، فيكون تفسير البسيط مرجعاً لهذه النصوص المنقولة منهما .

المآخذ على تفسير البسيط

ومع هذه المكانة التي رأيناها لتفسير الواحدي البسيط فإنه لا يخلو من بعض الملاحظات ، سنة الله في خلقه ، فالكمال المطلق لله سبحانه ، أمّا البشر فهم عرضة للخطأ والنسيان وكما قيل :

وَمَنْ ذَا الَّذِي تُرْضَى سَجَايَاهُ كُلُّهَا كَفَى الْمَرْءَ نُبْلاً أَنْ تُعَدَّ مَعَايِبُهُ

وقد تعرفت بعض الملاحظات في أثناء مصاحبتي لهذا الكتاب قراءة وتحقيقاً ، فإن أصبت فذلك بتوفيق الله ، وإن أخطأت فمن نفسي ، وحسبي أني مجتهد في طلب الحق .

وقد نَبَّهت إلى بعض تلك الملاحظات في أماكنها ، وسأجملها هاهنا مع ذكر ملحوظات لم ترد في ما سبق ، وهي :

أولاً : آراؤه في قضايا العقيدة التي سلك فيها نهج المتكلمين من الأشاعرة وخالف فيها طريقة السلف ، وقد سار على هذا النهج في مباحث العقيدة جميعها ، التي عالجها في مسائل التوحيد والإيمان والصفات^(١) وغيرها .

وهذا المأخذ قد سجّله عليه شيخ الإسلام ابن تيمية حين قال : « . . . والواحد صاحب^(٢) كان أبصر منه بالعربية ، ولكن أبعد عن السلامة واتباع السلف »^(٣) .

ثانياً : وجود بعض الإسرائيليات التي هي داء أكثر كتب التفسير ، وقع فيها الواحد متأثراً بشيخه الثعلبي ، على الرغم من قوله في مقدمة كتابه : « فأما الأقوال الفاسدة والتفسير المردول الذي لا يحتمله اللفظ ولا تساعده العبارة فمما لم أعبأ به ، ولم أضيع الوقت بذكره » . وروايته لها كانت سبباً في توجيه النقد له من بعض العلماء كما سبق^(٤) .

ثالثاً : الإطالة والاستطراد في بعض المباحث اللغوية والنحوية التي لا علاقة لها بالتفسير ، وهذا يحمل الكتاب مسائل تبعده عن موضوعه الأصلي وهو تفسير كتاب الله ، وتجلب الملل للقارئ ، وقد وجه بعض العلماء هذه الملاحظة إلى كتاب البسيط ، فالزركشي يعدّه مما غلب عليه الغريب ، حيث يقول : « . . . وقد أكثر الناس فيه - أي التفسير - من الموضوعات ، ما بين مختصر ومبسوط ، وكلهم

(١) انظر : مبحث عقيدته ، ومنهجه في تقرير مسائل العقيدة ص من هذه الدراسة .

(٢) أي الثعلبي لأن الكلام عليه .

(٣) مقدمة في التفسير ضمن مجموع الفتاوى ١٣ / ٣٥٤ .

(٤) في نسخة (ب) : (لا تحس) . انظر : مبحث أقوال العلماء فيه ، مبحث تفسير القرآن بالسنة من هذه الدراسة .

يقتصر على الفن الذي يغلب عليه ، فالزَّجَّاج والواحيدي في البسيط يغلب عليهما الغريب»^(١) .

والسيوطي يعدُّه مَن غلب عليه النحو ، فيقول : « . . . فالنحوي ليس له همٌّ إلا الإعراب وتكثير الأوجه المحتملة فيه ونقل قواعد النحو ومسائله وفروعه وخلافياته مثل الزَّجَّاج والواحيدي في البسيط»^(٢) .

وذكرُ هذا المأخذ مرَّ في أكثر من موضوع مع ذكر أمثلة له ، وهذا منهجه في عرض القراءات ، والجانب اللغوي ، والنحوي في تفسيره .

رابعاً : كثرة النقول من الجوانب الواضحة في كتاب البسيط ، ومنها نقول كثيرة لم يعزها ، سبق ذكر أمثلة لها عند الحديث عن مصادره . وقد يجاب عن ذلك بأن هذا نهج متبع عند العلماء الأوائل ، ولا ينكر بعضهم على بعض فيه . وفي نظري أن هذه المسألة بحاجة إلى دراسة أكثر قبل إصدار حكم فيها ، وبالنسبة إلى هذا الموضوع عند الواحيدي نلاحظ أمرين :

الأول : أن مصادره الرئيسة التي نقل عنها جميعها موثقة بالعزو ، فمثلاً الأزهري في مقدمة كتابه تهذيب اللغة ذكر مصادره وسنده إليها وطريقته بالعزو واصطلاحاته في ذلك . وهذا أبو علي الفارسي في كتابه الحجة والإغفال من خلال تتبُّعي له أجده يعزو كل الأقوال التي نقلها ، والواحيدي نقل عنها من دون عزو .

الأمر الثاني : نرى الواحيدي ينقل عن الأزهري ، أو عن أبي علي ، أو عن غيرهما ، فيعزو أحياناً ولا يعزو أخرى ، بل نجده في الموضع الواحد ينقل كلاماً عن الأزهري ، أو عن أبي علي ، أو عن غيرهما ، من دون عزو في أول النقل ، وفي

(١) البرهان ١/ ١٣ .

(٢) الإتيقان ٢/ ٢٤٣ .

أثنائه يعزو الكلام قائلاً : قال الأزهري أو قال أبو علي ، ثم يذكر بقية كلام من نقل عنه ، وهذا يوهم القارئ أنَّ أول الكلام ليس من قول من ذكر بعد ، وفي كتابه أمثلة كثيرة على هذا ، منها ما ذكر عند تفسير قوله تعالى : ﴿ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ [الفاتحة : ٧] ، نقل عن الحجة كلام ابن السراج ، ولم يعزله أول الكلام وعزا آخره ؛ فأوهم القارئ بأن ما سبق ليس لابن السراج ^(١) .

خامساً : وردت في كتاب البسيط ألفاظ لا تتناسب مع مكانة القرآن الكريم ، الذي شهد الله له بأنه أعلى درجات الفصاحة ، وتحدى المشركين بذلك ، ومن تلك الألفاظ التي قالها الواحدي أو نقلها عن غيره ، ما ذكره عند تفسير قوله تعالى : ﴿ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ ﴾ الآية [البقرة : ١٧] ، قال : « وكان يجب في حق النظم أن يكون اللفظ : فلما أضاعت ما حوله أطفأ الله ناره ؛ ليشاكل جواب (لما) معنى هذه القصة . ولكن لما كان إطفاء النار مثلاً لإذهاب نورهم أقيم ذهاب النور مقام الإطفاء ، وجعل جواب (لما) اختصاراً وإيجازاً ، وهذا طريق حسن في الآية » .

فأني نظم نضعه أصلاً ونقيس كلام الله عليه ، ونقرر أنه يجب أن يكون على كذا ؟ ثم قال : وهذا طريق حسن في الآية . وقد يلوح منه أن هناك ما هو أحسن منه . ربما يكون الواحدي ناقلاً عن صاحب نظم القرآن ، وعلى كلا الأمرين هذا الكلام لا يليق أن يقال وصفاً لكلام رب العالمين .

وعند تفسير قوله تعالى : ﴿ قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ [البقرة : ٦٧] قال : . . . وكان حقه أن يقول : فقال : أعوذ بالله ، لأنه عطف على ما قبله . قال الفرّاء : وهذا في القرآن كثير بغير (الفاء) ، وذلك أنه جواب يستغنى أوله عن آخره بالوقفه عليه ، فكان حسن السكوت يجوز به طرح الفاء .

(١) انظر : المقابلة بين النصين في البسيط والحجة عند قوله تعالى : ﴿ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ . . . ﴾ .

سادساً : يذكر الواحدي أسماء شيوخه أو من ينقل عنهم بغير الأسماء المشهورة لهم ، وربما ذكر الشيخ بأكثر من اسم ، وهذا ما يسميه علماء الحديث بتدليس الشيوخ ، وهو أقل أنواع التدليس ^(١) خطورة ، مثال ذلك : سعيد بن محمد الحيري ، ذكره مرة بهذا الاسم ، فقال : «سمعت أبا عثمان سعيد بن محمد الحيري . . . إلخ» ، ومرة قال : «قرأت على الأستاذ سعيد بن محمد المقرئ . . . ، وأبو علي الفارسي ذكره مرة ، فقال : وروى لنا كتب أبي علي الفسوي . . . ، ثم يقول في موضع آخر : « . . . واعتمدت في أكثرها على كتاب أبي علي الحسن بن أحمد الفارسي الذي رواه لنا سعيد بن محمد الحيري عنه » .

ويقول : «وقد أخبرنا أبو الحسين بن أبي عبد الله الفسوي -رضي الله عنه- أبنا أحمد بن محمد الفقيه» ^(٢) ، وأبو الحسين بن أبي عبد الله الفسوي هو شيخه عبد الغافر بن محمد بن عبد الغافر الفارسي ، فذكره بكنيته ، وذكر أباه بكنيته ونسبه إلى قريته (فسا) فأغمض اسمه . وأما أحمد بن محمد الفقيه فهو أحمد بن محمد الخطابي البستي ، ولم أجد من لقبه بالفقيه غيره .

هذا مع أن كتاب البسيط لا يكثر فيه الرواية ، وربما يكون هذا الأمر أوضح في كتبه التي أكثر فيها من ذكر الأسانيد ، مثل : أسباب النزول والوسيط ، ولا شك أن هذا كان سبباً في عدم معرفة بعض شيوخه ، إذ يذكرهم بأسماء لا يعرفون بها .

* * *

(١) انظر : تدريب الراوي ٢٢٨/١ .

(٢) البسيط ٢٧٦ .

المبحث الثامن

أثر الواحدي في مَنْ بعده من العلماء من خلال كتابه البسيط

إن مقدار الأثر الذي يكون للعالم أو لكتبه في مَنْ يأتي بعده من المؤلفين يدل على مدى الأصالة والقوة العلمية له ، وأنه أصبح إماماً في الفن الذي ترك فيه ذلك الأثر .

إن للواحدي أثراً لا ينكر في مدرسة التفسير ، ونجد اسمه يتردد في بعض كتب التفسير بعده .

وأكثر كتب الواحدي شهرة هو أسباب النزول ، هذا الكتاب طار ذكره في الآفاق ، وأفاد منه أكثر المفسرين بعد الواحدي ، ونجد أغلب المفسرين الذين ورد ذكر الواحدي في كتبهم إنما نقلوا عنه أسباب النزول ، وكان هذا الكتاب أسرع كتبه طباعة وأوسعها انتشاراً ، يليه في المنزلة كتبه الثلاثة في التفسير ؛ البسيط ، والوسيط ، والوجيز .

إن كتب الواحدي في التفسير لا تقل أهمية عن كتب التفسير المشهورة ، مثل الكشف للزمخشري ، تفسيري الرازي والقرطبي ، والبحر المحيط ، ومع ذلك تأخرت طباعتها سوى الوجيز الذي طبع قبل مدة .

وقد ترددت أسماء كتب الواحدي في التفسير في مؤلفات العلماء بعده ، خصوصاً كتاب البسيط ، فنرصد ذلك الأثر الذي تركه هذا الكتاب ، وإليك بياناً بأسماء عدد الأئمة الذين استفادوا من البسيط سواء في التفسير وعلوم القرآن أم في غيرهما من علوم الشريعة .

أ . في مجال التفسير

١ . الفخر الرازي^(١) وتفسيره مفاتيح الغيب :

إن أكثر المفسرين تأثراً واستفادة من كتاب البسيط للواحيدي هو الفخر الرازي في تفسيره مفاتيح الغيب ، فقد نقل عن الواحيدي كثيراً من أقواله مؤيداً ومعجباً بها ، وربما نقل عنه وناقشه ورد عليه قوله ، وكثيراً ما ينص على اسم البسيط ، وقد ينقل عنه ولا يسمي كتابه ، بل ربما نقل عنه من دون عزو .

وأذكر بعض الأمثلة التي توضح ذلك عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ ﴾ [البقرة: ٢٠٦] قال الرازي : « قال الواحيدي : قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ ﴾ معناه أن رسول الله دعاه إلى ترك هذه الأفعال فدعاه الكبر والأنفة إلى الظلم »^(٢) ، ثم يرد الرازي قول الواحيدي ويبين ضعفه كما يرى ، فيقول : « واعلم أن هذا التفسير ضعيف ؛ لأن قوله : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ ﴾ ليس فيه دلالة إلا على أنه متى قيل له هذا القول أخذته العزة ، فأما أن هذا القول قيل أو ما قيل ، فليس في الآية دلالة عليه ، فإن ثبت ذلك برواية وجب المصير إليه . . . »^(٣) .

وعند تفسير قوله تعالى : ﴿ اقْرَأْ الصَّلَاةَ لِلدُّلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ ﴾ [الإسراء: ٧٨] قال الرازي : « اختلف أهل اللغة والمفسرون في معنى : دلوك الشمس على قولين : أحدهما : أن دلوكها غروبها ، وهذا القول مروى عن جماعة من الصحابة ، فنقل الواحيدي في البسيط عن علي أنه

(١) هو أبو عبد الرحمن محمد بن عمر بن حسين الرازي ، المفسر الأصولي ، شافعي المذهب ، له تصانيف كثيرة ، مات سنة ٦٠٦ هـ . وانظر : ترجمته في النجوم الزاهرة ٦/ ١٩٧ ، وطبقات المفسرين للدوادري ٢/ ٢١٥ .

(٢) تفسير الرازي ٥/ ٢٠٢ ، انظر : كلام الواحيدي في البسيط ١/ ١٢٥ ل ، من النسخة الأزهرية .

(٣) الرازي ٥/ ٢٠٢ .

قال : دلوك الشمس : غروبها . . . والقول الثاني : أن دلوك الشمس هو زوالها عن كبد السماء ، وهو اختيار الأكثرين من الصحابة والتابعين ، واحتج القائلون بهذا القول على صحته بوجوه . الحجة الأولى : روى الواحدي في البسيط عن جابر أنه قال : طعم عندي رسول الله ﷺ وأصحابه ثم خرجوا حين زالت الشمس ، فقال النبي ﷺ : هذا حين دلكت الشمس»^(١) .

وقال الرازي في موضع آخر من تفسير الآية : «المسألة الثالثة : قال الواحدي اللام في قوله ﴿لِدُلُوكِ الشَّمْسِ﴾ لام الأجل والسبب»^(٢) . فانظر إلى تردد اسم الواحدي في تفسير الرازي ، إذ ذكر في تفسير آية واحدة ثلاث مرات .

قال د . علي محمد العماري في كتابه الإمام فخر الدين الرازي ، حياته وآثاره : «والرازي كثير النقل عن الواحدي بصورة واضحة ، وربما نص على بعض كتبه عند النقل عنه . . . والرازي قد يناقش ما ينقله هذا العالم الكبير عن رواية اللغة»^(٣) .

بل إن تأثر الرازي بالواحدى أبعد من ذلك ، فلا ينحصر في المواضع التي ذكر فيها اسم الواحدى ، بل نجد روح التفسير البسيط سارية في مواضع كثيرة من تفسير الرازي : فينقل عنه بتصرف ولا يذكر اسمه ، ولقد لمست هذا عند مصاحبتى لجزء من البسيط ومقارنته مع تفسير الرازي ، وأذكر مثلاً يدلُّ على هذا .

(١) تفسير الرازي ٢١/٢٥ . انظر : كلام الواحدى في البسيط ٣/ ١٦٨ ل من نسخة (جستربتي) .

(٢) الرازي ٢١/٢٦ .

(٣) الإمام فخر الدين الرازي للدكتور علي محمد حسن العماري ١٤١ .

قال الواحدي عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [البقرة: ٣٣]: «وقد يبقى في هذه الآية سؤال لم نجد أحداً ممن تكلم في تفسير القرآن ولا في معانيه تعرض له، وهو من أهم ما يسأل عنه، وذلك أن يقال: من أين علمت الملائكة لما أخبرها آدم -عليه السلام- بتلك الأسماء صحة قوله، ومطابقة الأسماء للمسميات، وهي لم تكن عالمة بذلك من قبل؟ إذ لو كانت عالمة لأخبرت بالأسماء، ولم تعترف بفقد العلم. والكلام يقتضي أنهم لما أنبأهم آدم بالأسماء علموا صحتها ومطابقتها للمسميات، ولولا ذلك لم يكن لقوله: ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ معنى».

ثم يجيب الواحدي عن هذا السؤال بما يطول ذكره هنا. ويأتي الرازي بعد ذلك ويذكر هذا السؤال مع تصرف في العبارة فيقول: «... وأيضاً فأمّا أن يقال: الملائكة علموا كون تلك الأسماء موضوعاً لتلك المسميات فحينئذٍ تحصل المعارضة ولا تظهر المزية والفضيلة، وإن لم يعلموا ذلك، فكيف عرفوا أن آدم -عليه السلام- أصاب في ما ذكر من كون كل واحد من تلك الألفاظ اسماً لكل واحد من تلك المسميات؟ واعلم أنه يمكن دفع هذا السؤال من وجهين...»^(١)، ويجيب عنه بنحو إجابة الواحدي، ولم أر من المفسرين في ما اطلعت عليه من تعرض له سوى الواحدي والرازي مما يرجح أن الرازي أخذ ذلك السؤال من الواحدي، والأمثلة على هذا كثيرة توضح مدى تأثير الرازي بكتاب البسيط للواحدي.

٢ . أبو حيان من خلال تفسيره البحر المحيط :

وقد استفاد أبو حيان^(١) في تفسيره البحر المحيط من البسيط للواحدى ، ولم يذكر البسيط باسمه ، ولكن الكلام الذي ذكره موجود فيه ، وإفادته منه تأتي بدرجة أقل بكثير من الرازي ، ويبدو أن الرازي كان واسطة بين أبي حيان وبين الوسيط ؛ إذ نجد أغلب النصوص التي نسبها للواحدى موجودة في تفسير الرازي وإلى عبارته أقرب ، بل ربما صرح باسم الرازي بوصفه طريقاً له إلى الواحدى .

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى : ﴿ بَلْ بَدَأَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا هُمْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ [الأنعام : ٢٨] ، قال أبو حيان في البحر : « . . . وقال الواحدى : هذه الآية من الأدلة الظاهرة على المعتزلة على فساد قولهم ، وذلك أنه - تعالى - أخبر عن قوم جرى عليهم قضاؤه في الأزل بالشرك ثم بين أنهم لو شاهدوا النار والعذاب ثم سألوا الرجعة وردوا إلى الدنيا لعادوا إلى الشرك ، وذلك للقضاء السابق فيهم ، وإلا فالعقل لا يرتاب في ما شاهد . . . »^(٢) نجد الرازي ذكر القول بنصه ، فقال : « قال الواحدى : هذه الآية من الأدلة الظاهرة على فساد قول المعتزلة . . . الخ »^(٣) ، أما الواحدى فيقول في البسيط : « وهذه الآية من الأدلة الظاهرة على تكذيب القدرية ، وذلك أن الله - تعالى - أخبر عن قول جرى عليهم قضاؤه في الأزل بالشرك . . . »^(٤) ، فيظهر من هذا أن أبا حيان نقل كلام الواحدى عن الرازي ، إذ تابعه في ذكر المعتزلة بدل القدرية ، والمعنى واحد .

(١) هو الإمام أبو حيان النحوي محمد بن يوسف الغرناطي الأندلسي ، أثير الدين ، من كبار العلماء بالعربية والتفسير ، توفي سنة ٧٤٥ هـ .

انظر : نكت الهميان ٢٨ ، وغاية النهاية ٢ / ٢٨٥ .

(٢) البحر المحيط ٤ / ١٠٤ .

(٣) الرازي ١٢ / ١٩٤ .

(٤) البسيط ٢ / ٩٥ ، من نسخة (جسترتي) .

ومثال آخر عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ فَزَلَّلْنَاهُمْ﴾ الآية [يونس: ٢٨]، قال أبو حيان: «... وقال الواحدي: التزيل والتزيل والمزايلة: التمييز والتفريق...»^(١)، وكلام الواحدي ذكره الرازي^(٢) قبل أبي حيان، ويظهر أنه أخذه عنه لتشابه عبارتيهما. ولأبي حيان كتاب في النحو هو ارتشاف الضرب في لسان العرب، اعتمد فيه كثيراً على البسيط للواحدي^(٣).

٣. السمين الحلبي^(٤) في تفسيره الدر المصون في علوم الكتاب المكنون:

استفاد السمين في تفسيره من الواحدي، وتكرر ذكر اسمه ولم يصرح بكتابه الذي أخذ عنه، لكن نجد جميع الأقوال التي نقلها عنه موجودة في البسيط، مما يدل على أنه أخذها عنه.

من أمثلة ذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنْتُمْ ءَامَنُوا وَأَتَقُوا لِمَثُوبَةٍ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠٣]، ذكر السمين الأقوال في وزن لمثوبة ومنه قوله: «... وقد جاءت مصادر على مفعول، كالمعقول فهي مصدر، نقل ذلك الواحدي»^(٥).

وفي سورة المائدة في تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [المائدة: ٥٩]، عالج السمين

(١) البحر المحيط ١٥٢/٥.

(٢) الرازي ٨٣/١٧. انظر: البسيط ٦٧/٣، من نسخة (جستريتي).

(٣) انظر: كشف الظنون ٦١/١، وأبو حيان النحوي للدكتور خديجة الحديشي ١٣٥.

(٤) شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يوسف، المعروف بالسمين الحلبي، نشأ في حلب ورحل إلى مصر، وبها توفي سنة ست وخمسين وسبع مائة، انظر: طبقات المفسرين للدواودي ١٠١/١، وحسن المحاضرة ٥٣٦/١، وبغية الوعاة ٤٠٢/١.

(٥) الدر المصون ٥٠/٢، وانظر: كلام الواحدي في البسيط ٧٧/١ الأزهرية.

موقع جملة ﴿وَأَنْ أَكْثَرُكُمْ فَسِقُونَ﴾ ، وذكر أوجه الإعراب المحتملة فيها . . . ومما قاله : «ونقل الواحدي عن بعضهم أن ذلك من باب المقابلة والازدواج ، يعني أنه لما نقم اليهود عليهم الإيمان بالرسول جميعهم وهو مما لا ينقم ، ذكر في مقابلته فسقهم وهو مما ينقم . . . » ، وذكر أقوالاً كثيرة ، ثم قال : «وهذا هو مجموع ما أجاب به الزمخشري والواحدي»^(١) ، وفي موضع آخر قال : « . . . ويدل على ذلك ما نقله الواحدي عن صاحب النظم»^(٢) .

وفي تفسير قوله تعالى : ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ مَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ الآية [المائدة: ٦٧] ، قال السمين : « . وقال الواحدي : أي : إن يترك إبلاغ البعض كان كمن لم يبلغ ، لأن تركه البعض محبط لإبلاغ ما بلغ ، وجرمه في كتمان البعض كجرمه في كتمان الكل في أنه يستحق العقوبة من ربه ، وحاشا الرسول ﷺ أن يكتم شيئاً مما أوحى إليه . . . »^(٣) .

وفي سورة الأعراف في تفسير قوله تعالى : ﴿وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيِّنًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾ [الأعراف: ٤] ، ذكر السمين الأقوال في ﴿بَيِّنًا﴾ ومنه قوله : «وقال الواحدي قوله : بَيِّنًا ؛ أي ليلاً . وظاهر هذه العبارة أن يكون ظرفاً لولا أن يقال : أراد تفسير المعنى»^(٤) .

(١) الدر المصون ٤ / ٣٢٠ ، وانظر : البسيط ٢ / ٦٣ نسخة (جستريتي) .

(٢) الدر المصون ٤ / ٣٢١ ، وانظر : البسيط ٢ / ٦٣ نسخة (جستريتي) .

(٣) الدار المصون ٤ / ٣٥٢ ، وانظر : البسيط ٢ / ٦٦ نسخة (جستريتي) .

(٤) الدار المصون ٥ / ٢٥٠ ، وانظر : البسيط ٢ / ١٣٩ نسخة (جستريتي) .

٤ . المفسر سليمان بن عمر العجيلي الشهير بالجمال^(١) في تفسيره الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية :

لقد كان كتاب الدر المصون للسمين الحلبي مصدراً رئيساً للجمال في تفسيره ، نقل عنه كثيراً ، وصدر عنه ، وقد وردت عنده المصادر التي أخذ منها السمين ، ومنها تفسير الواحدي ، فنراه يتكرر في الفتوحات الإلهية في المواضع التي ورد فيها في الدر المصون للسمين . وأذكر بعض الأمثلة التي توضح ذلك ، منها قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾ [البقرة: ١٠٣] ، قال الجمال وهو يفسر المَثُوبَةُ ، « . . . وقد جاءت مصادر على مفعول كالمعقول فهي مصدر ، نقل ذلك الواحدي »^(٢) ، راجع كلام السمين السابق تجده بنصه .

وعند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَكَمْ مِّنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيِّنًا ﴾ الآية [الأعراف: ٤] ، قال الجمال : « وقال الواحدي : قوله : بيئاتاً ؛ أي : ليلاً ، وظاهر هذه العبارة أن يكون ظرفاً لولا أن يقال أراد تفسير المعنى . اهـ . سمين . . . »^(٣) ، فنجد الجمال يصرح بنقله قول الواحدي من طريق السمين الحلبي .

٥ . الألوسي^(٤) في تفسير روح المعاني :

وأفاد الألوسي في تفسيره روح المعاني من كتاب البسيط للواحدي ، وقد اكتفى بذكر الواحدي من دون ذكر الكتاب الذي أخذ منه ، وبمقارنة النصوص وجدت أكثرها في البسيط .

(١) هو سليمان بن عمر العجيلي المصري ، الأزهري ، الشافعي ، فقيه مفسر ولد وتوفي في مصر سنة ١٢٠٤ هـ ، انظر : هدية العارفين ١/ ٤٠٦ ، ومعجم المؤلفين ٤/ ٢٧١ ، والأعلام ٣/ ١٣١ .

(٢) الفتوحات الإلهية ١/ ٨٩ ، ٩٠ .

(٣) الفتوحات الإلهية ٢/ ١٢١ .

(٤) هو شهاب الدين محمود بن عبدالله الألوسي ، مفسر محدث ، أديب ، ولد وتوفي في بغداد . توفي سنة ١٢٧٠ هـ ، انظر : الأعلام ٧/ ١٧٦ .

من أمثلة ذلك عند تفسير قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَيَأْتِخِرَهُمْ يُوقُونَ﴾ [البقرة: ٤] «قال الألوسي في تفسير اليقين : «... وذهب الواحدي وجماعة إلى أنه ما يكون عن نظر واستدلال ، فلا يوصف به البديهي ، ولا علم الله تعالى»^(١) .

يقول الواحدي في البسيط : «واليقين هو العلم الذي يحصل بعد الاستدلال والنظر لغموض المنظور فيه أو إشكاله على الناظر... ولذلك لم يجوز أن يوصف القديم - سبحانه - به ، ولأن علمه لم يحصل عن نظر واستدلال»^(٢) .

عند تفسير قوله تعالى : ﴿وَأَتَقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾ [البقرة: ٤٨] ، قال الألوسي : «... وذكر الواحدي أن (عدل) الشيء بالفتح والكسر مثله ، وأنشد قول كعب بن مالك :

صَبَرْنَا لَا نَرَى لِلَّهِ عَدْلًا عَلَى مَا نَابَنَا مُتَوَكِّلِينَ»^(٣)

قال الواحدي في البسيط : «عدل الشيء وعدله : مثله ، قال الله تعالى : ﴿أَوْ عَدَلْ ذَلِكَ صِيَامًا﴾ [المائدة: ٩٥] أي ما يمثله من الصيام ، وقال كعب بن مالك :

صَبَرْنَا لَا نَرَى لِلَّهِ عَدْلًا عَلَى مَا نَابَنَا مُتَوَكِّلِينَ»^(٤)

وعند تفسير قوله تعالى : ﴿فَإِنْ عُرِضَ عَنْهُمَا اسْتَخَفَّ إِنَّمَا فَتَاخِرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأُولَئِينَ﴾ الآية [المائدة: ١٠٧] ، قال الألوسي : «وقال

(١) روح المعاني ١/ ١٢٢ .

(٢) انظر : البسيط عند قوله تعالى : ﴿وَيَأْتِخِرَهُمْ يُوقُونَ﴾ [البقرة: ٤] .

(٣) روح المعاني ١/ ٢٥١ .

(٤) انظر : البسيط عند تفسير قوله تعالى : ﴿وَأَتَقُوا يَوْمًا...﴾ [البقرة: ٤٣] .

الواحدى : روى عن عمر -رضي الله عنه- أنه قال : هذه الآية ما في السورة من الأحكام»^(١) ، والرواية عن عمر عند الواحدى في البسيط^(٢) .

وبهذه الأمثلة نرى الألوسى قد أخذ في تفسيره عن الواحدى في مجال اللغة والعقيدة والأثر .

هؤلاء من أشهر المفسرين الذين أفادوا من الواحدى وتأثروا بكتابه البسيط ، وبهذا نرى المدى الذي تركه كتاب البسيط في المفسرين بعده .

ب . في علوم القرآن

لم يقتصر أثر الواحدى في المفسرين بعده فقط ، بل نجد كتاب البسيط مصدراً مهماً للمؤلفين في علوم القرآن الكريم ومنهم :

١ . بدر الدين الزركشى^(٣) في كتابه البرهان في علوم القرآن :

أفاد الزركشى في كتابه من الواحدى كثيراً ، ونص على كتاب البسيط في مواضع ، وربما نقل عنه ولم يذكر البسيط ، وهذه النقول بالتبع نجدها في البسيط . من أمثلة ذلك في النوع السابع : في أسرار الفواتح والصور ، قال الزركشى : « . . . وقال الواحدى في البسيط في أول سورة يوسف : لا يعد شيء منها آية إلا

(١) روح المعاني ٥٣/٧ .

(٢) انظر : البسيط ٨٤ ل ٢/٨٤ ، نسخة (جستربتي) .

(٣) هو الإمام بدر الدين محمد بن عبدالله بن بهادر الزركشى ، من أعلام الفقه والحديث والتفسير وأصول الدين ، توفي بمصر سنة أربع وتسعين وسبعائة . انظر : حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة للسيوطي ٤٣٧/١ .

في (طه)، وسرُّه أن جميعها لا يشاكل ما بعده من رؤوس الآي، فلهذا لم يعد آية بخلاف طه فإنها تشاكل ما بعدها^(١). ذكر قول الواحدي بمعناه^(٢).

وفي شأن بيان معنى الآية يقول الزركشي: «قال الواحدي: وبعض أصحابنا يجوز على هذا القول تسمية أقل من الآية آية، لولا أن التوقيف ورد بها هي عليه الآن»^(٣)، وقول الواحدي في معنى الآية بنصه في البسيط^(٤).

وفي النوع السابع والأربعين الكلام على المفردات من الأدوات قال الزركشي: في أثناء كلامه على لكن: «وقال صاحب البسيط: إذا وقع بعدها جملة فهي للعطف، أو حرف ابتداء، قولان، كقوله تعالى: ﴿لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ﴾ [النساء: ١٦٦]. قال: وتظهر فائدة الخلاف في جواز الوقف على ما قبلها، فعلى العطف لا يجوز وعلى كونها حرف ابتداء يجوز.

قال: وإذا دخل عليها الواو انتقل العطف إليها، وتجردت للاستدراك»^(٥).

وهكذا نجد اسم الواحدي يتردد كثيراً في البرهان^(٦)، وهذا يدل على مدى إفادته من كتاب البسيط.

(١) البرهان في علوم القرآن ١/ ١٧١.

(٢) انظر: البسيط ٣/ ٥٦٧، نسخة (جستريتي).

(٣) البرهان في علوم القرآن ١/ ٢٦٧.

(٤) البسيط ٧٩٦.

(٥) البرهان في علوم القرآن ٤/ ٣٩٠.

(٦) انظر: البرهان ١/ ٢٩١، ٢/ ١٤، ٣٩، ١٤٧، ٢٧٨، ٢٨٨، ٤٠٩، ٤٣٥، ١٦١/ ٣، ١٨٧،

٢٧٩، ٣٧٠، ٤٧٤، ٣٣٨/ ٤.

٢ . جلال الدين السيوطي^(١) في كتابه الإتيقان في علوم القرآن :

أفاد السيوطي في كتابه الإتيقان من البسيط للواحدى ، ونقل عنه في مواضع متعددة . قد يذكر الواحدى باسمه ، فيقول : قال الواحدى ، أو يقول : قال صاحب البسيط . وربما يكون في أكثر المواضع ناقلاً عن الزركشى .

ومن أمثلة ذلك عند الكلام على معنى الآية ، قال : «قال الواحدى وبعض أصحابنا قال : يجوز على هذا القول تسمية أقل من الآية آية ، لولا أن التوقيف ورد بها هي عليه الآن»^(٢) .

مثال آخر في (النوع الأربعين) في معرفة الأدوات قال السيوطي : لكنَّ مشددة النون : حرف ينصب الاسم ويرفع الخبر ومعناه الاستدراك ، وفسر بأن تنسب لما بعدها حكماً مخالفاً لحكم ما قبله ، ولذلك لا بد أن يتقدمها كلام مخالف لما بعدها أو مناقض له نحو : ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا﴾ [البقرة: ١٠٢] ، وقد ترد للتوكيد مجرداً عن الاستدراك ، قاله صاحب البسيط^(٣) .

ج . في كتب الفقه

لم يقتصر أثر الواحدى في من بعده من المفسرين والمؤلفين في علوم القرآن من خلال كتابه البسيط ، بل نجد بعض فقهاء الشافعية ينقلون من البسيط ، ويعُدُّونه مصدراً لهم ، فهذا الإمام النووي^(٤) رحمه الله ، في كتابه المجموع شرح المذهب - وهو من أكبر كتب الفقه الشافعي - ينقل كلام الواحدى وينصُّ على البسيط .

(١) هو الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن كمال السيوطي ، أبو بكر ، صاحب التصانيف المشهورة ، ولادته ووفاته في مصر سنة (٨٤٩-٩١١هـ) . انظر : حسن المحاضرة ١/ ٣٣٥ .

(٢) الإتيقان ١/ ٨٨ .

(٣) الإتيقان ١/ ٢٢٤ ، والبسيط ١/ ٧٥ ، من النسخة الأزهرية

(٤) هو الإمام يحيى بن شرف النووي الشافعي ، أبو زكريا ، محيي الدين ، علامة بالفقه والحديث . ولادته ووفاته ٦٣١-٦٧٦هـ ، انظر : طبقات الشافعية للسبكي ٥/ ١٦٥ ، والنجوم الزاهرة ٧/ ٢٧٨ .

يقول في مقدمة الكتاب وهو يشرح لفظ الذكر : قال الإمام أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي المفسر الأديب الشافعي : أصل الذكر في اللغة التنبه على الشيء ، وإذا ذكرته فقد تنبهت عليه ، ومن ذكرك شيئاً فقد نبّهك عليه ، وليس من لازمه أن يكون بعد نسيان . قال : ومعنى الذكر حضور المعنى في النفس ، ويكون تارة بالقلب ، وتارة باللسان ، وتارة بهما ، وهو أفضل الذكر ، يليه ذكر القلب ، والله أعلم^(١) .

ذكر الواحدي هذا في البسيط عند تفسير قوله تعالى : ﴿ فَادْكُرُوا فِي آذَانِكُمْ وَأَشْكُرُوا إِلَىٰ وَلَا تَكْفُرُونَ ﴾ [البقرة: ١٥٢] ، قال : «أصل الذكر في اللغة التنبه على الشيء ومن ذكرك شيئاً فقد نبّهك عليه . . . إلخ»^(٢) .

وفي موضع آخر ذكر النووي حكم التأمين بعد الفاتحة وقال : «قال أصحابنا : ويسن التأمين لكل من فرغ من الفاتحة ، سواء كان في الصلاة أو خارجها ، قال الواحدي : لكنه في الصلاة أشد استحباباً»^(٣) .

وفي موضع آخر قال : ذكر أصحابنا أو جماعة منهم : أن لا يصل لفظة آمين بقوله : ﴿ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ بل بسكتة لطيفة جداً .

وممن نص على استحباب هذه السكتة القاضي حسين في تعليقه ، وأبو الحسن الواحدي في البسيط^(٤) . وقد قرر هذه الأحكام الواحدي في البسيط في آخر تفسير الفاتحة .

(١) المجموع شرح المذهب ١ / ٧٤ .

(٢) البسيط ١ / ٩٧ ، من النسخة الأزهرية .

(٣) المجموع شرح المذهب ٣ / ٣٧١ .

(٤) المجموع شرح المذهب ٣ / ٣٧٣ .

بهذا ندرك تلك المكانة العالية التي تبوأها الواحدي ومؤلفاته خصوصاً كتاب البسيط ، حتى أصبح مرجعاً لبعض علماء التفسير وعلوم القرآن ، ينقلون أقواله في مجال التفسير ، أو اللغة ، أو علوم القرآن ، أو الأحكام .

الطحطاوي^(١) في حاشية المراقي ٢ / ٢٥٦ :

بعد ما حكى الأقوال في أمين ، قال : وحكى الواحدي عن حمزة والكسائي الإمامة فيها ، ولو مدَّ مع التشديد كان مخطئاً في المذاهب الأربعة ، وهو من لحن العوام . ولا تفسد به الصلاة عند الثاني لوجوده في القرآن وعليه الفتوى . . . إلخ .

وذكر صاحب مغني المحتاج ١ / ١٥٥ : قول الواحدي في أمين مع المد لغة ثالثة وهي الإمامة ، وحكى التشديد مع القصر ، أي قاصدين إليك ، وأنت أكرم ألاّ تجيب من قصدك .

نقل الشوكاني^(٢) في نيل الأوطار ١ / ٣٩٣ :

اختلاف العلماء في تحديد الصلاة الوسطى ، قال : القول الثاني أنها الظهر ، نقله الواحدي عن زيد بن ثابت وأبي سعيد الخدري وأسامة بن زيد وعائشة .

قال الصنعاني^(٣) في سبل السلام ١ / ١٩٣ :

(١) هو أحمد بن محمد بن إساعيل الطحطاوي ، الفقيه الحنفي ، توفي ١٢٣١ هـ ، من تصانيفه الخواشي على الدر ، وشرح مراقي الفلاح .

انظر : ترجمته في أعيان القرن الثالث عشر ٧٣ ، ٧٤ ، ومعجم الأدياء ١ / ٢٠ ، والأعلام ١ / ٢٤٥ .

(٢) محمد بن علي بن محمد الشوكاني ثم الصنعاني ، الإمام المحدث ، الفقيه ، الأصولي ، المفسر ، المؤرخ ولد سنة ١١٧٣ هـ ، وولي القضاء ، توفي سنة ١٢٥٠ هـ ، من مصنفاته إرشاد الفحول ، وفتح القدير ، والسييل الجرار ، والبدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع .

(٣) هو محمد بن إساعيل بن صلاح الكحلاني ثم الصنعاني ، يعرف بالأمير ، محدث ، فقيه ، أصولي ، =

قال الواحدي : إن كان الانتصار لأجل الدين فهو محمود ، وإن كان لأجل النفس فهو مباح لا يحمد عليه .

د . من شرح الحديث

١ . ابن حجر^(١) في فتح الباري :

نقل العلامة ابن حجر عن الواحدي في مواضع من فتح الباري أحياناً بالنص على أنه من تفسيره ، وأحياناً من غير نص .

أ . قال الحافظ بن حجر في الفتح : قوله «لو كنت متخذاً خليلاً» زاد في حديث أبي سعيد : غير ربي ، وفي حديث ابن مسعود عند مسلم : وقد اتخذ الله صاحبكم خليلاً ، وقد تواردت هذه الأحاديث على نفي الخلّة من النبي ﷺ لأحد من الناس ، وأما ما روي عن أبي بن كعب قال : إن أحدث عهدي بنبيكم قبل موته بخمس ، دخلت عليه وهو يقول : «إنه لم يكن نبي إلا وقد اتخذ من أمته خليلاً ، وإن خليلي أبو بكر ، ألا وإن الله اتخذني خليلاً» أخرجه أبو الحسن الحري في فوائده^(٢) ، وهذا يعارضه ما في رواية جندب عند مسلم كما قدمته أنه سمع النبي ﷺ قبل أن يموت بخمس : «إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل» . فإن ثبت حديث أبي أمكن أن يجمع بينهما ، بأنه لما برئ من ذلك تواضعاً لربه وإعظماً له ، أذن الله - تعالى - له فيه من ذلك اليوم لما رأى من تشوفه إليه ، وإكراماً لأبي بكر بذلك ، فلا يتنافى الخبران . أشار إلى ذلك

= مجتهد من أئمة اليمن ، ولد سنة ١٠٥٩ هـ بكحلان ، ثم انتقل إلى صنعاء ، وأخذ عن علمائها ، ثم رحل إلى مكة وأخذ عن علمائها ثم المدينة ، وبرع في العلوم حتى بلغ مرتبة الاجتهاد ، توفي سنة ١١٨٢ هـ . من مصنفاته سبل السلام ، وتطهير الاعتقاد ، وإرشاد النقاد إلى تيسير الاجتهاد .

انظر : البدر الطالع ٢/ ١٣٣-١٣٩ ، وفهرس الفهارس ١/ ٢٨٧ .

(١) هو أحمد بن علي العسقلاني ، الإمام الحافظ المحدث ، له مصنفات عظيمة من أشهرها فتح الباري ، توفي سنة ٨٥٢ هـ . انظر : شذرات الذهب ٧/ ٢٧ ، والنجوم الزاهرة ١٥/ ٩٠٢ .

(٢) انظر : صحيح مسلم ٤/ ١٨٥٥ ، كتاب فضائل الصحابة .

المحب الطبري ، وقد روي من حديث أبي أمامة نحو حديث أبي بن كعب من دون التقيد بالخمس ، أخرجه الواحدي في تفسيره ، والخبران واهيان والله أعلم^(١) .

٢ . العيني^(٢) في عمدة القاري : ٦٦ / ١ - ٦٧ .

نقل في تفسير قوله تعالى : ﴿ سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴾ [الأعلى : ١] عن الواحدي أنه قال : « أخبرنا محمد بن الحسن الحافظ ، قال حدثنا محمد بن يحيى ، قال : حدثنا محمد بن صالح ، قال : حدثنا أبو صالح ، قال : حدثني الليث ، قال : حدثني عقيل عن ابن شهاب ، قال : أخبرني محمد بن عباد بن جعفر المخزومي أنه سمع بعض العلماء يقول : كان أول ما أنزل الله - عز وجل - على رسوله ﷺ ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ إلى قوله : ﴿ مَا تَعْلَمَ ﴾ [العلق : ١ : ٥] قال هذا صدر ما أنزل على رسول الله ﷺ يوم حراء ثم أنزل آخرها » .

٣ . السيوطي^(٣) في تنوير الحوالك : ٥٩ / ١ .

قال : وأورد الواحدي في أسباب النزول هذا الحديث عند ذكر آية النساء .

٤ . المناوي^(٤) في فيض القدير : ٩٠ / ٢ .

عندما شرح استقبال القبلة ، ونقل رأي النووي ، قال : قال الواحدي : القبلة الوجهة ، وهي الفعل من المقابلة وأصل القبلة لغة : الحالة التي يقابل الشخص

(١) الفتح ٢٣ / ٧ ، وانظر : أيضاً الفتح ٣ / ٤٠٩ ، ٥ / ٣٥ ، ٨ / ١٩٧ .

(٢) هو العلامة بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى العيني ، قاضي القضاة ، ولد في رمضان سنة ٧٦٢ هـ . وتفقه بها ، ثم قدم حلب ، وأخذ بها عن الجمال يوسف الملطي ، ثم قدم القاهرة فأخذ عن مشايخها وبرع في الفنون ، وولي حاسبة القاهرة ، ونظر الأحباس ، وقضاء الحنفية ، وله عدة مصنفات منها شرح البخاري ، ومعاني الأخبار في أسامي رجال شرح معاني الآثار للطحاوي ، وشرح الشواهد الكبرى ، ومختصره . توفي في ذي الحجة ٨٥٥ هـ .

انظر : نظم العقيان في أعيان الأعيان للسيوطي ١ / ٦٠ ، وإكمال الكمال ٦ / ٣٧١ .

(٣) سبقت ترجمته .

(٤) هو محمد بن عبدالرؤوف بن تاج العارفين بن علي المناوي ، القاهري ، من كبار العلماء بالدين

غيره عليها ، لكنها الآن صارت كالعلم للجهة التي تستقبل في الصلاة ، وقال الهروي : سميت قبة لأن المصلي يقابلها وتقابله .

* * *

المبحث التاسع

النسخ المخطوطة الموجودة للبسيط

التي تمَّ تعرُّفها

يوجد للبسيط عدد من النُّسخ المخطوطة في مكتبات العالم ، إلَّا أنَّ انتشار نسخ البسيط لم تصل إلى كثرة انتشار الوسيط ، والوجيز ، ولعل ذلك يرجع إلى طول الكتاب ، وصعوبة مادته ، ومن ثم صعوبة نسخه وتداوله ، وهذه الإشارة إلى النُّسخ التي تُعرَّف إليها ، وهي :

١ . نسخة محفوظة بالمكتبة الأزهرية بالقاهرة (رواق المغاربة) رقم ٣٠٣ (تفسير) .

الموجود منها : الجزء الأول والثالث والرابع والخامس ، والثاني مفقود . كتبت هذه النسخة سنة ٦٣٦ هـ ، خطها جيد ، مسطراتها : (٢٩) سطراً تقريباً ، وقفت هذه النسخة على طلبة العلم المجاورين برواق المغاربة ، ونص الوصية بذلك مثبت على وجه كل جزء ، ونصه : «وقف وحبس ، وتصدق لوجه الله

والفنون . انزوى للبحث والتصنيف ، وكان قليل الطعام كثير السهر ، فمرض وضعفت أطرافه ، فجعل ولده تاج الدين محمد يستملي من تأليفه ، ولد سنة ٩٥٢ هـ ، وتوفي ١٠٣١ هـ ، من تصانيفه فيض القدير .

انظر : الأعلام ٦ / ٢٠٤ ، ومعجم المؤلفين ٣ / ٤١٠ .

-تعالى- بجميع هذا الجزء من تفسير الإمام الواحدي ، المكرم الأمير عبدالرحمن كتحدا على طلبة العلم المجاورين برواق المغاربة ، تقبل الله صنيعه وشكر مسعاه ﴿فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ، تحريراً في الرابع والعشرين من رجب الفرد في شهر سنة ١١٧٦ هـ ، الفقير إلى الله أبو الحسن بن عمر خادم العلم بالأزهر» . وعلى هوامشها تعليقات من الكاتب ، يصدر كل تعليق بقوله : ش ك أي شرح من الكتاب ، وبالتتبع وجدت هذه التعليقات منقولة بنصها من الكشف ، وقد أثبت أمثلة منها في هوامش الجزء المحقق .

الجزء الأول : أول الكتاب إلى منتصف سورة النساء ، ويقع في (٢٤٨) لوحة ، في بعض أوراقه تأكل . لهذا الجزء صورة (ميكرو فيلم) في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية رقم ٤٠٤٨ ، أولها غير واضح ، والمقروء يبدأ من لوحة ١٩ .

الجزء الثاني : مفقود .

الجزء الثالث : يبدأ من أول سورة يونس إلى آخر سورة الأنبياء ، يقع في (٢٥٤) لوحة ، به خرم في أثناء سورة يونس ، بأوراقه تأكل من السوس ، وبعض ترقيع أضاع قليلاً من الكلمات ، له نسخة (ميكرو فيلم) في جامعة الإمام تحت رقم ٨٠٤٩ .

الجزء الرابع : يبدأ من أول سورة الحج إلى آخر سورة الشورى ، عدد أوراقه (٢٥٢) لوحة ، بينما كتب على ظاهره ٢٤٥ ورقة ، سليم من التلف والسوس ، سوى ما أصاب كعب التجليد ، له صورة (ميكرو فيلم) في جامعة الإمام رقم ٨٠٥٠ .

الجزء الخامس : من أول سورة الزخرف إلى آخر القرآن الكريم ، يقع في (٢٠٩) لوحة ، في آخره : «والله أعلم بالصواب هذا آخر الكتاب . ثم قال الشيخ

المفسر - رحمه الله - في نسخته الأصل : وقد يسر الله تعالى - وله الحمد لحسن توفيقه - تحرير هذا الكتاب الذي لم يسبق إلى مثله في هذا الباب . . . والحمد لله فوق حمد العارفين ، وفوق شكر الواصفين ، وصلواته وتحياته على المبعوث بالبيان الساطع والبرهان اللامع والقرآن الكريم والكتاب الحكيم ، محمد النبي وعلى أصحابه أجمعين آمين ، يا رب العالمين ، وذلك لعشر بقين من ربيع الأول سنة ست وأربعين وأربعمائة ، والحمد لله . ونظراً إلى كون هذه النسخة من أتم النسخ وأوثقها وأوضحها وأقدمها تاريخاً اعتمدت عليها وجعلتها أصلاً ، ورمزت لها بالرمز (أ) .

٢ . نسخة محفوظة بدار الكتب المصرية برقم ^(١) (٥٣) تفسير :

موجود منها ستة أجزاء ، تحتوي على أكثر القرآن ، جميعها بخط عادي ، كتبها محمد الشيمي سنة ١٢٧٠ هـ .

الجزء الأول : من أول الكتاب إلى آخر سورة البقرة ، يقع في (٣٠٤) لوحات .

الجزء الثاني : من أول سورة آل عمران إلى قوله تعالى : ﴿ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ ﴾ [النحل : ٤١] ، يقع في (١٣٣) لوحة .

الجزء الثالث : مفقود .

الجزء الرابع : من سورة يونس إلى آخر سورة النحل ، يقع في (٢٨٠) لوحة .

الجزء الخامس : من سورة الإسراء وينتهي إلى آخر سورة الأنبياء ، يقع في (٢٤٣) لوحة .

(١) انظر : فهرس الكبخانة الخديوية ١/ ١٣٣ ، ١٣٤ ، وفهرس الكتب العربية الموجودة في دار الكتب إلى سنة ١٩٢١ هـ - ٣٥/١ .

الجزء السادس : من أول سورة الحج إلى آخر سورة السجدة ، ويقع في (٢٣٩) لوحة .

الجزء السابع : من أول الأحزاب إلى آخر سورة الشورى ، ويقع في (١٥٩) لوحة . وبهذا الجزء ينتهي الموجود من هذه النسخة ، ويوجد لها نسخة مصورة في معهد إحياء المخطوطات العربية في القاهرة تحت رقم ٥٦-٦١^(١) . وقد اعتمدنا على هذه النسخة ، ورمزنا لها بالرمز (ج) .

٣ . الجزء الأول من نسخة محفوظة في الأوقاف بالأستانة رقم ١٥٧١ :
له صورة في معهد إحياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ٦٢^(٢) . يقع هذا الجزء في (٢٤٨) لوحة ، مسطرته (١٩) سطرًا تقريباً ، خطه جيد واضح ، يقدر أنها كتبت في القرن الثامن . يبدأ من أول الكتاب إلى قوله تعالى : ﴿ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا ﴾ الآية [البقرة: ١١٧] ، اعتمدنا على هذه النسخة ورمزنا لها بالحرف (ب)^(٣) .

(١) انظر : فهرس المخطوطات المصورة بالمعهد ١/ ٢٤ ، ٢٥ .

(٢) انظر : فهرس المخطوطات المصورة بالمعهد ١/ ٢٥ .

(٣) في الخزانة التيمورية بدار الكتب المصرية يوجد نسخة كتب عليها : الجزء الأول من البسيط ، كتب سنة ٥٦٥ رقم (١٢٨٢) ، وتحت هذا العنوان مصورة في معهد المخطوطات برقم (٦٣) ، انظر : فهرس التيمورية ١٣/ ١ ، فهرس معهد المخطوطات بالقاهرة ١/ ٢٥ ، تصفحت هذه النسخة فتيين لي أنها ليست من البسيط وإنما هي الجزء الأول من تفسير الثعلبي ، اطلع على هذه النسخة صاحب كتاب الواحدي ومنهجه في التفسير ، وقال : « اطلعت عليها فوجدت فيها اضطراباً في النسخ . . إلخ » . ٨٧ .

٤ . جزء من نسخة مخروم الأول :

وأول ما فيه من سورة مريم ، قوله تعالى : ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا﴾ [مريم : ٣] ، وينتهي إلى آخر سورة الحج مكتوب بقلم عادي ، يقع في (٢٦٢) ورقة محفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٢١^(١) .

٥ . الجزء الأول والثاني من نسخة محفوظة بالجامع الكبير بصنعاء .

الجزء الأول : يقع في (٤١٣) ورقة ، مسطرته (٢٤-١٦) تقريباً ، خطه قديم ، مبتور أوله ، سقط منه مقدمة الكتاب وسورة الفاتحة وأول سورة البقرة . الموجود من وسط سورة البقرة إلى أثناء سورة النساء . محفوظ تحت رقم (٥١) .

الجزء الثاني : يقع في (٤٤٨) ورقة ، يبدأ من أول سورة براءة إلى سورة الرعد ، خطه قديم ، محفوظ تحت رقم (٥٤)^(٢) .

٦ . الجزء الثاني والثالث من نسخة محفوظة في مكتبة «جستربتي» :

كتب عليهما : هذا كتاب معاني التفسير المسمى البسيط ، خطهما جيد مشكول بعض كلماته .

الجزء الثاني : يقع في (٢٤٣) ورقة ، يبدأ من سورة النساء ، وينتهي بأول سورة يونس ، كتب في آخره : «آخر الجزء الثاني من كتاب معاني التفسير المسمى بالبسيط ، تصنيف الإمام الواحدي ، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه الطيبين الطاهرين ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ، ووافق الفراغ منه في يوم الخميس في آخر شوال سنة ثمان وثلاثين وستمائة ، كتبه الضعيف

(١) انظر : فهرس الكتبخانة الخديوية ١/ ١٣٤ ، وفهرس دار الكتب المصرية فهرس الكتب إلى سنة

١٩٢١م / ٣٥ .

(٢) انظر : فهرس كتب الخزانة المتوكلية العامة بالجامع الكبير في صنعاء ١٣ .

الراجي المحتاج إلى رحمة الله - تعالى - أحمد بن محمد بن الحسن القروني». مصور ميكرو فيلم في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية تحت رقم (٣٧٣١)، وفي الفيلم عدم وضوح في بعض الصفحات .

الجزء الثالث : يقع في (٢٣٧) ورقة ، يبدأ من سورة يونس من قوله تعالى : ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾ الآية [يونس: ٤] أول تفسير الآية في الجزء الثاني وآخرها في الجزء الثالث ، له (ميكرو فيلم) في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية تحت رقم (٣٧٣٦) ، وكتب عليه الجزء الثاني .

٧ . الجزء الثالث : من نسخة مصورة في جامعة الإمام تحت رقم (٥١٠٥) ، تقع في (٢٩٣) ورقة [٣١س] :

كتب على الوجه الأول (الجزء الثالث من البسيط) تأليف أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي . سورة المائدة والأنعام والأعراف . سبعة أحزاب ، وعليه عدة تملكات أكثرها غير واضح ، وفي آخره : «تمت المجلدة الثالثة بحمد الله وجميل صنعه ، يتلوها في الرابعة إن شاء الله سورة الأنفال ، ذي الحجة لشهور سنة ست وستمائة هجرية ، والحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين ، والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وآله وصحبه أجمعين . . . بقلم الفقير إلى الله عثمان بصليق الشافعي» .

٨ . الجزء السابع من نسخة قديمة :

ويبدأ من أول سورة الحج إلى آخر سورة القصص ، فيه خرم وتلف كثير أضر بالكتاب ضرراً بالغاً ، خطه نسخ معتاد ، كتبه محمد بن عبدالمحسن الأنصاري سنة ٦٢٧ هـ ، عدد أوراقه (٢٣٧) ورقة ، ١٩ س ، محفوظ في دار الكتب الظاهرية تحت رقم (٧٠٢٣)^(١) .

(١) انظر : فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية ، علوم القرآن ١٦٦ .

٩ . الجزء الثاني من كتاب «معاني التفسير» في مكتبة أسكيلي

في فهرس نواذر المخطوطات العربية في تركيا ذكر الجزء الثاني من كتاب معاني التفسير ، قال : لعله البسيط ، في مكتبة أسكيلي رقم ١٠٣٠ ، يبدأ من قوله تعالى : ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ ﴾ [البقرة: ١٢٧] إلى آخر سورة البقرة . نسخ سنة ٦١٦ هـ ، يقع في (٢٢٦) ورقة ، عليه قيد سماع سنة ٦١٧ هـ^(١) .

* * *

المبحث العاشر

منهج العمل في تحقيق البسيط

سار الباحثون في التحقيق حسب المنهج الآتي :

- ١ . طريقة النص المختار من بين النسخ ؛ لكون النسخ الموجودة لا ترقى واحدة منهن أن تكون أصلاً يعتمد عليه .
- ٢ . ذكر الباحثون الفروق بين النسخ الخطية ، عدا الألفاظ التي لا أثر للخلاف فيها ، مثل : (تعالى) و (عز وجل) .
- ٣ . قابل الباحثون بين الكتاب ومصادره المهمة ، كتفسير الثعلبي ، ومعاني القرآن للزجاج ، والحجة للقراء السبعة للفارسي .

(١) فهرس نواذر المخطوطات العربية في تركيا ٥٧ / ٣ .

٤. عزا الباحثون الآيات المستشهد بها إلى مواضعها من القرآن الكريم عقب ذكرها مباشرة ، وجعلنا ذلك في الأصل بين معقوفتين للتسهيل والتقليل من حواشي الكتاب .

٥. وثق الباحثون القراءات من المصدر الأساسي للمؤلف وهو كتاب السبعة لابن مجاهد ، وذكروا من قرأ بها إذا لم يكن المؤلف ذكر ذلك .

٦. لما كانت النسخ الخطية التي بين يدي الباحثين قد ذكر فيها التفسير سرداً من دون أن تذكر الآية أو الآيات قبل تفسيرها على العادة الجارية في كتب التفسير ، كتبنا الآيات قبل تفسيرها ؛ وذلك لكونه أوضح في قراءة التفسير ، وأجمع للآيات المفرقة لمن أراد مراجعتها .

٧. لقد أكثر الواحدي من النقل ، بعزو وبغير عزو في الغالب ، الأمر الذي حمل الباحثين على تتبع هذه النقول في مصادرها التي تعرفوها ، وأشاروا إلى الفروق المهمة في الهوامش ، لما لذلك من الأهمية في توثيق النص من مصدره ، وبيان ما استغلق من الجمل والكلمات ، وتعرف طريقة الواحدي ومنهجه في التصرف في النص المنقول ، وقد ترتب على ذلك تكرار أسماء بعض الكتب في الصفحة الواحدة ، ولعل ما قصد الباحثون إليه من فائدة يساعد على تجاوز ما يلاحظ من تكرار .

٨. خرَّج الباحثون الأحاديث من مصادرها الأصلية ، فإن كان في الصحيحين اكتفوا غالباً بالإحالة عليهما ، وإن كان في غيرهما ذكروا من خرَّجه ، وأتبعوا بحكم الأئمة عليه صحة وضعفاً .

٩. خرَّج الباحثون آثار الصحابة والتابعين من أهم مصادر التفسير المسند ، وإذا لم يجدوها في التفاسير المسندة عزوها إلى كتب التفسير الأخرى .

١٠. شرحوا ألفاظ الواحدي الغريبة من أمهات كتب اللغة ، وضبطوا من ألفاظه ما يحتاج إلى ضبط ، حتى يسهل قراءتها .
١١. عرّفوا بالأعلام من العلماء والشعراء وغيرهم ، ولم يستثنوا إلا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، والخلفاء الراشدين - رضي الله عنهم - والأئمة الأربعة .
١٢. علقوا على المسائل العقائدية ، والتفسيرية ، والنحوية ، واللغوية بما يلزم لإيضاح قول ، أو بيان قوته ، أو ضعفه ، وحاولوا الإقلال من ذلك في مجال النحو واللغة - إلا ما لا بد منه - حتى لا يثقل الكتاب بمسائل نحوية ولغوية زيادة على ما فيه .
١٣. حرص الباحثون كثيراً على ذكر المصادر في الهوامش بحسب ترتيبها التاريخي سوى المصدر الذي يغلب على الظن أن الواحدي نقل عنه فيقدمونه ، ولو كان ما بعده أسبق منه .
- وبعد ، فإننا نشكر المولى أن وفقنا لإتمام هذا العمل ، ونحن لا ندعي لهذا العمل الكمال ، وإن كنا نسعى إليه ، فهذا متعذر في واقع البشر كما قال المُرْئي : «لو عورض كتاب سبعين مرة لوجد فيه خطأ ، أبى الله أن يكون كتاباً صحيحاً غير كتابه» على هذا الوجه ، فله الحمد كله ، وله الشكر كله ، لا نحصي ثناءً عليه إنه كما أثنى على نفسه ، والحمد لله رب العالمين .

من القل هو هذا هـ وهو علم بالصواب هـ

هـ هذا آخر الكتاب هـ

ثم قال الشيخ المفسر رحمه الله عليه في نسخة الأصل
 وقد سار الله تعالى في المحسن توفيقه تحرير هذا الكتاب الذي لم يبق لي مثله في هذا الباب
 شرحاً ومياً ونظماً وأتقنا ما غير ميل وإخباراً غير غفل حتى برز عندنا ما كان من غيب رهاقه وأرواح
 الوحي منها وبائع الحلي مطايع ما حرج لسانه عن عهد ضاني بأدماشرايطه والقيام بمواجب جموده
 بعد زياحي المله وتطاول المدة من يوم افتتاحه في يوم اختتامه ذلك والدهم وقلة ساعة الزمان
 الحزان ذي الإلوان وقد نشت لعمري أطول من صباي أي أن سألني إياهم شيبتي في أحكام
 مقدّمات هذا العلم ربحاً إن اندر على تلخيصه ونهديه وترهيبه لعمري الله نفعه ذلك الرحا
 وإتم بتمامه على النظم والمسؤول عزت قدرته أن يحمله وسيله أي برصاته أي في النسخ في جنافه
 إذا لم أقصره إلا بتمامه الكرم ونفعه العظم هـ أو الجهد لله فوق حيد القادرين هـ ونوف
 شأوا صنفين هـ وصلواته وتحياته على المبعوث بالسان السامع والبرحمان اللامع والقادران

هـ الكرم، والكتاب الكبير، وعلى المحاسبين هـ
 هـ أمين باب العالمين هـ وذلك لعشرتين من ربيع الأول هـ
 هـ سنة ست وأربعين وأربعمائة هـ والحمد لله هـ
 ٤٦٤

الصفحة الأخيرة من الكتاب من النسخة الأزهرية

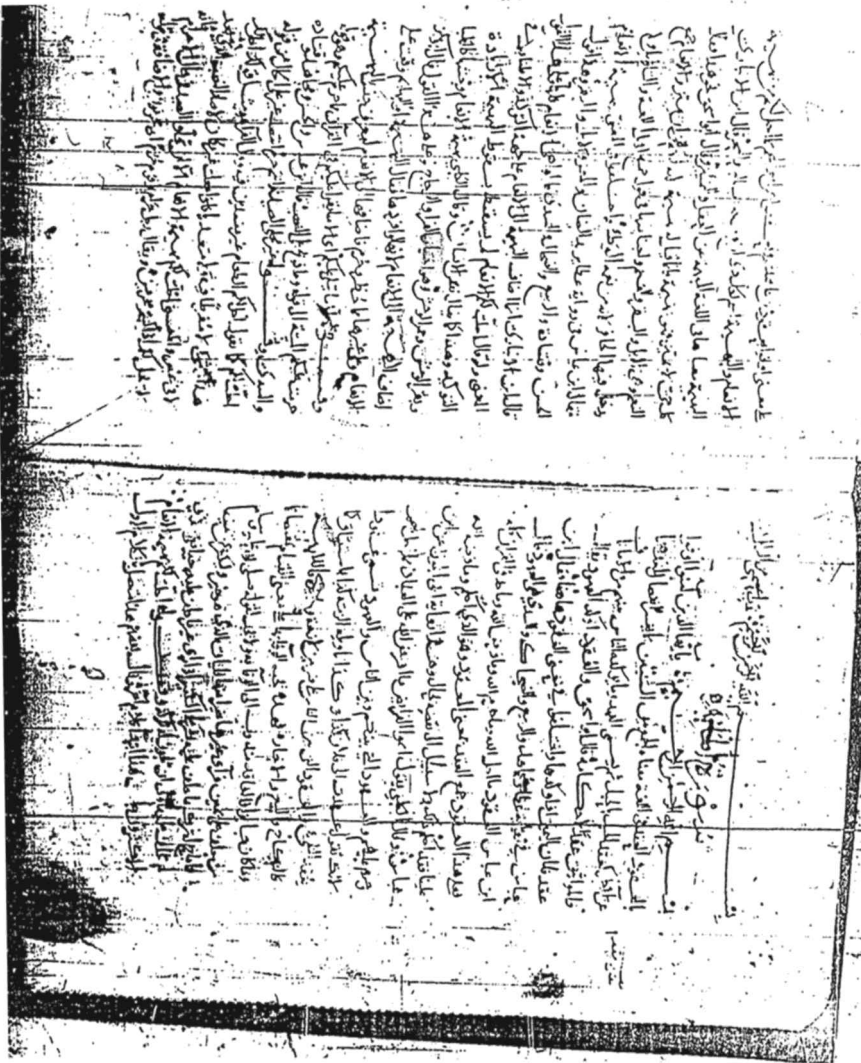
ثم قال الشيخ المفسر رحمه الله عليه في نسخة الأصل
 وقد سار الله تعالى في المحسن توفيقه تحرير هذا الكتاب الذي لم يبق لي مثله في هذا الباب
 شرحاً ومياً ونظماً وأتقنا ما غير ميل وإخباراً غير غفل حتى برز عندنا ما كان من غيب رهاقه وأرواح
 الوحي منها وبائع الحلي مطايع ما حرج لسانه عن عهد ضاني بأدماشرايطه والقيام بمواجب جموده
 بعد زياحي المله وتطاول المدة من يوم افتتاحه في يوم اختتامه ذلك والدهم وقلة ساعة الزمان
 الحزان ذي الإلوان وقد نشت لعمري أطول من صباي أي أن سألني إياهم شيبتي في أحكام
 مقدّمات هذا العلم ربحاً إن اندر على تلخيصه ونهديه وترهيبه لعمري الله نفعه ذلك الرحا
 وإتم بتمامه على النظم والمسؤول عزت قدرته أن يحمله وسيله أي برصاته أي في النسخ في جنافه
 إذا لم أقصره إلا بتمامه الكرم ونفعه العظم هـ أو الجهد لله فوق حيد القادرين هـ ونوف
 شأوا صنفين هـ وصلواته وتحياته على المبعوث بالسان السامع والبرحمان اللامع والقادران

ثم قال الشيخ المفسر رحمه الله عليه في نسخة الأصل
 وقد سار الله تعالى في المحسن توفيقه تحرير هذا الكتاب الذي لم يبق لي مثله في هذا الباب
 شرحاً ومياً ونظماً وأتقنا ما غير ميل وإخباراً غير غفل حتى برز عندنا ما كان من غيب رهاقه وأرواح
 الوحي منها وبائع الحلي مطايع ما حرج لسانه عن عهد ضاني بأدماشرايطه والقيام بمواجب جموده
 بعد زياحي المله وتطاول المدة من يوم افتتاحه في يوم اختتامه ذلك والدهم وقلة ساعة الزمان
 الحزان ذي الإلوان وقد نشت لعمري أطول من صباي أي أن سألني إياهم شيبتي في أحكام
 مقدّمات هذا العلم ربحاً إن اندر على تلخيصه ونهديه وترهيبه لعمري الله نفعه ذلك الرحا
 وإتم بتمامه على النظم والمسؤول عزت قدرته أن يحمله وسيله أي برصاته أي في النسخ في جنافه
 إذا لم أقصره إلا بتمامه الكرم ونفعه العظم هـ أو الجهد لله فوق حيد القادرين هـ ونوف
 شأوا صنفين هـ وصلواته وتحياته على المبعوث بالسان السامع والبرحمان اللامع والقادران

أول تفسير سورة النساء من نسخة دار الكتب المصرية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 اختلفوا في سبب ترك التسمية في أولها وروي بطريق مختلف عن ابن عباس أنه قال
 قلت لعثمان بن عفان رضى الله عنه ما حدثكم إلى أن عبد الله بن مسعود قال لما قال روى من
 الثاني وإلى غيره وهو من المأثور فقرئ منهما ولم يكتبوا بينهما سطر بمرة الله
 الرحمن الرحيم وومعنى هذه السبع الطول فقال جئت المقال مسائلا على النبي
 صلى الله عليه وسلم بالمدينة وكانت براءه آخر القرآن نزولا وحلت قصتها شيئا
 بعمتها بعض وقص رسول الله ولم يقدّم إليها وإنما هي لذلك قربا منها ولم يقدّم
 بينهما بسم الله الرحمن الرحيم ولما نزل عيسى بن مريم عليه السلام السبع
 الطول وروى أيضا عن ابن عباس أنه قال سألت علي بن أبي طالب لم لم يترك سبأه
 بسم الله الرحمن الرحيم قال لأن بسم الله الرحمن الرحيم إيمان براءه تركت بالسيف
 ليس فيها إيمان وبعدها قال سبأه عن التسمية رحمه الله إيمان براءه تركت بالسيف
 تركت في المشركين والمنافقين بالسيف ولا آمن لهم وقرب من خروجه قال الميرزا
 وهو أنه قال صرح بهذه السورة بسم الله الرحمن الرحيم لأن التسمية بسم
 الحبر وأول براءه وحيد ونقص محمد فلهذا لم يفتح بالتسمية وسبيل إلى أن لا يعب
 عن هذا فقال لما نزلت في آخر القرآن وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
 أميره فل سوره بسم الله الرحمن الرحيم ولم يقرأه سوره براءه بذلك ضمن إلى
 سوره لم يفتأ لشيها بها قال الزحج بنى أن أمر اليهود حين ذكر في قرآن الله
 تركت بنقص اليهود فكانت ملبسة ما يقال بالشبه وكان ينادي يقول أنها سوره
 واحد وبهذا روى الهري عن عيسى بن مسعود
قوله عز وجل
 براءه من الله الأكبر ومعنى البراءه في اللغة أنه يباع العمه يقال برت من فلان
 أي انتفعت من العمه لم يبق بها شيء ومن هذا يقال برت من فلان
 وليس فيها إلا لغة واحد كسر العين الملهي في محله المستعمل ويقال برى

بداية سورة التوبة من النسخة اليمنية



بداية تفسير سورة المائدة من نسخة جامعة الإمام

١٩٥

بسم الله الرحمن الرحيم
 تفسير سورة الحشر
 قوله تعالى الرتلد آيات الكتاب ذكرنا الكلام
 في هذا مستقصى في أول سورة يونس ويونس وكذلك
 في سورة الرعد وذكرنا في سورة الرعد أن الكتاب إنما
 يجوز أن يرد به التوراة ويجوز أن يرد به القرآن وهما
 أيضًا يجوز به الوصيان أحدهما أن يرد بالكتاب الذي
 كان قبل القرآن من التوراة والانجيل ثم عطف عليه
 القرآن قال صاحب التلخيص تقدير الآية في الكلام ريد هذا
 صاحب الفرس رحمه الله تعالى وهذا قول مجاهد وقاده وقال
 اخرون الكتاب هو القرآن وجمع بين الموضعين لما بينهما من
 التقابيلين وإن كان بالموضعين أحدهما ذلك أن الكتاب
 يبيد أنه ما يكتب ويدين وقولان يفيد أنه ما يولد وجمع بعض
 حروفه إلى بعض ويكون حقول أبي الملك القزم البيرت
 وقد مر ذكرنا مع المبين في فاتحة سورة يونس قوله
 تعالى ربما يورد الذين خسروا وقرئ ربما بالتحذف ثاني
 السكوب ربما وربما ورب جوف جوف عند سيوفه ويحتمل
 ما على وجهين أحدهما أن يكون نكر بمعنى ذلك حقول وربما
 بكرة النفوس من الأمر لها فرجه كبد العقول هو فانه هذا
 البيت اسم لما يقدر من عود الذكر إليه من الصفه الممن
 رب شيء وكيل النفوس وإذا عاد إليها انتهى اسمها فيهم
 لكن إن تكون الحرف كما أن قول سبحانه المحبون إنما عند هم
 به لما عاد الذكر إليه علمت بذلك أنه اسم ويذكر على أن

صفحة من نسخة عاطف أفندي بتركيا

رب شيء وكيل النفوس وإذا عاد إليها انتهى اسمها فيهم

به ولو لم يوصل عنه وعلى هذا قوله الله معنا اي ناصرنا وعلى هذا المعنى قوله
صلى الله صلى الله والولي والولي واحد ومنه قوله صلى الله عليه وسلم من كنت مولا
 فعلى مولا قال فوسن اي من كنت وليه وقوله ايضا مزية وجهته واسلم
 وغفار مو الى الله ونصره اي اوليا الله وقال العجاج الحمد لله الذي اعطى الظفر
 مولى الحق ان الهوى يشكره اي اوليا الحق وكل ما انضى البك فعز بعزك وامسح
 بشعثك فهو مولاك ولهذا نسى العصبة وبنو العرم مو الى قال الله تعالى
 واني خفت الموالي من وراي اي العصبة وعلى هذا ايضا
 مو الى خلف لا مو الى قرابة ولكن قطنا بساكنون الا نأونا يقول هو خلف لا
 ابنا غير الموالي الذي يلي عليك امرك فعني قوله انت مولا اي انت وطينا نصرك
 انا وانت الذي يلي علينا امورنا وذلك لانه يلي امور المؤمنين بالنصرة والبهمة
 يقال منه ولي يولي ولا ية فهو ولي ومولى قال مقاتل بن سليمان لما اسرى
 بالنبي صلى الله عليه وسلم الى السماء اعطى خواتمه سورة البقرة امن الرسول
 فقالت له الهلايكه ان الله عز وجل قد احسن عليك اثنا بقوله امن الرسول
 سلمه وارعب اليه وعلمه جبريل كيف يدعو الخلف رسول الله صلى الله عليه
 سلم يقول ربنا لا نواخذنا ان نسينا او اخطانا الى اخر السورة وجبريل عليه
 السلام يقول كل فمحل قد فعل الله تبارك وتعالى ذلك احسن بنا
 ابن ابي منصور الخافط رحمه الله اخبرنا عبد الله بن حماد الاصماني اخبرنا
 محمد بن جعفر المطيري حدثنا علي بن جرب حدثنا بن فضال حدثنا عطاء بن سعيد
 ابن جبير عن ابن عباس في قول الله عز وجل غفرانك ربنا قال قد غفرت لكم
 لا يكلف الله نفسا الا وسعها الى قوله لا نواخذنا ان نسينا او اخطانا قال
 لا اولدكم ربنا ولا يحمل علينا اصرا قال لا يحمل عليكم ولا تحلنا ما لا طاقه لنا به
 قال لا اجعل لكم واعف عنا الى اخر السورة قال قد عفوت عنكم وعفوت لكم
 ورحمتكم ونصرتكم على القوم الكافرين وقال ابو اسحق هذا الذي اخبر
 الله عز وجل به عن النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وجعله في كتابه
 ليكون دعاء من ياتي بعد النبي صلى الله عليه وسلم والصحابه فهو من الدعاء
 الذي يسعي ان يحفظ وان يدعابه كثيرا وقال في قوله فانصروا على القوم
 الكافرين اي انصروا عليهم في اقامة الحق وفي علينا اراهم في جرحهم وسائر
 امورهم حتى يظهر ديننا على الذين كلفه كما وعدتنا ه ه ه
 اخبر المجلة الاولى من تفسير القرآن ومخاتبة تصنيف الامام ابو محمد

بعضها وهو ما رفع فيه الصوت بالقراءة والمنشور دون الجيد لقوله وأتبع بين ذلك سبلا وقال وسأده
أمر الله بذلك ونحوه عن العنقه أما بالغد وفضله الصبح وأما بالعنق فضله العصر وعلى هذا
القول الإله مفعول على الصلابة وقال مجاهد وابن جرير أمر الله بذكره في الصدود بالضم
والإسكان ويكره مع الصوت والنداء على هذا الإله ورد في ذكر الله تعالى بالقلب وتر الصبح
في الدنيا

بالغدق والأصالة

الغدق مصدر يقال غدوت أغدوا وغدوا ومنه قوله غدوقا شهاى غدوقا لشترى سقى
وفن الغدوغدوا كناية يقال في الصباح أى وقد وذن لاسا ويجوز أن يكون الغدوقا ههنا
جمع غدوق قال الله الغدوق جمع مثل الغدوات ولحد الغدوق غدوق قاله الواجر
• جبر على كل ربح ربحه هربا سدا تفرج الغدوق •
وأما الأصل فقال الغدوا أصل واحد وأصل الأصل أصل قال وقال جناه موصلي أى عند
الأصل وقال الزجاج الأصل العشبان جمع الجمع ومنه قول الشاعر
وقفت فيها أصيلا كوايها لها يامى عبده وقال الأصملي ما خوذ من الأصل وهو أسفل كل شيء
وبعد العصر شئ إلى النهار إلى آخر النهار فقل لذلك الوقت أصله • وقوله عروجد

إن الذي عند ربك

قال ابن عباس وعنه من المفسرين معنى الملائكة قال الزجاج ما ولد الله من قرب من رحمة
الله ومن فضله فهو عند الله جل وعز على هذا قوله عند ربك مراد به قرب الرحمة والفضل لا قرب المكان
وقال غيره من أهل المعاني هذا شريف الملائكة أضافهم إلى الله عز وجل مراد بذلك أنهم الملائكة
الذين كرمهم وشرفهم وجعلهم أنوارا عند الله وقال بعضهم إنما قيل في صفه الملائكة الذين عند ربك لأنهم
رسل الله إلى الناس كما قال أن عند الحنفية حيث أعطيا وأمن كانوا سفرهم في البلدان •

وقوله لا يستكبرون عن عبادته
جاء هذا على الجواز لمن استكبر من الناس عن عبادته الله كأنه قيل من هو أكبر منك أيها الإنسان
لا يستكبر عن عبادته الله

سورة الأنفال

بسم الله الرحمن الرحيم
بسم الله الرحمن الرحيم • قال المفسرون ترك الله حزا خلف أهل بدر في الغمام وكان الشبان في ذلك
اليوم قتلوا وأسرأوا ولا شأخ وتوابع رسول الله صلى الله عليه وسلم في المصاف قال الشبان لست

أي عشية ويقال المصيل مأخوذ من المصل وهو اسفل كل شيء وما بعد العصر
 انتهى إليه النهار إلى آخر النهار فيقول لذلك الوقت مصيل **قوله** ان الذين عند
 ربك قال ابن عباس وغيره من المفسرين يعني الملايكة قال الزجاج
 ما وليه انه من قرب وجهه الله ومن فضله فهو عند الله جل وعز فعلى هذا قوله
 عند ربك يراد به قرب وجهه والفضل لا قرب المكان وقال غيره من اهل
 المعاني هذا اقرب من الملايكة ما صافهم إلى الله عز وجل يراد بذلك أنهم بالمكان الذي
 لهم وشرفه وجعل لهم مورق درعته وقال بعضهم لما يقال ان عند الخليفة
 حيث اعطيت وان كانوا متفرقين في البلدان وقوله لا يستكبرون بها هذا على
 الجواب لمن استكبر من الناس عن عبادة الله لأنه قيل من هو أكبر منك ايها الانسان
 لا يستكبر عبادة الله

سورة الأنفال

بسم الله الرحمن الرحيم
 ينزل عن الرنقال قال المفسرون نزلت برديه جبريل خلف أهل بدر في الخيام وكان
 الشبان في ذلك اليوم قتلوا واسروا والاشياخ وقفوا مع رسول الله صلى الله
 عليه وسلم في المصاف فقال الشبان لنا الخبايا لانا ابلينا وقال الاشياخ كاد لكم
 ولوانهم منكم لم يحرموا لنا فلا تذهبوا بالمعاصم دوننا وقال عباده بن الصامت
 فيما حشر اصحاب بدر نزلت جبريل خلفنا في القل وملت فيه اخلاقا فترعه الله
 من ايدينا من يدينا وهمله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتله بيننا على السوا
 والعل العزم وجهه لمرنقال ونقلت فلانا نغلا اعطيت والامام نفل الجند اذا
 جعل لهم ما عنموه قال المزمعي وجماع معنى النفل والناقله ما كان
 زياده على المصل وسميت الخبايا انفا لان المسلمين فضلوا بها على اسائر الامم
 الذين لم يحل الخبايا لهم وصلوه الطوع فانه لا ينافي زياده اجر المؤمنين على ما
 له من الثواب ما فرض عليه وبذلك استقام النافله عند قوله تعالى يا ايها

صفحة من نسخة جامعة استانبول

زياده على المصل وسميت الخبايا انفا لان المسلمين فضلوا بها على اسائر الامم
 الذين لم يحل الخبايا لهم وصلوه الطوع فانه لا ينافي زياده اجر المؤمنين على ما

القسم الثاني
تحقيق نص الكتاب

التفسير البسيط

لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد الوائلي

(ت ٤٦٨ هـ)

النص المحقق

مقدمة المصنّف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ^(١)

الحمد لله القادر ، العليم الفاطر ، الحكيم المتصف^(٢) بالعلم الشامل ، والطول الكامل ، الذي أحصى كل شيء عدداً ، وأحاط بكل شيء علماً ، فلا يخفى عليه الشاهد والغيب ، ولا يشوب^(٣) علمه الشك والريب ، يعلم العلى والإسرار ، والجهر والإضمار ، والمشكل والجلي ، والبادي والخفي ، ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩] .

وَيَعْلَمُ قَوْلَ الْحُكْلِ لَوْ أَنَّ ذَرَّةً تُسَاوِدُ أُخْرَى لَمْ يَقْتَهُ سِوَادُهَا فسبحانه من عالم لا بفكرة واجتهاد ، وضمير فؤاد^(٤) ، وبصير^(٥) لا بحدقة وسواد ، وعزيز لا بعدة وعتاد ، وقائل لا بلسان ولهة ، وصانع لا بآلة وأداة ، ومريد^(٦) لا بتوطين نفس ، ومتكلم لا بنغمة وجرس ، ومدبر لا بمشاورة ،

(١) في (ب) : كلمة غير مقروءة بعد البسملة لعلها (هو حسي) .

(٢) (المتصف) : مكانها بياض في (ج) .

(٣) في (ب) : (ولا يسري عليه) .

(٤) في (ج) : (وارد) .

(٥) (الواو) : ساقطة من (ب) .

(٦) في (ب) : (موتد) .

ومقدر لا بمداورة ، تعالى عن الأنداد والأشكال والأشباه والأمثال ، واستحق^(١) أوصاف الكمال ، واستأثر^(٢) بنعوت الجلال^(٣) .

بعث في الأميين رسولاً من أوسطهم نسباً ، وأشرفهم حسباً ، وأحسنهم أدباً ، وأشهرهم أمماً وأباً ، يتلو عليهم آياته ، ويعارض أباطيلهم بيناته ، حتى انكشطت غشاوة الشك عن وجه اليقين ، وتفرّت دياجي الكفر عن عمود الدين ، أنزل عليه نوراً مبيناً ، ووحياً مستبيناً ، أنقذ به من الضلالة ، وهدى به من حيرة الجهالة ، والناس على شرف بوار^(٤) ، والخلق على شفا نار^(٥) ، وجعله قرآناً عربياً فرفع به من شأن لغتهم ، وأزرى^(٦) نظمهم^(٧) بنظومهم وبلاغتهم ، ولما تحداهم عجزوا عن معارضته^(٨) ، وهم لُدّ^(٩) بلغاء ، وقصروا عن الإتيان بمثله ، وهم لسن^(١٠) فصحاء ، فبهرت معجزته ، وظهرت دلالته صلى الله عليه وعلى آله صلاة تنمو أبداً ، وتتصل مدداً ما تناوب^(١١) الصباح والمساء ، وانطبق على الأرض السماء .

(١) (استحق) : بياض في (ج) .

(٢) (استأثر) : غير واضح في (ب) .

(٣) ما ذكره عن نفي مشابهة الله خلقه صحيح ، لكن ليس من منهج السلف تكلف مثل هذه العبارات في النفي . قال ابن تيمية : « الله - سبحانه وتعالى - بعث رسله بإثبات مفصل ونفي مجمل . . . إلخ » . التدمرية ٨ .

(٤) البوار : الهلاك . انظر : تهذيب اللغة (بار) ١ / ٢٥٤ ، والصحاح ٢ / ٥٨٩ .

(٥) (نار) : غير واضحة في (ب) .

(٦) أزرى بالشيء : حقره وهونه واستخفّ به . انظر : اللسان (زرى) ١٤ / ٣٥٦ (ط دار صادر) .

(٧) قوله (أزرى نظمهم) : غير واضح في (ب) .

(٨) قوله (معارضته) : عليها طمس في (ب) .

(٩) في تهذيب اللغة : الألد الشديد الخصومة ، واشتقاقه من لذيدي العنق ، وهما صفحتاه ، يقال : رجل ألدّ ، وامرأة لذاء ، وقوم لُدّ . التهذيب (لُدّ) ٤ / ٣٢٥٤ ، واللسان ٧ / ٤٠٢٠ .

(١٠) في (ب) : (ليس) .

(١١) في (أ) ، (ج) : (وتتناوب) ، وأثبت ما في (ب) : لأنه أصح في السياق .

وبعد ، فمنذ دهر تحدثني نفسي بأن أعلق لمعاني^(١) إعراب القرآن وتفسيره : فقراً^(٢) في الكشف عن غوامض معانيه ، ونكتاً^(٣) في الإشارة إلى علل القراءات فيه ، في ورقات يصغر حجمها ويكثر غنمها ، والأيام تطلني بصروفها على اختلاف صنوفها ، إلى أن شدد عليّ خناق التقاضي قوم لهم في العلم سابقة ، وفي التحقيق همم صادقة ، فسمحت قرونتي^(٤) بعد الإباء ، وذلت صعوبتي بعد النفرة^(٥) والالتواء^(٦) ، وذلك لتوفر دواعي أهل زماننا على الجهل ، وظهور رغباتهم عن العلم ، الذي فيه شرف الدين والدنيا ، وعز الآخرة والأولى ، فقلّ من ترى^(٧) من المتحلين بعقوده وقلائده ، ومنتحلي غرره وفوائده (إلا متشبعاً^(٨) ، كلابس ثوبي زور)^(٩) ، يبرق وبروقه غير صادقة ،

(١) في (ب) : (معاني) ، وفي (أ) : مطموسة .

(٢) في (ب) : (وفقراً) : بزيادة واو مع سكون القاف . في تهذيب اللغة : الفقر خزرات الظهر ، الواحدة فقرة ، (فقر) ٣/٣ ، وفي الصحاح : أجود بيت في القصيدة يسمى فقرة تشبيهاً بفقرة الظهر ٢/٧٨٢ ، وفي اللسان : الفقرة العلم من جبل أو هدف ونحوه ٦/٣٤٤٧ ، وفي المعجم الوسيط : الفقرة جملة من كلام ، أو جزء من موضوع ، أو شطر من بيت شعر ٢/٦٩٧ .

(٣) النكتة : كالنقطة ، وهي شبه وقرة في العين وشبه وسخ في المرآة ، ونكتة سوداء في شيء صاف ، انظر : تهذيب اللغة (نكت) ٤/٣٦٥٨ ، والصحاح ١/٢٦٩ ، واللسان ٢/١٠٠ ، قال في المعجم الوسيط : النكتة المسألة العلمية الدقيقة يتوصل إليها بدقة وإنعام فكر ٢/٩٥٩ .

(٤) في (ب) : (عروسى) من دون نقط . (القرونة) النفس ، في الصحاح يقال : أسمحت قرينه وقرونه وقرونته وقرينته ؛ أي : ذلت نفسه وتابعت على الأمر . الصحاح (قرن) ٦/٢١٨٢ ، وانظر : اللسان ٦/٣٦١٢ .

(٥) (النفرة) : فيها طمس في (أ) .

(٦) في (ج) : (والأرتاء) .

(٧) في (ب) : (نرى) : بالنون .

(٨) المتشبع : المترين بأكثر مما عنده بالباطل ، كالذي يظهر أنه شبعان وليس كذلك . انظر : غريب الحديث لأبي عبيد ١/٣٤٦ ، والصحاح (شبع) ٣/١٢٣٤ ، واللسان ٤/٢١٨٧ .

(٩) ورد نحوه في حديث ؛ أخرج البخاري بسنده عن أسماء بنت أبي بكر أن امرأة قالت : يا رسول الله : إن لي ضرة ، فهل علي جناح إن تشبعت من زوجي غير الذي يعطيني ؟ فقال رسول الله ﷺ : «المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور» : كتاب النكاح باب المتشبع (٥٢١٩) ، بما لم ينل . وأخرجه مسلم كتاب =

ويرعد وسماؤه غير وادقة ، اللهم إلا نفرأ يقل عددهم عند الإحصاء ، وتكثر فضائلهم على الحصر والاستقصاء ، غير أنهم الأكثرون وإن قلوا ، ومواضع الأنس^(١) حيث حلوا ؛ لأن العلم وإن أصبح في الناس مجفواً^(٢) ، وأظهروا عنه نفرة ونُبُوّاً^(٣) ، فحرمة لا تضاع^(٤) ، وسوامه^(٥) لا تراعى ، ولن يخلو^(٦) الشيء الفاضل^(٧) في جنسه عن^(٨) عزته في نفسه ، وإن قلَّ من يعتامه^(٩) وعزَّ من يطلبه ويستامه .

هؤلاء شكوا إليّ : غلظ حجم المصنفات في التفسير ، وإن الواحدة منها تستغرق^(١٠) العمر كتابتها ، ويستنزف الروح سماعها وقراءتها ، ثم صاحبها بعد أن أنفق العمر على تحصيلها ، ليس يحظى منها بطائل تعظم عائده ، وتعود عليه

اللباس : (٢١٢٩) عن عائشة ، وعن أسماء بنحوه (٢١٣٠) . وأخرجه أحمد في المسند عن عائشة وعن أسماء ١٦٧/٦ ، ٣٤٥ ، ٣٥٣ . وأبو داود عن أسماء كتاب الأدب (٤٩٩٧) ، باب ما جاء في المتشعب بما لم يعط . والترمذي عن جابر بلفظ آخر : كتاب البر والصلة (٢٠٣٤) ، باب ما جاء في المتشعب بما لم يعطه .

- (١) في (ب) : (الالبين) .
- (٢) (مجفواً) : فيها طمس في (أ) ، ومكانها بياض في (ج) .
- (٣) في (ج) : (بتوا) ، وفي (ب) : غير منقوطة . يقال : نبا بصره نبواً : كلَّ ، ونبا السهم عن الهدف : قصر . القاموس (نبا) ١٣٣٦ .
- (٤) لا تضاع . الضياع : الإهمال ، ضاع الشيء يضيع ضيعة وضياعاً : هلك . انظر : الصحاح (ضيع) ١٢٥٢/٣ ، واللسان ٢٦٢٥/٥ .
- (٥) السوام : كل ما رعى من المال في الفلوات إذا خلى يرمى حيث شاء . اللسان (سوم) ٣١١/١٢ ، والقاموس ١١٢٤ .
- (٦) في (ج) : (بحسو) .
- (٧) (الفاضل) : ساقط من (ج) .
- (٨) في (ج) : (من) .
- (٩) في (ب) : (يقبانه) . (اعتام يعتام) إذا اختار وأخذ . انظر : اللسان (عيم) ٣١٩٥/٥ ، والقاموس ١١٤٢ .
- (١٠) في (ب) : (يستغرق) .

فائدته . فقلت : إن طريق معرفة تفسير كلام الله - تعالى - تعلّم النحو والأدب ، فإنهما عمدتاه ، وإحكام أصولهما ، وتتبع مناهج لغات العرب ^(١) في ما تحويه ^(٢) من الاستعارات الباهرة ، والأمثال النادرة ، والتشبيهات ^(٣) البديعة ، والملاحن ^(٤) الغربية ، والدلالة باللفظ اليسير على المعنى الكثير ، مما لا يوجد مثله في سائر اللغات .

وقد أعفى أهل زماننا أنفسهم عن كد التعب في طلب الأدب ، فقد هوت ^(٥) دولته إلى الخضيض ، وصار يرنو ^(٦) بالطرف الغضيض ، وها هو قد خوى ^(٧) نجمه وصوّح ^(٨) نبتة ، وذوى ^(٩) عوده ، وخرّ عموده ^(١٠) .

(١) في (ب) : (العزب) .

(٢) في (أ) : (محويه) ، في (ب) ، (ج) : غير منقوطة .

(٣) في (ب) : (التشبهات) .

(٤) يدخل تحت قوله (الملاحن) بعض أنواع البلاغة كالكناية والتعريض . واللحن : صرف الكلام عن التصريح إلى التعريض لغرض صحيح ، يقول الراغب الأصفهاني : «اللحن صرف الكلام عن سننه الجاري عليه ، إما بإزالة الإعراب ، أو التصحيف وهو المذموم ، وذلك أكثر استعمالاً . وإما بإزالته عن التصريح ، وصرفه بمعناه إلى التعريض ، ونحوه ، وهو محمود عند أكثر الأدباء من حيث البلاغة . . . وإياها قصد بقوله تعالى : ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ [محمد : ٣٠] » . مفردات الراغب ٤٤٩ ، واللسان (لحن) ٧ / ٤٠١٣ .

(٥) في (ج) : (موت) .

(٦) في (ج) : (يرانق) . رنا يرنو رنواً : إذا أدام النظر . انظر : الصحاح (رنا) ٦ / ٢٣٦٣ ، ومجمل اللغة ٢ / ٤٠٠ ، واللسان ٣ / ١٧٤٧ .

(٧) في (ب) : (جوى) .

(٨) رسمت في (أ) : (تصوح) ثم صويت في الهامش إلى (صوح) ، وفي (ب) : (صوح) ، وفي (ج) : (تصوح) . قال في اللسان : تصوّح البقل ، وصوّح : تم يُبْسُهُ . اللسان (صوح) ٤ / ٢٥٢١ ، والقاموس ٢٣٠ .

(٩) في (ب) : (دوى) .

(١٠) (وخر عموده) : ساقط من (ج) .

وإذا ضاع الأدب ضاع ما يحتاج في تفسيره إليه ، ويعول في معرفته عليه ، وهو علم^(١) القرآن العربي ، المنزل بلسان العرب ولغتهم ، المنظوم بألفاظهم في مخاطبتهم .

والله - تعالى ذكره - أنزل كتابه^(٢) على قوم عرب أولي^(٣) بيان فاضل ، وفهم بارع .

أنزله - جل ذكره - بلسانهم ، وصيغة^(٤) كلامهم الذي نشؤوا^(٥) عليه ، وجلبوا على النطق به فتدربوا^(٦) به ، يعرفون وجوه خطابه ، ويفهمون فنون نظامه ، ولا يحتاجون إلى تعلم مشكله وغريب ألفاظه حاجة المولدين الناشئين مع من لا يعلم لسان العرب حتى يعلمه ، ولا يفهم ضروره وأمثاله وأساسه^(٧) وطرقه حتى يفهمها .

وبين النبي ﷺ للمخاطبين من أصحابه - رضي الله عنهم -^(٨) ما عسى^(٩) بهم الحاجة [إليه]^(١٠) من معرفة^(١١) بيان مجمل الكتاب وغامضه

(١) في (ب) : (وهو في علم القرآن) .

(٢) الكلام من هنا منقول من مقدمة تهذيب اللغة للأزهري ٢٧ / ١ ، ٢٨ .

(٣) في (ب) ، و (ج) : (أولى) ، وفي (أ) : فيها طمس وكأنها (أولو) .

(٤) في (ب) : (وضعة) .

(٥) في تهذيب اللغة (نشؤوا) ٢٧ / ١ .

(٦) في (ب) : (فتدربوا) .

(٧) في التهذيب (وأساليه) ٢٨ / ١ .

(٨) (عنهم) : ساقط من (ج) .

(٩) في (أ) : (أما عسى بهم الحاجة) ، وفي (ب) : (ما عسى) ، وفي (ج) : (أما عسى بهم) . وفي تهذيب

اللغة : (وبين النبي ﷺ للمخاطبين من أصحابه رضي الله عنهم ما عسى الحاجة إليه من معرفة بيان لمجمل الكتاب وغامضه . . .) وفي حاشية التهذيب في (م) (ما عسى الحاجة به إليه) ٤ / ١ .

(١٠) (إليه) : إضافة من تهذيب اللغة لضرورتها لصحة السياق .

(١١) (معرفة) : غير واضح في (ب) .

ومتشابهه وجميع وجوهه ، التي لا غنى بهم وبالأمة عنه ، فاستغنوا بذلك عما نحن إليه اليوم^(١) محتاجون من معرفة لغات العرب واختلافها ، والتبحر فيها ، والاجتهاد في تعلم وجوه العربية الصحيحة التي بها نزل الكتاب ، وورد البيان .

فعلينا أن نجتهد في تعلم ما يتوصل بتعلمه إلى معرفة ضروب خطاب الكتاب ، ثم السنن المينة لمجمل التنزيل ، الموضحة للتأويل ؛ لتنتفي عنا الشبه التي دخلت على كثير من رؤساء أهل الزيغ والإلحاد ، ثم على رؤوس ذوي الأهواء والبدع ، الذين تأولوا بأرائهم المدخولة فأخطؤوا^(٢) ، وتكلموا في كتاب الله - عز وجل - بلكتتهم العجمية دون معرفة ثاقبة ، فضلوا وأضلوا ، نعوذ بالله^(٣) من الخذلان ، وإياه نسأل التوفيق والصواب^{(٤)(٥)} .

وقد كان الأكابر من السلف يحثون على تعلم لغة العرب ، ويرغبون فيها لما يعلمون من^(٦) فضلها وفرط الحاجة إليها (في معرفة ما في الكتاب ، ثم في^(٧) السنن والآثار ، وأقاويل أهل التفسير من الصحابة والتابعين ، من الألفاظ الغريبة والمخاطبات العربية^(٨) ، فإن من جهل

(١) (اليوم) : غير موجود في مقدمة التهذيب ٢٨ / ١ .

(٢) (فأخطؤوا) : ساقط من (ب) .

(٣) (نعوذ بالله) : ساقط من (ج) .

(٤) في (ج) : (التوفيق للصواب) .

(٥) انتهى من مقدمة تهذيب اللغة ٢٧ / ١ ، ٢٨ .

(٦) (من) : ساقط من (ج) .

(٧) (في) : ساقط من (ب) .

(٨) في (ب) : (العربية) .

لسان^(١) العرب وكثرة ألفاظها وافتنانها في مذاهبها، جهل جمل^(٢) علم الكتاب^(٣).

ولقد أخبرنا الأستاذ أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم^(٤) رحمه الله قال: أخبرني أبو القاسم الحسن بن محمد بن الحسن^(٥)، ثنا^(٦) أبو الحسن أحمد بن الخضر بن أبان^(٧)، ثنا أبو عمرو أحمد بن نصر الخفاف^(٨)، ثنا نصر بن علي الجهضمي^(٩)، ثنا عامر بن أبي عامر^(١٠)، ثنا أيوب بن موسى

(١) في تهذيب اللغة: (جهل سعة لسان العرب) ٢٩/١.

(٢) في (ب): (جمل).

(٣) بنصه من مقدمة تهذيب اللغة ٢٩/١.

(٤) هو الثعلبي، سبقت ترجمته مع شيوخه.

(٥) هو أبو القاسم الحسن بن محمد بن الحسن بن حبيب بن أيوب النيسابوري، المفسر إمام في معاني القرآن، وكان أديباً، عارفاً بالمغازي، سمع عن جماعة منهم الأصم، صنف في القراءات والتفسير والأدب، قال الذهبي: تكلم فيه الحاكم، مات سنة ست وأربعمائة. انظر: سير أعلام النبلاء ٢٣٧/١٧، والعبر ٢/٢١٢، وطبقات المفسرين للدودي ١/١٤٤، وتفسير السيوطي ٣٥.

(٦) (ثنا): ساقط من (ج) في جميع السند.

(٧) هو الحافظ أبو الحسن أحمد بن الخضر بن أحمد النيسابوري الشافعي، مات سنة أربع وأربعين وثلاثمائة. انظر: طبقات الشافعية ٣/١٤، وسير أعلام النبلاء ١٥/٥٠١.

(٨) الإمام الحافظ أبو عمرو أحمد بن نصر بن إبراهيم النيسابوري المعروف بالخفاف، سمع عن جماعة منهم إسحاق بن راهويه وعمرو بن زرارة، وحدث عن جماعة، اشتهر بالحفظ، كانت وفاته في شعبان سنة تسع وتسعين ومائتين من أبناء الثمانين. انظر: سير أعلام النبلاء ١٣/٥٦٠-٥٦٣، وتذكرة الحفاظ ٢/٦٥٤-٦٥٦، والبداية والنهاية ١١/١١٧.

(٩) نصر بن علي بن نصر بن علي بن صبهان الأزدي الجهضمي. أبو عمرو البصري، قال عبدالله بن أحمد: سألت أبي عنه فقال: ما به بأس، ورضيه، وقال ابن أبي حاتم: سألت أبي عن نصر، فقال: ثقة. مات سنة خمسين ومائتين في ربيع الآخر، وعليه الأكثر، وقيل سنة إحدى وخمسين. انظر: الجرح والتعديل ٨/٤٦٦، وتاريخ بغداد ١٣/٢٨٧، وسير أعلام النبلاء ١٢/١٣٣، وتذكرة الحفاظ ٢/٥١٩، وتهذيب التهذيب ٤/٢١٩.

(١٠) عامر بن أبي عامر: هو عامر بن صالح بن رستم المزني، مولا هم ابن أبي عامر الخزاز، قال أبو حاتم: ليس بالقوي. وقال ابن عدي: في حديثه بعض النكرة. وقال ابن معين: ليس بشيء. وقال أبو داود: =

القرشي^(١)، عن أبيه^(٢)، عن جده^(٣) قال : قال رسول الله ﷺ : « ما نحل والد ولده نحلة^(٤) أفضل من أدب حسن^(٥) » .

= ضعيف . وقال مرة : ليس به بأس . وقال العقيلي : لا يتابع على حديثه عن أيوب بن موسى . انظر : الميزان ٣/ ٧٤ (٤٠٨٢) ، وتهذيب التهذيب ٢/ ٢٦٦ .

(١) أيوب بن موسى : هو أيوب بن عمرو بن سعيد بن العاص القرشي الأموي ، روى عن جماعة ، منهم جده سعيد بن العاص ولم يدركه ، وعن أبيه موسى بن عمرو بن سعيد ، ثقة ، انظر : تهذيب الكمال ٣/ ٤٩٤ ، ومعرفة الثقات للعجلي ١/ ٢٤١ ، وتاريخ أسماء الثقات لابن شاهين ٣١ ، وذكر أسماء التابعين للذهبي ١/ ٦٨ .

(٢) أبوه موسى بن عمرو بن سعيد بن العاص بن أمية القرشي المكي ، روى عن أبيه ، وروى عنه ابنه أيوب . انظر : الجرح والتعديل ٨/ ١٥٥ ، وتهذيب التهذيب ٤/ ١٨٥ .

(٣) عن جده : قال ابن حجر : « يحتمل أن يعود ضمير الجد على أيوب ، وهذا هو الظاهر ، ويحتمل أن يعود على موسى ، فيكون من مسند سعيد بن العاص ، والحديث مع ذلك مرسل » . انظر : تهذيب التهذيب ٢/ ٢٧ .

- عمرو بن سعيد بن العاص بن سعيد بن أمية المدني المعروف بالأشديق وهو الأصغر ، وعمرو بن سعيد بن العاص هو الأكبر ، صحابي ، وزعم بعضهم أن له رؤية ، والصحيح أنه ليس له رؤية ، قتله عبد الملك بن مروان ، بعد أن طلب الخلافة سنة تسع وستين ، وقيل : سبعين . انظر : الطبقات الكبرى لابن سعد ٥/ ٢٣٧ ، وتهذيب التهذيب ٣/ ٢٧٢ .

- وسعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية ، قتل أبوه يوم بدر كافراً ، قال ابن سعد : قبض النبي ﷺ ، وسعيد ابن تسع سنين ، روى عن النبي ﷺ مرسلأ ، وعن عمرو وعثمان وعائشة ، وعنه ابنه عمرو ويحيى وغيرهما ، مات بالمدينة ، ودفن بالبقيع سنة ٥٨ هـ وقيل : ٥٧ هـ ، وقيل : ٥٩ هـ . انظر : الطبقات الكبرى لابن سعد ٥/ ٣٠-٣٥ ، وتهذيب التهذيب ٢/ ٢٧ .

(٤) نحل : أعطى ، والنحلة : العطية والهبة ابتداءً من غير عوض ولا استحقاق . انظر : اللسان (نحل) ٤٣٦٩/٧ .

(٥) أخرجه الترمذي بنحوه (١٩٥٢) وكتاب البر ، باب ما جاء في أدب الولد من طريق نصر بن علي ، عن عامر بن أبي عامر الخزاز ، وقال : « هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث عامر بن أبي عامر الخزاز . وأيوب بن موسى هو ابن عمرو بن سعيد بن العاص ، وهذا عندي حديث مرسل » . وأخرجه الحاكم في المستدرك في كتاب الأدب ، وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وتعبه الذهبي ، وقال : بل مرسل ضعيف ، ففي إسناده عامر بن صالح الخزاز : واه . المستدرك ٤/ ٢٦٣ ، وسبق كلام ابن حجر حيث قال : إنه مرسل . انظر : تهذيب التهذيب ٢/ ٢٧ .

وروي عن سعيد بن المسيب^(١) أنه قال : بينا عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - على المنبر ، فقال : يا أيها الناس : ما تقولون في قول الله عز وجل : ﴿ أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ ﴾ [النحل : ٤٧] ؟ فسكت الناس ، فقام شيخ فقال : يا أمير المؤمنين : هذه لغتنا بني هذيل ، التخوف : التنقص ، قال عمر : هل تعرف العرب ذلك في أشعارها ؟ قال : نعم ، قال شاعرنا أبو كبير الهذلي^(٢) يصف ناقة :

تَخَوَّفَ الرَّحْلُ مِنْهَا تَامِكًا صَلْبًا كَمَا تَخَوَّفَ عُودَ النَّبْعَةِ السَّفَنُ^(٣)

فقال عمر رضي الله عنه : «يا أيها الناس ، عليكم بديوانكم لا يضل ، قالوا : وما ديواننا ؟ قال : شعر الجاهلية ، فإن فيه تفسير كتابكم ومعاني كلامكم»^(٤) .

(١) سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ ، القرشي المخزومي ، تابعي مشهور ، اشتهر بالعلم والزهد والورع ، روى عن جمع من الصحابة ، وروى عنه جمع منهم الزهري وقتادة ، وثقه الأئمة كأحمد وابن أبي حاتم ، وتكلموا في سماعه من عمر ، توفي سنة أربع وتسعين ، وقيل : غير ذلك . انظر : طبقات ابن سعد ٥/ ١١٩ - ١٤٣ ، وتهذيب التهذيب ٢/ ٤٣ - ٤٥ .

(٢) هو عامر بن الحليس ، من بني سهل بن هذيل ، شاعر جاهلي ، وقيل : أدرك الإسلام ، امتاز شعره بالحكم وقوة السبك . انظر : الشعر والشعراء ٤٤٦ - ٤٤٨ ، والإصابة ٤/ ١٦٥ ، والحزانة ٨/ ٢٠٩ .

(٣) التخوف : التنقص شيئاً فشيئاً . والتامك : السنام المرتفع . والنبة : واحدة النبع ، وهو شجر تتخذ منه القسي . والسفن : مبرّد الحديد الذي ينحت به الخشب . يقول : تنقص رحلها سنامها المرتفع ، كما تنقص المبرّد عود النبع . واختلف في نسبة البيت ، فنسبه بعضهم لأبي كبير كما عند الواحدي هنا ، ونسبه الأزهري لابن مقبل ، ونسبه الجوهري لذي الرمة ، ونسبه بعضهم لزهير ، وقيل : لعبد الله بن عجلان ، وقيل : لابن مزاحم الثمالي . ورد البيت في تفسير الطبري ١٤/ ١١٣ ، وتهذيب اللغة (خاف) ١/ ٩٦٦ ، و(سفن) ٢/ ١٧٠٨ ، والصحاح (خوف) ٤/ ١٣٥٩ ، وأمالى القالي ٢/ ١١٢ ، والكشاف ٢/ ٤١١ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ١١٠ ، وتفسير الرازي ٢٠/ ٣٩ ، واللسان (خوف) ٣/ ١٢٩٢ ، و(سفن) ٤/ ٢٠٣٢ ، ومشاهد الإنصاف شرح شواهد الكشف ١٣٠ .

(٤) في حاشية نسخة (أ) : قال الكاتب : أخذ الواحدي الحكاية من تفسير شيخه الثعلبي من سورة النحل . وقد ذكر هذه الحكاية عدد من المفسرين . انظر : الكشف ٢/ ٤١١ ، وتفسير الرازي ٢٠/ ٣٩ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ١١٠ .

وفي ما كتب إلي محمد بن عبدالعزيز المروزي^(١) بخط يده ، أن محمد بن الحسين الحدادي^(٢) أخبرهم عن محمد بن يحيى^(٣) ، قال : أبنا^(٥) إسحاق بن إبراهيم

-
- (١) لم أصل إلى شيخ الواحدي محمد بن عبدالعزيز المروزي .
- (٢) في النسخ جميعها محمد بن الحسن ، والصحيح : محمد بن الحسين كما جاء في أسباب النزول للواحدى ٢٣ ، وهو محمد بن الحسين بن محمد بن مهران المروزي الحدادي ، أبو الفضل . والحدادي نسبة إلى عمل الحديد ، قال عنه الحاكم : كان شيخ أهل مرو في الحديث والفقه والتصوف والفتيا ، مات سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة .
- انظر : الأنساب ٤ / ٨٠ ، وسير أعلام النبلاء ١٦ / ٤٧٠ ، والمشتبه ١ / ١٤٤ ، واللباب ١ / ٣٤٦ .
- (٣) (بن) : ساقط من (ج) .
- (٤) لم أعرف من المراد ، فهناك محمد بن يحيى بن عبدالله النيسابوري الذهلي شيخ البخاري ، فإنه روى عن إسحاق بن راهويه ، توفي سنة سبع وخمسين ومائتين .
- انظر : تاريخ بغداد ٣ / ٤١٥ ، وتهذيب الكمال ٢٦ / ٦١٧ (٥٦٨٦) ، وتهذيب التهذيب ٣ / ٧٢٨ .
- ومحمد بن يحيى بن خالد ، أبو يحيى ، المروزي ، المعروف بالشعراني ، قدم نيسابور وحدث ببغداد عن إسحاق بن راهويه ، ذكره في تهذيب الكمال للتميز ، وليس من رجال الستة ، ولم يذكر أحد تاريخ وفاته .
- انظر : تاريخ بغداد ٣ / ٤٢٤ ، وتهذيب الكمال ٢٦ / ٦٣٣ ، وتهذيب التهذيب ٣ / ٧٣٠ .
- وقد ورد هذا السند في أسباب النزول : ١٤٣ قال : أخبرنا محمد بن عبدالعزيز ، أن محمد بن الحسين أخبرهم ، عن محمد بن يحيى بن يزيد ، أخبرنا إسحاق بن إبراهيم . ولم أجد محمد بن يحيى بن يزيد ، ولم يذكر ممن روى عن إسحاق بن إبراهيم بن راهويه .
- (٥) (أبنا) ساقط من (ج) ، وفي (ب) : (أنا) وهذا الصواب في رمز (أخبرنا) ، وبعضهم استعمل (أبنا) ، ولم يستحسنه المحدثون . انظر : تدريب الراوي ٢ / ٨٧ .

الحنظلي^(١)، أبنا^(٢) وكيع^(٣)، عن أسامة بن زيد^(٤)، عن عكرمة^(٥)، عن ابن عباس قال: «إذا قرأ^(٦) أحدكم شيئاً من القرآن فلم يدر ما تفسيره، فليتلّمسه في الشعر، فإنه ديوان العرب»^(٧).

(١) إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن إبراهيم الحنظلي، المعروف بابن راهويه المروزي، أحد الأئمة، روى عن ابن المبارك، وابن عينة، وابن علية، وجريز، وعبدالرزاق وغيرهم، وروى عنه بقية بن الوليد، ويحيى بن آدم. وعنه الجماعة سوى ابن ماجه. وثقه الأئمة، قال أبو حاتم: مثل إسحاق يسأل عنه! إسحاق عندنا من أئمة المسلمين، ولد سنة ١٦١ هـ، وقيل ١٦٦ هـ، ومات سنة ٢٣٨ هـ وقيل ٢٣٧ هـ. انظر: تاريخ بغداد ٦/ ٣٤٥، والجرح والتعديل ٢/ ٢٠٩، وميزان الاعتدال: ١/ ١٨٢، ١٨٣، وتهذيب التهذيب ١/ ١١٢، وحلية الأولياء ٩/ ٢٣٤.

(٢) في (ج): (ثنا)، وفي (ب): (أنا).

(٣) وكيع بن الجراح بن ملبح الرؤاسي، الكوفي الحافظ، أحد الأئمة الأعلام، روى عن أبيه، وهشام بن عروة، والأعمش، وابن جريج، والأوزاعي، ومالك، وأسامة بن زيد الليثي، وسفيان الثوري، وحامد بن سلمة، وخلق كثير. وروى عنه أبناؤه، وشيخه سفيان، وأحمد، وعلي، ويحيى، وإسحاق، وغيرهم، قال أحمد: «ما رأيت أحداً أوعى للعلم منه، ولا أشبه بأهل النسك منه». قال ابن المديني: «كان وكيع يلحن»، وقال: «كان فيه تشيع قليل»، مات سنة ست وتسعين ومائة. انظر: الجرح والتعديل ٩/ ٣٧-٣٩، وتهذيب التهذيب ٤/ ٣١١، وميزان الاعتدال ٦/ ٩، ١٠.

(٤) أسامة بن زيد الليثي مولاهم، المدني، روى عن أبان بن صالح، وأبيه، وسعيد المقبري، وسعيد بن المسيب، وابن كيسان، وجماعة كثير. وروى عنه الثوري، وعبدالله بن المبارك، وكيع، وغيرهم. عن أحمد: ليس بشيء. وعن يحيى بن معين: ثقة صالح. وضعفه يحيى بن سعيد. وقال أبو حاتم: «يكتب حديثه ولا يحتج به». وقال النسائي: «ليس بالقوي». انظر: تهذيب الكمال ٢/ ٣٤٧-٣٥٠، وتهذيب التهذيب ١/ ١٠٨، والجرح والتعديل ٢/ ٢٨٤، ٢٨٥.

(٥) أبو عبدالله، عكرمة بن عبدالله البربري ثم المدني الهاشمي بالولاء، مولى ابن عباس. أحد أوعية العلم، تكلم فيه لرأيه لا لحفظه، فاتهم برأي الخوارج، وقد وثقه جماعة، واعتمده البخاري، وأما مسلم فتجنبه، وروى له مقروناً بغيره. روى عن مولاة، وعائشة، وأبي هريرة، وغيرهم، وأفتى في حياة ابن عباس. قال عنه ابن حجر: «ثقة ثبت عالم بالتفسير». توفي بالمدينة سنة خمس ومائة، وقيل: ست، وقيل: سبع. انظر: ميزان الاعتدال ٤/ ١٣-١٧، وتهذيب التهذيب ٣/ ١٣٤-١٣٨، وصفة الصفوة ٢/ ٧٣، وتذكرة الحفاظ ١/ ٩٥.

(٦) في (ب): (قري).

(٧) ذكره ابن الأباري في إيضاح الوقف والابتداء ١/ ٦٢، والزركشي في البرهان ١/ ٢٩٣، والسيوطي في الإقتان ٢/ ٦٧، والمزهر ٢/ ٣٠٢.

وهذا الإسناد^(١)، وعن إسحاق^(٢)، أبنا^(٣) وهب بن جرير^(٤)، ثنا^(٥) أبي^(٦) قال: سمعت الزبير بن خريت^(٧)، عن عكرمة، عن ابن عباس، أنه كان يسأل عن الشيء من عربية القرآن فينشد الشعر^(٨).

(١) أي: الإسناد السابق محمد بن عبدالعزيز المروزي أن محمد بن الحسين الحدادي أخبرهم عن محمد بن يحيى، عن إسحاق.

(٢) ابن إبراهيم الحنظلي ابن راهويه.

(٣) في (ب): (أنا)، وفي (ج): (ابن).

(٤) في (ب): (حرنند). وهب بن جرير بن حازم بن زيد، أو ابن يزيد بن عبدالله بن شجاع الأزدي بصري، حافظ، روى عن أبيه، وعكرمة، وشعبة، وغيرهم وعنه أحمد بن حنبل، وابن المديني، وابن معين، وغيرهم، ذكره ابن حبان في الثقات، وقال العجلي: «بصري ثقة، كان عفان يتكلم فيه». وقال النسائي: «ليس به بأس». مات سنة ست ومائتين. انظر: ميزان الاعتدال ٤/ ٣٥٠، والجرح والتعديل ٩/ ٢٨، وتهذيب التهذيب ٤/ ٣٢٩.

(٥) في (ج): (ابن).

(٦) أبوه جرير بن حازم بن زيد بن عبدالله بن شجاع الأزدي البصري، عده بعضهم من صغار التابعين، روى عن الحسن، وابن سيرين، وأبي الطفيل، ورجاء العطاردي، وقائدة، وغيرهم. وعنه ابنه وهب، وابن المبارك، وغيرهم. عن ابن معين: ثقة، وعنه: ليس به بأس. وقال العجلي: ثقة. والنسائي: ليس به بأس. وأبو حاتم: صدوق صالح. وابن عدي: مستقيم الحديث صالح إلا روايته عن قتادة. أحمد: كثير الغلط. البخاري: ربما يهيم في الشيء. مات سنة ١٧٥ هـ. انظر: الجرح والتعديل ٢/ ٥٠٤، ٥٠٥، وتهذيب التهذيب ١/ ٢٩٤-٢٩٦، وميزان الاعتدال ١/ ٣٩٢، ٣٩٣.

(٧) في (ب): (خزئت). الزبير بن الخريت البصري، روى عن نعيم بن أبي هند، وعكرمة، وغيرهم، وعنه جرير بن حازم، وغيره. وثقه العجلي. وذكره ابن حبان في الثقات. وقال عنه أحمد وابن معين وأبو حاتم والنسائي: ثقة. وله في مسلم حديث واحد. انظر: تهذيب التهذيب ١/ ٦٢٤، والجرح والتعديل ٣/ ٥٨١.

(٨) أخرج ابن أبي شيبة في مصنفه: كان ابن عباس إذا سئل عن شيء من القرآن أنشد شعراً من أشعارهم. كتاب الأدب، الرخصة في الشعر ٥/ ٢٧٨ (٢٦٠٤٠)، وكتاب فضائل القرآن، وما فسر بالشعر من القرآن ٦/ ١٢٣ (٢٩٩٧٤)، وذكره الرازي في الزينة ١/ ١٢٧ عن أبي عبيدة، عن ابن عباس. والسيوطي في الإتقان ٢/ ٦٧ من طريق أبي عبيد. وأخرج نحوه ابن الأثير في إيضاح الوقف والابتداء ١/ ٦٢.

سمعت أبا عثمان سعيد بن محمد الحيري^(١)، سمعت القاضي أبا الحسن علي بن القاسم^(٢)، وأبا إسحاق إبراهيم بن الحسن بن بشر^(٣)، وأبا القاسم جعفر بن عبد الله الفناكي^(٤)، الرازيين بالري، قالوا: سمعنا عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي^(٥) قال: أخبرني أبي^(٦)، ثنا^(٧) حرملة بن يحيى^(٨)، قال: سمعت الشافعي رضي الله عنه يقول: أصحاب العربية جن الإنس.

(١) في النسخ جميعها (الجيري): بالمعجمة، والصحيح الحيري بالخاء المهملة، سبقت ترجمته مع شيوخ الواحدي.

(٢) هو القاضي علي بن القاسم بن العباس بن الفضل بن شاذان، أبو الحسن، القاضي، الرازي، سمع عبد الرحمن بن أبي حاتم، وغيره، توفي بالري في سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة. نقل الخطيب عن العتيقي: توثيقه. تاريخ بغداد ٥٣/١٢.

(٣) لم أصل إليه.

(٤) في (ب): (العتاكي). هو أبو القاسم جعفر بن عبد الله بن يعقوب بن الفناكي الرازي، سمع من عبد الرحمن بن أبي حاتم، موصوف بالعدالة وحسن الديانة، روى عنه هبة الله اللالكائي، وغيره. توفي سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة. انظر: سير أعلام النبلاء ١٦/٤٣٠، ٤٣١، والعبر ٢/١٦٣.

(٥) هو الإمام الحافظ ابن الإمام الحافظ عبد الرحمن بن محمد بن إدريس، يكنى أبا محمد، ولد سنة أربعين ومائتين، أو إحدى وأربعين، سمع من أبيه، وأبي سعيد الأشج، وأبي زرعة، وجماعة كثيرين، روى عنه ابن عدي، وأبو الشيخ ابن حبان، وأبو أحمد الحاكم، له كتاب الجرح والتعديل. أثنى عليه العلماء، توفي في المحرم سنة سبع وعشرين وثلاثمائة بالري. انظر: سير أعلام النبلاء ١٣/٢٦٣-٢٦٩، وتذكرة الحفاظ ٣/٨٢٩-٨٣٢، والميزان ٣/٣٠١، ٣٠٢، وطبقات المفسرين للداودي ١/٢٨٥-٢٨٧.

(٦) الإمام الحافظ الناقد شيخ المحدثين، أبو حاتم الرازي، محمد بن إدريس بن المنذر بن داود بن مهران الحنظلي الغطفاني، كان من بحور العلم، برع في المتن والإسناد، ولد سنة خمس وتسعين ومائة، وهو من طبقة البخاري، سمع عبيد الله بن موسى والأصمعي وأبا نعيم وخلقاً كثيراً، روى عنه ابنه عبد الرحمن وإبراهيم الحري وأبو داود والنسائي وغيرهم، مات في شعبان سنة سبع وسبعين ومائتين. انظر: تاريخ بغداد ٢/٧٣-٧٧، والجرح والتعديل ١/٣٤٩-٣٦٨، وسير أعلام النبلاء ١٣/٢٤٧-٢٦٢.

(٧) (ثنا): ساقط من (ج).

(٨) هو حرملة بن يحيى بن عبد الله بن حرملة بن عمران بن قراد التجيبي، أبو حفص المصري، صاحب الإمام الشافعي، روى عن الشافعي وابن وهب وغيرهما، وروى عنه مسلم، وابن ماجه، وأبو حاتم، وغيرهم. قال أبو حاتم: «يكتب حديثه ولا يحتج به»، وقال محمد بن عبد الله الفرهادي: =

وسمعت^(١) يقول : سمعت محمد بن أحمد بن يعقوب^(٢) ، يقول : سمعت أبا العباس أحمد بن يحيى النحوي^(٣) قال : قال عبد الملك بن مروان^(٤) : تعلموا العربية فإنها المروءة الظاهرة^(٥) .

وقلّ من تقدم في علم من العلوم إلا بمعرفة الأدب ، ومقاييس العربية ، والنحو ، وما حدثت البدع والأهواء المضلة إلا من الجهل بلغة العرب . سمعت الشيخ أحمد بن أبي منصور المقرئ^(٦) - رحمه الله - يقول : سمعت الحسن بن محمد المكتب^(٧) يقول : سمعت أبا علي الحسن بن أحمد الخياط^(٨) يقول : سمعت

= «هو ضعيف» ، وقال ابن عدي : «وقد تبهرت حديث حرمة وفتشته الكثير فلم أجده فيه ما يوجب التضعيف من أجله» . وثقه ابن معين وأحمد ، وذكره ابن حبان في الثقات . توفي سنة ثلاث وأربعين ومائتين . انظر : الجرح والتعديل ٢/ ٢٧٣ ، وتهذيب الكمال ٥/ ٥٤٨-٥٥٢ ، وتهذيب التهذيب ١/ ٣٧٢ ، والميزان ١/ ٤٧٢ .

(١) أي : سمعت أبا عثمان الحيري .

(٢) محمد بن أحمد بن يعقوب ، أبو عبد الله الوزيري ، حدث عن ثعلب وغيره ، مات سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة . انظر : تاريخ بغداد ١/ ٣٧٥ . ومما يظهر أن الحيري قد عمّر ؛ حيث توفي سنة سبع وعشرين وأربعمائة ، ومحمد بن أحمد توفي سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة ، أو كان بينهما واسطة .

(٣) هو أبو العباس أحمد بن يحيى المعروف بثعلب : تقدمت ترجمته .

(٤) عبد الملك بن مروان أحد خلفاء بني أمية ، توفي سنة ست وثمانين . انظر : ترجمته في طبقات ابن سعد ٥/ ٢٢٣-٢٣٥ ، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٢٤٦-٢٤٩ .

(٥) لم أجده عن عبد الملك بن مروان ، وذكره ابن الأنباري في إيضاح الوقف والابتداء بسنده عن الكسائي عن ابن أبي الدنيا ، إيضاح الوقف والابتداء ١/ ٤٥ ، وبمعناه عن سلمة بن عبد الملك ١/ ٤٧ ، والزرّاجي في الإيضاح في علل النحو : ص ٩٥ . وعن الزّجاج ، عن المبرد عن بعض السلف : «عليكم بالعربية ، فإنها المروءة الظاهرة» ، وهي كلام الله - عز وجل - وأنبيائه وملائكته .

(٦) لم أعرفه .

(٧) لم أعرفه .

(٨) لم أعرفه .

أبا نعيم عبد الملك بن محمد بن عدي^(١) يقول : سمعت الربيع بن سليمان^(٢) يقول^(٣) : سمعت الشافعي يقول : عامة من تزندق^(٤) بالعراق لجهلهم بالعربية ولغات العرب^(٥) .

وقرأت على الأستاذ سعيد بن محمد المقرئ^(٦) فقلت : حدثكم طلحة بن محمد الشاهد^(٧) ببغداد^(٨) ، قال : سمعت أبا بكر بن دريد^(٩) ،

(١) الحافظ الحجة ، أبو نعيم الجرجاني ، الاسترأبادي ، سمع من جماعة منهم الربيع بن سليمان . قال الحاكم : « كان من أئمة المسلمين » ، وقال الخطيب : « كان أحد الأئمة » ، ومن الحفاظ لشرائع الدين مع صدق وتيقظ وورع . توفي في آخر سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة . انظر : تاريخ بغداد ١٠ / ٤٢٨ ، وطبقات الشافعية الكبرى ٣ / ٣٣٥ ، وتذكرة الحفاظ ٣ / ٨١٦ .

(٢) الربيع بن سليمان المرادي ، مولا هم ، المصري المؤذن ، صاحب الشافعي ، ورواية كتبه عنه ، روى عن جماعة منهم ابن وهب ، وعنه جماعة منهم أبو داود والنسائي وابن ماجه وأبو نعيم عبد الملك الجرجاني . قال النسائي : « لا بأس به » ، وقال ابن يونس : « كان ثقة » ، وقال ابن أبي حاتم : « صدوق ثقة » . وسئل عنه أبو حاتم فقال : صدوق . مات سنة سبع ومائتين . انظر : طبقات الشافعية الكبرى ٢ / ١٣٢ ، وتهذيب التهذيب ١ / ٥٩٣ .

(٣) (يقول) : ساقط من (أ) ، و (ج) .

(٤) الزنديق : يطلقه أكثر العلماء على من بدل دينه أو أحدث فيه ، وقد سمي الإمام أحمد القائلين بتناقض القرآن زنادقة ، وألف رسالة أسماها : الرد على الزنادقة والجهمية . وقالوا : « إنها ليست من كلام العرب ، وإنما هي فارسي معرب » . انظر : تهذيب اللغة (زندق) ٢ / ١٥٦٣ ، واللسان (زندق) ٣ / ١٨٧١ .

(٥) ذكر الرازي في الزينة ١ / ١٧ عن أبي عبيد ، سمعت الأصمعي ، سمعت الخليل ، سمعت أيوب السخيتاني ، يقول : « عامة من تزندق بالعراق لقلة علمهم بالعربية » .

(٦) هو أبو عثمان سعيد بن محمد الحيري المقرئ ، أحد شيوخ الواحدي .

(٧) طلحة بن محمد بن جعفر الشاهد ، أبو القاسم ، حدث عن جماعة منهم محمد بن العباس البيهقي وأبو القاسم البغوي وأبو بكر بن مجاهد وغيرهم ، وحدث عنه الأزهري وأبو محمد الخلال وغيرهما ، كان سمي الحال في الحديث ، وكان يذهب إلى الاعتزال ويدعو إليه ، قال الأزهري : « ضعيف في روايته ومذهبه » ، مات سنة ثمانين وثلاثمائة . انظر : تاريخ بغداد ٩ / ٣٥١ ، ومعرفة القراء الكبار ١ / ٣٤٤ .

(٨) (بغداد) : (ج) .

(٩) هو أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي صاحب كتاب الجمهرة ، كان من أكابر علماء العربية ، =

قال : قال ابن أخي الأصمعي^(١) : عن الأصمعي^(٢) : «تعلموا النحو ، فإن بني إسرائيل كفرت بكلمة ، قال الله لعيسى : (أنت نبيي وأنا ولدتك) فخففوها»^(٣) .

ولئن استغنى علم عن الأدب ، [فمن ضرورة التفسير وعلم القرآن الأدب]^(٤) ومعرفة اللغة العربية ، ولا تكاد تجد ذلك متأتياً لمن لم يمرن عليها ، ولم يتدرب^(٥) بها .

= وكان شاعراً ، من ذلك مقصورته المشهورة ، أخذ عن أبي حاتم ، والرياشي وعبدالرحمن بن أخي الأصمعي ، قال الدارقطني : تكلموا فيه . توفي سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة . انظر : تاريخ بغداد ٢ / ١٩٥ ، ونزهة الألباء ١٩١ - ١٩٤ ، ووفيات الأعيان ٤ / ٣٢٣ - ٣٢٩ .

(١) هو عبدالرحمن بن عبدالله بن أخي الأصمعي ، يكنى أبا محمد ، وقيل : يكنى أبا الحسن ، روى عن عمه ، وكان إذا أكثر أنكر عليه ، وربما كذبه . انظر : طبقات النحويين للزبيدي ١٨٠ ، وإنباه الرواة ٢ / ١٦١ .

(٢) هو عبدالملك بن قريب بن علي بن أصمع الباهلي ، صاحب النحو واللغة والغريب والأخبار ، وكان عالماً بالشعر ، صدوقاً في الحديث ، أخذ عن عبدالله بن عوف ، وشعبة ، وحامد بن سلمة ، والخليل . وأخذ عنه ابن أخيه عبدالرحمن وأبو عبيد بن القاسم وأبو حاتم وغيرهم ، وثقه ابن معين والشافعي ، توفي سنة ست عشرة ومائتين ، وعمره إحدى وتسعين . انظر : طبقات النحويين للزبيدي ١٦٧ - ١٧٤ ، ونزهة الألباء ٩٠ - ١٠٠ ، ووفيات الأعيان ٣ / ١٧٠ - ١٧٦ .

(٣) ذكره الحافظ ابن حبان البستي ، ولفظه قال : سمعت إسحاق بن إبراهيم القاضي يقول : سمعت ابن أخي الأصمعي يقول : سمعت عمي يقول : تعلموا النحو فإن بني إسرائيل كفروا بكلمة واحدة كانت مشددة فخففوها قال : يا عيسى إني ولدتك : فقرؤوا يا عيسى إني ولدتك : مخففاً فكفروا . روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ٢٦٨ .

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) .

(٥) يتدرب : غير واضحة في (ب) .

ولقد سمعت أحمد بن محمد بن إبراهيم^(١)، يقول : سمعت الحسن بن محمد^(٢)، يقول : سمعت أبا عبد الله^(٣) الميداني^(٤) الخطيب بزوزن^(٥) يقول : سمعت محمد بن جمعة الحافظ^(٦) يقول : سمعت يحيى بن سليمان بن فضلة المدني^(٧) يقول : سمعت مالك بن أنس يقول : لا أوتى برجل غير عالم^(٨) بلغات العرب يفسر كتاب الله إلا جعلته نكالا^(٩).

وكيف يتأتى لمن جهل لسان العرب أن يعرف تفسير كتاب جعل معجزة في فصاحة ألفاظه ، وبعد أغراضه لخاتم النبيين وسيد المرسلين ﷺ وعلى آله الطيبين في زمان أهله يتحلون بالفصاحة ، ويتحدون بحسن الخطاب وشرف العبارة ، وإن مثل من طلب ذلك مثل من شهد الهيجاء بلا سلاح ، ورام أن يصعد الهواء^(١٠) بلا جناح . ثم وإن طال تأمله مصنفات المفسرين ، وتتبعه أقوال أهل التفسير من المتقدمين والمتأخرين ، فوقف على معاني ما أودعوه كتبهم ، وعرف ألفاظهم التي

(١) هو شيخه (الثعلبي) انظر : ترجمته في شيوخ المصنف .

(٢) هو الحسن بن محمد بن الحسن بن حبيب ، سبقت ترجمته .

(٣) في (ج) : (عبد الرحمن) .

(٤) لم أعرفه .

(٥) زوزن : بضم أوله وقد يفتح ، كورة واسعة بين نيسابور وهرات ، ومحسبونها في أعمال نيسابور ، كانت تعرف بالبصرة الصغرى ، لكثرة من أخرجت من الفضلاء وأهل العلم . معجم البلدان ١٥٨/٣ . وكورة : كل صقع يشمل عدة قرى ، ولا بد لتلك القرى من قصبة أو مدينة أو نهر يجمع اسمها . معجم البلدان لياقوت ٣٦/١ .

(٦) لم أعرفه .

(٧) يحيى بن سليمان بن فضلة الخزاعي المدني ، روى عن مالك ، وسليمان بن بلال وغيرهما ، قال ابن خراش : لا يسوى شيئاً . وقال ابن أبي حاتم : كتب عنه أبي وسألته عنه ، فقال : شيخ حدث أياماً ثم توفي . انظر : الجرح والتعديل ١٥٤/٩ ، والميزان ٥٧/٦ .

(٨) (عالم) : مكرر في (ب) .

(٩) ذكره الزركشي في البرهان عن يحيى بن سليمان بن فضلة عن مالك ٢٩٢/١ .

(١٠) في (ب) : (السهاء) .

عبروا بها عن معاني القرآن ، لم يكن إلا مقلداً^(١) لهم في ما حكوه ، وعارفاً معاني قول مجاهد ، ومقاتل ، وقتادة^(٢) ، والسدي^(٣) ، وغيرهم دون معنى قول الله عز وجل .

ألا ترى أن واحداً ممن لم يتدرب بلغة العرب لو سمع قول امرئ القيس^(٤) :

دِيْمَةُ هَظْلَاءٍ فِيْهَا وَطْفٌ طَبَقُ الْأَرْضِ تَحَرَّى وَتَدَّرُ^(٥)

- (١) في (أ) ، و(ج) : (مخلداً) ، وأثبت ما في (ب) : لأنه الصحيح .
- (٢) قتادة بن دعامة السدوسي البصري ، كان ضريباً ، اشتهر بالحفظ ، أثنى عليه الأئمة كأحمد بن حنبل ، ومعمر ، والزهري وغيرهم ، مات بواسط بالطاعون سنة ثمان عشرة ومائة ، وقيل : سنة سبع عشرة . انظر : ترجمته في الجرح والتعديل ١٣٣ / ٧ ، وتذكرة الحفاظ ١٢٢ / ١ ، والميزان ٣٠٥ / ٤ ، وطبقات المفسرين للداودي ٤٧ / ٢ ، ٤٨ .
- (٣) إسماعيل بن أبي كريمة السدي ، وهو المعروف بالسدي الكبير ، قرشي بالولاء . السدي : بضم السين ، نسبة إلى السدة ، وهي الباب ؛ لأنه كان يجلس إلى سدة الجامع بالكوفة ، وهو تابعي سمع أنساً ، وثقه أحمد ، وضعفه بعضهم كابن معين ، ومال أحمد شاكر في حاشية الطبري إلى توثيقه . مات سنة سبع وعشرين ومائة ، وقيل : سنة تسع وعشرين .
- انظر : تهذيب الكمال ١٣٢ - ١٣٨ ، والجرح والتعديل ١٨٤ / ٢ ، وطبقات المفسرين ١١٠ / ١ ، وحاشية الطبري ١٥٧ / ١ (ط . شاكر) . هذا هو السدي الكبير ، أما السدي الصغير فهو محمد بن مروان ، متروك الحديث ، ضعفه كثير من الأئمة ، انظر : ترجمته في الميزان ١٥٧ / ٥ ، وطبقات المفسرين ٢ / ٢٥٥ ، ٢٦٥ .
- (٤) هو امرؤ القيس بن حجر بن الحارث ، الشاعر الجاهلي المشهور ، يقال له : ذو القروح ، والملك الضليل ، يعد شيخ الشعراء وأميرهم في الجاهلية ، ومن الطبقة الأولى من شعرائهم الفحول . انظر : طبقات فحول الشعراء ٥١ / ١ ، والشعر والشعراء ٤٩ ، والخزانة ٣٢٩ / ١ ، وشرح شواهد المغني ٢١ / ١ .
- (٥) (الديمة) المطر الدائم ، (هظلاء) كثيرة المطر ، (الوطف) الدنو من الأرض . طبق الأرض ؛ تطبق الأرض وتعمها ، (تحرى) تتعمد المكان وتثبت فيه ، (تدر) يكثر مطرها . ورد البيت في تهذيب اللغة في مواضع (هطل) ٣٧٦٩ / ٤ ، و(طبق) ٢١٦٤ / ٣ ، و(وطف) ٣٩١١ / ٤ ، و(دام) ١١٣٥ / ٢ ، والصحاح (طبق) ٤ / ١٥١٢ ، و(هطل) ٥ / ١٨٥٠ ، واللسان (وطف) ٨ / ٤٨٦٨ ، و(طبق) ٥ / ٢٦٣٧ ، و(هطل) ٨ / ٤٦٧٥ ، و(دوم) ٣ / ١٤٥٧ ، وديوان امرئ القيس ٧٨ .

فسأل عن معناه ، فقليل له : إنه يصف مطراً سحابه^(١) هاطل ، كان عارفاً معنى هذا البيت من طريق التقليد ، ولا يكون عارفاً معنى قول امرئ القيس ما لم يعرف تفسير كل حرف على حدته ، وما وضع له ذلك اللفظ .

وكذلك قوله :

وَمَا ذَرَفَتْ عَيْنَاكَ إِلَّا لِتَضْرِبِي بِسَهْمَيْكَ فِي أَغْشَارِ قَلْبٍ مُقْتَلٍ^(٢)

معنى هذا البيت أنه يقول لا امرأة : ما بكيت إلا لتأخذي بمجامع قلبي ، فمن^(٣) عرف هذا فقد عرف معنى البيت ، لكنه إنما عرفه من قول من عبر عن مراد الشاعر بهذا لا من قول الشاعر . ودون أن تعرف وضع ألفاظه ، والمراد بكل حرف منه : خرط القتاد^(٤) .

وعلى هذا النحو جميع كلام العرب ، مثل قولهم : (أبى الحقن العذرة)^(٥) يضرب لمن يعتذر ، وظاهر حاله يكذبه ، ومعرفة هذا المعنى لا تفيدك معرفة

(١) في (ب) : (سحابة) .

(٢) ذرفت : دمعت . الأغشار : القطع والكسور ، يقول : ما بكيت إلا لتجرحي قلباً مكسراً ، ولم تبكي لأنك مظلومة ، واختار الأزهري في معنى البيت ما ذكره أحمد بن يحيى ، وهو : أن المراد بسهميك سهمي قذاح الميسر ، ويكون المعنى : أنها ضربت بسهامها على قلبه فخرج لها السهمان العلوي والرقيب ، إذا فاز الرجل بهما غلب على الجزور كلها ، فهي غلبته على قلبه كله . ورد البيت في التهذيب (عشر) ٣/٢٤٤٧ ، و(قتل) ٣/٢٨٨٤ ، ومعجم مقاييس اللغة (عشر) : ٤/٣٢٦ ، و(قتل) ٥/٥٧ ، والمخصص ٥/٥٣ ، ومجمل اللغة (عشر) ٣/٦٧٠ ، و(قتل) ٣/٧٤٣ ، وشرح القصائد المشهورات للنحاس ١٦ ، واللسان (قتل) ٦/٣٥٣٠ ، وديوان امرئ القيس ١١٤ .

(٣) في (ب) : (لمن) .

(٤) في المثل (دونه خرط القتاد) : والقتاد شجر له شوك ، والخرط : أن تمر يدك على القتادة من أعلاها إلى أسفلها حتى ينثر شوكها ، والمثل يضرب للأمر الشاق . انظر : المستقصى في أمثال العرب ٢/٨٢ ، و٣/٣٤٢ (قتد) .

(٥) الحقن : اللبن المحقون . والعذرة : العذر . المثل في قوم اعتذروا إلى ضيف ولهم لبن ، فقال : لا يسوغ اللبن معذرتكم . وقيل : المثل في رجل حقن إهالة (الودك المذاب) وزعم لضيف أنها سمن ، فلما =

هذه ^(١) الألفاظ . وكقولهم ^(٢) : (فلان لا يقعق ^(٣) له بالشنان ^(٤)) ولا تفرع ^(٥) له العصا ^(٦)) و(أنا جذيلها المحكك) ^(٧) في أمثال لهذا كثيرة .

وكذلك آيات القرآن التي ^(٨) فسرها الصحابة والتابعون ، إنما فسروها بذكر معناها المقصود ، كقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ ﴾ [البقرة: ٢٠٦] قال قتادة : إذا قيل له : مهلاً مهلاً ^(٩) ، ازداد إقداماً على المعصية ^(١٠) .

= صيها جعل يعتذر فقال الضيف : أبى الحقين العذرة . والمثل يضرب لمن يعتذر وليس له عذر . انظر :
جمهرة الأمثال لأبي هلال رقم المثل ١٢ ، ٢٨ / ١ ، والمستقصى في أمثال العرب للزمخشري ٣١ / ١ رقم ٩٢ ، ومجمع الأمثال للميداني ٦٩ / ١ رقم (١٦٠) .

(١) في (ب) : (بهذه) .

(٢) في (ب) : (لقولهم) .

(٣) في (ج) : (قعقع) .

(٤) في (ب) : (باللسان) .

(٥) في جميع النسخ (تفرع) : وهو تصحيف .

(٦) قوله : لا يقعق له بالشنان : يضرب للرجل الشهم الصعب ؛ أي لا يهدد ولا يفزع ، وقد تمثل به الحجاج على منبر الكوفة . والشنان : جمع شن وهي القربة اليابسة ، والقعقة : صوت الشيء الصلب على مثله . انظر : جمهرة الأمثال ٤١٢ / ٢ ، والمستقصى ٢٧٤ / ٢ ، والصحاح (شنن) ٢١٤٦ / ٥ ، واللسان (شنن) ٢٣٤٤ / ٤ . وقوله : ولا تفرع له العصا : قال في مجمع الأمثال ٢٤١ / ٢ : لا تفرع له العصا ، ولا تقلقل له الحصا : يضرب للمحنك المجرب ، وانظر : تهذيب اللغة (قرع) ٢٩٣٨ / ٣ ، واللسان (قرع) ٣٥٩٥ / ٦ .

(٧) ورد نص المثل في كتب الأمثال : أنا جذيلها المحكك ، وعذيقها المرجب . الجذيل : تصغير الجذل ، وهو خشبة تحتك بها الإبل الجربى ، والعذيق : تصغير العذق : بفتح العين وهو النخلة ، والمرجب : الذي جعل له ما يعتمد عليه ، وهذا تصغير لتفخيم وتلطيف المحل . والمثل يضرب للمستشفى برأيه . وقد قاله الحباب بن المنذر بن الجموح الأنصاري يوم السقيفة عند بيعة أبي بكر رضي الله عنه . انظر : مجمع الأمثال ٥٢ / ١ رقم (١٢٥) ، والمستقصى ٣٧٧ / ١ رقم (١٦١٨) .

(٨) في (ج) : (الذي) .

(٩) (مهلاً) : ساقطة من (ب) .

(١٠) ذكره المؤلف في الوسيط ٣٠٣ / ١ ، وتفسير القرطبي ١٩ / ٣ ، ولم أجده في غيرهما عن قتادة في ما اطلعت عليه ، والله أعلم .

فمن أين لك أن تعرف هذا^(١) المعنى من لفظ الآية ؟ إلا بعد الجهد وطول التفكير .

وكذلك قوله : ﴿ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ ﴾ [آل عمران : ١٧٥] . قال السدي : يعظم أولياءه في صدوركم^(٢) . فانظر ، هل يمكنك أن تفرغ هذا المعنى في قالب^(٣) هذه الألفاظ إلا بعد التعب في معرفة ما ذكره أرباب النحو ؟ وكذلك قوله : ﴿ وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ﴾ [الفرقان : ٧١] تدبر ، هل تعرف صحة هذه الألفاظ واستواء نظمها مما ذكره المفسرون ؟ وهل يحسن أن يقال : من قام فإنه يقوم ، ومن ركب فإنه يركب^(٤) ؟ وعلى هذا أكثر آيات القرآن وكلام العرب ، وإنما ذكرت هذه الأمثلة لتعرف أن من تأمل مصنفات المفسرين ، ووقف على معاني أقوالهم ، لم يقف على معاني كلام الله دون الوقوف على أصول اللغة والنحو .

(١) في (ب) : (بهذا) .

(٢) ذكره الطبري في تفسيره ١٨٤ / ٤ ، والبغوي ١٣٩ / ٢ ، ونحوه في تفسير القرطبي عن ابن عباس . وذكر عن السدي قولاً آخر ٢٨٢ / ٤ .

(٣) في (ج) : (قال) .

(٤) لا يحسن أن يقال : من قام فإنه يقوم ؛ لأنه تكرار لا معنى له . انظر : تفسير القرطبي ٧٩ / ١٣ . أما الآية فقد ذكر المفسرون في معنى التوبة في الآية الثانية أقوالاً منها : قال ابن عباس : من آمن من أهل مكة ولم يكن قتل وزنى . فهي توبة عن غير الذنوب المذكورة في الآية ، من القتل والزنى ، وقيل : الأولى في من تاب من المشركين ، والثانية في من تاب من المسلمين ، وقيل : المراد تأكيد أن التوبة لا تنفع إلا بالعمل الصالح ، فيتوب متاباً ؛ أي : حق التوبة ، وقيل : من صدقت توبته يوفقه الله للاستمرار عليها ، وفي الآية أقوال أخرى .

انظر : تفسير البغوي ٩٧ / ١٩ ، ٩٨ ، وزاد المسير ١٠٨ / ٦ ، وتفسير القرطبي ٧٩ / ١٣ .

والمعنيون^(١) بالتصنيف في هذا العلم طبقات ؛ فالصحابة الذين نزل فيهم القرآن شاهدوا التنزيل ، وعرفوا التأويل ؛ لأنهم أهل اللغة الذين نشؤوا عليها كما وصفناهم قبل .

وأما التابعون والسلف الصالحون فإنهم لم يتصنعوا في جمع ما جمعوا ، ولم يتكلفوا في تتبع الخفايا من الزوايا .

وأرباب المعاني^(٢) اقتصروا على الإعراب ، وبيان نهج الخطاب .

وللمتأخرين مراتب ودرجات ، وأغراض في التصنيف متفاوتات ، والاشتغال بما يعنيننا أولى من بيان درجتهم ، والكشف عن نقصهم ومزيتهم^(٣) ، وقلّ من تراه يعنى بسوق اللفظ على التفسير ، وإفراغه في قوالب المعاني ، حتى يأتي به متسقاً من غير ترجح ، ومطرداً من غير تحاذل^(٤) .

وعلى هذا فلم يبقوا في القوس منزعاً^(٥) ، ولم يترك الأول للآخر شيئاً ، غير أن المتأخر بلطف حيلته^(٦) ، ودقيق^(٧) فطنته ، يلتقط الدرر ويجمع الغرر ،

(١) في (ب) : (المعتنون) .

(٢) يريد المتكلمين على المعاني من جهة اللغة والنحو ، كالفرّاء والزّجاج والأخفش في كتبهم في معاني القرآن وغيرهم ، قال في البرهان : « قال ابن الصلاح : وحيث رأيت في كتب التفسير : قال أهل المعاني فالمراد به مصنفو الكتب في معاني القرآن كالزّجاج ومن قبله . . . وفي بعض كلام الواحدي : أكثر أهل المعاني : الفرّاء والزّجاج وابن الأنباري قالوا كذا » . البرهان ١٤٦ / ٢ ، ١٤٧ ، والإتقان ٢٤٣ / ٤ ، وانظر : الوسيط وحاشيته ٦٥ / ١ .

(٣) في (ب) : (ومرئيتهم) .

(٤) في (ب) : (تحاذل) .

(٥) لعله يقصد بهذا السابقين من دون المتأخرين ، وبه يزول ما قد يوحي به ظاهر سياق العبارة من تناقض .

(٦) في (ب) : (جبلته) .

(٧) في (ج) : (رقيق) .

فينظمها كالعقد على صدر الكعاب^(١)، يروق المتأملين^(٢)، ويؤنق الناظرين^(٣)، فيستحق به في الأولى حمد الحامدين، وفي العقبى ثواب رب العالمين.

وأظنني لم آل جهداً في إحكام أصول هذا العلم، على حسب ما يليق بزماننا هذا، ويسعه سنو عمري على قلة أعدادها، فقد وفق الله - تعالى - وله الحمد، حتى اقتبست كل ما احتجت إليه في هذا الباب من مظانه، وأخذته من^(٤) معادنه.

أما اللغة؛ فقد درستها على الشيخ أبي الفضل أحمد بن محمد بن عبد الله بن يوسف العروضي^{(٥)(٦)} رحمه الله، وكان قد خنق التسعين^(٧) في خدمة الأدب، وأدرك المشايخ الكبار، وقرأ عليهم، وروى عنهم كأبي منصور الأزهري^(٨)، روى عنه كتاب التهذيب^(٩) وغيره من الكتب، وأدرك أبا العباس العامري،

(١) الكعاب: الجارية إذا نهد ثديها، وجمعها كواعب، كما قال الله تعالى: ﴿وَكَوَّعِبَ أَرْبَابًا﴾ [النبا: ٣٣]. وعن ثعلب: كعاب. انظر: اللسان (كعب) ٣٨٨٨/٧.

(٢) الروق: الإعجاب، أي: يعجب المتأملين. انظر: تهذيب اللغة (راق) ١٣٢٩/٢، واللسان (روق) ١٧٨٠/٣.

(٣) الأُنق: الإعجاب بالشيء، قد أنقني الشيء ويؤنقني إيناقاً، وإنه لأنيق مؤنق، لكل شيء أعجبك حسنه. تهذيب اللغة (أنق) ٢١٩/١، واللسان (أنق) ١٥٣/١.

(٤) في (ب): (في).

(٥) في (ج): (المعروضي).

(٦) سبقت ترجمته مع شيوخ الواحدي.

(٧) خنق التسعين: كاد يبلغها، انظر: القاموس المحيط (خنق) ٨٨١.

(٨) سبقت ترجمته عند الحديث عن مصادر الواحدي في البسيط.

(٩) هو كتاب تهذيب اللغة للأزهري، سبق ذكره في مصادر الواحدي في البسيط.

وأبا القاسم الأسدي^(١)، وأبا نصر طاهر بن محمد الوزيري، وأبا الحسين^(٢) الرخجي^(٣)، وهؤلاء كانوا فرسان البلاغة وأئمة اللغة.

وسمع أبا العباس الأصم^(٤)، وروى عنه، واستخلفه الأستاذ أبو بكر الخوارزمي^(٥) على درسه عند^(٦) غيبته.

(١) هو عبدالرحمن بن الحسن بن أحمد بن عبيد، أبو القاسم الأسدي، من أهل همدان، تكلموا فيه، قال الخطيب البغدادي: قال صالح: سمعت القاسم بن أبي صالح نص عليه بالكذب مع دخوله في أعمال الظلمة، توفي سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة.

انظر: تاريخ بغداد ١٠/٢٩٢، وسير أعلام النبلاء ١٦/١٥، وميزان الاعتدال ٣/٢٧٠.
(٢) في (أ): (الحسن)، وفي (ب)، و(ج): محتملة والتصحيح حسب ما في يتيمة الدهر ٤/٤٧٩، الأنساب ٦/٩٨.

(٣) في (ب): (الراحي). وهو أبو الحسين عيسى بن حامد بن بشر بن عيسى الرخجي، القاضي، يعرف بابن بنت القنيطي، سمع من جماعة، منهم محمد بن جرير الطبري، توفي في ذي الحجة سنة ثمان وستين وثلاثمائة، والرخجي: بضم الراء وفتح الحاء المعجمة المشددة وفي آخرها الجيم نسبة إلى الرخجية: قرية قريبة من بغداد، وقيل: إن المذكور ينسب لقبيلة يقال لها: الرخج: والأول أقرب. انظر: يتيمة الدهر ٤/٤٧٩، وتاريخ بغداد ١١/١٧٨، والأنساب ٦/٩٨.

(٤) هو الإمام المحدث محمد بن يعقوب بن يوسف بن معقل بن سنان، الأموي مولا هم، أبو العباس، النيسابوري، الأصم، أصابه الصمم بعد رحلته ثم استحکم حتى كان لا يسمع نهيق الحمار، رحل مع أبيه إلى الآفاق، سمع العدد الكبير من العلماء، طال عمره، وبعد صيته، وتزاحم عليه الطلبة، لم يختلف في صدقه وصحة سماعته، توفي في الثالث والعشرين من ربيع الآخر سنة ست وأربعين وثلاثمائة.

انظر: الأنساب ١/٢٩٤، وسير أعلام النبلاء ١٥/٤٥٢-٤٦٠، وتذكرة الحفاظ ٣/٨٦٠-٨٦٤، والعبر ٢/٧٤، ٧٥.

(٥) هو أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمي، شاعر أديب، كان أوجد عصره في حفظ اللغة والشعر، رحل إلى بلاد عدة، واستوطن نيسابور، توفي سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة.

انظر: يتيمة الدهر ٤/٢٢٣-٢٧٦، والأنساب ٥/١٩٤، وبغية الوعاة ١/١٢٥.

(٦) (عند): ساقط من (ب).

وله المصنفات الكبار ، والاستدراكات على الفحول من علماء اللغة والنحو .
 وكنت قد لازمته سنين ، أدخل عليه عند طلوع الشمس ، وأخرج لغروبها ،
 أسمع ، وأقرأ ، وأعلق ، وأحفظ ، وأبحث ، وأذاكر أصحابه ما بين طرفي النهار ،
 وقرأت عليه الكثير من الدواوين ، وكتب اللغة ، حتى عاتبني شيخني رحمه الله
 يوماً من الأيام وقال : إنك لم تبق ديواناً من الشعر إلا قضيت حقه ، أما أن لك أن
 تتفرغ لتفسير كتاب الله العزيز ؟ ! يقرؤه علي هذا الرجل الذي يأتيه البعداء من
 أقاصي البلاد ، وتتركه أنت على قرب ما بيننا من الجوار ، يعني : الأستاذ الإمام
 أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي رحمه الله .

فقلت : يا أبت إنما أتدرج بهذا إلى ذلك الذي تريد ، وإذا لم أحكم الأدب
 بجذوتك ، لم أرم في غرض التفسير عن كذب ، ثم لم أغب^(١) زيارته يوماً من
 الأيام إلى أن حال بيننا قدر الحمام .

وأما النحو ؛ فإني لما كنت في مِيعَة^(٢) صباي ، وشرح شيبتي^(٣) ، وقعت
 إلى الشيخ أبي الحسن علي بن محمد بن إبراهيم الضرير^(٤) رحمه الله ، وكان
 من أبرع أهل زمانه في لطائف النحو وغوامضه ، وأعلمهم بمضائق^(٥)
 طرق العربية ودقائقها ، ولعله تفرس في^(٦) ، وتوسم^(٦) أثر الخير لدي ،

(١) الغب : من ورد الماء ، أن تشرب يوماً ، وتدع يوماً ، ومن الحمى أن تأخذ يوماً وتدع يوماً ، والمراد : لم
 أترك زيارته يوماً من الأيام . انظر : اللسان (غب) ٦ / ٣٢٠٤ .

(٢) مِيعَة الشباب أوله وأنشطه . انظر : تهذيب اللغة (ماع) ٤ / ٣٣٢٧ ، واللسان (ميع) ٧ / ٤٣٠٩ .

(٣) شرح الشباب قوته ونضارته . انظر : الصحاح (شرح) ١ / ٤٢٤ ، واللسان (شرح) ٤ / ٢٢٢٩ .

(٤) سبقت ترجمته مع شيوخ الواحدي .

(٥) في (ب) : (بمضاق) .

(٦) (وتوسم) : ساقط من (ب) .

فتجرد^(١) لتخريجي ، وصرف وكده^(٢) إلى تأديبي ، ولم يذخر^(٣) عني شيئاً من مكنون ما عنده ، حتى استأثرتني بأفلاذه^(٤) ، وسعدت به أفضل ما سعد تلميذ بأستاذه .

وقرأت عليه جوامع النحو والتصريف والمعاني ، وعلقت عنه قريباً من مائة جزء في المسائل المشككة ، وسمعت منه^(٥) أكثر مصنفاته ، في النحو والعروض والعلل ، وخصني بكتابه الكبير في علل القراءات المرتبة في كتاب الغاية لابن^(٦) مهران .

(١) في (ب) : (متجرد) .

(٢) في (ب) : (فكره) . وكده : قصده . قال في تهذيب اللغة : وكد فلان أمره يكده وكداً إذا مارسه وقصده . التهذيب (وكد) ٣٩٤٣ / ٤ .

وانظر : الصحاح (وكد) ٥٥٣ / ٢ ، واللسان (وكد) ٤٦٧ / ٣ .

(٣) ذخر الشيء يذخره ذخراً : اختاره لنفسه وأبقاه لوقت الحاجة ، انظر : اللسان (ذخر) ١٤٩٠ / ٣ ، والمعجم الوسيط (ذخر) ٣٠٩ / ١ .

(٤) في (ب) : (بأولاده) . الأفلاذ جمع ، مفردة : فلذة ، والمراد : لب الشيء وخالصة ، كما في الحديث في أشراط الساعة : «تلقى الأرض بأفلاذها» المراد : كنوزها ، وفي قصة بدر : «هذه قريش قدرتمكم بأفلاذ كبدها» ؛ أي صميم قريش ولبها وأشرافها .

انظر : تهذيب اللغة (فلذ) ٢٨٢٧ / ٣ ، واللسان (فلذ) ٣٤٦٠ / ٦ .

(٥) في (ب) : (عنه) .

(٦) كتاب الغاية في القراءات العشر لأبي بكر الحسين بن مهران النيسابوري توفي سنة ٣٨١هـ ، جمع فيه القراءات العشر ، مع ذكر قراءة اختيارية انفرد بها عن سهل بن محمد أبي حاتم السجستاني ، وذكر في مقدمة كتابه أسانيده لكل قراءة ، طبع الكتاب بتحقيق محمد غياث الجنباز . وله ؛ شروح منها شرح لأبي الحسين علي بن محمد بن إبراهيم القهндزي ، له نسخة مخطوطة بالتمورية ٢٨٢ / ١ الموجود نصف الكتاب ، ولعل هذا الشرح هو المراد بقوله : كتابه الكبير في علل القراءات ، ولم يذكر أحد ممن ترجم للقهندزي أن له كتاباً باسم علل القراءات .

ثم ورد علينا الشيخ الإمام أبو الحسن عمران بن موسى المغربي المالكي^(١)، وكان واحد عصره، وباقعة^(٢) دهره^(٣) في علم النحو، لم يلحق أحد ممن سمعنا شأوه في معرفة الإعراب، ولقد صحبته مدة مقامه عندنا، حتى استنزفت غرر^(٤) ما عنده.

وأما القرآن، وقراءات أهل الأمصار، واختيارات الأئمة، فإني اختلفت^(٥) أولاً إلى الأستاذ أبي القاسم علي بن أحمد البستي^(٦) رحمه الله، وقرأت عليه القرآن ختمات كثيرة لا تحصى، حتى قرأت عليه أكثر طريقة الأستاذ أبي بكر أحمد بن الحسين بن مهران^(٧) رحمه الله.

ثم ذهبت إلى الإمامين أبي عثمان سعيد بن محمد الحيري، وأبي الحسن علي بن محمد الفارسي^(٨) رحمهما الله، وكانا قد انتهت إليهما الرئاسة في هذا العلم، وأشير إليهما بالأصابع في علو السن، ورؤية المشايخ، وكثرة التلامذة، وغزارة العلوم وارتفاع الأسانيد، والوثوق فيها، فقرأت عليهما، وأخذت من كل واحد منهما حظاً وافراً بعون الله وحسن توفيقه.

(١) سبقت ترجمته مع شيوخ الواحدي.

(٢) الباقعة: الرجل الداهية. انظر: تهذيب اللغة (بقع) ٢٨٥/١.

(٣) في (ب): (واحد دهره وباقعة عصره).

(٤) من (ب): وفي غيرها: (غزر).

(٥) يقال: اختلف إلى المكان إذا تردد. المعجم الوسيط (خلف) ٢٥١/١.

(٦) سبقت ترجمته مع شيوخ الواحدي.

(٧) هو أحمد بن الحسين بن مهران النيسابوري المقرئ، له كتب عدة في القراءات، وفي بعض علوم القرآن، من أشهرها كتاب الغاية الذي سبق ذكره، توفي سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة. انظر: ترجمته في معجم الأدباء ١/٣٤٤-٣٤٦، ومعرفة القراء الكبار ١/٣٤٧، وغاية النهاية ١/٤٩، والعبر ١٥٧/٢.

(٨) سبقت ترجمته مع شيوخ الواحدي.

وقرأت على الأستاذ سعيد مصنفات ابن مهران^(١)، وروى لنا كتب أبي علي^(٢) الفسوي^(٣) عنه .

(١) لابن مهران مصنفات كثيرة أغلبها في القراءات وعلوم القرآن ، منها :

- ١ . الغاية في القراءات العشر .
 - ٢ . المبسوط في القراءات العشر .
 - ٣ . القراءات السبع .
 - ٤ . قراءة أبي عمرو .
 - ٥ . غرائب القرآن .
 - ٦ . وقوف القرآن .
 - ٧ . الانفراد .
 - ٨ . شرح المعجم .
 - ٩ . شرح التحقيق .
 - ١٠ . اختلاف عدد السور .
 - ١١ . رؤوس الآيات .
 - ١٢ . الوقف والابتداء .
 - ١٣ . قراءة عبدالله بن عمر .
 - ١٤ . علل كتاب المبسوط .
 - ١٥ . آيات القرآن .
 - ١٦ . الاتفاق والانفراد .
 - ١٧ . المقطع والمبادئ .
 - ١٨ . الشامل في القراءات .
 - ١٩ . سجود القرآن .
 - ٢٠ . طبقات القراء .
- انظر : معجم الأدباء ١/ ٣٤٥ ، وتاريخ التراث لسزكين ١/ ٤٦ ، ومعرفة القراء الكبار ١/ ٣٤٧ ، ٣٤٨ ، وكشف الظنون ٢/ ١٠٢٥ ، والأعلام للزركلي ١/ ١١٥ ، ومعجم المؤلفين ١/ ١٣٠ .
- (٢) (علي) : ساقط من (ب) .
- (٣) هو أبو علي الفارسي سبقت ترجمته ، أما كتبه فذكر له ياقوت في معجم الأدباء ستة وعشرين كتاباً ، منها :

- ١ . كتاب الإيضاح .
- ٢ . التكملة .
- ٣ . الحجة .

وقرأت عليه بلفظي كتاب الزَّجَّاج في المعاني^(١) روايته عن ابن مقسم^(٢) عنه ، وسمع بقراءتي الخلق الكثير .

ثم فرغت للأستاذ الإمام أبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي رحمه الله ، وكان حبر العلماء بل بحرهم ، ونجم الفضلاء^(٣) بل^(٤) بدرهم ، وزين الأئمة بل فخرهم ، وأوحد الأمة بل صدرهم ، وله التفسير الملقب بالكشف والبيان عن تفسير القرآن^(٥) الذي رفعت به المطايا في السهل والأوعار ، وسارت به الفلك في

٤ . المسائل الحلبيات .

٥ . المسائل البغدادية .

٦ . المسائل الشيرازية .

٧ . المسائل القصيرية .

٨ . المسائل المنثورة .

٩ . المسائل الدمشقية .

١٠ . المسائل البصرييات .

١١ . المسائل المشكلة .

١٢ . المسائل الكرمانية .

١٣ . الإيضاح الشعري .

١٤ . الإيضاح النحوي . وغيرها .

وقد ذكر الدكتور حسن شاذلي فرهود أن لأبي علي ثلاثة وثلاثين مصنفاً ، انظر : مقدمة تحقيق كتاب التكملة : ٣ .

(١) هو أبو إسحاق إبراهيم بن السري الزَّجَّاج ، سبق ذكره عند الحديث عن مصادر الواحدي في البسيط ، وكتابه في المعاني : وهو معاني القرآن وإعرابه ، وهو أشهر كتب الزَّجَّاج ، اعتمد عليه الواحدي في كتابه البسيط ، انظر : مصادر الواحدي .

(٢) هو محمد بن الحسن بن يعقوب بن مقسم البغدادى العطار ، تقدمت ترجمته .

(٣) في (ب) : (الفضائل) .

(٤) (بل) : سقط من (ب) .

(٥) وهو تفسير الثعلبي المشهور ، أحد مصادر الواحدي المهمة كما سبق ، ولم يكن قد طبع بعد عند إعداد عدد من الرسائل المشاركة في تحقيق هذا التفسير .

البحار ، وهبت هبوب الريح في الأقطار :

وسار مَسِيرَ الشَّمْسِ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ وَهَبَّ هُبوبَ الرِّيحِ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ^(١)

وأصفت^(٢) عليه الأمة كافة على اختلاف نحلهم ، وأقروا له بالفضيلة في تصنيفه ما لم يسبق إلى مثله ، فمن أدركه وصحبه علم أنه كان منقطع القرين ، ومن لم يدركه فلينظر في مصنفاته ؛ ليستدل بها على أنه كان بحراً^(٣) لا ينزف ، وغمراً^(٤) لا يسبر^(٥) .

وقرأت عليه من مصنفاته أكثر من خمسمائة جزء ، وتفسيره الكبير ، وكتابه المعنون بالكامل في علم القرآن^(٦) وغيرهما .

ولو أثبت^(٧) المشايخ الذين أدركتهم ، واقتبست عنهم هذا العلم ، من مشايخ نيسابور ، وسائر البلاد التي^(٨) وطئتها ، طال الخطب وملَّ الناظر .

(١) لم أجده .

(٢) اجتمعت على الاعتراف بفضله ، يقال : أصفك القوم على كذا : أطبقوا عليه واجتمعوا . انظر : تهذيب اللغة (صفق) ٢ / ٢٠٢٩ ، واللسان (صفق) ٤ / ٢٤٦٣ .

(٣) في (ب) : (بحر) .

(٤) في (ب) : (غمر) . في تهذيب اللغة : الغمر : الماء الكثير ، ويقال : رجل غمر الخلق ؛ أي : واسع الخلق ، وهو غمر الرداء : إذا كان كثير المعروف واسع . تهذيب اللغة (غمر) ٣ / ٢٦٩٣ ، واللسان (غمر) ٦ / ٣٢٩٣ .

(٥) في (ب) : (يسبر) . كان الواحد شديداً الإعجاب بشيخه فبالغ في وصفه . انظر ما سبق عند الحديث عن شيوخه ، وكذا في مصادره في البسيط .

(٦) لم أجد أحداً ممن ترجم للثعلبي ذكر هذا الكتاب ، ولعله في ما ضاع من التراث .

(٧) في (ب) : (أتيت) .

(٨) في (ج) : (الذي) .

وقد استخرت الله العظيم في جمع كتاب أرجو أن يمدني الله فيه بتوفيقه وحسن تيسيره ، حتى أبرزه كالقمر انجاب سبحانه ، والزلال صفا^(١) متنه^(٢) واطرد^(٣) حبابه^(٤) ، يؤدي إلى التأمل^(٥) نضرة الكلم^(٦) العذاب ، ورونق الذهب المذاب ، سالك نهج الإعجاز في الإيجاز ، مشتمل على ما نقت^(٧) على غيري إهماله ، ونعت عليه إغفاله ، خال عما يكسب المستفيد ملالة ، ويتصور^(٨) عند المتصفح إطالة ، لا يدع لمن تأمله حازة^(٩) في صدره حتى يخرج من ظلمة الريب والتخمين^(١٠) ، إلى نور العلم وثلج^(١١) اليقين ، هذا بعد أن يكون التأمل مرتاضاً في صنعة الأدب والنحو ، مهتدياً بطرق الحجاج ، قارحاً^(١٢) في سلوك المنهاج .

(١) في (ب) : (والزلال صفاته واطراد . . .) .

(٢) متن كل شيء ما ظهر منه . انظر : تهذيب اللغة ٤ / ٣٣٣٨ ، واللسان (من) ٧ / ٤١٣٠ .

(٣) اطرود : تتابع . انظر : التهذيب (طرود) ٣ / ٢١٧٥ ، واللسان (طرود) ٥ / ٢٦٥١ .

(٤) حبابه : نفاخاته وفقايعه التي تطفو كأنها القوارير ، أو الطرائق التي في الماء ، كأنها الوشي ، وهو الموج يتبع بعضه بعضاً . انظر : تهذيب اللغة (حب) ١ / ٧١٦ ، واللسان (حب) ٢ / ٧٤٢ .

(٥) في (ب) : (التأمل) .

(٦) (الكلم) : جمع كلمة . انظر : اللسان (كلم) ٧ / ٣٩٢١ .

(٧) قال الجوهري : نقت على الرجل أنقم بالكسر : إذا عتبت عليه ، وقال الكسائي : ونقت بالكسر ، لغة . ونقت الأمر ونقمته : إذا كرهته . انظر : الصحاح (نقم) ٥ / ٢٠٤٥ ، واللسان (نقم) ٨ / ٤٥٣١ .

(٨) في (ب) : (ويتصفح) .

(٩) في (ب) : (حارة) ، وكذا ورد في معجم الأدباء ١٢ / ٢٦٨ في ما نقله من مقدمة البسيط للواحيدي ، والحزاة : وجع في القلب من غيظ ونحوه ، ويقال : حَزَّازٌ بالشدديد ، والمراد كل ما حَزَّ في القلب وحكَّ . انظر : التهذيب (حز) ١ / ٨٠٢ ، واللسان (حز) ٢ / ٨٥٦ ، وحارة الصدر ما يحصل فيه من الحرارة من العطش والحزن والهَمُّ . انظر : اللسان (حرر) ٢ / ٨٢٧ ، فاللفظان متقاربان في المعنى .

(١٠) في (ب) : (التحمير) .

(١١) ثلج النفس : اطمئنانها . انظر : التهذيب (ثلج) ١ / ٥٠٠ .

(١٢) القرع : هو الذي نبت نابه ، والمراد قوي واشتدَّ .

انظر : تهذيب اللغة (قرع) ٣ / ٢٩١٨ ، واللسان (قرع) ٦ / ٣٥٧١ .

فأما الجذع^(١) المزجي^(٢) من المقتبسين ، والريض^(٣) الكز^(٤) من المبتدئين فإنه مع هذا الكتاب كمزاول^(٥) غلقاً ضاع عنه المفتاح ، ومتخبط في ظلماء ليل خانه المصباح :

يحاول فتق غيم وهو يأبى^(٦) كَعَيْنٍ يَرِيدُنْكَاحَ بِكْرٍ^(٧)
وأبتدئ في كل آية عند التفسير بقول ابن عباس ما وجدت له نصاً^(٨) ، ثم بقول من هو قدوة في هذا العلم من الصحابة وأتباعهم ، مع التوفيق بين قولهم ولفظ الآية . فأما الأقوال الفاسدة والتفسير المرذول الذي لا يحتمله اللفظ ولا تساعده العبارة فمما لم أعبأ به ، ولم أضيع الوقت بذكره .

-
- (١) الجذع من الدواب والأنعام : قبل أن يثني بسنة ، ويختلف في أسنان الإبل والخيول والبقر والشاة . والمراد : حدث السن الذي في أول إدراكه . تهذيب اللغة (جذع) ٥٦٦ / ١ .
- (٢) (المزجي) القليل غير التام ، انظر : اللسان (زجي) ١٥١١ / ٢ ، والمراد الناشئ المبتدئ قليل البضاعة في العلم . وقد جاءت الكلمة في معجم الأدباء (المرخي) ٢٦٩ / ١٢ ، والمراد ليس به قوة .
- (٣) الرريض : من الدواب الذي لم يقبل الرياضة ولم يمهر السير ، ولم يذل لراكبه ، فهو لم يذل بعد ، وكذا غلام رريض ، والمراد المبتدئ ، الذي لم يتمرن بعد .
- انظر : التهذيب (راض) ١٣١٩ / ٢ ، واللسان (روض) ١٧٧٥ / ٣٢ .
- (٤) من الكزازة وهي اليبس والصلابة ، والمراد أنه لم يتدرب ولم يلن بعد . انظر : التهذيب (كز) ٣١٣٨ / ٤ ، واللسان (كز) ٣٨٦٩ / ٧ .
- (٥) في (ج) : (كمزوال) .
- (٦) في (ب) : (يأتي) .
- (٧) لم أجده .
- (٨) سبق بيان منهجه في البسيط ٢٤٥-٢٤٦ . وفيه أنه يبدأ أولاً بشرح الكلمات وبيان أصولها واشتقاقها في اللغة ، ويذكر الأوجه النحوية ، ثم يشرع في تفسير الآية قائلاً : أما التفسير ، فيبدأ بذكر قول ابن عباس في الغالب ، وقد يذكر قول غيره قبله .

وذكرت وجوه القراءات السبع التي اجتمع عليها أهل^(١) الأمصار ، دون تسمية القراء^(٢) ، واعتمدت في أكثرها على كتاب أبي علي الحسن بن أحمد الفارسي^(٣) الذي رواه لنا سعيد بن محمد الحيري^(٤) عنه .

وكلُّ ينفق مما رزقه الله ، ويعمل على مقدار ما وفقه الله ، ومتى يبلغ ضعف^(٥) سعينا وقاصر جهدنا نهاية ما لا^(٦) يتناهى ؟ وهذا سهل بن عبدالله^(٧) يقول : « لو أعطي العبد بكل حرف من القرآن ألف فهم لم يبلغ نهاية ما أودع الله في آية من كتابه ؛ لأنه كلام الله ، وكلامه صفته ، وكما أن ليس لله نهاية ، فكذلك لا نهاية لفهم كلامه ، وإنما يفهم كل بمقدار ما يفتح الله على قلبه » .

وكلام الله غير مخلوق ، ولا يبلغ إلى نهاية فهمه فهوم محدثة مخلوقة . ثم إن هذا الكتاب عجالة الوقت ، وقبسة العجلان ، وتذكرة يستصحبها المرء حيثما حل وارتحل ، وإن أنسى الأجل ، وأرخى الطول^(٨) ، وأنظرنى الليل والنهار ، حتى

(١) (أهل) : ساقط من (ب) .

(٢) وقد يسمي القراء . انظر : منهجه في ذكر القراءات .

(٣) هو كتاب الحجة لأبي علي الفارسي ، وقد اعتمد عليه كثيراً ، فهو أحد مصادره المهمة . انظر ما سبق في : مصادر الواحدى .

(٤) في (ج) (الجيري) : بالجيم . والصحيح بالخاء أحد شيوخه كما سبق .

(٥) في (ج) : (ومتى يبلغ سعى ضعف سعينا . . .) .

(٦) في (ب) : (ما لم) .

(٧) هو أبو محمد سهل بن عبدالله بن يونس التستري ، أحد أئمة الصوفية ، لقي ذا النون المصري ، توفي سنة ثلاث وثمانين ومائتين ، وقيل : سنة ثلاث وسبعين ومائتين . انظر : طبقات الصوفية للسلمي ٢٠٦ ، وحلية الأولياء ١٠ / ١٨٩ ، ووفيات الأعيان ٢ / ٤٢٩ ، والبداية والنهاية ١١ / ٧٤ .

(٨) الطول : هو الحبل الطويل جداً ، ويطلق على الحبل الذي يطول للدابة فترعى فيه .

قال طرفة :

لَعَمْرُكَ إِنَّ الْمَوْتَ مَا أَخْطَأَ الْفَتَى لَكَالطَّوْلَ الْمُزْحَى وَثْنِيَاهُ بِالْيَدِ

والمراد : آخر العمر ، ومدَّ فيه . انظر : تهذيب اللغة (طال) ٣ / ٢١٥٦ ، واللسان (طول) ٥ / ٢٧٢٥ .

يتلفع بالمشيب العذار^(١)، أردفته بكتاب (أنضجه)^(٢) بنار الروية، وأردده على راووق^(٣) الفكرة، وأضمنه عجائب ما كتبت له ولطائف ما جمعت^(٤).

وعلى الله^(٥) المعول في تيسير ما رمت، وله الحمد كلما قعدت أو قمت.
[والله الموفق للصواب]^(٦).

* * *

(١) قال الأزهري: يقال: تلفع الرجل بالمشيب إذا شمله الشيب، تهذيب اللغة (لفع) ٤/ ٣٢٨٠، وانظر: المخصص لابن سيده ٧٧/ ١٥.

والعذار عذار الرجل: شعره النابت في موضع العذار، والعذاران: جانبنا اللحية؛ لأن ذلك موضع العذار من الدابة. انظر: اللسان (عذر) ٥/ ٢٨٥٤.

(٢) في (ب): (أفصح).

(٣) في التهذيب عن أبي عبيد: الراووق: المصفاة، وعن الليث: ناجود الشراب الذي يروق به فيصفي، التهذيب ٢/ ١٣٢٨، وانظر: اللسان (روق) ٣/ ١٧٧٩، وفي معجم الأدباء (رواق الفكرة).

(٤) هل ألف هذا الكتاب؟ وما هو؟ لقد انتهى الواحد من تأليف البسيط سنة ست وأربعين وأربعمائة، ثم ألف بعده الوسيط، فهل هو المراد؟ أو كتاب غيره ألفه ولم يصل إلينا؟ وأنه كان يرغب ذلك ولم يتحقق له؟ الله أعلم.

(٥) (الله): لفظ الجلالة غير موجود في (ب).

(٦) ما بين المعقوفين زيادة من (ب).

فاتحة الكتاب

قوله عز وجل^(١) : ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ اختلفت عبارة النحويين في تسمية هذه الباء الجارة ، فسموها مرة : حرف إلصاق ، ومرة : حرف استعانة ، ومرة : حرف إضافة ، وكل هذا صحيح من قولهم^(٢) .

أما الإلصاق : فنحو قولك : تمسكت بزید ، وذلك أنك ألصقت محل قدرتك به ، وبها اتصل به ، فقد صح إذن معنى الإلصاق^(٣) .

وأما الاستعانة : فقولك : ضربت بالسيف ، وكتبت بالقلم ، وبريت بالمدينة ؛ أي : استعنت بهذه الأدوات على هذه الأفعال .

وأما الإضافة : فقولك : مررت بزید ، أضفت مرورك إلى زيد بالباء^(٤) .

(١) قوله : عز وجل ساقط من (ج) .

(٢) نقل الواحدي الكلام عن (الباء) من كتاب سر صناعة الإعراب لأبي الفتح ابن جني ١/١٢٢ بالنص في الغالب ، وقد يتصرف بالعبارة أحياناً . وللباء معان كثيرة أوصلها المزني إلى واحد وعشرين معنى . انظر : الحروف للمزني ٥٤ ، وحروف المعاني للزجاجي ٤٧ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ومغني اللبيب ١/١٠١ ، والبحر المحيط ١/١٤ .

(٣) سر صناعة الإعراب ١/١٢٣ ، وفيه (ألصقت محل قدرتك أو ما اتصل بمحل قدرتك به أو بما اتصل به . . .) . وسمى سيبويه هذا المعنى : إلزاقاً واختلاطاً . الكتاب ٤/٢١٧ ، قال ابن هشام : وهو معنى لا يفارقها ، ولهذا لم يذكر سيبويه غيره . مغني اللبيب ١/١٠١ ، ولكن نجد سيبويه ذكر معنى الإضافة في الكتاب ١/٤٢١ .

(٤) سر صناعة الإعراب ١/١٢٣ ، وانظر : الكتاب ١/١٢١ ، والمقتضب ١/١٧٧ ، ومغني اللبيب ١/١٠١ ، والبحر المحيط ١/١٤ .

وأما قول النحويين^(١) : الباء والكاف واللام الزوائد ؛ فإنما قالوا فيهن : إنهن زوائد ؛ لأنهن لما كُنَّ على حرف واحد ، وقللن غاية القلة ، واختلطن بما بعدهن خشي عليهن لقلتهن وامتزاجهن بما يدخلن عليه أن يظن بهن أنهن بعضه وأحد أجزائه ، فوسموهن بالزيادة ، ليعلموا^(٢) من حالهن أنهن لسن من أنفس ما وصلن به .

ألا ترى أن (اليوم تنساه) لا باء فيه ، ولا كاف^(٣) .

وحذاق النحويين لا يسمونها زوائد ، بل يقولون في الباء واللام : إنها حرفا إضافة^(٤) ، وفي الكاف يقولون : حرف جر^(٥) .

وهذه حروف أدوات عاملة^(٦) ، تجر ما تدخل عليه من الأسماء نحو : من ، وعن ، وفي^(٧) .

(١) سر صناعة الإعراب ١/ ١٢٠ .

(٢) في (ب) : (لتعلموا) .

(٣) (اليوم تنساه) جملة يستعملها النحويون تجمع الحروف الزوائد ، وهي عشرة حروف ، والمراد أن (الباء) و(الكاف) ليستا من الحروف الزوائد . انظر : سر صناعة الإعراب ١/ ١٢٠ ، والتبصرة والتذكرة للصيمري ٢/ ٧٨٨ .

(٤) عند أبي الفتح : (فأما حذاق أصحابنا فلا يسمونها بذلك ، يقولون في الباء واللام أنها حرفا إضافة) ، سر صناعة الإعراب ١/ ١٢١ ، وهذا قول سيبويه . انظر : الكتاب ١/ ٤٢١ ، والمقتضب ١/ ١٨٣ ، ٤/ ١٣٦-١٤٣ ، ووسمها ابن هشام في مغني اللبيب بالزيادة ١/ ١٠٦ .

(٥) انظر : الكتاب ٤/ ٢١٧ ، والمقتضب ٤/ ١٤٠ ، ومغني اللبيب ١/ ١٧٦-١٧٩ .

(٦) في (ب) : (عاملات) .

(٧) قوله : (وهذه حروف أدوات . . .) ليس من كلام أبي الفتح ، والنص في سر صناعة الإعراب : «وهذا موضع لا بد فيه من ذكر العلة التي لها صارت حروف الإضافة هذه جارة . . .» إلى أن قال : «إنها جرت الأسماء . . .» . ١/ ١٢٣ . وعن عمل حروف الجر ، وهل هي حروف أو أسماء ؟ . انظر : الكتاب ١/ ٤١٩ ، ٤٢٠ ، والمقتضب ٤/ ١٣٦ ، والأصول في النحو لابن السراج ١/ ٤٠٨ . قال الصيمري في التبصرة والتذكرة : «الحروف تنقسم قسمين : أحدهما يستعمل حرفاً وغير حرف ، والآخر يكون حرفاً لا غير ، فأما ما يستعمل حرفاً وغير حرف فنحو على وعن وكاف التشبيه ومنذ =

وإنما جرت^(١) الأسماء من قبل أن الأفعال التي قبلها ضعفت عن وصولها وإفضائها إلى الأسماء التي بعدها نحو قولك : (عجبت ، ومررت ، وذهبت) لو قلت : عجبت زيداً ، ومررت جعفرأ ، وذهبت محمداً ، لم يجوز كما يجوز ضربت زيداً ؛ لضعف هذه الأفعال في العرف^(٢) والعادة^(٣) والاستعمال ، فلما قصرت هذه الأفعال عن الوصول إلى الأسماء رفدت بحرف الإضافة ، فجعلت موصلة^(٤) لها إليها ، فقالوا : عجبت من زيد ، ونظرت إلى محمد^(٥) ، فلما احتاجت هذه الأفعال إلى هذه الحروف لتوصلها إلى بعض الأسماء جعلت تلك الحروف جارة ، وأعملت هي في الأسماء^(٦) . ولم يُفَضَّ إلى الأسماء النصب الذي يأتي من الأفعال ؛ لأنهم أرادوا أن يجعلوا بين الفعل والواصل بنفسه وبين الفعل والواصل بغيره فرقاً . ولما هجروا لفظ النصب لما ذكرنا ، لم يبقَ إلا الرفع والجر . فأما الرفع فقد استولى عليه الفاعل ، فلم يبقَ إذاً غير الجر ، فعدلوا إليه ضرورة^(٧) [و]^(٨)

ومذ ، فهذه تكون حروفاً في حال ، وأسماء في أخرى . . . وأما ما لا يستعمل إلا حرفاً في هذا الباب فالباء الزائدة . . . واللام الزائدة . . . ومن وإلى وفي ورب وحتى إذا كانت غاية . التبصرة والتذكرة ٢٨٢-٢٨٥ / ١ .

- (١) في (ج) : (وإنما تدخل جرت) .
- (٢) في (ج) : (القرن) .
- (٣) في (أ) ، و(ج) : (في الاستعمال) وفي سر صناعة الإعراب : «لضعف هذه الأفعال في العرف والعادة والاستعمال عن إفضائها إلى هذه الأسماء . . .» . ١٢٤ / ١ .
- (٤) في (ج) : (موصولة) .
- (٥) في سر صناعة الإعراب : «نظرت إلى عمرو» . ١٢٤ / ١ .
- (٦) هذا مذهب البصريين في سبب تسميتها حروف جر ، أما الكوفيون فيسمونها حروف خفض ، قالوا : لانخفاض الحنك الأسفل عند النطق به . انظر : الإيضاح في علل النحو ٩٣ .
- (٧) من سر صناعة الإعراب ١٢٤ / ١ ، ١٢٥ ، مع اختصار بعض الجمل .
- (٨) الواو ساقطة من (ب) .

الجار والمجرور جميعاً في موضع نصب^(١)، ألا ترى أنهم عطفوا عليه بالنصب^(٢) فقالوا: مررت بزيد ومحمداً، ونظرت إلى عمرو وخالداً، وعلى هذا^(٣) ما أنشده سيبويه:

مُعَاوِيَ إِنَّنَا بَشَرٌ فَأَسْجَحُ فَلَسْنَا بِالْجِبَالِ وَلَا الْحَدِيدِ^(٤)

عطف الحديد على موضع بالجبال^(٥)، ولهذا قال سيبويه: إنك إذا قلت: مررت بزيد [فكأنك قلت: مررت زيدا]^(٦)، تريد^(٧) بذلك أنه لولا الباء الجارة

(١) سر صناعة الإعراب ١/ ١٣٠، وانظر: المقتضب ٤/ ٣٣، قال النحاس عند قوله: ﴿يَسْمِعُ اللَّهُ﴾: «موضع الباء وما بعدها عند الفراء نصب، وعند البصريين رفع، وقال الكسائي: الباء لا موضع لها من الإعراب». إعراب القرآن ١/ ١١٦، وانظر: مشكل إعراب القرآن ١/ ٦، وإملاء ما من به الرحمن ٤/ ١.

(٢) هذا أحد وجهين ذكرهما أبو الفتح للدلالة على صحة دعوى أن الفعل إذا أوصله حرف جر إلى الاسم، فإن الجار والمجرور في موضع نصب بالفعل الذي قبلها. سر صناعة الإعراب ١/ ١٣٠.

(٣) (على هذا) مكرر في (ب).

(٤) البيت لعقبة الأسدي ونسبه لعبدالله بن الزبير، ومعنى (أسجح) سهل علينا حتى نصير، فلسنا بجبال ولا حديد.

والبيت من شواهد سيبويه، استشهد به في مواضع من كتابه ١/ ٦٧، ٢/ ٢٩١، ٢/ ٣٤٤، ٣/ ٩١، وورد في المقتضب ٢/ ٣٣٧، ٤/ ١١٢، ٤/ ٣٧١، وجمل الزجاجي ٥٤، وشرح أبيات سيبويه للسيرافي ١/ ٢٢، ٣٠٠، ومغني اللبيب ٢/ ٤٧٧، وإعراب القرآن للنحاس ٣/ ٤٤٠، والإنصاف ٢٨٤، وشرح المفصل ٢/ ١٠٩، ٤/ ٩. والشاهد فيه: نصب الحديد، وعطفه على موضع الباء، وقد أنكر بعضهم على سيبويه استشهاده بالبيت، ورووه مجروراً، ورد ذلك السيرافي وقال: إن البيت جاء بروايتين.

انظر: شرح أبيات للسيرافي ١/ ٢٢، ٣٠٠، والخزانة ٢/ ٢٦١-٢٦٤.

(٥) في (ب): (الجبال).

(٦) انظر: الكتاب ١/ ٩٢. والنص من سر صناعة الإعراب ١/ ١٣١.

(٧) في سر صناعة الإعراب (يريد)، وهذا أقرب، فأبو الفتح يقول: يريد سيبويه.

لانتصب زيد ، وعلى ذلك أجازوا مررت بزيد^(١) الظريف ، تنصبه على موضع بزيد^(٢) .

وجميع^(٣) الحروف المفردة التي تقع في أوائل الكلم حكمها الفتح أبداً ؛ نحو واو العطف ، وفائه ، وهمة الاستفهام ولا م الابتداء .

فأما (الباء) في (بزيد) فإنما كسرت لمضارعها اللام الجارة^(٤) في قولك : المال لزيد . وسنذكر العلة في كسر اللام في قوله تعالى : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [الفاتحة : ٢] إن شاء الله^(٥) ، ووجه المضارعة بينهما اجتماعهما في الجر ولزوم كل واحد منهما الحرفية^(٦) ، وليست كذلك كاف التشبيه ؛ لأنها قد تكون اسماً في بعض المواضع .

فأما المتعلق به (الباء) في قوله تعالى : ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ فإنه محذوف ، ويستغنى عن إظهارها لدلالة الحال عليه ، وهو معنى الابتداء ، كأنه قيل : بدأت بسم الله^(٧) ، وأبدأ بسم الله ، والحال تبين أنك مبتدئ فاستغنيت عن ذكره^(٨) .

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ج) .

(٢) بنصبه من سر صناعة الإعراب ١ / ١٤٤ .

(٣) بنصبه عن أبي الفتح من سر صناعة الإعراب ١ / ١٤٤ .

(٤) قال الثعلبي : «العلة في كسرها أن (الباء) حرف ناقص ممال ، والإمالة من دلائل الكسرة» . تفسير الثعلبي ١ / ١٥ .

(٥) في سر صناعة الإعراب ، وسنذكر العلة في كسر (اللام) في موضعها ... ١ / ١٤٤ ، وقد تكلم الواحدي عن العلة في كسر (اللام) عند الكلام عن السلام الجارة في لفظ الجلالة في قوله : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ ونقل في ذلك عن أبي الفتح ابن جني .

(٦) انظر : معاني القرآن للزجاج ٣ / ١ ، وإعراب القرآن للنحاس ١ / ١١٦ ، وتفسير الثعلبي ١ / ١٥ ب ، والمشكل لمكي ١ / ٥ ، والكشاف ١ / ٢٣ .

(٧) في (ب) : (إعراب باسم بالله) .

(٨) قال الطبري : أغنت دلالة ما ظهر من قول القائل : (بسم الله) ، على ما بطن من مراده الذي هو محذوف . ومفهوم أنه يريد بذلك : (أقرأ بسم الله الرحمن الرحيم) . تفسير الطبري ١ / ٥٠ ، =

وحذفت الألف من بسم الله ؛ لأنها وقعت ^(١) في موضع معروف ، لا يجهل القارئ معناها ، فاستخف طرحها ؛ لأن من شأن العرب الإيجاز إذا عرف المعنى ، وأثبتت في قوله تعالى : ﴿ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾ [الواقعة : ٧٤ ، ٩٦ ، الحاقة : ٥٢] ؛ لأن هذا لا يكثر كثرة (بسم الله) ألا ترى أنك تقول : (بسم الله) عند ابتداء كل شيء ^(٢) .

ولا تحذف الألف إذا أضيف (الاسم) إلى غير ^(٣) الله ، ولا مع غير الباء من الحروف ، فتقول : لاسم الله حلاوة في القلوب ، وليس اسم كاسم الله ، فتثبت الألف مع اللام والكاف ^(٤) . هذا في سقوطها في الكتابة ، وأما سقوطها في اللفظ ، فلا ^(٥) للوصل ، وقد استغنى عنها بالباء ^(٦) .

فأما معنى : الاسم ، واشتقاقه ، ومأخذه من اللغة ، فقد كثر فيها الاختلاف ، فقال ^(٧) نحويو ^(٨) الكوفة : الاسم مشتق من السمة ، وهي العلامة ، كالعدة والزنة

وانظر : معاني القرآن للزجاج ١/١ ، والوسيط للواحيدي ١٤/١ ، والكشاف ٢٦/١ ، ولباب التفسير للكرماني ٢٦/١ (رسالة دكتوراه) .

(١) في (ب) : (وقفت) .

(٢) أخذه عن معاني القرآن للقرّاء ، مع اختلاف يسير في اللفظ ٣٦ ، وانظر : إعراب القرآن للنحاس ١١٧/١ ، ومعاني القرآن للزجاج ٣/١ .

(٣) في (ج) : (لغير) .

(٤) معاني القرآن للقرّاء ١/٢ ، وانظر : معاني القرآن للزجاج ٣/١ ، والمشكل لمكي ٥/١ ، وتفسير ابن عطية ٨٤/١ ، والكشاف ٣٥/١ .

(٥) في (ب) : (ولا منها) .

(٦) معاني القرآن للزجاج ١/١ ، وانظر : معاني القرآن للأخفش ١٤٧/١ ، وإعراب القرآن للنحاس ١١٧ .

(٧) في (ب) : (فقالوا) .

(٨) (نحويو) مكانها بياض في (ب) .

من الوزن ، والوعد ، كذلك السمة من الوسم^(١) ، ومن هذا قال أبو العباس ثعلب : الاسم وسم وسمة توضع على الشيء يعرف به^(٢) .

وقال مشيخة البصرة : الاسم مشتق من السمو ؛ لأنه يعلو المسمى ، فالاسم ما علا وظهر^(٣) ، فصار علماً للدلالة على ما تحته من المعنى^(٤) . وقال بعضهم : العلة في اشتقاقه من السمو أن الكلام ثلاثة : اسم ، وفعل ، وحرف ، فالاسم يصح أن يكون خبراً ويخبر عنه ، والفعل يكون خبراً ولا يخبر عنه ، والحرف لا يكون خبراً ولا يخبر عنه ، فلما كان للاسم مزية على النوعين الآخرين وجب أن يشتق مما^(٥) ينبئ عن هذه المزية ، فاشتق من السمو ليدل على علوه وارتفاعه^(٦) .

وعند المتكلمين أنه اشتق من السمو ؛ لأنه سما عن حد العدم إلى الوجود^(٧) . وقالوا : أصله سِمُو^(٨) ، وجمعه أسماء مثل قنو وأقناء^(٩) ، وحنو وأحناء فحذفت

(١) حذفت فاؤه اعتلالاً على غير قياس ، والأصل في اسم (وسم) فحذفت الفاء التي هي الواو من (وسم) . انظر : معاني القرآن للزجاج ٢ / ١ ، وتفسير ابن عطية ٨٤ / ١ ، والإنصاف في مسائل الخلاف ٤ ، والبيان في غريب إعراب القرآن ٣٢ / ١ ، ومشكل إعراب القرآن ٦ / ١ .

(٢) انظر : تهذيب اللغة ، وفيه : الاسم وسم وسمة . . . ، (سما) ١٧٤٨ / ٢ ، واللسان (سما) ٢١٠٩ / ٤ ، والإنصاف ٤ .

(٣) انظر : معاني القرآن للزجاج ٢ / ١ ، وتهذيب اللغة للأزهري (سما) ١٧٤٨ / ٢ ، واشتقاق أسماء الله للزجاجي ٢٥٥ ، والإنصاف ٥ ، وتفسير ابن عطية ٨٤ / ١ ، والكشاف ٣٤ / ١ ، ٣٥ ، ومشكل إعراب القرآن ٦ / ١ .

(٤) هذا قول الزجاج ، وفيه إشارة إلى أن الاسم هو المسمى ، انظر : معاني القرآن ٢ / ١ ، والإنصاف ٥ .

(٥) في (ب) : (عما) .

(٦) انظر : الإيضاح في علل النحو ٤٩ ، والإنصاف ٦ .

(٧) ذكره الثعلبي في تفسيره ١٦ / ١ ب .

(٨) أو (سمو) بالضم . انظر : المقتضب ٢٢٩ / ١ ، ومشكل إعراب القرآن ٦ / ١ .

(٩) في (ب) : (فتو أفتاء) .

الواو استثقلاً^(١)، ولم تحذف من نظائره ؛ لأنها لم تكثر^(٣) كثرته ، ثم سكنوا السين استخفافاً لكثرة ما تجري على لسانهم ، واجتلبت ألف الوصل ليتمكن الابتداء به ، وكان هذا أخف عليهم من ترك الحرف متحركاً ؛ لأن الألف تسقط في الإدراج ، وكان إثبات الحرف الذي يسقط كثيراً أخف من حركة السين التي^(٤) تلزم أبداً^(٥) .

قالوا : ولا^(٦) يصح مذهب الكوفيين في هذا الحرف ؛ لأنه لا يعرف شيء حذفت منه فاء الفعل ، فدخلت عليه ألف الوصل كالعدة والزنة .

وأيضاً فلو كان من الوسم لكان تصغيره وسيماً ، كما يقول : وعيدة ، ووصيلة ، في تصغير : صلة وعدة^(٧) .

وأما معنى الاسم ؛ ففيه مذهبان^(٨) :

- (١) في (ب) : (استقلالا) .
- (٢) انظر : معاني القرآن للزجاج ٢ / ١ ، واشتقاق أسماء الله ٢٥٥ ، والمنصف ١ / ٦٠ .
- (٣) في (ب) : (تكن) .
- (٤) في (ب) : (الذي) .
- (٥) انظر : اشتقاق أسماء الله ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، وإعراب القرآن للنحاس ١ / ١١٧ ، والكشاف ١ / ٣٤ ، قال الزمخشري : « ومنهم من لم يزد لها ؛ أي : الألف ، واستغنى عنها بتحريك الساكن فقال : سم ، وسم » .
- (٦) (الواو) ساقطة من (ج) .
- (٧) انظر : معاني القرآن للزجاج ٢ / ١ ، واشتقاق أسماء الله ٢٥٥-٢٥٧ ، والمخصص ١٧ / ١٣٤ ، وتفسير ابن عطية ١ / ٨٤ ، والإنصاف لابن الأثير ، وقد ذكر خمسة وجوه في بيان فساد مذهب الكوفيين ٤ ، وتهذيب اللغة (سأ) ٢ / ١٧٤٧ .
- (٨) ذكر الرازي وابن كثير فيه ثلاثة مذاهب ، وهي :
 - ١ . الاسم نفس المسمى وغير التسمية .
 - ٢ . الاسم غير المسمى ونفس التسمية .
 - ٣ . الاسم غير المسمى وغير التسمية . التفسير الكبير للرازي ١ / ١٠٨ ، وتفسير ابن كثير ١ / ٢٠ ، وقد كثر الخوض في هذه المسألة ، وجعل بعضهم كثرة الحديث فيها من باب العبث الذي لا طائل تحته . انظر : تفسير الرازي ١ / ١٠٩ .

أحدهما : أنه بمعنى التسمية^(١) ، وعلى هذا قول القائل : بسم الله ؛ أي : بتسمية الله أفتتح تيمناً وتبركاً .

والثاني وهو الصحيح : أن الاسم هو المسمى^(٢) كقوله^(٣) تعالى : ﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ﴾ [النساء : ٥٩] . فلو كان الاسم غير المسمى وجب أن يكون المأمور بطاعته غير الله وغير الرسول ، وإذا قال القائل : رأيت زيداً ، وجب أن يكون لم يرَ شخص زيد .

قال الطبري : « وليس هذا هو الموضع من مواضع الإكثار في الإبانة عن الاسم : أهو المسمى أم غيره ، أم هو صفة له ؟ فنطيل الكتابة ، وإنما هذا موضع من مواضع الإبانة عن الاسم المضاف إلى الله ، أهو اسم أم مصدر بمعنى التسمية ؟ . . . » ، ثم أخذ ابن جرير يرد على أبي عبيدة قوله : إن الاسم هو المسمى بتقريع مريب .

وقد علق الأستاذ محمود شاكر على كلام الطبري بكلام جيد . انظر : تفسير الطبري ١/ ١٢٢ - ١٨٨ ، تحقيق محمود شاكر . كما تكلم عن هذا ابن عطية في تفسير المحرر الوجيز ١/ ٨٥ . وقد أوضح العلامة ابن أبي العز في شرح العقيدة الطحاوية المنهج الصحيح في هذا إذ قال : « قولهم : الاسم عين المسمى أو غيره ؟ وطالما غلط كثير من الناس في ذلك ، وجهلوا الصواب فيه ، فالاسم يراد به المسمى تارة ، ويراد به اللفظ الدال عليه أخرى ، فإذا قلت : قال الله كذا ، أو سمع الله لمن حمده ، ونحو ذلك ، فهذا المراد به المسمى نفسه ، وإذا قلت : الله اسم عربي ، والرحمن اسم عربي ، والرحيم من أسماء الله تعالى ، ونحو ذلك ، فالاسم هاهنا هو المراد لا المسمى ، ولا يقال غيره ، لما في لفظ الغير من الإجمال . . . » . شرح الطحاوية ٨٢ . وقد ذكر ابن عطية في تفسيره أن مالكا - رحمه الله - سئل عن الاسم أهو المسمى ؟ فقال : ليس به ولا غيره ، قال ابن عطية : يريد دائماً في كل موضع . ١/ ٨٩ .

(١) قال الرازي : قالت المعتزلة : الاسم غير المسمى ونفس التسمية . ١/ ١٠٨ ، وانظر : تفسير ابن كثير ١/ ٢٠ .

(٢) وبه أخذ شيخه الثعلبي في تفسيره الكشف والبيان ١/ ١٦ . أ . وقرره أبو عبيدة في مجاز القرآن ١/ ١٦ ، والزجاج في معاني القرآن ١/ ٢ . وقد رد الطبري هذا القول كما سبق ، ورد عليه أيضاً ابن جني في كتابه الخصائص ، حيث أبان في باب في إضافة الاسم إلى المسمى ، والمسمى إلى الاسم ، قال : « فيه دليل نحوي غير مدفوع يدل على فساد قول من ذهب إلى أن الاسم هو المسمى » . الخصائص ٣/ ٢٤ ، والصحيح هنا أنه لا يقال : الاسم هو المسمى ولا غيره ، بل قد يكون هو المسمى في موضع وغيره في موضع آخر ، كما سبق في بيان كلام ابن أبي العز في شرح الطحاوية .

(٣) في (ب) : (لقوله) .

وسئل أحمد بن يحيى^(١) عن الاسم أهو المسمى أو غيره ؟ فقال : « قال أبو عبيدة : الاسم هو المسمى »^(٢) . وقال سيبويه : « الاسم غير المسمى . قيل له : فما قولك ؟ فقال : ليس لي فيه قول »^(٣) .

وإذا كان الاسم هو المسمى فمعنى قول القائل : بسم الله ؛ أي بالله ، ومعناه بالله أفعل ؛ أي بتوفيقه ، أو بالله تكونت الموجودات ، أو ما أشبه هذا من الإضمار^(٤) .

وأدخل الاسم ليكون فرقاً بين اليمين واليمين^(٥) .

وأكثر ما يستعمل الاسم يستعمل بمعنى التسمية^(٦) ، وإذا استعمل بمعنى التسمية فهو كلمة تدل على المعنى دلالة الإشارة دون دلالة الإفادة^(٧) ، وذلك أنك إذا قلت : زيد^(٨) ، فكأنك قلت : هذا ، وإذا قلت : الرجل ، فكأنك قلت : ذاك .

(١) المعروف بثعلب .

(٢) انظر : مجاز القرآن ١٦ / ١ .

(٣) ذكره الأزهري في تهذيب اللغة (سما) ١٧٤٧ / ٢ ، واللسان ٢١٠٧ / ٤ .

(٤) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان ١٦ / ١ أ .

(٥) ذلك أن قولك (بالله) يمين ، وقولك : (باسم الله) تيمين . انظر : تفسير الثعلبي ١٦ / ١ أ .

(٦) سبق قريباً اختيار الواحد أن الاسم هو المسمى وليس بمعنى التسمية .

(٧) قال ابن سيده في المخصص :

« والاسم كلمة تدل على المسمى دلالة الإشارة من دون الإفادة . . . » بنصه ١٣٤ / ١٧ . والإشارة عند الأصوليين : دلالة اللفظ على المعنى من غير سياق الكلام له مثل قوله تعالى : ﴿ وَعَلَى الْمَوْتُونَ لَهُمُ رِزْقُهُمْ وَيُكَفَّرُونَ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ [البقرة : ٢٣٣] ، ففي قوله : ﴿ لَهُمُ ﴾ إشارة إلى أن النسب للأب . انظر : التعريفات للجرجاني ٢٧ ، وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي ٧٥٠ / ١ .

(٨) في (ب) : (زيداً) .

ودلالة الإفادة هو ما أفاد السامع معنيً ، كقولك : قام وذهب^(١) ، ووزن الاسم يصلح أن يكون (فعل) ، ويصلح فيه (فعل)^(٢) لأنهم أنشدوا :

بِاسْمِ اللَّهِ الَّذِي فِي كُلِّ سُورَةٍ سِمَةٌ^(٣)

بالكسر والضم .

وقوله^(٤) : أما أصل هذه الكلمة^(٥) ، فقد حكى أصحاب سيبويه عنه فيه^(٦) قولين :

(١) في المخصص بعد هذا الكلام : « . . فأما الأول - يريد دلالة الإشارة - فإنما الغرض فيه أن تشير إليه ليتنبه عليه . . . » ١٣٤ / ١٧ .

(٢) انظر : المقتضب ١ / ٢٢٩ ، والمخصص ١٧ / ١٣٥ .

(٣) أنشده أبو زيد . قال : قال رجل زعموا أنه من كلب :
أَرْسَلَ فِيهَا بَازِلًا يُقَرِّمُهُ وَهُوَ بِهَا يَنْحُو طَرِيقًا يَعْلَمُهُ
باسم الذي في كل سورة سِمَةٌ

نوادري زيد ٤٦١ ، ٤٦٢ .

ومعنى الرجز : يقول أرسل الراعي في الإبل للضراب بعيراً في التاسعة من عمره محجوزاً عن العمل ليقوى على الضراب ، أرسله باسم الله الذي يذكر اسمه في كل سورة . ورد البيت في المقتضب ١ / ٢٢٩ ، ومعاني القرآن للزجاج ١ / ١ ، وتهذيب اللغة (سما) ٢ / ١٧٤٧ ، والمنصف ١ / ١٦ ، والمخصص ١٧ / ١٣٥ ، والإنصاف ١ / ١٢ ، واللسان (سما) ٤ / ٢١٠٧ .

(٤) أي : قول الله عز وجل .

(٥) تكلم أبو علي الفارسي عن أصل لفظ الجلالة (الله) ، وأطال في كتابه الإغفال متعباً الزجاج في ما ذكره في معاني القرآن ، ونقل عنه الواحدي ذلك مع تصرف يسير في العبارة ، ولم يعزه له ، ونقل كلام أبي علي ابن سيده في المخصص وعزاه له . الإغفال ٤ - ٤٩ (محقق رسالة ماجستير) ، وانظر : معاني القرآن للزجاج ١ / ٥ ، والمخصص ١٧ / ١٣٦ - ١٥١ .

(٦) في الإغفال ١١ ، فقد حمله سيبويه على ضربين ، المخصص ١٧ / ١٣٨ . وذكر الزجاج فيه أربعة أقوال ، أحدها : أنه غير مشتق . وعن الخليل : أن أصله (ولاه) من الوله والتحير ، وقولان مثل قولي سيبويه . اشتقاق أسماء الله ٢٣ .

أحدهما : قال : كان أصل هذا الاسم إلهاً^(١) ، ففاؤها (همزة) ، وعينها (لام) ، و(الألف) ألف فعال الزائدة ، واللام (هاء) ، ثم حذف (الفاء) حذفاً لا على التخفيف القياسي في مثل قولك : (الخب)^(٢) في (الخبء) ، و(ضو) في (ضوء) ؛ لأنه لو كان كذلك^(٣) لما لزم أن يكون منها عوض ؛ لأنها إذا حذفت على حد التخفيف كانت ملقاة في اللفظ بمقاة في النية ، ومعاملة معاملة المثبتة غير المحذوفة ، يدل ذلك على ذلك تركهم (الياء) مصححة في قولهم (جَيَّال)^(٤) إذا خففوا قالوا : جَيَّل ، ولو كانت محذوفة في التقدير كما أنها محذوفة في اللفظ للزم قلب (الياء) (ألفاً) ، ولما كانت (الياء) في نية السكون^(٥) لم تقلب .

ويدل عليه^(٦) أيضاً تثبتهم^(٧) (للوأو) في (نُوي) إذا خفف (نُوي)^(٨) ، ولولا نية الهمزة لقلبت (ياء) وأدغمت^(٩) كما فعل في (مرمي) وبابه^(١٠) .

وفي تعويضهم من همزة (إلاه) ما يدل على أن حذفها ليس على حد القياس^(١١) ، وذلك العوض هو (الألف واللام) ، والدلالة على أنها عوض

(١) الكتاب ١٩٥/٢ .

(٢) في (ب) ، و(ج) : (بالحاء) المهملة في الموضعين . والخبء ما خبي ، سمي بالمصدر ، انظر : اللسان (خباً) ١٠٨٥/٢ .

(٣) أي : على التخفيف القياسي ، اختصر الواحدي كلام الفارسي ، حيث افترض أن سائلاً يسأل : لماذا كان على هذا التقدير ؟ ولم يكن على التخفيف ، فأجاب عنه بما محصله ما ذكر . انظر : الإغفال ١١ .

(٤) (الجَيَّال) الضبع . انظر : معجم مقاييس اللغة (جيل) ٤٩٩/١ .

(٥) أي على نية بقائها ساكنة كما كانت قبل التخفيف (جَيَّال) .

(٦) ترك بعض حجج الفارسي . انظر : الإغفال ١٢ .

(٧) في المخصص (تبيينهم) ١٣٨/١٧ .

(٨) في (ج) : (من دون همز) .

(٩) في (ب) : (أودعت) .

(١٠) في (ب) : (ربابه) وباب مرمي هو كل كلمة التقت فيها الواو والياء والأولى منها ساكنة ، تقلب فيها (الواو) (ياء) وتدغم في (الياء) . انظر : أوضح المسالك ٣١٠ .

(١١) أورد كلام أبي علي مختصراً . انظر : الإغفال ١٢ ، ١٣ .

استجازتهم قطع الهمزة الموصولة الداخلة على (لام التعريف) في (القسم)^(١) و(النداء) مثل : أَفَأَلَّهِ لَتَفْعَلَنَّ ، ويا أَلَّهُ اغْفِرْ لِي^(٢) .

فلو كانت غير عوض لم تثبت كما لم تثبت في غير هذا الاسم ، ولما اختص هذا الاسم بقطع الهمزة فيه عَلِمْنَا أن ذلك لمعنى ليس في غيره ، وهو كونها عوضاً من المحذوف الذي هو (الفاء) .

ألا ترى أنك إذا أثبت الهمزة في (الإله) لم تكن (الألف واللام) فيه على أحدهما في قولنا : (الله) ؛ لأن قطع همزة الوصل لا يجوز في (الإله) ، كما جاز في قولنا : (الله) ؛ لأنهما ليسا بعوض من شيء^(٣) .

القول الثاني : في أصل هذه الكلمة : أن أصله (لَاة) ووزنه على هذا (فَعْلٌ)^(٤) (اللام) فاء الفعل ، و(الألف) منقلبة عن الحرف الذي هو العين ، و(الهاء) لام ، والذي دلّه^(٥) على ذلك قول بعضهم : (هَيَّ أبوك) بمعنى : لله أبوك ، قال سيبويه : «فقلب العين وجعل اللام ساكنة ، وهو (الهاء)^(٦) إذا صارت مكان العين ، كما كانت العين ساكنة في (لاه)^(٧) ، وترك آخر الاسم مفتوحاً كما تركوا آخر (أين)

(١) في (ج) : (القيم) .

(٢) انظر : الكتاب ١٩٥ / ٢ .

(٣) قوله : (ألا ترى ... إلى شيء) ورد في الإغفال في موضع آخر بعيداً عما قبله . وانظر : الإغفال ٣٥ ، والمخصص ١٧ / ١٤٦ .

(٤) الإغفال ٢٦ ، والمخصص ١٧ / ١٤٣ ، واشتقاق أسماء الله ٢٧ .

(٥) أي سيبويه فهذا قوله الثاني ، قال في الإغفال : «فأما القول الآخر الذي قاله سيبويه في اسم الله - تعالى - فهو أن الاسم أصله (لاه) ... والذي دلّه على ذلك أن بعضهم يقول : (هَيَّ أبوك)» . الإغفال ٢٦ ، وانظر : الكتاب ٣ / ٤٩٨ .

(٦) في (ج) : (الاها) .

(٧) قوله (لاه) زيادة ليست في الإغفال ولا في الكتاب .

مفتوحاً^(١)، وإنما فعلوا ذلك به حيث غيروه لكثرتهم في كلامهم، فغيروا إعرابه كما غيروه^(٢).

فالألف - على هذا القول - في الاسم منقلبة عن (الياء) لظهورها في موضع (اللام) المقلوبة إلى موضع (العين)، وهي في^(٣) القول الأول زائدة لفعال غير منقلبة عن شيء. واللفظتان على هذا مختلفتان، وإن كان في كل واحدة منهما بعض حروف الأخرى^(٤).

وحكى أبو بكر محمد بن السري^(٥) أن أبا العباس محمد بن يزيد، اختار القول الثاني^(٦) من القولين اللذين ذكرهما سيبويه.

-
- (١) مبنية على الفتح، انظر: المسائل الحلبيات ١٠٣.
- (٢) انتهى كلام سيبويه، الكتاب ٣/ ٤٩٨، والإغفال ٢٦، والمخصص ١٧/ ١٤٣، والمسائل الحلبيات للفارسي ١٠١، والمسائل البصريات للفارسي ٢/ ٩٠٩.
- (٣) في (ب): (من).
- (٤) انظر: بقية كلام أبي علي الفارسي في الإغفال ٢٦ وما بعدها.
- (٥) في الإغفال (أبو بكر بن السراج) ٣٤، وفي المخصص (أبو بكر) ١٧/ ١٤٥. وابن السراج: هو أبو بكر محمد بن السري بن السراج النحوي.
- (٦) في (ب): (الأول) ولم يرد لفظ (الأول) أو (الثاني) في الإغفال، وإنما فيه «اختار في هذا الاسم أن يكون أصله لاها...» وهذا هو القول الثاني لسيبويه. الإغفال ٣٤، والمخصص ١٧/ ١٤٥، وقد أورد المبرّد في المقتضب القول الأول لسيبويه ٤/ ٢٤٠، وانظر: اشتقاق أسماء الله للزجاجي ٢٥، والخزانة ٢/ ٢٦٦، ٢٦٧.

وأما اشتقاق هذا الاسم من اللغة فذهبت طائفة منهم الخليل^(١)، وابن كيسان^(٢) وأبو بكر القفال^(٣)، والحسين^(٤) بن الفضل^(٥) إلى أنه ليس بمشتق، وأنه اسم تفرد به الباري سبحانه وتعالى، يجري في وصفه مجرى الأسماء الأعلام، لا يشركه فيه أحد، قال الله عز وجل: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]^(٦) وأما الذين قالوا: إنه مشتق فاختلفوا، فذهب عظم أهل اللغة إلى أن معناه المستحق للعبادة، وذو العبادة الذي إليه توجّه، وبها يُقصد^(٧).

(١) هو أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، البصري، صاحب العربية والعروض: (١٠٠-١٧٥ هـ). انظر: ترجمته في معجم الأدباء ٣/ ٣٠٠، وطبقات النحويين واللغويين للزبيدي ٤٧، وإنباه الرواة ١/ ٣٧٦، ووفيات الأعيان ٢/ ٢٤٤، ومقدمة تهذيب اللغة ١/ ٣٢، وإشارة التعيين ١١٤.

(٢) هو أبو الحسين محمد بن أحمد بن كيسان، النحوي، كان يجمع بين المذهبين البصري والكوفي، وإلى مذهب البصريين أميل، توفي سنة تسع وتسعين ومائتين. انظر: ترجمته في طبقات النحويين للزبيدي ١٣٩، وتاريخ بغداد ١/ ٣٣٥، وإنباه الرواة ٣/ ٥٧.

(٣) هو محمد بن علي بن إسماعيل، أبو بكر الشاشي القفال، أحد أعلام المذهب الشافعي، يتكرر ذكره في التفسير والحديث والأصول والكلام، توفي سنة خمس وستين وثلاثمائة على الصحيح. انظر: ترجمته في الأنساب ٧/ ٢٤٤، ووفيات الأعيان ٤/ ٢٠٠، وطبقات الشافعية لابن قاضي شعبة ١/ ١٤٨.

(٤) في (ب): (الحسن).

(٥) الحسين بن الفضل، هو أبو علي الحسين بن الفضل بن عمير البجلي الكوفي ثم النيسابوري، المفسر، توفي سنة اثنتين وثمانين ومائتين. انظر: ترجمته في العبر ١/ ٤٠٦، وطبقات المفسرين للدوادري ١٥٩/١.

(٦) انظر: تفسير أسماء الله للزجاجي، وانظر: اشتقاق أسماء الله للزجاجي ٢٨، وتفسير الثعلبي ١١٨/أ، والزينة ٢/ ١٢.

(٧) انظر: الإغفال ٥، والمخصص ١٧/ ١٣٦، وتفسير الثعلبي ١/ ١٨/أ، وتفسير أسماء الله ٢٦، واشتقاق أسماء الله ٢٣-٣٠، وتهذيب اللغة (الله) ١/ ١٨٩.

ورُوي عن ابن عباس أنه كان يقرأ ﴿وَيَذَرَكْ وَءَالِهَتَكَ﴾ [الأعراف: ١٢٧] قال معناه : عبادتك^(١) . وقال أبو زيد^(٢) : تألَّهُ الرجل إذا نسك^(٣) ، وأنشد :

سَبَّحْنَ وَاسْتَرْجَعْنَ^(٤) مِنْ تَأْلِهِي^(٥)

وقد سَمَّتَ^(٦) العرب الشمس لما عبدت (إِلَاهَةً) ، و(الإِلاهة) ، قال عتبية بن الحارث اليربوعي^(٧) :

تَرْوَحْنَا مِنَ اللَّغْبَاءِ أَرْضاً وَأَعْجَلْنَا الْإِلَاهَةَ أَنْ تَوُوبَا^(٨)

(١) أخرجه الطبري عن ابن عباس ومجاهد ، من طرق ١/ ٨٤ ، ٩/ ٢٥-٢٦ ، وذكره ابن خالويه في الشواذ ٥٠ ، وابن جني في المحتسب ، وعزاه كذلك إلى علي وابن مسعود وأنس بن مالك وعلقمة الجحدري والتيمي وأبي طالوت وأبي رجاء ١/ ٢٥٦ ، والفارسي في الإغفال ٥ ، وانظر : المخصص ١٧/ ١٣٦ ، وتفسير الماوردي ٢/ ٢٤٨ ، وتهذيب اللغة (الله) ١/ ١٩٠ ، والبحر ٤/ ٣٦٧ .

(٢) هو سعيد بن أوس بن ثابت ، أبو زيد الأنصاري ، صاحب النحو واللغة ، مات سنة خمس عشرة ومائتين . انظر : ترجمته في مقدمة تهذيب اللغة ١/ ٣٤ ، ٣٥ ، وتاريخ بغداد ٩/ ٧٧ ، وطبقات النحويين واللغويين : ١٦٥ ، وإنباه الرواة ٢/ ٣٠ .

(٣) الإغفال ٦ ، والمخصص ١٧/ ١٣٦ .

(٤) في (ج) : (استرحبن) .

(٥) البيت لرؤبة ، وقبله : لله دُرُّ الْغَانِيَاتِ الْمُدَّةِ .

(المُدَّة) جمع مَادَةٍ ، بمعنى المادح ، يقول : إن هؤلاء سبحن وقلن : إنا لله وإنا إليه راجعون ، يقلنها حسرة كيف تَنَسَّكَ وهجر الدنيا .

ورد البيت في الطبري ١/ ٥٤ ، والإغفال ٦ ، والمخصص ١٧/ ١٣٦ ، والمحتسب ١/ ٢٥٦ ، وتفسير أسماء الله للزجاج ٢٦ ، واشتقاق أسماء الله ٢٤ ، والتهذيب (الله) ١/ ١٨٩ ، وشرح المفصل ١/ ٣ ، وزاد المسير ١/ ٩ ، وابن عطية ١/ ٥٧ ، وتفسير الثعلبي ١/ ١٨ أ ، وديوان رؤبة ١٦٥ .

(٦) في (ج) : (سمعت) .

(٧) نسبته الطبري لبنت عتبية ٩/ ٢٦ ، ونسبه بعضهم لمَيْصَةَ وهو اسمها وكذا أم البنين وقيل : لنانة عتبية ، والأقرب أنه لبنت عتبية ترثي أباه حين قتله بنو أسد يوم خَوَّعَ أبيات أخرى ذكرها في معجم البلدان ٥/ ١٨ .

(٨) اللعباء مكان بين الربذة وأرض بني سليم ، وقيل : غير ذلك ، وقوله : (أرضاً) يروى (عصراً) ويروى (قصرأ) ؛ أي : عشياً . ورد البيت في الطبري ٩/ ٢٦ ، والإغفال ٨ ، ٩ ، والمخصص ١٧/ ١٣٧ ، =

وإنما سموها الإلهة على نحو تعظيمهم لها وعبادتهم إياها كفراً .

وعلى ذلك نهاهم الله وأمرهم بالتوجه في العبادة إليه في قوله جل وعلا : ﴿لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ﴾ [فصلت: ٣٧] الآية^(١) ، وكذلك أيضاً كانوا يدعون معبوداتهم من الأصنام والأوثان (آلهة) ، وهي جمع (إله)^(٢) كإزار وأزره ، وإناء وآنية .

قال الله تعالى : ﴿وَيَذَرَكْ وَءَالِهَتَكَ﴾ [الأعراف: ١٢٧] ، وهي أصنام كان يعبدوها^(٣) قوم فرعون معه^(٤) ، وعلى هذا قال قائلهم :

كَحَلْفَةٍ مِنْ أَبِي رِيَّاحٍ يَسْمَعُهَا لَاهُهُ^(٥) الْكُبَارُ^(٦)
يريد : الصنم ، وهذا البيت حجة للقول الثاني^(٧) من قول سيوييه .

قالوا : وهو^(٨) اسم حدث ، ثم جرى صفة للقديم سبحانه ، ونظير هذا قولنا : السلام ، والسلام من سَلَّمَ كالكلام من كَلَّمَ ، والمعنى ذو السلام ؛ أي :

وتهذيب اللغة (الله) ١ / ١٩٠ ، ومعجم ما استعجم ٤ / ١١٥٦ ، ومعجم البلدان ٥ / ١٨ ، وتفسير الثعلبي ١٨ / ١ ب ، والمحاسب ٢ / ١٢٣ ، واللسان (لعب) ٧ / ٤٠٤١ .

(١) انظر : الإغفال ٩ .

(٢) في (ب) : (الإله) .

(٣) في (ب) : (كانوا يعبدوها) .

(٤) انظر : الإغفال ١٠ ، ١١ ، وتهذيب اللغة ١ / ١٩٠ .

(٥) في (ب) : (لأهه) .

(٦) من قصيدة للأعشى ، قالها في ما كان بينه وبين بني جحدر . وأبو رياح رجل من بني ضبيعة ، قتل جارا لبني سعد بن ثعلبة ، فسألوه الدية ، فحلف لا يفعل ، ثم قُتل بعد حلفته ، و(لايهه) : إلهه ، (الكبار) : العظيم ، ويروى (بحلقة) ويروى (كدعوة) . انظر : ديوان الأعشى ٧٢ ، والجمهرة ١ / ٣٢٧ ، واشتقاق أسماء الله ٢٧ ، وتفسير الثعلبي ١٧ / ١ ب ، والزينة ٢ / ١٨ ، ومعاني القرآن للفرّاء ١ / ٢٠٧ ، والقرطبي ٤ / ٥٣ ، واللسان (أله) ١ / ١١٦ ، و(لوه) ٧ / ٤١٠٧ ، وشرح المفصل ٣ / ١ ، والخزاعة ٧ / ١٧٦ .

(٧) وهو أن أصل (الله) : (لاه) .

(٨) في (ب) : (وهم) .

يُسَلِّم من عذابه من يشاء من عباده ، كما أن المعنى في الأول أن العبادة تجب له ^(١) ، فهذا وجه ، وهو طريقة أهل اللغة ^(٢) .

وأخبرني أبو الفضل أحمد بن محمد بن عبد الله العروضي - رحمه الله - قال : أبنا ^(٣) أبو منصور أحمد بن محمد الأزهرى ^(٤) ، أبنا ^(٥) أبو الفضل المنذري ^(٦) ، قال : سألت أبا الهيثم خالد بن يزيد الرازي ، عن اشتقاق اسم (الله) في اللغة ، فقال (الله) أصله (إلاه) ، قال الله جل ذكره : ﴿ وَمَا كَانَتْ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ ﴾ [المؤمنون : ٩١] ولا يكون إلهاً حتى يكون معبوداً ، وحتى يكون لعباده ^(٧) خالقاً ، ورازقاً ، ومدبراً ، وعليه مقتدرأ ، فمن لم يكن كذلك فليس بإله ، وإن عبد ظلماً ، بل هو مخلوق ^(٨) ومتعبد ، قال : وأصل (إلاه) (ولاه) فقلبت الواو همزة ، كما قالوا للوشاح : إشاح ، ولِلْوَجَاح : إجاج ^(٩) ، ومعنى ولاه : أن الخلق يُولَّهون إليه في حوائجهم ، ويضرعون إليه في ما ينوبهم ، ويفزعون إليه في كل ما يصيبهم كما يُولَّه كل طفل إلى أمه ^(١٠) .

(١) بنصه في الإغفال ٦ ، والمخصص عن الإغفال ١٧ / ١٣٦ .

(٢) انظر : تهذيب اللغة ١ / ١٨٩ ، ومعجم مقاييس اللغة (أله) ١ / ١٢٧ ، والصحاح (أله) ٦ / ٢٢٢٣ ، واللسان (أله) ١ / ١١٤ .

(٣) (أبنا) ساقط من (ج) .

(٤) صاحب تهذيب اللغة سبقت ترجمته .

(٥) في (ج) : (أن) .

(٦) هو محمد بن أبي جعفر المنذري اللغوي (أبو الفضل) يروي عن أبي العباس ثعلب ، وأبي الهيثم الرازي ، روى عنه الأزهرى كثيراً . انظر : مقدمة تهذيب اللغة ١ / ٣٠ ، ٤١ ، واللباب ٣ / ٢٦٢ .

(٧) في (ب) : (لعباده) .

(٨) في (ب) : (وهو مخلوق) .

(٩) يقال ليس دونه وجاح ، ووَجَاح ، ووُجَاح ، وأجاج ، إجاج : أي : ستر اللسان (وجج) ٨ / ٤٧٦٩ .

(١٠) كلام أبي الهيثم ورد في التهذيب ضمن كلام طويل له قال الأزهرى : «وأخبرني المنذري عن أبي الهيثم أنه سأله عن اشتقاق اسم الله في اللغة فقال ثم ذكره . التهذيب (الله والإله) ١ / ١٨٩ ، وانظر : اللسان (أله) ١ / ١١٤ .

وحكي عن أبي عمرو بن العلاء أنه مشتق من أَلِهَتْ في الشيء أَلَهُ إِلهًا إذا تحيرت فيه^(١).

وتسمى المفازة ميلهاً.

وقال الأعشى^(٢):

وَبِهَمَاءٍ تِيهِ تَأْلَهُ الْعَيْنُ وَسَطَهَا وَتَلْقَى بِهَا بَيْضَ النَّعَامِ تَرَائِكًا^(٣)
ومعناه: أن العقول تتحير في كنه صفة وعظمته^(٤).

وعند متكلمي أصحابنا^(٥): أن الإله من الإلهية، والإلهية القدرة على اختراع الأعيان^(٦).

(١) ذكره الثعلبي ١/ ١١٨ أ.

(٢) هو أبو بصير، ميمون بن قيس، من فحول شعراء الجاهلية، ويدعى الأعشى الكبير تمييزاً له من غيره ممن سمي الأعشى، أدرك الإسلام آخر عمره، وعزم على الدخول فيه، فصدته قریش في قصة مشهورة. انظر: ترجمته في الشعر والشعراء ١٥٤، ومعاهد التنصيص ١/ ١٩٦، وخزانة الأدب ١/ ١٧٥.

(٣) في (ج): (برائكا). البيت في وصف صحراء مطموسة المعالم. ترائكا: متروكة. ورواية الشطر الأول في الديوان: وَبِهَمَاءٍ قَفَرٌ تَخْرُجُ الْعَيْنُ وَسَطَهَا. وعليه فلا شاهد في البيت هنا. الديوان ١٣٠، والثعلبي بعد أن ذكر قول أبي عمرو بن العلاء استشهد بقول زهير:

وَبَيْدَاءٍ تِيهِ تَأْلَهُ الْعَيْنُ وَسَطَهَا مُحَفَقَةً غَبْرَاءَ صَرَمَاءَ سَمَلَقِي
(الثعلبي) ١/ ١١٨ أ، وكذا في الزينة ٢/ ١٩.

(٤) الثعلبي ١/ ١٨ ب، وانظر: الزينة ٢/ ١٩.

(٥) هم المتكلمون من الأشاعرة، الذين تكلموا في العقائد بالطرق العقلية. انظر: درء تعارض العقل والنقل ١/ ٢٨-٣٨، والرسالة التدمرية لابن تيمية ١٤٧.

(٦) هذا التفسير لمعنى الإلهية هو منهج المتكلمين، وعند أهل السنة هو المستحق للعبادة. قال ابن تيمية: «وليس المراد بالإله هو القادر على الاختراع كما ظنه من أئمة المتكلمين... بل الإله الحق هو الذي يستحق أن يعبد، فهو إله بمعنى مألوه لا إله بمعنى آله...». الرسالة التدمرية ١٨٦.

وقد أشار أبو الهيثم إلى هذا في ما ذكر ، قالوا : وإنما سمت العرب معبوداتهم آلهة^(١) ؛ لأنهم اعتقدوا فيها صفة التعظيم ، واستحقاق هذا الاسم فأصابوا في الجملة ، وأخطؤوا في التعيين .

والإمالة في اسم الله - تعالى - جائزة في قياس العرب^(٢) ، والدليل على جوازها أن هذه (الألف) لا تخلو من أن تكون زائدة لفعال كالتي^(٣) في إزار وعمار ، أو تكون عين الفعل .

فإن كانت زائدة جازت فيها الإمالة من وجهين :

أحدهما : أن الهمزة المحذوفة كانت مكسورة ، وكسرها يوجب الإمالة في الألف ، كما أن الكسرة في عمار توجب إمالة ألفه .

فإن قلت : كيف تمال الألف من أجل الكسرة في الهمزة وهي محذوفة ؟ فالقول فيها : إنها - وإن كانت محذوفة - موجبة للإمالة^(٤) ، كما كانت توجبها قبل الحذف ؛ لأنها وإن كانت محذوفة ، فهي من الكلمة ، ونظير ذلك ما حكاه سيبويه

(١) مرَّ كلام أبي الهيثم قريباً ، وليس فيه دليل على أن الإلهية : القدرة على الاختراع ، بل يدل على المعنى الثاني وهو أن الإلهية ؛ استحقاق العبادة ، وقوله : (لأنهم اعتقدوا فيها صفة التعظيم . . .) . ليس من كلام أبي الهيثم ، انظر : تهذيب اللغة (أله) : ١ / ١٨٩ .

(٢) الكلام عن إمالة الألف من لفظ الجلالة نقله عن أبي علي الفارسي من الإغفال ٤٦ ، قال الفارسي : «فأما الإمالة في الألف من اسم الله - تعالى - فجائزة في قياس العربية ، والدليل على جوازها . . . » . ونقل ابن سيده كلام الفارسي ، المخصص ١٧ / ١٥٠ . ومعنى الإمالة : هو تقريب الألف نحو الياء والفتحة التي قبلها نحو الكسرة وهناك ثلاث علل للإمالة : هي الكسرة ، وما أميل ليدل بالإمالة على أصله ، والإمالة لإمالة بعده . انظر : الكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي ١ / ١٦٨ - ١٧٠ .

(٣) في (ج) : (كالذي) .

(٤) في (أ) ، و(ج) : (الإمالة) وما في (ب) موافق للإغفال ٤٧ .

من أن بعضهم يميل الألف في : ماد^(١) وشاذ ، للكسرة المنوية^(٢) في عين الفعل عند ترك الإدغام ، وإن لم يكن في لفظ الكلمة كسرة^(٣) ، كذلك الألف في اسم الله ، تجوز إمالتها وإن لم تكن الكسرة ملفوظاً بها .

والوجه الثاني : (لام)^(٤) الفعل منجرة ، فتجوز الإمالة لانجرارها . وإن كانت الألف عيناً ليست^(٥) بزائدة جازت إمالتها ، وحسنت فيها إذ كان انقلابها عن الياء^(٦) بدلالة قولهم : (لَهْيَ أبوك^(٧)) وظهور الياء لما قبلت إلى موضع السلام^(٨) .

وقوله تعالى : ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ . معنى الرحمة في صفة الله تعالى : إرادته الخير والنعمة بأهله ، وهي صفة ذات ، وفي صفة أحدنا تكون رقة قلب وشفقة^(٩) .

(١) في (أ) ، و(ب) ، و(ج) : (صاد) بالصاد ، وصححت الكلمة على ما ورد في الإغفال ٤٨ ، المخصص ١٧ / ١٥٠ ، ووردت كذلك عند سيبويه (جاء وماد) ١٣٢ / ٧ ، ولا تصح بالصاد ؛ لأن الإمالة تمنع بعد (الصاد) لأنه حرف مستعلٍ . انظر : الكتاب ٤ / ١٢٨ .

(٢) في (ب) : (المنونة) .

(٣) حكى كلام الفارسي بالمعنى ، انظر : الإغفال ٤٨ ، والكتاب ٤ / ١٢٢ ، ١٣٢ ، والمخصص ١٥٠ / ١٧ .

(٤) في الإغفال : (وتجوز إمالتها من جهة أخرى ، وهي أن لام الفعل منجرة ...) : ٤٨ .

(٥) في (ب) : (ليس) .

(٦) في (ب) : (الباء) وكذا قوله : (وظهور الباء) .

(٧) مرت هذه الصيغة قريباً وهي بمعنى (لله أبوك) . انظر : ٢٥٢ .

(٨) انتهى عن الإغفال لأبي علي الفارسي ، وقال بعده : «فإن ثبتت بها قراءة فهذه جهة جوازها» . ٤٩ ، وانظر : المخصص ١٧ / ١٥١ .

(٩) الرحمة صفة من صفات الله تعالى ، نسبتها له تعالى ، كما أثبتتها لنفسه ، ولا يلزم من إثباتها مشابهة صفة المخلوقين ، ولا تؤولها بإرادة الخير كما فعل الواحدي هنا . انظر : تفسير الطبري ١ / ٥٨ ، ٥٩ ، والرسالة التدمرية لابن تيمية ٢٣ ، ٣٠ .

قال أبو بكر محمد بن القاسم بن^(١) بشار : سألت أبا العباس^(٢) لم جمع بين الرحمن والرحيم ؟ فقال : لأن الرحمن عبراني فأتى معه الرحيم العربي ، واحتج بقول جرير^(٣) :

أَوْ تَرْكُونَ إِلَى الْفَسَيْنِ^(٤) هِجْرَتَكُمْ وَمَسَحَهُمْ صُلْبُهُمْ رَحْمَانَ قُرْبَانَا^(٥)

فأنكر عليه بعض الناس^(٦) ، وقال : لم تزل العرب تعرف الرحمن وتذكره في أشعارها ، واحتج بقول الشاعر :

أَلَا ضَرَبَتْ تِلْكَ الْفَتَاةُ^(٧) هَجِيئَهَا أَلَا قَضَبَ الرَّحْمَنُ رَبِّي يَمِينَهَا^(٨)

- (١) هو أبو بكر ابن الأنباري ، سبقت ترجمته عند الحديث عن مصادر الواحدي .
- (٢) هو أبو العباس ثعلب كما صرح بذلك الزَّجَاجِي في اشتقاق أسماء الله ٤٢ ، وانظر : الزاهر ١ / ١٥٣ ، وتهذيب اللغة (رحم) ٢ / ١٣٨٣ ، والزينة ٢ / ٢٥ ، والاشتقاق لابن دريد ٥٨ ، ووهم القرطبي فقال : زعم المبرِّد في ما ذكر ابن الأنباري في كتاب الزاهر ١ / ١٠٤ ، وإنما هو ثعلب كما سبق ، وليس أبا العباس المبرِّد .
- (٣) هو أبو حُرَّة ، جرير بن عطية بن حذيفة من بني كليب بن يربوع ، أحد فحول الشعراء في صدر الإسلام ، توفي سنة عشر ومائة . انظر : ترجمته في الشعر والشعراء ٣٠٤ ، وطبقات فحول الشعراء ٢ / ٢٩٧ ، والخزانة ١ / ٧٥ .
- (٤) في (ج) : (القيز) .
- (٥) البيت من قصيدة له يهجو فيها الأخطل وهو نصراني ، فحكى في البيت قول النصارى ، ولهذا نصب (رحمن) . قربانا : أي قائلين ذلك ، ويروى البيت (هل تتركن) ، (مسحكم) وفي الزينة (رخن) بالمعجمة وهو بمعنى : الحاء . انظر : الزينة ٢ / ٢٥ ، والزاهر ١ / ١٥٣ ، واشتقاق أسماء الله ٤٣ ، وتهذيب اللغة (رحم) ٢ / ١٣٨٣ ، وتفسير الماوردي ١ / ٥٢ ، وتفسير القرطبي ١ / ٩١ ، واللسان (رحم) ٣ / ١٦١٢ .
- (٦) ممن أنكر ذلك الطبري في تفسيره ، حيث قال : «وقد زعم بعض أهل الغباء أن العرب كانت لا تعرف الرحمن ولم يكن ذلك في لغتها ...» ١ / ٥٧ ، والزَّجَاجِي في اشتقاق أسماء الله ٤٢ ، وابن سيده في المخصص ١٧ / ١٥١ ، وغيرهم .
- (٧) في (ب) : (الفتاوا) .
- (٨) لم يعرف له قائل وقد ذكره الطبري في تفسيره ١ / ٥٨ ، وابن سيده في المخصص ١٧ / ١٥٢ ، وقال محمد محمود التركي الشنقيطي في تعليقه على المخصص : «إن البيت من صنع بعض الرجال الذين =

فقال^(١): «إن جمهور العرب كانوا لا يعرفون الرحمن في الجاهلية ، الدليل على هذا أنهم لما سمعوا النبي ﷺ يذكره قالوا : ما نعرف الرحمن إلا رجلاً باليامة^(٢) ، وذلك قوله تعالى : ﴿ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ ﴾ [الفرقان : ٦٠] . وإنما يذكر بعض الشعراء الرحمن في الجاهلية ، إذ^(٣) لقنه^(٤) من أهل الكتاب ، أو أخذه عن بعض من قرأ الكتب كأمية بن أبي الصلت^(٥) وزيد بن عمرو^(٦) ، وورقة بن نوفل^(٧) ، ولا تجعل هذا حجة على ما عليه أكثرهم .

يجون إيجاد الشواهد المردومة لدعائهم . وردّ عليه ذلك محمود شاكر في حاشيته على الطبري ١ / ١٣١ ، وذكره ابن دريد في الاشتقاق ، وقال : «وقد روي بيت في الجاهلية ، ولم ينقله الثقات وهو للشنفرى :

لَقَدْ لَطَمْتُ تِلْكَ الْفَتَاةَ هَجِينَهَا
أَلَا بَسَرَ الرَّحْمَنُ رَبِّي يَمِينَهَا .

الاشتقاق ٥٨ ، ورواية هذا البيت تختلف قليلاً عن البيت المستشهد به ، وانظر : اشتقاق أسماء الله ٨٢ ، وتفسير الماوردي ١ / ٥٢ .

(١) أي ثعلب ، ولم أجده ، ولعله في كتب ابن الأنباري المفقودة ، وأورد نحوه الطبري في تفسيره ١ / ٥٨ ، وانظر : الاشتقاق ٥٨ ، والماوردي في تفسيره ١ / ٥٢ ، والقرطبي في تفسيره ١ / ١٠٤ .

(٢) انظر : الطبري في تفسيره ١٩ / ٢٩ ، والقرطبي في تفسيره ١٣ / ٦٤ .

(٣) في (ج) : (إذا) .

(٤) في (ب) : (لقيته) .

(٥) واسمه عبدالله بن ربيعة بن عوف الثقفي ، سمع النبي ﷺ شعره فقال : «آمن شعره وكفر قلبه» ، وكان يخبر أن نبياً يخرج قد أظل زمانه ، فلما خرج النبي ﷺ كفر به حسداً ، ومات كافراً سنة ثمان أو تسع . انظر : الشعر والشعراء ٣٠٠ ، وطبقات فحول الشعراء ١٠١ ، والاشتقاق ١٤٣ ، والخزانة ١ / ٢٤٧ .

(٦) زيد بن عمرو بن نفيل ، والد سعيد بن زيد أحد العشرة ، مات قبل المبعث . انظر : الإصابة ١ / ٥٦٩ ، وتجرید أسماء الصحابة ١ / ٢٠٠ .

(٧) هو ورقة بن نوفل بن أسد ، ابن عم خديجة رضي الله عنها ، قال ابن منده : اختلف في إسلامه ، والأظهر أنه مات قبل الرسالة ، وبعد النبوة ، وكذا قال الذهبي في تجريد أسماء الصحابة ٢ / ١٢٨ ، وانظر : الإصابة ٣ / ٦٣٣ ، والخزانة ٣ / ٣٩١ .

ومراد أبي العباس أن الرحمن يتكلم به بالعبرانية^(١)، وتتكلم به العرب، فلما لم يخلص في كلامهم، ولم ينفردوا به دون غيرهم، أتى^(٢) بعده بالرحيم الذي لا يكون إلا عربياً، ولا يلتبس بلغة غيرهم^(٣).

والصحيح أنه مشتق من الرحمة، وأنه اسم عربي لوجود هذا البناء في كلامهم، كاللهفان والندمان والغضبان^(٤). قال الليث: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ اسمان، اشتقاقهما^(٥) من الرحمة^(٦).

وقال أبو عبيدة: هما صفتان لله تعالى، معناهما ذو الرحمة^(٧). وأما ما احتج به أبو العباس من قوله: ﴿وَمَا الرَّحْمَنُ﴾ [الفرقان: ٦٠] فهو سؤال عن الصفة، ولذلك قالوا: ﴿وَمَا الرَّحْمَنُ﴾، ولم يقولوا: ومن، والقوم جهلوا صفته، والاسم كان

(١) في (ج): (بالعبراني).

(٢) في (ب): (أوتى).

(٣) لعل هذا من قول ابن الأنباري؛ لأن كلام الواحدي بعد هذا يدل على ذلك؛ لأنه رجح أن أصله عربي، وأنه مشتق، وأورد بعض الردود على أبي العباس كما سيأتي. قال الزَّجَاجِي راداً على من قال: إن أصله غير عربي... «الرحمن معروف الاشتقاق والتصريف في كلام العرب، والأعجمي لا معنى له في كلام العرب ولا تصريف»، اشتقاق أساء الله ٤٢.

وقول أبي العباس: إنه أورد الرحيم لأنها تعرفه العرب، مع الرحمن الذي يلتبس بكلام غيرهم. فكأنه جعلهما بمعنى واحد. وجهور العلماء على أن لكل واحد منهما معنى غير معنى الآخر، وأن الرحمن عربي، وإنما الكلام: لم قدم الرحمن على الرحيم؟ وأجاب عنه الطبري في تفسيره ٥٨/١، ٥٩، ويرد قريباً في كلام الواحدي.

(٤) انظر: تفسير الطبري ٥٥/١، واشتقاق أساء الله ٣٨، والمخصص ١٥١/١.

(٥) في (ب): (اشتقاقهم).

(٦) تهذيب اللغة (رحم) ١٣٨٣/٢.

(٧) مجاز القرآن ٢١/١، وتهذيب اللغة (رحم) ١٣٨٣/٢، والنص من التهذيب، وقد رد الطبري على أبي عبيدة قوله، وأغلظ له، حيث قال: «وقد زعم بعض من ضعفت معرفته بتأويل أهل التأويل، قلّضت روايته لأقوال السلف من أهل التفسير أن الرحمن مجازه: ذو الرحمة...». الطبري في تفسيره ٥٨/١.

معلوماً لهم في الجملة^(١). وقيل : هذا على جهة ترك التعظيم منهم . واختلفوا في أن أي الاسمين من هذين أشد مبالغة ، فقال قوم : الرحمن أشد مبالغة من الرحيم ، كالعلام من العليم ، ولهذا قيل : رحمن الدنيا ورحيم الآخرة ؛ لأن رحمته في الدنيا عمت المؤمن والكافر والبر والفاجر ، ورحمته في الآخرة اختصت بالمؤمنين^(٢) .

فإن قيل : على هذا كان الرحمن أشد مبالغة ، فلم بدئ بذكره^(٣) ؟ وإنما يبدأ في نحو هذا بالأقل ثم يتبع^(٤) الأكثر كقولهم : (فلان جواد يعطي العشرات والمئين^(٥) والألوف) .

والجواب : أنه بدئ^(٦) بذكر الرحمن ؛ لأنه صار كالعلم ، إذ كان لا يوصف به^(٧) إلا الله عز وجل ، وحكم الأعلام وما كان من الأسماء أعرف أن يبدأ به ، ثم يتبع^(٨) الأنكر ، وما كان في التعريف أنقص . هذا مذهب سيبويه وغيره من النحويين ، فجاء هذا على منهاج كلام العرب^(٩) .

(١) وجعله الطبري من إنكار العناد والمكابرة ، وإن كانوا عالمين بصحته ، وليس ذلك منهم إنكاراً لهذا الاسم ، الطبري في تفسيره ٥٧ / ١ ، ٥٨ ، وقال ابن عطية : « وإنما وقفت العرب على تعيين الإله الذي أمروا بالسجود له ، لا على نفس اللفظة » . ٩٣ / ١ ، وانظر : ابن كثير في تفسيره ٢٣ / ١ ، والقرطبي في تفسيره ٦٧ / ١٣ .

(٢) انظر : الطبري في تفسيره ٥٥ / ١ ، وتهذيب اللغة (رحم) ١٣٨٣ / ٢ ، والمخصص ١٥١ / ١٧ ، ومعاني القرآن للزجاج ٥٨ ، واشتقاق أسماء الله ٤٠ .

(٣) هذا التساؤل والإجابة عنه بنصه في المخصص ١٥١ / ١٧ .

(٤) في (ج) : (تتبع) .

(٥) في (أ) ، و(ج) : (الماتين) وفي (ب) : (المائتين) وما أثبت من المخصص .

(٦) في (ب) : (بدأ) .

(٧) (به) ساقط من (ج) .

(٨) في (ج) : (تتبع) .

(٩) إلى هنا بنصه في المخصص ١٥١ / ١٧ ، وإلى نحوه ذهب الطبري في تفسيره ٥٨ / ١ ، وانظر : اشتقاق أسماء الله ٤٠ ، وابن عطية في تفسيره ٩٢ / ١ .

وقال وكيع : الرحيم أشد مبالغة ؛ لأنه ينبئ عن رحمته في الدنيا والآخرة
ورحمة الرحمانية في الدنيا دون الآخرة^(١) .

وقال آخرون : إنهما بمعنى واحد كندمان ونديم ، ولهفان ولهيف ، وجيء
بهما للتأكيد والإشباع ، كقولهم : جادٌّ ومُجدٌّ^(٢) ، وقول طرفة^(٣) :
مَتَى أَدُنْ مِنْهُ يَنَأْ مِنِّْي^(٤) وَيَبْعِدُ^(٥)

(١) لم أجده عن وكيع في ما اطلعت عليه ، والله أعلم .

قال ابن كثير : «وقد زعم بعضهم أن الرحيم أشد مبالغة من الرحمن» ، ثم رد هذا القول ابن كثير في تفسيره
١/ ٢٣ ، وعند جمهور العلماء أن الرحمن أشد مبالغة من الرحيم ، وأن الرحمن أعم ، فهو في الدنيا والآخرة
وللخلق جميعهم ، والرحيم خاص بالمؤمنين . انظر : الطبري في تفسيره ١/ ٥٥ ، وتفسير أسماء الله
للزجاج ٢٩ ، والمخصص ١٧/ ١٥١ ، والثعلبي في تفسيره ١/ ١٩٩ ، والماوردي في تفسيره ١/ ٥٢ ، ٥٣ ،
وابن عطية في تفسيره ١/ ٩١ ، والقرطبي في تفسيره ١/ ١٠٥ ، ١٠٦ ، والدر ١/ ٢٩ ، وابن كثير في
تفسيره ١/ ٢٢ ، ٢٣ .

(٢) هذا قول أبي عبيدة ، ونسبه ابن الأثير كذلك لقطرب ، وبهذا النص مع الشواهد ذكره الثعلبي ، أما
أبو عبيدة فذكر شواهد غيرها ، انظر : مجاز القرآن ١/ ٢١ ، والثعلبي في تفسيره ١/ ١٩٩ أ ، والزاهر
١/ ١٥٣ ، وتفسير أسماء الله ٢٩ ، واشتقاق أسماء الله ٣٩ ، ٣٨ ، وقد رد الطبري على أبي عبيدة ،
وأغلظ له الرد ، وسبق ذكر بعض كلامه . انظر : تفسيره ١/ ٥٨ .

(٣) هو الشاعر الجاهلي المشهور ، عدَّ بعد امرئ القيس في الشعر ، واسمه عمرو ولقب بطرفة وأحد الطرفاء
لبيت قاله ، قتل وهو ابن ست وعشرين سنة ، وقيل : ابن عشرين . ترجمته في الشعر والشعراء ١٠٣ ،
الخزائن ٢/ ٤١٩ .

(٤) في (ب) : (عني) .

(٥) صدره :

فإِليَّ أَرَانِي وَإِنِّي عَمِّي مَالِكًا .

والبيت من معلقة طرفة المشهورة . يتحدث عما كان بينه وبين ابن عمه مالك من جفوة وخصام ، (ينأ
عني) (يبعد) معناهما واحد ، وإنما جاء بهما لأن اللفظين مختلفان ، والمعنى يبعد ثم يبعد بعد ذلك ،
وقيل : ينأ : بالفعل ، ويبعد : بالنفس لشدة بغضه لي . أورد البيت الثعلبي في تفسيره ١/ ١٩٩ ، وانظر :
ديوان طرفة ٣٤ تحقيق وتحليل د . علي الجندي .

وقول عدي^(١) :

وَأَلْفَى قَوْلَهَا كَذِبًا وَمَيْنَا^(٢)

في أمثال لهذا ، وروي عن ابن عباس أنه قال : الرحمن الرحيم ، اسمان رقيقان أحدهما أرق من الآخر^(٣) .

قال الحسين^(٤) بن الفضل : غلط الراوي ؛ لأن الرقة في صفة الباري لا تصح . وإنما هما اسمان رقيقان أحدهما أرق من الآخر^(٥) . يدل على هذا ما روي في الخبر : «إن الله رفيق يحب الرفق ، ويعطي^(٦) على الرفق ما لا يعطي على

(١) عدي بن زيد بن حماد ، من بني امرئ القيس بن زيد بن مناة بن تميم شاعر فصيح ، من شعراء الجاهلية ، وكان نصرانياً ، قتله النعمان بن المنذر ملك الحيرة . ترجمته في الشعر والشعراء ١٣٠ ، ومعاهد التنصيص ١/ ٣٢٥ ، والخزانة ١/ ٣٨١ .

(٢) من قصيدة قالها عدي بن زيد ، في قصة طويلة مشهورة بين الزبء وجذيمة وردت في كتب التاريخ والأدب وصدر البيت : وَقَدَدَتِ الْأَدِيمَ لِرَاهِشِيهِ

ويروي : قدمت ، والراهش عرق في باطن الذراع ، والمين بمعنى : الكذب ، ورد البيت في معاني القرآن للقرءاء ١/ ٣٧ ، والشعر والشعراء ١٣٢ ، وإعراب القرآن للنحاس ١/ ١٧٥ ، وتفسير الثعلبي ١/ ١٩٨ ، وأملالي المرتضى ٢/ ٢٥٨ ، والمستقصى ١/ ٢٤٣ ، ومغني اللبيب ٢/ ٣٥٧ ، والهمع ٥/ ٢٢٦ ، ومعاهد التنصيص ١/ ٣١٠ ، واللسان (مين) ٧/ ٤٣١١ ، والقرطبي في تفسيره ١/ ٣٩٩ ، والدر المصون ١/ ٣٥٨ . والشاهد (كذباً وميناً) فأكد الكذب بالمين وهو بمعناه .

(٣) ذكره الثعلبي في تفسيره ١/ ١٩ ب ، وابن الأنباري في الزاهر ١/ ١٥٢ ، والأزهري في تهذيب اللغة (رحم) ٢/ ١٣٨٣ ، والقرطبي في تفسيره ١/ ٩٢ ، وابن كثير عن القرطبي في تفسيره ١/ ٢٢ ، وقد أخرج الطبري وابن أبي حاتم بسنديهما عن ابن عباس ، قال : «الرحمن الفعلان من الرحمة ، وهو من كلام العرب قال : الرحمن الرحيم : الرقيق الرفيق بمن أحب أن يرحمه ، والبعيد الشديد على من أحب أن يعنف عليه» في سنده ضعف . انظر : الطبري ١/ ٥٧ ، وتفسير ابن أبي حاتم (رسالة دكتوراه) ١/ ١٤٨ ، وابن كثير في تفسيره ١/ ٢٣ ، والمفسر عبدالله بن عباس والمروني عنه ، (رسالة ماجستير) ١/ ١٣٠ .

(٤) في (ب) : (الحسن) .

(٥) ذكره القرطبي ، وذكر نحوه عن الخطابي ١/ ٩٢ ، وذكره ابن كثير في تفسيره عن القرطبي ١/ ٢٢ .

(٦) (الواو) ساقطة من (ب) .

العنف»^(١)، وسمعت من يقول^(٢) : معنى قول ابن عباس (اسمان رقيقان) أي يدلان فينا على الرقة .

وقال بعضهم : الرحمن خاص اللفظ عام المعنى ، والرحيم عام اللفظ خاص المعنى^(٣) .

(١) أخرجه مسلم : (٢٥٩٣) في كتاب البر ، باب : فضل الرفق ، وأبو داود : (٤٨٠٧) في كتاب الأدب ، باب : في الرفق ، وأحمد في مسنده عن علي ١ / ١١٢ ، وعن عبدالله بن مغفل ٤ / ٨٧ ، وأخرج البخاري عن عائشة وفيه : (إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله : (٦٩٢٧) في كتاب استنباط المرتدين ، باب : إذا عرض الذمي وغيره بسب النبي ﷺ .

(٢) في (ج) : (تقول) .

(٣) الثعلبي في تفسيره ١ / ١٩ / أ . ومعنى أن الرحمن خاص اللفظ ؛ لأنه لا يطلق إلا على الله ، عام المعنى ؛ لأنه لجميع الخلق في الدنيا والآخرة ، والرحيم عام اللفظ ؛ لأنه يطلق على الله بما يليق به ، ويطلق على غيره بما يليق به ، وخاص المعنى ؛ لأنه خاص بالمؤمنين ، أو بالآخرة . انظر : الطبري في تفسيره : ١ / ٥٦-٥٨ ، وابن كثير في تفسيره ١ / ٢٢ ، ٢٣ .

تفسير

فاتحة الكتاب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١ . قوله تعالى : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ . قال ابن عباس : يعني الشكر لله ، وهو أن صنع إلى خلقه فحمدوه ^(١) .

(١) ذكره الثعلبي في تفسيره ٢٤ ب ، وأخرج الطبري عن ابن عباس بمعناه ، من دون قوله : (وهو أن صنع إلى خلقه فحمدوه) قال شاكر : إسناده ضعيف . الطبري في تفسيره ١ / ١٣٥ ، ويمثل رواية الطبري أخرجه ابن أبي حاتم ، قال المحقق : سنده ضعيف ١ / ١٥٠ ، وانظر : الدر ١ / ٣٤ ، ٣٥ ، وابن كثير في تفسيره ١ / ٢٤ ، ٢٥ .

وقال الأخفش: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾: الشكر لله^(١)، قال: والحمد^(٢) -أيضاً- الثناء، [وكأن^(٣) الشكر لا يكون إلا ثناءً ليد أوليتها^(٤)]، والحمد قد يكون شكراً للصنعة، ويكون ابتداء الثناء^(٥) على الرجل، فحمد الله الثناء^(٦) عليه والشكر لنعمه^(٧).

وقال أبو بكر^(٨): قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ يحتمل أن يكون هذا إخباراً أخبر الله -تعالى- به، والفائدة فيه أنه يبين^(٩) أن حقيقة الحمد له، وتحصيل كل الحمد له^(١٠) لا لغيره، وذلك أنا^(١١) نرى بني الدنيا ينعم^(١٢) بعضهم على بعض، فيحمده على إنعامه، فيكون حقيقة الحمد في ذلك لله، إذ هو الذي أنعم على الذي أنعم بما أنعم به، ورزقه إياه، وهو الذي وفق المعطي للعطية، وأجراها على يديه،

(١) في (ج): (والحمد لله) ومثله في اللسان.

(٢) نص كلام الأخفش في تهذيب اللغة (حمد) ١/ ٩١٣، وفيه (قال الأخفش: الشكر لله، قال والحمد أيضاً: الثناء)، وانظر: اللسان (حمد) ٢/ ٩٨٧، وفي معاني القرآن للأخفش ذكر اللغات فيها ولم يذكر المعنى ١/ ١٥٥، والنص في اللسان.

(٣) في (ب): (فكأن)، وفي التهذيب مكانها (قلت . . .) فهو من كلام الأزهري، ونص عليه في اللسان قال: قال الأزهري: الشكر لا يكون . . .، اللسان (حمد) ٢/ ٩٨٧، فكيف تصحف عند الواحدي، فصار كأنه من كلامه، أو من كلام الأخفش.

(٤) في (ب): (أولها).

(٥) في التهذيب، واللسان (للتناء).

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (ج).

(٧) انتهى من التهذيب (حمد) ١/ ٩١٣، مع اختلاف يسير في العبارة، وانظر: اللسان (حمد) ٢/ ٩٨٧.

(٨) هو ابن الأنباري، وقد نقل عنه الواحدي في هذا الموضع كثيراً، ولم أجده في كتبه الموجودة، ولعله ضمن كتبه المفقودة مثل المشكل في معاني القرآن، انظر: الدراسة.

(٩) في (ب): (أن بين) وفي (ج): (أنه بين).

(١٠) في (ب): (الله).

(١١) في (ب): (أنه).

(١٢) في (ب): (يُنعم) بالتشديد.

فكان حقيقة الإنعام من الله تعالى ، ومكافأة المنعم عليه بالشكر^(١) والحمد راجعة إليه جل اسمه^(٢) .

وعلى هذا فقد حُكي أن ابن التوأم^(٣) كان يقول : «إنما يجب أن يشكر من إن جاد عليك فلك جاد ، وإن^(٤) نفعتك فنفعك أراد ، من غير أن يرجع إليه من جوده بشيء^(٥) من المنافع على جهة من الجهات ، وهو الله^(٦) وحده لا شريك له» . ألا^(٧) ترى أن عطية الرجل لصاحبه لا تخلو من أن تكون لله أو لغيره ، فإن كانت^(٨) لله فثوابها على الله ، فلا^(٩) معنى للشكر ، وإن كانت^(١٠) لغير الله فلا تخلو من أن تكون لطلب المجازاة ، أو حب المكافأة ، وهذه تجارة معروفة ، والتاجر لا يشكر على تجارته ، وجر المنفعة إلى نفسه ، وإما أن تكون لخوف يده أو لسانه ، أو رجاء نصرته أو^(١١) معونته ، ولا معنى لشكر من هذه إحدى أحواله ، وإما

(١) في (ب) : (الشكر) .

(٢) انظر : الوسيط للواحدى ١٧/١ ، وتفسير الثعلبي ٢٤/١ ب ، ٢٥/أ ، والزاهر ٨٤/٢ ، وتفسير الطبري ٥٩/١ ، وتفسير ابن عطية ٩٩/١ ، ١٠٠ ، وتفسير الماوردي ٥٣/١ ، وتفسير البغوي ٥٢/١ ، والقرطبي ١١٤/١ ، ١١٥ ، والكشاف ٤٦/١ ، ٤٧ .

(٣) ابن التوأم لم أجد له ترجمة ، وكلامه أورده ابن قتيبة في عيون الأخبار أوسع مما ذكره الواحدى هنا . عيون الأخبار ٣/١٩١ ، قال ابن قتيبة : «قال ابن التوأم : كل من كان جوده يرجع إليه ولولا رجوعه إليه لما جاد عليك . . . وإنما يوصف بالجوود في الحقيقة ، ويشكر على النفع في حجة العقل ، الذي إن جاد عليك فلك جاد . . .» .

(٤) (إن نفعتك) ليس في عيون الأخبار ٣/١٩١ .

(٥) في (ب) : (شيء) بسقوط الباء وما في (أ) ، و(ج) موافق لما في عيون الأخبار .

(٦) في (ب) : (اله) .

(٧) بعد قوله : (وحده لا شريك له) كلام لابن التوأم تركه هنا ، انظر : عيون الأخبار ٣/١٩١ .

(٨) في (ب) : (كان) .

(٩) في (ب) : (ولا معنى) .

(١٠) في (ب) : (كان) .

(١١) في (ب) : (ومعونته) .

أن تكون^(١) للركة والرحمة ، ولما يجد في قلبه من الألم ، ومن جاد على هذا^(٢) السبيل ، فإنها داوى نفسه من دائها ، وخفف عنها ثقل برحائها^(٣) .

فأما من مدحه بشار^(٤) بن برد بقوله :

لَيْسَ^(٥) يُعْطِيكَ لِلرَّجَاءِ وَلِلْخَوْفِ فِ وَلَكِنْ يَلْذُ طَعْمَ الْعَطَاءِ^(٦)

فأي معنى لشكر^(٧) من يعطي لاجتلاب لذته ، ويحجب^(٨) داعي رأفته .

قال أبو بكر : ويحتمل أن يكون هذا ثناءً أثنى به على نفسه ، علم عباده في أول كتابه ثناءً^(٩) عليه ، وشكراً^(١٠) له ، يكتسبون بقوله وتلاوته أكمل الثواب وأعظم الأجر ، لطفاً بهم ، وحسن نظر لهم ، فقال : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ؛ أي قولوا : يا معشر الناس ما إذا قلتموه علت منزلتكم [وارتفعت درجتكم بقوله]^(١١)

(١) في (ب) : (يكون) .

(٢) في (ب) : (ومن حاد عن هذا) .

(٣) إلى هنا ما ذكره ابن قتيبة عن ابن التوأم مع اختلاف في بعض العبارات ، انظر : عيون الأخبار ١٩١/٣ .

(٤) هو بشار بن برد بن يربوخ العقيلي بالولاء ، وأصله من طخارستان ، أشعر الشعراء المولدين ، نشأ بالبصرة ، ومات سنة سبع أو ثمان وستين ومائة . انظر : ترجمته في الشعر والشعراء ٥١١ ، وطبقات الشعراء لابن المعتز ٢١ ، والبيان والتبيين ١/٦٥ ، وخزانة الأدب ٣/٢٣٠ .

(٥) في (ج) : (لئن) .

(٦) من قصيدة قالها بشار يمدح عقبة بن سلم ، ويروى (ولا الخوف) بدل (وللخوف) . انظر : ديوانه ١٤ ، وطبقات الشعراء لابن المعتز ٣٠ ، وعيون الأخبار لابن قتيبة ١/١٦٤ ، وشرح ديوان المتنبي للعكبري ٢٧٩/٤ .

(٧) في (ب) : (فإن معنى الشكر) .

(٨) في (ب) : (ويحجب) .

(٩) في (ب) : (الثناء) .

(١٠) في (ب) : (والشكرا) .

(١١) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) .

عند ربكم ، فيضمّر القول هاهنا كما أضمر في قوله : ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر : ٣] . معناه يقولون : ما نعبدهم^(١) .

ثم إذا قال القائل : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ فقد^(٢) أثنى على الله تعالى ، فيكون بذلك متعرضاً لثواب الله ، ومن أثنى على واحد فقد تعرض لإحسانه وثوابه .

يدل على صحة هذا أن بعض العلماء سئل عن تفسير الحديث المروي : «أفضل الدعاء سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر»^(٣) فقيل له : ما في هذا من^(٤) الدعاء ؟ وإنما الدعاء : (اللهم اغفر لنا ، وافعل بنا) . فقال للسائل : أما سمعت قول أمية بن أبي الصلت لعبدالله بن^(٥) جدعان :

كَرِيمٌ لَا يُغَيِّرُهُ صَبَاحٌ عَنِ الْخُلُقِ الْجَمِيلِ وَلَا مَسَاءٌ
إِذَا أَثْنَى عَلَيْهِ الْمَرْءُ يَوْمًا كَفَاهُ مِنْ تَعَرُّضِهِ الثَّنَاءِ^(٦)

(١) انظر : الوسيط ١٧/١ ، ونحوه في تفسير الطبري ٦٠/١ ، وانظر : تفسير الثعلبي ٢٣/١ ب ، وتفسير أبي الليث ٧٩/١ ، وابن عطية ١٠٠/١ ، والقرطبي ١١٨/١ .

(٢) في (ب) : (قد) .

(٣) لم أجده بهذا اللفظ ، وقد أخرج ابن ماجه عن سمرة بلفظ : «أربع أفضل الكلام لا يضررك بأيمن بدأت سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر» . سنن ابن ماجه : (٣٨١١) كتاب الأدب ، باب : فضل التسبيح ، ونحوه عند أحمد في المسند ٢٠/٥ ، وذكره البخاري معلقاً الفتح ٥٦٦/١١ ، وأخرج ابن ماجه عن جابر : «أفضل الذكر لا إله إلا الله ، وأفضل الدعاء الحمد لله» ، سنن ابن ماجه كتاب الأدب ، باب : فضل الحامدين ، قال العجلوني في كشف الخفاء : رواه الترمذي ، والنسائي ، وابن ماجه ، وابن حبان ، والحاكم ، وصححه ١٥٢/١ ، وانظر : فيض القدير ٦٠١/١ .

(٤) (من) ساقطة من (ب) .

(٥) عبدالله بن جدعان التيمي القرشي ، أحد الأجواد المشهورين في الجاهلية ، لهذا مدحه أمية بن أبي الصلت ، أدرك النبي ﷺ قبل النبوة . انظر : ترجمته وبعض أخباره في المحبر ١٣٨ ، والسيرة لابن هشام ١٤٤/١ ، الخزانة ٣٦٦/٨ ، والأعلام ٧٦/٤ .

(٦) تروى الأبيات بروايات أخرى منها : (خليل) بدل (كريم) ، و(السنن) بدل (الجميل) و(عليك) بدل =

فهذا مخلوق اجتزأ من مسألة مخلوق مثله بالثناء عليه ، فكيف يحتاج العبد مع ثنائه على ربه أن يسمي له حوائجه ؟ قال^(١) : وإنما اختير الحمد على الشكر للمبالغة والعموم ، وذلك أن الشكر لا يكون إلا مكافأة لنعمة سبقت إليك ، وأيضاً ، فإنه لا يشكر أحد على ما فيه من الأوصاف الجميلة ، وليس كذلك الحمد ، فإنه يقع ابتداءً قبل الصنعة ، ويقع على الأوصاف المحمودة فهو أبلغ وأعم وأجمع^(٢) .

قال الشاعر :

يَا أَيُّهَا الْمَائِحُ دُلُّوِي دُونَكُمْ إِنِّي رَأَيْتُ النَّاسَ يَحْمَدُونَكُمْ^(٣)

(عليه) . انظر : ديوان أمية بن أبي الصلت ٢٥٤ ، والمحبر ١٣٨ ، وطبقات فحول الشعراء للجمحي ٢٦٥ / ١ ، وديوان الحماسة ٣٧٢ / ٢ ، والعمدة لابن رشيقي ١٥٨ / ٢ .

(١) أبو بكر ابن الأنباري .

(٢) انظر : الزاهر ٨٤ / ٢ ، وفيه تكلم ابن الأنباري عن الفرق بين الحمد والشكر بنحو هذا ، وإلى هذا ذهب أكثر المفسرين ، انظر : تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ٣ / ١ ، وتفسير أبي الليث ٧٩ / ١ ، وتفسير الثعلبي ٢٤ / ١ ب ، وتفسير الماوردي ١٥٣ ، وانظر : تهذيب اللغة (حمد) ٩١٣ / ١ ، واشتقاق أسماء الله ٩٠ ، وذهب الطبري إلى أن الحمد والشكر بمعنى واحد ، واستدل على هذا بصحة قول القائل : (الحمد لله شكراً) . تفسير الطبري ٦٠ / ١ ، وهذا قول المبرد ، كما قال القرطبي في تفسيره ١١٦ / ١ ، ونسبة في اللسان للحياfi . اللسان (حمد) ٩٨٧ / ٢ ، وقد تكلم العلماء في نقض ما قاله الطبري ورده ، منهم ابن عطية في تفسيره ٩٩ / ١ ، والقرطبي في تفسيره ١١٦ / ١ ، وابن كثير في تفسيره ٢٠١ / ١ . قال محمود شاكر في حاشية تفسير الطبري : والذي قاله الطبري أقوى حجة وأعرق عربية من الذين ناقضوه .

(٣) نسبه الأكثر لراجز جاهلي من بني أسد بن عمرو بن تميم ، ونسبه بعضهم لجارية من مازن ، وقيل : روته وليس لها ، ونسبه بعضهم لرؤبة . والمائح الرجل في جوف البئر يمالأ الدلاء . ورد الرجز في معاني القرآن للفرء ٢٦٠ / ١ ، والزاهر ٨٥ / ٢ ، وأمالى الزجاجي ٢٣٧ ، وأمالى القالي ٢٤٤ / ٢ ، والإنصاف ١٨٧ ، ومغني اللبيب ٦٠٩ / ٢ ، ٦١٨ ، وشرح شذور الذهب ٤٨٥ ، وشرح المفصل ١١٧ / ١ ، والخزانة ٢٠٠ / ٦ .

فترجم بالثناء^(١) والتمجيد^(٢) عن الحمد ، فدل هذا على عموم الحمد .

وقد أخبرنا أبو الحسين بن أبي عبدالله الفسوي^(٣) رضي الله عنه ، أنبا^(٤) أحمد بن محمد الفقيه^(٥) ، أبنا محمد بن هاشم^(٦) ، عن الدَّبَرِي^(٧) ، عن

-
- (١) ورد الثناء والتمجيد في بيت آخر لم يورده الواحدي هنا وهو قوله : يُثْنُونَ خَيْرًا وَيَمَجِّدُونَكَ .
أورده ابن الأنباري في الزاهر ٨٥ / ٢ ، وانظر : المصادر السابقة .
- (٢) في (أ) ، و(ج) : التحميد ، وما في (ب) أصح ؛ لأنه أراد : الثناء والتمجيد اللذين وردا في البيت الثالث الذي لم يذكره .
- (٣) أحد شيوخ الواحدي : عبدالغافر بن محمد بن عبدالغافر الفارسي أبو الحسين ، حدث عن أبي سليمان الخطابي بغريب الحديث ، سبق ذكره في المجلد الأول ١٨ ، انظر : المنتخب من السياق ١٠٦ ، وسير أعلام النبلاء ١٩ / ١٨ .
- (٤) في (ب) : (أنا) ، وفي (ج) : (أن) في الموضعين .
- (٥) هو أبو سليمان أحمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي البستي الشافعي ، وقيل : اسمه حمد ، له مصنفات منها غريب الحديث ، توفي سنة ٣٨٨ هـ ، انظر : ترجمته في الأنساب ١٥٨ / ٥ ، ١٥٩ ، وإنباه الرواة ١ / ١٢٥ ، وتذكرة الحفاظ ٣ / ١٠١٨ .
- (٦) محمد بن هاشم أحد شيوخ الخطابي ، روى عنه في غريب الحديث كثيراً ، ولم أجده له ترجمة ، حتى إن محقق غريب الحديث ترجم لجميع شيوخ الخطابي ، ولم يذكر محمد بن هاشم مع كثرة روايته عنه ، ولعله لم يجد له ذكراً . والله أعلم .
- (٧) أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن عباد الدَّبَرِي ، والدَّبَرِي بفتح الدال والباء نسبة إلى الدَّبَرِ قرية من قرى صنعاء ، راوية عبدالرزاق ، توفي سنة ٢٨٥ هـ . انظر : ترجمته في اللباب ١ / ٤٨٩ ، وميزان الاعتدال ١ / ١٨١ ، وسير أعلام النبلاء ١٣ / ٤١٦ .

عبدالرزاق^(١)، عن معمر^(٢)، عن قتادة، عن عبدالله بن عمر أن النبي ﷺ قال :
« الحمد رأس الشكر ، ما شكر الله عبداً لا يحمده »^(٣).

قال أحمد^(٤) على إثر هذا الحديث : الحمد نوع ، والشكر جنس^(٥) ، وكل حمد شكر^(٦) ، وليس كل شكر حمداً .

وهو على ثلاث منازل : شكر القلب ، وهو الاعتقاد بأن الله ولي النعم ، قال
الله : ﴿ وَمَا يَكُم مِّن نِّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ ﴾ [النحل: ٥٣] ، وشكر اللسان وهو إظهار النعمة
بالذكر لها ، والثناء على مسديها ، قال الله : ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ [الضحى: ١١] ،

(١) هو عبدالرزاق بن همام بن نافع الحافظ ، عالم اليمن ، أبو بكر الحصري بالولاء . حدث عن جماعة منهم الأوزاعي ، وسفيان الثوري ، ومالك بن أنس ، وحدث عنه أحمد بن حنبل ، وابن راهويه ، وابن معين ، وابن المديني وجماعة توفي سنة ٢١١ هـ ، وانظر : ترجمته في طبقات ابن سعد ٥/ ٥٤٨ ، وسير أعلام النبلاء ٩/ ٥٦٨ ، وميزان الاعتدال ٣/ ٣٢٣ .

(٢) هو الإمام الحافظ معمر بن راشد ، أبو عروة ، الأزدي بالولاء البصري ، نزيل اليمن ، حدث عن قتادة ، والزهري ، وعمرو بن دينار ، ومام بن منبه وجماعة ، وعنه السفينان ، وابن المبارك ، وعبدالرزاق بن همام توفي سنة ١٥٣ هـ ، انظر : طبقات ابن سعد ٥/ ٥٤٦ ، والجرح والتعديل ٨/ ٢٥٥ ، وسير أعلام النبلاء ٧/ ٥ .

(٣) أخرجه عبدالرزاق في المصنف ١٠/ ٤٢٤ (١٩٥٧٤) وكتاب الجامع ، باب : شكر الطعام ، وذكره الخطابي في غريب الحديث ١/ ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، وذكره السيوطي في الجامع الصغير ورمز له بالحسن ، انظر : فيض القدير شرح الجامع الصغير ٣/ ٤١٨ ، وقال الألباني في ضعيف الجامع ٣/ ٤١١ (٢٧٩٠) : ضعيف .

(٤) هو أحمد بن محمد الخطابي البستي ، سبقت ترجمته . قال في غريب الحديث بعد أن ذكر الحديث . وقال أبو سليمان : الحمد نوع ١/ ٣٤٦ .

(٥) الجنس : كلي دال على كثيرين مختلفين بالحقيقة في جواب (ما هو) . والنوع : كلي دال على كثيرين متفقين في الحقيقة واقع في جواب (ما هو) . انظر : التعريفات للجرجاني ٧٨ ، ٢٤٧ ، والمبين في شرح معاني ألفاظ الحكماء والمتكلمين للأمدى ٧٣ .

(٦) في (ج) : (شكرا) .

وهو رأس الشكر المذكور في الحديث . وشكر العمل ، وهو ^(١) إِدَاب النفس بالطاعة .

قال الله سبحانه ^(٢) : ﴿ اَعْمَلُواْ اِلَآ دَاوُدَ شُكْرًا ﴾ ^(٣) [سبأ : ١٣] .

وقام رسول الله ﷺ حتى تفتطرت قدماه ، فقيل : يا رسول الله أليس قد غفر الله ^(٤) لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ قال : «أفلا أكون عبداً شكوراً» ^(٥) .

وقد جمع الشاعر أنواعه الثلاثة فقال :

أَفَادَتْكُمُ النَّعْمَاءُ مِنِّي ثَلَاثَةً يَدِي وَلِسَانِي وَالضَّمِيرَ الْمُحَجَّبَا ^(٦) ^(٧)

وبين الحمد والشكر فرق واضح ^(٨) ، يظهر بالنقيض ؛ لأن نقيض الشكر الكفر ، ونقيض الحمد الذم ^(٩) ، فهذا ما في معنى الحمد والشكر .

(١) في (ب) : (وهو شكر آداب) .

(٢) في (ج) : (تعالى) .

(٣) في (ب) : (الى) تصحيف .

(٤) لفظ الجلالة غير موجود في (ب) .

(٥) متفق عليه من حديث المغيرة وعائشة ، حديث المغيرة رواه البخاري : (١١٣٠) في كتاب التهجد ، باب : قيام النبي ﷺ الليل ، ومسلم : (٢٨١٩) في كتاب صفة الجنة والنار ، باب : إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة ، وحديث عائشة رواه البخاري : (٤٨٣٧) في كتاب التفسير ، باب : (لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ) ، ومسلم : (٢٨٢٠) في كتاب صفة الجنة والنار ، باب : إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة .

(٦) يقول : إن نعمتكم علي أفادتكم مني يدي ولساني وجناني فهي وأعمالها لكم . ورد البيت من دون عزو في غريب الحديث للخطابي ٣/١ ، والكشاف ٤٧/١ ، والفائق ٣١٤/١ ، والدر المصون ٣٦/١ ، وانظر : مشاهد الإنصاف على شواهد الكشف ٧ .

(٧) انتهى من غريب الحديث للخطابي ٣/١ ، والكشاف ٤٧/١ .

(٨) سبق بيان خلاف العلماء في ذلك ، وأن قول الأكثر على أن بينهما فرقاً ، وقال الطبري ومعه طائفة : إنها بمعنى واحد ، انظر : ٢٧٥ .

(٩) انظر : الزينة ٢/١١٢ ، وتهذيب اللغة (حمد) ١/٩١٣ ، واللسان (حمد) ٢/٩٨٧ .

ولا بد من ذكر طرف من مذهب النحويين في الألف واللام اللتين للتعريف وحكمهما . ومذهب^(١) الخليل في هذا أن (ال) حرف التعريف ، بمنزلة (قد)^(٢) في الأفعال ، فإن الهمزة واللام جميعاً^(٣) للتعريف ، وحكي عنه أنه كان يسميها (أل) كقولنا : (قد) ، وأنه لم يكن يقول : الألف^(٤) واللام كما لا يقول في (قد) القاف والدال .

واحتج لهذا المذهب بفصلين^{(٥)(٦)} ؛ أحدهما : أن العرب قد قطعت (أل) في أنصاف الأبيات ، نحو قول عبيد^(٧) :

يَا خَلِيلِيْ ازْبَعَا وَاسْتَخْبِرَا الـ مَنَزَلَ الدَّارِسَ مِنْ أَهْلِ الْحِلَالِ
مِثْلَ سَحْقِ الْبُرْدِ عَفَى بَعْدَكَ الـ قَطَرُ مَغْنَاهُ وَتَأْوِيْبُ الشَّمَالِ^(٨)

- (١) الكلام عن (أل) نقله الواحدي عن أبي الفتح ابن جني من كتاب سر صناعة الإعراب ، وأذكر الفروق المهمة بين عبارة الواحدي وعبارة ابن جني في موضعه إن شاء الله . قال ابن جني : «وذهب الخليل إلى أن (أل) حرف التعريف بمنزلة (قد) ٣٣٣ / ١» .
- (٢) انظر : مذهب الخليل في الكتاب ٣ / ٣٢٤ .
- (٣) عند أبي الفتح : «وإن الهمزة واللام جميعهما ٣٣٣ / ١» .
- (٤) انظر : الكتاب ٣ / ٣٢٥ .
- (٥) في (ج) : (بفضلين) .
- (٦) عند أبي الفتح : «ويقول هذا المذهب قطع (أل) في أنصاف الأبيات ، نحو قول عبيد ٣٣٣ / ١» .
- (٧) هو عبيد بن الأبرص بن جُشم ، من بني أسد ، يعد من فحول شعراء الجاهلية ، قيل : إنه عمر طويلاً . ترجمته في الشعر والشعراء ١٦١ ، وطبقات فحول الشعراء ٥٨ ، وخزانة الأدب ٢ / ٢١٥ .
- (٨) قوله : اربعا : أقيما . الحلال : جمع حال أي نازل ، أو جمع حلة وهو جماعة البيوت . سحق البرد : الثوب البالي . عفى : غطى . القطر : المطر . مغناه المغنى : المنزل الذي غني به أهله ثم ظعنوا . التأويب : الرجوع وتردد هوبها . وردت الأبيات في ديوان عبيد ١١٥ ، والمنصف ١ / ٣٣٣ ، وشرح المفصل ٩ / ١٧ ، والخزانة ٧ / ١٩٨ . والشاهد فيه فصل (أل) في البيتين ، استدل به الخليل على أن (أل) جميعها حرف التعريف ، ولو كانت اللام وحدها للتعريف لما جاز فصلها .

قال^(١) : فلو كانت اللام وحدها حرف التعريف ؛ لما جاز فصلها من الكلمة التي عرفتها ، لاسيما واللام ساكنة ، والساكن لا ينوي به الانفصال^(٢) . فصار قطعهم وهم يريدون الاسم بعدها كقطع النابغة^(٣) (قد) في قوله :

أَفَدَ^(٤) التَّرْحُلُ^(٥) غَيْرَ أَنَّ رِكَابَنَا لَمَّا تَزُلْ بِرِحَالِهَا^(٦) وَكَأَنَّ قَدَ^(٧)

ألا ترى أن التقدير : كأن قد زالت ، فقطع (قد) من الفعل كقطع (ال) من الاسم .

- (١) من القائل ؟ ظاهر كلام الواحدي أن القائل الخليل ؛ لأنه هو المذكور قبله ، والواقع أن الكلام لأبي الفتح بن جني ، حيث قال بعد الأبيات : «وهذه قطعة لعبيد مشهورة عددها بضعة عشر بيتاً يطرد جميعها على هذا القطع الذي تراه إلا بيتاً واحداً من جملتها ، ولو كانت اللام وحدها حرف التعريف لما جاز فصلها من الكلمة التي عرفتها . . . » ، سر صناعة الإعراب ١ / ٣٣٣ .
- (٢) بعده كلام لأبي الفتح ، تركه الواحدي . انظر : سر صناعة الإعراب ١ / ٣٣٣ .
- (٣) في (ب) : (لقطع التابعه) . والنابغة : هو زياد بن معاوية الذبياني ، أحد شعراء الجاهلية المشهورين ، توفي في زمن النبي ﷺ قبل أن يبعث . انظر : ترجمته في الشعر والشعراء ٨٣ ، وطبقات فحول الشعراء : ١ / ٥١ ، وجمهرة أنساب العرب ٢٥٣ ، والخزانة ٢ / ١٣٥ .
- (٤) في (ب) : (أرف) وفي (ج) : (أفر) وفي نسخة من سر صناعة الإعراب (أزف) ١ / ٣٣٤ .
- (٥) في (ب) : (الترجيل) .
- (٦) في (ب) : (برجالها) وعند أبي الفتح (برحالنا) وفي الحاشية : في (ش) : (برحالها) ، والأكثر في رواية البيت (برحالنا) .
- (٧) من قصيدة قالها النابغة في المتجردة امرأة النعمان بن المنذر . أفد الترحل : أي دنا الرحيل وقرب . والركاب : الإبل . وكأن قد ؛ أي : زالت لقرب وقت زوالها ودنوه . انظر : ديوان النابغة الذبياني ٨٩ ، والخصائص ٢ / ٣٦١ ، ٣ / ١٣١ ، ومغنى اللبيب ١ / ١٧١ ، ٢ / ٣٤٢ ، وشرح المفصل ٨ / ١١٠ ، ١٤٨ ، ٩ / ١٨ ، ٥٢ ، والأزهية ٢١١ ، وشرح ابن عقيل ١ / ١٩ ، والهمع ٢ / ١٨٨ ، ٤ / ٣١٥ ، والخزانة ١ / ٧٠ ، ٧ / ١٩٧ .

وإذا^(١) كان (ال) عند الخليل حرفاً واحداً ، فقد ينبغي أن تكون همزته مقطوعة ثابتة ، كقاف (قد) وباء (بل) ، إلا أنه لما كثر استعمالهم لهذا الحرف عرف موضعه ، فحذفت همزته ، كما حذفوا : (لم يَكْ) و(ولا أَدِرْ)^(٢) .

والفصل^(٣) الثاني^(٤) : أنهم قد أثبتوا هذه الهمزة بحيث تحذف همزات الوصل ، نحو قوله : ﴿قُلْ ءَآلَهُ أَذُنْ لَكُمْ﴾^(٥) [يونس : ٥٩] ، و ﴿قُلْ ءَآلَ الذِّكْرَيْنِ﴾ [الأنعام : ١٤٣] ، ولم^(٦) ترَ همزة وصل تثبت في نحو هذا ، فهذا يؤكد أن همزة (أل) ليست بهمزة وصل وأنها مع اللام كقد .

ومذهب الجمهور^(٧) في هذا أن اللام وحدها هي حرف التعريف ، وأن الهمزة إنما دخلت عليها لسكونها ، والدليل على هذا^(٨) إيصالهم حرف الجار إلى ما بعد حرف التعريف نحو قولهم : عجبت من الرجل ، ومررت بالغلام ، فنفوذ الجر إلى ما بعد حرف التعريف يدل على أن حرف التعريف غير فاصل عندهم

(١) ترك بعض كلام أبي الفتح . انظر : سر صناعة الإعراب ١ / ٣٣٤ .

(٢) والقياس فيها : لم يكن ، ولا أدري ، (لكن لما كثر في الاستعمال حذفت النون من الأول والياء من الثاني ، قال أبو الفتح : وحذفها شاذ ، انظر : المنصف ٢ / ٢٢٧ .

(٣) في (ج) : (الفضل) .

(٤) نص كلام أبي الفتح : «ويؤكد هذا القول عندك أيضاً : أنهم قد أثبتوا . . . إلخ» ، سر صناعة الإعراب ١ / ٣٣٤ .

(٥) في (ب) تصحيف في الآية ، حيث حذف (أذن) وكرر (لكم) .

(٦) عند أبي الفتح : « . . . ونحو قولهم في القسم (أفأله) و (لاها الله ذا) ، ولم ترَ همزة الوصل تثبت في نحو هذا . . . إلخ» ، سر صناعة الإعراب ١ / ٣٣٥ .

(٧) عند أبي الفتح : «وأما ما يدل على أن اللام وحدها هي حرف التعريف ، وأن الهمزة إنما دخلت عليها لسكونها ، فهو إيصالهم جر الجار إلى ما بعد حرف التعريف . . . » سر صناعة الإعراب ١ / ٣٣٥ . قال في شرح المفصل : «واللام هي حرف التعريف وحدها ، والهمزة وصلة إلى النطق بها ساكنة ، هذا مذهب سييويه ، وعليه أكثر البصريين والكوفيين ما عدا الخليل . . . » ، ١٧ / ٩ ، وانظر : الخزانة ٧ / ١٩٨ ، ١٩٩ .

(٨) أي على مذهب الجمهور ، وهو أن حرف التعريف اللام وحدها .

بين الجار والمجرور ، وإنما كان كذلك ؛ لأنه في نهاية اللطافة والاتصال بها عرفه ؛ لأنه على حرف واحد ، ولا سيما ساكن ، ولو كان حرف التعريف في نية الانفصال كـ^(١) (قد) لما جاز نفوذ الجر إلى ما بعد حرف التعريف .

وأيضاً فإن^(٢) حرف التعريف نقيض التنوين ؛ لأن التنوين دليل التنكير ، كما أن هذا^(٣) دليل التعريف ، فكما^(٤) أن التنوين في [آخر الاسم حرف واحد ، كذلك حرف التعريف في]^(٥) أوله ينبغي أن يكون حرفاً واحداً .

فأما ما احتج به الخليل من قطع (أل) عن الحرف الذي بعده في الشعر فقد يقطعون^(٦) في المصراع الأول بعض الكلمة وما هو منها أصل ، ويأتون بالبقية في أول المصراع الثاني ، كما قال :

يَا نَفْسِ أَكْلًا وَاضْطِجَا عَا نَفْسٍ لَسْتَ بِخَالِدَةٍ^(٧)

(١) عند أبي الفتح : « . . . ولو كان حرف التعريف عندهم حرفين كـ (قد) و (هل) لما جاز الفصل به بين الجار والمجرور به . . . » ، ثم أخذ يشرح ويفصل في هذا في كلام طويل تركه الواحدي ، ثم قال : « . . . وكذلك لو كان حرف التعريف في نية الانفصال لما جاز نفوذ الجر إلى ما بعد حرف التعريف ، وهذا يدل على شدة امتزاج حرف التعريف بها عرفه . . . » . ٣٣٦ / ١ ، ٣٣٧ .

(٢) قال أبو الفتح : « . . . ويزيدك تأنيساً بهذا أن حرف التعريف نقيض التنوين . . . » . ٣٣٧ / ١ .

(٣) أي حرف التعريف .

(٤) في (ج) : (وكما) .

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (ج) .

(٦) في (ب) : (يقطعون) .

(٧) نسب البيت لكثير عزة ، وليس في ديوانه . انظر : سر صناعة الإعراب ١ / ٣٤٠ ، وشرح المفصل ٩ / ١٩ ، والخزانة ٧ / ٢٠٢ ، وانظر : معجم الشواهد العربية لعبد السلام هارون ١ / ٩٩ . والشاهد فيه : أنه فصل الكلمة بين مصراعي البيت ، وأورده رداً على ما ذهب إليه الخليل من أن قطع (أل) في المصراع الأول دليل على أن (ال) أداة تعريف ، وليس اللام وحدها .

وهو كثير ، وإذا جاز ذلك في أنْفُسِ الكَلِم ، ولم يدل على انفصال بعض الكلمة من بعض ، فغير منكر أيضاً أن تفصل لام المعرفة في الأول^(١) .

وأما ما احتج به من قطع الهمزة في نحو : (ءالله)^(٢) فإنها جاز ذلك لمخافة التباس الاستفهام بالخبر^(٣) .

وإنما جعل حرف التعريف حرفاً واحداً ؛ لأنهم أرادوا خلطه^(٤) بما بعده ، فجعلوه على حرف واحد ؛ ليضعف عن^(٥) انفصاله مما بعده ، فيعلم بذلك أنهم قد^(٦) اعتمدوا^(٧) على خلطه به ، ولهذا سكتوه ؛ لأنه أبلغ في ما قصدوا ؛ لأن الساكن أضعف من المتحرك ، وأشد حاجة وافتقاراً إلى ما يتصل به^(٨) .

وإنما اختاروا^(٩) (اللام) دون سائر حروف المعجم ؛ لأنهم أرادوا إدغام حرف التعريف في ما بعده ؛ لأن الحرف المدغم أضعف من الحرف الساكن غير المدغم ؛ ليكون إدغامه دليلاً على شدة اتصاله ، فلما آثروا إدغامه في ما بعده اعتبروا حروف المعجم ، فلم يجدوا فيها حرفاً أشد مشاركة لأكثر الحروف من

(١) أي : المصراع الأول من البيت . انظر : سر صناعة الإعراب ١ / ٣٤٠ .

(٢) أي قوله تعالى : ﴿ ۞ ٱللَّهُ ٱذۡنَبۡ لَكُمۡ ۞ ﴾ [يونس : ٥٩] .

(٣) يلحظ أن الكلام من قوله : «فأما ما احتج به الخليل . . . » إلى قوله : «بالخبر» ليس بهذا السياق والترتيب عند أبي الفتح ، وإنما تصرف فيه الواحدي . انظر : سر صناعة الإعراب ١ / ٣٣٧ ، ٣٤٠ والخزانة ٧ / ٢٠١ ، ٢٠٢ .

(٤) في (ب) : (خالطه) .

(٥) في (أ) ، و(ج) : (على) ، وما في (ب) موافق لسر صناعة الإعراب ١ / ٣٤٦ .

(٦) (قد) ساقط من (ج) .

(٧) في (أ) ، و(ج) : (اعترفوا) ، وما في (ب) موافق لسر صناعة الإعراب ١ / ٣٤٦ .

(٨) من قوله «وإنما جعل حرف التعريف» ملخص من سر صناعة الإعراب ١ / ٣٤٦ .

(٩) عند أبي الفتح «وأما لم يختاروا له اللام من دون سائر حروف المعجم ؟ فالجواب عنه أنهم إنما أرادوا . . . » ١ / ٣٤٦ ، قوله (له) ؛ أي : للتعريف .

(اللام) فعدلوا إليها ؛ لأنها تتجاوز أكثر حروف الفم^(١) التي هي معظم الحروف ،
 وليصلوا بذلك إلى الإدغام المترجم عما عزموه^(٢) من شدة وصل التعريف بها
 عرفه^(٣)(٤) ، ولو جاؤوا بغير (اللام) للتعريف لما أمكنهم أن يكثر^(٥) إدغامها ،
 كما أمكنهم ذلك مع (اللام) ، فإدغامهم إياها مع ثلاثة^(٦) عشر حرفاً ، وهي :
 (التاء ، والثاء ، والذال ، والذال ، والراء ، والزاي ، والسين ، والشين ،
 والصاد ، والضاد ، والطاء ، والظاء ، والنون) وذلك قولهم التمر ، والثريد ،
 والدبس ، والدُّوق^(٧) ، والرُّطب ، والزُّبد ، والسَّفَرْجَل ، والشَّعِير ، والصَّيْر ،
 والصَّنَاب^(٨) ، والطَّيخ ، والظُّلم^(٩) ، والنَّبِق ، يدلُّك على^(١٠) ما ذكرنا أنك^(١١)

(١) في (ب) : المعجم والمراد بحروف الفم التي تخرجها من الفم .

(٢) في (ج) : (عرضوه) وعند أبي الفتح (اعتزموه) ٣٤٧ / ١ .

(٣) في (ب) : (عرقوه) .

(٤) انظر : سر صناعة الإعراب ٣٤٧ / ١ ، وفي كلام أبي الفتح زيادة عما هنا .

(٥) في (ب) : (يكثرُوا) .

(٦) في (ب) : (ثلاث) . والرابع عشر اللام نفسها . ومثلها الليل .

(٧) عند أبي الفتح : (الذرق) ، وفي حاشيته : (ب) : (الذوق) . الذرق : نبات كالفسفسة ، تُسميه
 الحاضرة : الخندوقي . انظر : تهذيب اللغة (ذرق) ١٢٨٠ / ٢ .

(٨) في (ج) : (الضباب) وفي (ب) : (الضناب) وعند أبي الفتح : (والصَّنَاب والضُّرو) ٣٤٧ / ١ ، وهو
 الصواب ؛ لأنه تمثيل للصاد ثم للضاد . الصَّير : هو الشق ، كما في الحديث : «من اطلع من صير
 باب» . والصير : الماء يحضره الناس . والصَّير : السمكات المملوحة التي تعمل منها الصحناء . انظر :
 تهذيب اللغة (صير) ٢ / ٢٠٧٥ ، واللسان (صير) ٤ / ٢٥٣٥ . الصَّنَاب : صباغ يتخذ من الخردل
 والزبيب . انظر : تهذيب اللغة (صنَب) ٢ / ٢٠٦٢ ، واللسان (صنَب) ٤ / ٢٥٠٤ .

الضُّرو والضُّرو : شجر طيب الريح يستاك به ، ويجعل ورقه في العطر . اللسان (ضرا) ١٤ / ٤٨٣ .

(٩) عند أبي الفتح (الظبي) ، وفي الحاشية : (ل) : (الظئر) ٣٤٧ / ١ .

(١٠) اختصر الواحدي كلام أبي الفتح ونص كلامه : « . . . ويدلُّك على إيثارهم الإدغام للام التعريف لما
 قصدوا من الإبانة عن غرضهم ، أنك لا تجد لام التعريف مع واحد من هذه الأحرف الثلاثة عشر إلا
 مدغماً في جميع اللغات ، ولا يجوز إظهارها ولا إخفاؤها معهن ما دامت للتعريف ألبته ، وأنك قد تجد
 اللام إذا كانت ساكنة وهي لغير التعريف مظهرة . . . إلخ » ٣٤٧ / ١ .

(١١) في (ب) : (أنا) .

تجد (اللام) ساكنة وهي لغير التعريف مظهرة غير مدغمة مع أكثر هذه الحروف ، وذلك نحو : (التفت) ^(١) ، و(هل ثم أحد) ^(٢) ، و(الزَمَ به) ^(٣) و(أَلْسِنَة) هذا هو الكلام في (اللام) ^(٤) .

فأما الكلام في الهمزة الداخلة على هذه اللام : فاعلم أن الهمزة ^(٥) إنما جيء بها توصلاً إلى النطق بالساكن الذي بعدها ، إذ لم يمكن ^(٦) الابتداء به ، وكان حكم هذه الهمزة أن تكون ساكنة ؛ لأنها حرف جاء لمعنى ، ولا حظَّ له في الإعراب . وهي في أول الحرف كالهاء التي لبيان الحركة ^(٧) في آخر الحرف . نحو (وازيده) و(واعمره) فكما أن تلك ساكنة فكذلك كان ينبغي في الألف ^(٨) أن تكون ساكنة ^(٩) ، إلا أنها ^(١٠) حركت لأجل الساكن الذي بعدها ، ولم يجوز أن يحرك ما بعدها لأجلها ؛ من قبل أنك لو فعلت ذلك لبقيت هي عليك ^(١١) أيضاً في أول الكلمة ساكنة ، وكان يحتاج لسكونها إلى حرف قبلها محرك يقع به ^(١٢) الابتداء .

(١) في (ب) : (السقب) وعند أبي الفتح (التفت) .

(٢) في (ب) : (أخذ) .

(٣) في (ج) : (ولزم به) : (وعند أبي الفتح (أَلَزَمَ به) وفي الحاشية ل (أَلَزَمَ به) ١/ ٣٤٨ .

(٤) إلى هنا ما أخذ الواحدي من كتاب أبي الفتح سر صناعة الإعراب حرف اللام ١/ ٣٣٣-٣٤٨ .

(٥) انتقل الواحدي إلى موضع آخر من كتاب سر صناعة الإعراب نفسه ١/ ١١٢ قال أبو الفتح : «واعلم أن هذه الهمزة إنما جيء بها توصلاً إلى النطق بالساكن . . . » ، وسأذكر الفروق المهمة بين كلام أبي الفتح وكلام الواحدي في مواضعها .

(٦) في (ب) : (يكن) وعند أبي الفتح (لما لم يمكن) ١/ ١١٢ .

(٧) عند أبي الفتح (. . . الحركة بعد الألف في آخر الحرف . . .) ١/ ١١٢ .

(٨) أي : الهمزة التي جيء بها للتوصل إلى النطق بالساكن .

(٩) انظر : سر صناعة الإعراب ١/ ١١٣ ، اختصر الواحدي بعض الكلام ، وتصرف في بعض العبارات .

(١٠) في (ب) : (إنها) بكسر الهمزة .

(١١) (عليك) : ليست في كلام أبي الفتح .

(١٢) في (أ) ، و(ج) : (يقع به الابتداء به) وعند أبي الفتح (يقع الابتداء به) ، سر صناعة الإعراب ١/ ١١٣ .

وإنما اختاروا الهمزة لوقوع الابتداء^(١) بها^(٢)؛ لأنهم أرادوا حرفاً يتبلغ به في الابتداء، ويحذف في الوصل للاستغناء عنه بما قبله، فجعلوه الهمزة؛ لأن العادة فيها في أكثر الأحوال حذفها للتخفيف، وهي مع ذلك أصل، فكيف بها إذا كانت زائدة، ألا تراهـم حذفوها في نحو: (خذ) و(مر)^(٣) و(وَيَلْمُهُ)^(٤) وفي قول الشاعر:

وَكَانَ حَامِلُكُمْ مِتًّا وَرَافِدُكُمْ
وَحَامِلُ الْمَيْنِ بَعْدَ الْمَيْنِ وَالْأَلْفِ^(٥)
أراد المئين، فحذف الهمزة، وأراد الألف فحرك اللام ضرورة^(٦).

وقالوا: ذن^(٧) لا أفعل فحذفوا همزة إذن^(٨)، ولو أنهم جعلوا مكان الهمزة غيرها لم يمكن حذفه؛ لأنه لم يحذف غيرها من الحروف كما حذفت هي، وكانت الهمزة بالزيادة في الابتداء أولى من سائر الحروف؛ لأنهم شرطوا على أنفسهم حرفاً يحذف عند الغنى^(٩) عنه، وذلك في أكثر أحواله؛ لأن الوصل أكثر من الابتداء

-
- (١) هذا جواب تساؤل افترضه أبو الفتح، انظر: سر صناعة الإعراب ١/ ١١٣.
- (٢) في (أ)، و(ب)، و(ج): (به) صححتها على حسب ما عند أبي الفتح في سر صناعة الإعراب ١/ ١١٣.
- (٣) أصلها: (أُوْخِذْ) و(أُوْمَرْ) فلما اجتمعت همزتان، وكثر استعمال الكلمة، حذفت الهمزة الأصلية فزال الساكن، فاستغني عن الهمزة الزائدة. انظر: سر صناعة الإعراب ١/ ١١٢.
- (٤) الأصل فيها: (وَيَلْ لَأْمُهُ) فحذف التنوين فالتقت لام ويل ولام الخفض، فأسكنت الأولى وأدغمت الثانية، ثم حذفت الهمزة، ثم خفف بحذف أحد اللامين، فمنهم من جعل المحذوفة لام الخفض وأبقى لام ويل وأبقى لام الخفض مكسورة، ومنهم من جعل المحذوفة لام ويل على أصلها مضمومة، ففيها الوجهان. انظر: المسائل الحلبيات للفراسي ٤٣، والكتاب ٣/ ٥، وسر صناعة الإعراب ١/ ١١٣، ٢٣٥، والخزانة ٣/ ٢٧٥، ٢٧٦.
- (٥) ورد البيت غير منسوب في سر صناعة الإعراب ١/ ١١٤، والخصائص ٢/ ٣٣٤، واللسان (ألف) ١/ ١٠٧، و(مأى) ٧/ ٤١٢٤.
- (٦) وقيل: أراد: (الآلاف) فحذف للضرورة، قاله في اللسان ٩/ ٩.
- (٧) في (ب): (اذن).
- (٨) سر صناعة الإعراب بتصرف ١/ ١١٣، ١١٤.
- (٩) في حاشية سر صناعة الإعراب: (ب) و(ش): (الغناء).

والقطع ، ولم يجدوا حرفاً يطرد فيه الحذف اطراده في الهمزة ، فأتوا بها دون غيرها من سائر حروف المعجم .

والأصل في جميع ألفات الوصل أن تبدأ بالكسر ؛ لأنها إنما دخلت وصلة إلى النطق بالساكن^(١) ، وقد ذكرنا أن حقها كان في الأصل السكون ، فلما كان حقها السكون ودخلت على الساكن حركت بالكسرة تشبيهاً بحركة الساكن إذا لقيه ساكن ؛ لأن تحريك أحد الساكنين في سائر المواضع إنما هو أيضاً ليتصل به إلى النطق بالساكن الآخر^(٢) . وإنما فتحت مع لام التعريف ؛ لأن اللام حرف ، فجعلوا حركة الهمزة معها فتحة ؛ لتخالف حركتها في الأسماء والأفعال^{(٣)(٤)} .

ولام التعريف تقع^(٥) في الكلام في أربعة مواضع^(٦) وهي :

- ١ . تعريف الواحد بعهد ، نحو قولك لمن كنت معه في ذكر رجل : قد وافى الرجل ؛ أي : الرجل الذي كنا في حديثه وذكره .
- ٢ . وتعريف الواحد بغير عهد نحو قولك لمن لم تره قط ولا ذكرته : يا أيها الرجل أقبل فهذا تعريف لم يتقدمه ذكر ولا عهد .

(١) في (ج) كلام مقدم في غير موضعه ، ونص العبارة : «بالساكن الآخر وإنما فتحت مع لام التعريف لأن اللام حرف ، فجعلوا حركة الهمزة معها فتحة لتخالف ، وقد ذكرنا . . . » . وحذف الناسخ كلمة (والآخر) و(لتخالف) ، وهما أول الكلام المكرر ونهايته ، فلعله تنبه له بعد كتابته .

(٢) أخذه بمعناه من سر صناعة الإعراب ١ / ١١٢ ، ١١٣ .

(٣) حيث تكون مكسورة أو مضمومة مع الأسماء والأفعال .

(٤) بنصه من سر صناعة الإعراب ١ / ١١٧ .

(٥) في (ب) : (تقطع) .

(٦) مواضع لام التعريف ، أخذه كذلك عن أبي الفتح بن جني من سر صناعة الإعراب (حرف اللام) ١ / ٣٥٠ ، مع إعادة ترتيب الكلام والتصرف اليسير في العبارة .

٣. الثالث : تعريف الجنس ، نحو قولك : العسل حلو ، والخل حامض
فهذا التعريف لا يجوز أن يكون عن إحاطة بجميع الجنس ولا مشاهدة
له ؛ لأن ذلك متعذر ، وإنما معناه : أن كل واحد من هذا الجنس
المعروف بالعقول دون حاسة المشاهدة^(١) .

٤. الرابع : أن تكون زائدة ، نحو قوله : الآن ، ولام الذي والتي ،
وتثنيتهما ، وجمعهما ، ولام اللات والعزى ، وسنذكر كل واحد من هذه
الحروف إذا انتهينا إليه إن شاء الله^(٢) .

فأما قوله : الحمد ؛ فاللام فيه تحتمل^(٣) : أن تكون للجنس ؛ أي جميع المحامد
له ؛ لأنه الموصوف بصفات الكمال في نعوته وأفعاله الحميدة^(٤) ، وتحتمل : أن
تكون للعهد ؛ أي : الحمد الذي حمد به نفسه وحمده به أولياؤه^(٥) .

(١) في الكلام عدم وضوح ؛ لأن قوله : «وإنما معناه أن كل واحد من هذا الجنس . . إلخ» يعود على مثال
لم يذكره الواحدي ، ونص عبارة أبي الفتح : «الثالث : نحو قولك الملك أفضل من الإنسان ، والعسل
حلو ، والخل حامض ، وأهلك الناس الدينار والدرهم ، فهذا التعريف لا يجوز أن يكون عن إحاطة
بجميع الجنس . . إلخ» . ثم يقول : « . . . وإنما معناه أن كل واحد من هذا الجنس المعروف بالعقول
من دون حاسة المشاهدة أفضل من كل واحد من هذا الجنس الآخر ، وأن كل جزء من العسل الشائع
في الدنيا حلو ، وكل جزء من الخل الذي لا تمكن مشاهدة جميعه حامض » . سر صناعة الإعراب
٣٥٠ / ١ .

(٢) قوله : «وسنذكر كل واحد من هذه الحروف إذا انتهينا إليه . . .» من كلام الواحدي ، أما أبو الفتح
فتكلم عنها في الموضع نفسه ، انظر : سر صناعة الإعراب ٣٥٠ / ١ وما بعدها ، ليت الواحدي لم يثقل
الكتاب بهذه النقول التي مكانها كتب النحو المطولة .

(٣) في (ج) : (يحتمل) .

(٤) وعليه أكثر المفسرين ، انظر : تفسير الطبري ٦٠ / ١ ، وتفسير ابن عطية ٩٩ / ١ ، والكشاف ٤٩ / ١ ،
وتفسير القرطبي ١١٦ / ١ ، وتفسير ابن كثير ٢٥ / ١ ، والبحر ١٨ / ١ .

(٥) ذكره الرازي في تفسيره ٢٢٠ / ١ ، وأبو حيان في البحر ١٨ / ١ .

ورفعه على معنى قولوا : الحمد لله ، على ما حكينا عن ابن الأنباري^(١) ، ويجوز أن يكون ابتداءً ، وخبره في ما بعده^(٢) .

وقوله تعالى : ﴿لِلَّهِ﴾ : هذه اللام تسمى لام الإضافة^(٣) ، ولها في الإضافة معنيان^(٤) :

أحدهما : الملك نحو : المال لزيد .

والآخر : الاستحقاق^(٥) نحو : الجُلُّ^(٦) للدابة ؛ أي : استحقته ولا يسته ، وكذلك الباب للدار . وهذه الجارة مكسورة مع المظهر ، ومفتوحة مع المضمّر ، وإنما كسرت مع المظهر وكان من حقها الفتح ؛ لأننا ذكرنا أن هذه الحروف التي تستعمل على واحدة حقها الفتح^(٧) ، وكسرت مع المظهر للفرق بينها^(٨) وبين لام الابتداء ؛ وذلك قولك في الملك : إن زيدا لهذا ؛ أي : في ملكه ، وإن زيدا

(١) سبق كلام ابن الأنباري ٢٧١ ، وانظر : تفسير الطبري ٦١ / ١ .

(٢) انظر : معاني القرآن للزجاج ١ ، وإعراب القرآن للنحاس ١١٩ / ١ ، والبيان في غريب القرآن ٣٤ / ١ ، ومشكل إعراب القرآن لمكي ٨ / ١ ، والكشاف ٤٧ / ١ ، وإملاء ما من به الرحمن ٥ / ١ .

(٣) الكلام عن اللام نقله عن كتاب سر صناعة الإعراب ٣٢٥ / ١ ، قال أبو الفتح : «فأما العاملة فلام الجر ، وذلك قولك : المال لزيد ، والغلام لعمر . وموضعها في الكلام الإضافة ، ولها في الإضافة معنيان : أحدهما الملك» .

(٤) ذكر الرازي لها ثلاثة معان في تفسيره ٢٢ / ١ ، وانظر : البحر ١٨ / ١ .

(٥) عند أبي الفتح (الاستحقاق والملازمة) ٣٢٥ / ١ .

(٦) الجُلُّ : واحد جلال الدواب ، الذي تلبسه لتصان به . انظر : الصحاح (جلل) ١٦٥٨ / ٤ ، واللسان (جلل) ٦٦٤ / ٢ .

(٧) ذكره الواحدي عند الحديث عن الباء في تفسير بسم الله ناقلًا عن أبي الفتح من هذا الموضع . انظر : سر صناعة الإعراب ٣٢٥ / ١ .

(٨) في (ب) : (بينها) .

لهذا ؛ أي : هو ^(١) هو ، فلو فتحت في الموضعين لالتبس ^(٢) معنى ^(٣) الملك بمعنى الابتداء .

وإنما كسرت الجارة وتركت لام الابتداء بحالها مفتوحة ^(٤) ؛ لأن أول أحوال ^(٥) الاسم هو الابتداء ، وإنما يدخل الناصب والجار والرافع على المبتدأ ^(٦) فلما كان المبتدأ متقدماً في المرتبة ، وكان فتح هذه اللام هو الأول المتقدم من حالتها ^(٧) ، جعل الفتح الذي هو أول مع الابتداء الذي هو أول ، ولما كان الكسر فيها إنما هو ثانٍ غير أول ، جعل مع الذي هو تبع للابتداء ، هذا هو القياس ^(٨) .

وقوله تعالى : ﴿ نَبِّ أَلَسَلِيمِ ﴾ : الرب في اللغة له معنيان ^(٩) ؛ أحدهما : أن يكون معناه من الرب بمعنى التريية .

(١) عند أبي الفتح (أي هو هذا) ١/ ٣٢٦ .

(٢) في (ج) : (للا لالتبس) .

(٣) في (ج) : (بمعنى) .

(٤) هذا مضمون سؤال أثاره أبو الفتح حيث قال : «وهنا زيادة ما علمتها لأحد من أصحابنا ، وهي أن يقال : إذا كان الفرق بين اللام الجارة ولام الابتداء واجباً لما ذكرته من المعنيين ، فلم كسرت الجارة وتركت لام الابتداء بحالها مفتوحة ؟ . فالجواب عن هذا أن يقال : إن أول أحوال الاسم هو الابتداء ... إلخ» ١/ ٣٢٨ .

(٥) في (ب) : (الأحوال) .

(٦) في (ب) : (الابتداء) . نص كلام أبي الفتح : «وإنما يدخل الرافع أو الناصب سوى الابتداء والجار على المبتدأ» ، وفي حاشيته : في (ب) (الناصر والرافع) . سر صناعة الإعراب ١/ ٣٢٨ ، تأمل الفرق بينها .

(٧) عند أبي الفتح (حاليها) ١/ ٣٢٨ .

(٨) انتهى من سر صناعة الإعراب ١/ ٣٢٨ .

(٩) ذكر ابن الأنباري أن الرب ثلاثة أقسام : السيد المطاع ، والمالك ، والمصلح . الزاهر ١/ ٥٧٥ . ونحوه عند ابن جرير ثم قال : (وقد يتصرف معنى الرب في وجوه غير ذلك ، غير أنها تعود إلى بعض هذه الوجوه الثلاثة) تفسير الطبري ١/ ٦٢ ، وانظر : تفسير الثعلبي ١/ ٢٥ ، ب ، والمخصص ١٧/ ١٥٤ ، ومعجم مقاييس اللغة (رب) ٢/ ٣٨١ ، والزينة ٢/ ٢٧ ، واللسان (رب) ١/ ٤٠٤ .

قال الأصمعي : رَبَّ فلان الصنِعة يُرَبُّها رَبًّا إذا أتمها وأصلحها ، قال :
ويقال : فلان رَبَّ نَحْيَهُ يُرَبُّهُ رَبًّا^(١) إذا جعل فيه الرُّبَّ ومَتْنُهُ به ، وهي^(٢) نَحْيُ
مَرْبُوب^(٣) وهذا - أيضاً - عائد إلى معنى التربية والإصلاح . قال الشاعر :

فَإِنْ كُنْتَ مِنِّي أَوْ تُرِيدُنِ صُحْبَتِي^(٤) فَكُونِي لَهُ كَالسَّمَنِ^(٥) رَبَّتْ لَهُ الْأَدَمُ^(٦)
وتقول : رَبَّ الشيء يُرَبُّه ربوباً فهو رَبٌّ ، مثل : (بَرَّ وَطَبَّ)^(٧)^(٨) ، إذا تممه
وأصلحه ، قال الشاعر :

يُرَبُّ الَّذِي يَأْتِي مِنَ الْخَيْرِ أَنَّهُ إِذَا فَعَلَ الْمَعْرُوفَ زَادَ وَتَمَّهَا^(٩)

-
- (١) (ربا) ساقط من (ب) .
(٢) في تهذيب اللغة (وهو نحى مربوب) .
(٣) انظر : قول الأصمعي في تهذيب اللغة (رب) ١٣٣٦ / ٢ .
(٤) في (ب) : (تريدن نصيحتي) .
(٥) في (ب) ، و(ج) : (كالشمس) .
(٦) البيت لعمر بن شأس ، كان له ابن يقال له عرار من أمة سوداء ، وكانت امرأته تؤذيه وتستخف به ، فقال قصيدة يخاطبها ، ومنها هذا البيت ، يقول : إن كنت تريدن مودتي ، فأحسنني إليه كما تستصلحين وعاء السمّن حتى لا يفسد عليك (الأدم) جمع أديم : الجلد المدبوغ ، و(الرُّبُّ) : خلاصة التمر بعد طبخه وعصره . ورد البيت في شعر عمرو ٧١ ، والشعر والشعراء ٢٧٤ ، وطبقات الشعراء للجمحي ٨٠ ، وأما القالي ١٨٩ / ٢ ، واشتقاق أسماء الله ٣٣ ، والصحاح (رب) ١٣١ / ١ ، واللسان (رب) ١٥٥٠ / ٣ .
(٧) يقال : (رجل طب) أي : عالم . انظر : الصحاح (طب) ١٧١ / ١ .
(٨) ذكر الثعلبي نحوه قال : (تقول العرب : رَبَّ يُرَبُّ رَبًّا وَرُبُّوياً فهو رَبٌّ مثل بَرَّ وَطَبَّ) . تفسير الثعلبي ١ / ٢٥ ب ، وانظر : الزاهر ١ / ٥٧٦ ، والصحاح (رب) ١ / ١٣٠ ، والوسيط للواحيدي ١٧ / ١ .
(٩) ورد البيت من دون عزو في الزاهر ١ / ٥٧٦ ، وتهذيب اللغة (رب) ١٣٣٦ / ٢ ، وتفسير الثعلبي ١ / ٢٥ ب ، والوسيط للواحيدي ١ / ١٧ ، واللسان (رب) ١٥٤٧ / ٣ ، ورواية البيت في غير الثعلبي (من العرف) بدل (من الخير) ، و(سئل) بدل (فعل) .

فالمعنى ^(١) على هذا أنه يربي الخلق ويغذوهم ^(٢) بما ينعم عليهم ^(٣) .

الثاني : أن يكون الرب بمعنى المالك ، يقال : رب الشيء إذا ملكه ، ورببت ^(٤) فلاناً ؛ أي : كنت فوقه ^(٥) .

ومنه قول صفوان بن أمية ^(٦) : لأن يرَّبني رجل من قريش أحب إلي من أن يرَّبني رجل من هوازن ^(٧) يعني : أن يكون رباً فوقي ، وسيداً يملكني . وكل من ملك شيئاً فهو ربه ^(٨) ، يقال : هو ربُّ الدار وربُّ الضيعة ^(٩) ، وقال النبي ﷺ لرجل ^(١٠) : «أَرَبُّ إِبِلٍ أَنْتَ أَمْ رَبُّ غَنَمٍ ؟» ^(١١) ، وقال النابغة :

فَإِنْ تَكُ رَبُّ أَدْوَادٍ بِحُزْوَى أَصَابُوا مِنْ لِقَاحِكَ مَا أَصَابُوا ^(١٢)

(١) في (ب) : (والمعنى) .

(٢) في (ب) : (ويعدهم) .

(٣) انظر : تفسير الطبري ١ / ١١٩ .

(٤) في (ب) : (بيت) .

(٥) انظر : الزينة ٢ / ٢٧ ، وتهذيب اللغة (رب) ٢ / ١٣٣٦ ، واللسان (رب) ٣ / ١٥٤٦ .

(٦) صفوان بن أمية بن خلف الجمحي القرشي ، أسلم بعد الفتح ، وروى أحاديث وشهد اليرموك ، توفي سنة إحدى وأربعين . انظر : ترجمته في الإصابة ٢ / ١٨٧ ، وتجريد أسماء الصحابة ١ / ٢٦٦ ، وسير أعلام النبلاء ٢ / ٥٦٢ ، وطبقات ابن سعد ٥ / ٤٤٩ .

(٧) ذكره الأزهري في التهذيب ، وفيه : أن صفوان كان يرد بذلك على أبي سفيان . التهذيب (رب) ٢ / ١٣٣٦ ، وذكره ابن هشام في السيرة ، وذكر عن ابن إسحاق أنه كان يرد به على جبلة بن الحنبل وقال ابن هشام : كلدة بن الحنبل ، السيرة لابن هشام ٤ / ٧٢ ، ٧٣ .

(٨) في (ب) : (رب) .

(٩) انظر : تهذيب اللغة (رب) ٢ / ١٣٣٦ ، والزينة ٢ / ٢٧ ، واشتقاق أسماء الله ٣٢ .

(١٠) (لرجل) ساقط من (أ) .

(١١) أخرجه أحمد في (مسنده) عن أبي الأحوص عن أبيه قال : أتيت النبي ﷺ فصعد في النظر وصوب وقال : «أَرَبُّ إِبِلٍ . . . » الحديث ٤ / ١٣٦ ، وذكره الثعلبي في تفسيره ١ / ٢٥ ب ، والرازي في الزينة ٢ / ٢٩ .

(١٢) رواية البيت في الديوان :

فَإِنْ تَكُنِ الْفَوَارِسُ يَوْمَ حِيسٍ أَصَابُوا مِنْ لِقَائِكَ مَا أَصَابُوا =

ثم السيد يسمى ربّاً ، وإن لم يكن مالكاً على الحقيقة^(١) ، قال الله تعالى :
﴿ أَذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ ﴾ [يوسف : ٤٢] . وقال الأعشى^(٢) :

وَأَهْلَكَنَ يَوْمًا رَبَّ كِنْدَةَ وابْنَهُ^(٣) .

أي : سيدها .

والله - تعالى - ربُّ كل شيء ؛ أي : مالكه ، وهو السيد على الحقيقة .

وقال بعض أهل اللغة : المعنى الثاني راجع إلى الأول الذي هو بمعنى التربية^(٤) وقيل للمالك : رب ؛ لأنه يرب مملوكه ، ويملك تربيته وتنشئته ، والسيد رب لأنه مالك .

فأما ما يذهب إليه المتكلمون أنه لم يزل ربّاً^(٥) ، وأن هذا من صفة الذات ، وقولهم : إن معناه الثابت الدائم ، من قولهم : ربّ بالمكان ، إذا أقام به^(٦) . فهذا

الديوان ٨٤ ، ونحو رواية الديوان في مجاز القرآن ٣١١ / ١ ، والزاهر ٥٧٥ / ١ ، والزينة ٢٧ / ٢ ، وبمثل رواية الواحدي ورد في تفسير الثعلبي ١ / ٢٥ ب ، ولعله أخذه عنه ، وحُزِىَ بضم الحاء موضع بنجد ، انظر : معجم البلدان ٢ / ٢٥٥ .

(١) انظر : تفسير الثعلبي ١ / ٢٥ ب ، ومجاز القرآن ٣١١ / ١ ، والزينة ٢٧ / ٢ .

(٢) تبع الواحدي شيخه الثعلبي فنسب البيت للأعشى ، والبيت للبيد كما نسب الطبري وغيره في ديوانه كما سيأتي .

(٣) شطره الثاني :

وَرَبَّ مَعْدِيَنَّ خَبْتٍ وَعَرَعَر .

رب كندة : ملكهم حجر أبو امرئ القيس . ورب معد : ملكهم حذيفة بن بدر . خبت : الأصل فيه المطمئن من الأرض ويطلق على أماكن عدة . و(عرعر) اسم مكان . انظر : البيت في شرح ديوان البيد ٥٥ ، وتفسير الطبري ١ / ٦٢ ، والزينة ٢٧ / ٢ ، والزاهر ٥٧٦ / ١ ، وتفسير الثعلبي ١ / ٢٥ ب .

(٤) انظر : معجم مقاييس اللغة (رب) ٢ / ٣٨١ ، ٣٨٢ .

(٥) ذكره الثعلبي في تفسيره ١ / ٢٦ أ .

(٦) ذكره الثعلبي عن الحسين بن الفضل في تفسيره ١ / ٢٥ ب .

لا يعرفه أهل اللغة ، وليس يصح ربّ^(١) بمعنى : أقام^(٢) ، وأربّ بمعنى : أقام صحيح^(٣) ، فإن أمكن بناء^(٤) هذا الاسم من الإرباب صحّ قولهم .

وقوله تعالى : ﴿ اَلْقَلَمِيت ﴾ : هو جمع عالم على وزن فاعل^(٥) ، كما قالوا : خاتم^(٦) ، وطابع ، ودائق^(٧) ، وقال^(٨) ، واختلفوا في اشتقاقه على وجهين : فمنهم من قال : اشتقاقه من العَلَم والعلامة ؛ وذلك أن كل مخلوق دلالة وعلامة على وجود صانعه^(٩) ، فالعالم اسم عام لجميع المخلوقات ، يدل على هذا قول الناس : العالم محدث يريدون به جميع المخلوقات ، وهذا قول الحسن^(١٠) ، ومجاهد ، وقتادة^(١١) في تفسير العالم : إنه جميع المخلوقات . ويدل على هذا القول

(١) في (ب) : (في رب) .

(٢) بل ورد عند بعض أهل اللغة (رب) بمعنى : أقام ، قال ابن دريد في الجمهرة « . . . رب بالمكان وأرب به إذا أقام به » ٢٨ / ١ ، وانظر : الاشتقاق له ٥٣٦ ، وفي اللسان : رب بالمكان وأرب : لزمه . اللسان (رب) ١٥٤٨ / ٣ ، وذكره الثعلبي في تفسيره ٢٥ / ١ ب .

(٣) انظر : تهذيب اللغة (رب) ١٣٣٩ / ٢ ، والصاحح (رب) ١٣٢ / ١ ، واللسان (رب) ١٥٤٨ / ٣ .

(٤) في (ب) : (بنى) .

(٥) انظر : تهذيب اللغة (علم) ٢٥٥٤ / ٣ .

(٦) الخاتم : ما يوضع على الطينة التي على الكتاب ، وتكون علامة على أنه لم يفتح ، والطابع بمعناه ، انظر : تهذيب اللغة (ختم) ٩٨٣ / ١ ، و(طبع) ٢١٦١ / ٣ .

(٧) الدائق - بفتح النون وكسر ها - سدس الدرهم ، انظر : اللسان (دق) ١٤٣٣ / ٣ .

(٨) القلب - بفتح اللام وكسر ها - الشيء الذي يفرغ فيه الجواهر ، ليكون مثالا لما يصاغ منها ، اللسان (قلب) ٣٧١٥ / ٦ .

(٩) ذكره الثعلبي في تفسيره ٢٦ / ١ ب ، وانظر : معجم مقاييس اللغة (علم) ١١٠ / ٤ .

(١٠) هو أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن يسار البصري ، مولى الأنصار ، ولد لستين بقيتا من خلافة عمر ، وتوفي سنة عشر ومائة من الهجرة ، كان غزير العلم بكتاب الله تعالى . ورعا زاهداً فصيحا .

انظر : ترجمته في حلية الأولياء ١٣١ / ٢ ، وطبقات القراء لابن الجزري ٢٣٥ / ١ ، وتذكرة الحفاظ : ٧١ / ١ ، وطبقات المفسرين للداودي ١٥٠ / ١ .

(١١) ذكره الثعلبي في تفسيره ٢٦ / ١ ب . وذكره الطبري عن ابن عباس ، وسعيد بن جبیر ، ومجاهد ، وقتادة ، تفسير الطبري ٦٣ / ١ ، وكذا ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٧ / ١ .

من التنزيل قوله تعالى : ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٣٣) قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ﴾ [الشعراء: ٢٣-٢٤] فُسِّرَ (١) العالمين بجميع المخلوقات . ومنهم من قال : إنه مشتق من العلم (٢) . فالعالمون على هذا هم من يعقل ، قال ابن عباس في رواية سعيد بن جبير : هم الجن والإنس (٣) .

واختاره أبو الهيثم (٤) والأزهري (٥) ، واحتجوا بقوله : ﴿ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [الفرقان: ١] ، وإنما بعث محمد نذيراً للجن والإنس (٦) . وقال الحسين بن الفضل وأبو معاذ (٧) النحوي : هم بنو آدم (٨) ، لقوله : ﴿ أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴾ [الشعراء: ١٦٥] .

(١) في (ب) : (يفسر) .

(٢) ذكره الثعلبي في تفسيره ١/٢٦/ب .

(٣) أخرجه الطبري بسنده . قال شاکر : إسناده حسن . تفسير الطبري : ١/١٤٤ (ط . شاکر) ، وابن أبي حاتم . وقال المحقق : إسناده ضعيف ، تفسير ابن أبي حاتم رسالة دكتوراه ١/١٥٤ ، والحاكم في المستدرک ، وقال بعده : ليعلم طالب هذا العلم أن تفسير الصحابي الذي شهد الوحي والتنزيل عند الشيخين حديث مسند . ووافقه الذهبي ، المستدرک ، کتاب التفسير ، تفسير سورة الفاتحة ٢/٢٥٨ ، وانظر : الدر المنثور ١/٣٦ .

(٤) انظر : الثعلبي ١/٢٦/أ .

(٥) انظر : تهذيب اللغة (علم) ٣/٢٥٥٤ .

(٦) التهذيب (علم) ٣/٢٥٥٤ .

(٧) أبو معاذ النحوي المقرئ اللغوي ، له عناية باللغة والقراءات . انظر : مقدمة تهذيب اللغة ١/٤٤ ، وإنباه الرواة ١٧٩ .

(٨) قال الثعلبي في تفسيره : « قال أبو معاذ النحوي : هم بنو آدم . . . » ، وقال الحسين بن الفضل : العالمون : الناس ، واحتج بقوله تعالى : ﴿ أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴾ ، تفسير الثعلبي ١/٢٦/أ .

وقال الفرّاء^(١) وأبو عبيدة: «هو عبارة عما يعقل، وهو أربع أمم: الملائكة والإنس والجن والشیاطین، ولا يقال للبهائم: عالم»^(٢).

وقد ذكر الله تعالى: ﴿الْعَلَمِينَ﴾ وأراد به أهل عصر واحد، وهو قوله لبني إسرائيل: ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ٤٧]، يعني عالمي زمانهم^(٣).

وهذه الأقوال صحيحة على أصل من يجعله مشتقاً من العلم، والذين صححوا هذه الطريقة قالوا في جواب موسى لفرعون: ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾^(٤): إنه لم يشتغل بتفسير العالمين، وإنما أراد تعريفه على وجه أظهر من الأول^(٥)، ليصير الخصم مبهوراً.

وأبو إسحاق^(٦) اختار الطريقة الأولى، وقال: معنى العالمين: كل ما خلق الله. قال: وقوله: ﴿رَبِّ الْعَلَمِينَ﴾ كقوله: ﴿وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٦٤]^(٧).

(١) أبو زكرياء يحيى بن زياد الديلمي الفرّاء، كان أبرع أهل الكوفة في النحو، له كتب من أشهرها معاني القرآن، توفي سنة سبع ومائتين. انظر: ترجمته في طبقات النحويين واللغويين للزبيدي ١٣١، وتاريخ بغداد ١٤/١٤٩، واللباب ٢/٤١٤، وإنباه الرواة ١/٤.

(٢) بنصه في تفسير الثعلبي ١/٢٦ / ب.

(٣) انظر: تفسير الطبري ١/٢٦٤، والتصارييف المنسوب ليحيى بن سلام ٢٦٦، وإصلاح الوجوه والنظائر للدامغاني ٣٣١.

(٤) يشير بهذا إلى ما سبق في قوله تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٣١﴾ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنتُم مَّقِينِينَ﴾ [الشعراء: ٢٣-٢٤]، إذ استدل بالآيتين من قال: إن العالمين: المخلوقات جميعها.

(٥) هو ما ورد في الآيات قبلها حين توجه موسى إلى فرعون بقوله تعالى: ﴿فَأْتِيَافِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٦].

(٦) الزجاج.

(٧) انظر: معاني القرآن للزجاج ٨/١.

والعالم على - كلا^(١) الأصلين - اسم للجمع^(٢) ، ولا واحد له من لفظه ، كالأنام والرهط والجيش^(٣) .

قال أبو إسحاق : وإنما لم يستعمل الواحد من لفظه ؛ لأن العالم اسم لأشياء مختلفة ، فإن جعل لواحد منها اسم من لفظه صار جمعاً لأشياء متفقة^(٤) .

وهذا النوع من الجمع^(٥) يسمى السالم لسلامة لفظ الواحد فيه ، ويجمع على الواو والياء^(٦) .

واختلف النحويون في الواو والياء والألف اللواتي تلحق التثنية والجمع^(٧) ، فمذهب سيبويه فيها أنها حروف إعراب بمنزلة الدال من زيد^(٨) .

والدليل على ذلك^(٩) : أن الذي أوجب للواحد المتمكن نحو : زيد ورجل حرف الإعراب ، هو^(١٠) موجود في التثنية والجمع^(١١) ، وهو التمكن ، فكما أن الواحد المعرب المتمكن يحتاج إلى حرف إعراب ، فكذلك الاسم المثنى والمجموع

(١) في (ج) : (كل) .

(٢) في (ج) : (جمع) .

(٣) انظر : تفسير الطبري ٦٢ / ١ ، وتفسير الثعلبي ١ / ٢٦ / أ .

(٤) انظر : معاني القرآن للزجاج ٨ / ١ ، ذكر كلامه بتصرف .

(٥) أي : العالمين جمع عالم ، انظر : معاني القرآن للزجاج ٨ / ١ .

(٦) انظر : معاني القرآن للأخفش ١٦٢ / ١ ، وشرح ابن عقيل ٦٣ / ١ .

(٧) نقل الواحد في هذا الموضوع عن أبي الفتح بن جني من سر صناعة الإعراب بعضه بنصه ، وبعضه بمعناه ٦٩٥ / ٢ ، ومثل هذا المبحث مكانه كتب النحو لا كتب التفسير .

(٨) انظر : الكتاب ١٧ / ١ ، ١٨ .

(٩) أي ما ذهب إليه سيبويه ، انظر : سر صناعة الإعراب ٦٩٦ / ٢ .

(١٠) في (أ) ، و (ج) : فهو ، وما في (ب) موافق لما في سر صناعة الإعراب ٦٩٦ / ٢ .

(١١) لم يرد في كلام أبي الفتح ذكر للجمع ، وإنما الحديث عن المثنى ، وأضاف الواحد كلمة الجمع لكلامه في المواضع جميعها ؛ لأن حكمهما واحد . انظر : سر صناعة الإعراب ٦٩٦ / ٢ .

إذا كان معرباً متمكناً احتاج إلى حرف إعراب ، وإذا كان كذلك فقولنا : الزيدان والزيدون^(١) لا يخلو حرف الإعراب ، إما أن يكون ما قبل الألف والواو ، أو هما ، أو ما بعدهما .

ويفسد أن تكون الدال من زيد هي حرف الإعراب في التثنية ؛ لأنها قد كانت في الواحد حرف الإعراب ، وقد انقلبت عن الواحد الذي هو الأصل إلى التثنية التي هي فرع ، كما تقول في قائمة لما انقلبت عن المذكر^(٢) الذي هو الأصل إلى المؤنث الذي هو الفرع ، بطل أن تكون (الميم) التي كانت^(٣) في المذكر حرف إعراب أن تكون^(٤) في المؤنث حرف إعراب ، وصار حرف الإعراب علم التأنيث وهو الهاء^(٥) ، فكذلك ينبغي أن يكون علم التثنية والجمع^(٦) هو حرف الإعراب^(٧) . ولا يجوز أن يكون ما بعد الألف والواو حرف إعراب ، وهو النون ؛ لأنها حرف صحيح يتحمل^(٨) الحركة ، فلو كانت حرف إعراب لوجب أن تعربه^(٩) في الرفع

(١) عند أبي الفتح : (الزيدان والعمران ، والرجلان والغلامان) ٦٩٧/٢ ، فهي أمثلة على المثنى وليس للجمع ذكر .

(٢) وهو (قائم) ، انظر : سر صناعة الإعراب ٦٩٧/٢ .

(٣) في (ب) : (الذي كان) .

(٤) في (ب) : (يكون) .

(٥) في كلمة (قائمة) ، سر صناعة الإعراب ٦٩٧/٢ .

(٦) (الجمع) زيادة من الواحدي على كلام أبي الفتح ٦٩٧/٢ .

(٧) تكلم أبو الفتح بعد هذا عن المقارنة بين المثنى وجمع التكسير ، ولماذا لا تكون الدال من الزيدان حرف إعراب كما في المفرد ؟ مثل فرس ؛ فالسين حرف إعراب ، وأفراس السين فيها حرف إعراب وهو جمع تكسير . انظر : سر صناعة الإعراب ٦٩٧/٢ ، ٦٩٨ .

(٨) في (ب) : (محمل) .

(٩) في (ب) : (تعرفه) .

والنصب والخفض^(١)، كما تعرب الدال من زيد، وكما تقول: هؤلاء غلمان، ورأيت غلماناً، ومررت بغلمان^(٢).

وهذا الذي ذكرنا من مذهب سيبويه، مذهب أبي إسحاق وابن كيسان، وأبي بكر، وأبي علي^(٣).

وإذا ثبت أن هذه الحروف حروف إعراب^(٤) فلا إعراب في لفظها استثقالاً للحركات فيها، ولا تقدير إعراب فيها - أيضاً - كما يقدر في الأسماء المقصورة المعربة نية الإعراب، ألا ترى أنك إذا قلت: هذا فتى، ففي الألف تقدير ضمة، وإذا قلت: رأيت فتى، ففي الألف تقدير فتحة، وإذا قلت: مررت بفتى، ففي الألف تقدير كسرة، وهو لا يرى^(٥) أنك إذا قلت: هذان الزيدان، أن في الألف تقدير ضمة، ولا إذا قلت: مررت بالزيدين، وضربت الزيدين، ففي الياء تقدير كسرة ولا فتحة^(٦).

(١) قال أبو الفتح: تقول: (قام الزيدان، ورأيت الزيدان، ومررت بالزيدان)، سر صناعة الإعراب ٦٩٩/٢.

(٢) انظر: سر صناعة الإعراب ٦٩٩/٢ وما بعدها من الصفحات، فقد أطل أبو الفتح بن جني الشرح حول هذه المسألة.

(٣) انظر: سر صناعة الإعراب ٦٩٥/٢، قال أبو الفتح: «... وهو قول أبي إسحاق، وابن كيسان، وأبي بكر، وأبي علي...».

(٤) قال أبو الفتح: «واعلم أن سيبويه يرى أن الألف في التثنية كما أنه ليس في لفظها إعراب، فكذا لا تقدير إعراب فيها كما يقدر في الأسماء المقصورة المعربة نية الإعراب، ألا ترى أنك... إلخ» سر صناعة الإعراب ٧٠٦/٢.

(٥) في (ب): (لا ترى). والمراد (سيبويه) كما هو في النص السابق الذي نقلناه عن أبي الفتح ٧٠٦/٢.

(٦) في سر صناعة الإعراب (أن في الياء...)، وفي حاشيته: في (ش): (ففي)، يظهر أن الواحدي أخذ عن هذه النسخة، والصحيح ما أثبت في أصل سر صناعة الإعراب ٧٠٦/٢.

قال أبو علي: ^(١) يدلّك على أنه ليس في حرف الإعراب من التثنية والجمع تقدير حركة في المعنى ، صحة الياء في الجر والنصب في قولك : مررت برجلين ، وضربت رجلين ، ولو كان في الياء منهما ^(٢) تقدير حركة ، لوجب أن تقلب ألفاً كرحى وفتى ، ألا ترى أن الياء إذا انفتحت ما قبلها وكانت في تقدير حركة ووجب أن تقلب ألفاً ^(٣) .

وهذا استدلال من أبي علي في نهاية الحسن ، وصحة المذهب وسداد الطريقة ^(٤) . ودخلت النون فيهما عوضاً من الحركة والتنوين ، وذلك أن من شرط التثنية ، والجمع الذي على حد التثنية أن يكون ^(٥) له علامة مزيدة على لفظ الواحد ، والواحد فيه حركة وتنوين ، فكان حق العلامة أن تدخل على لفظ الواحد ، ثم تلحقها الحركة والتنوين ، فلما وجب أن يدخل التنوين والحركة في التثنية والجمع ، ثم عرض ما يمنع من دخولهما ، وجب أن يعوض ^(٦) منهما ، وقد بينا أن الحركة إنما أسقطت استقلاً ، والتنوين وجب إسقاطه لأنه ساكن ، وهذه الحروف سواكن ولم يمكن إسقاط هذه الحروف لأنها علامات ، ولا تحريكها للثقل ، ولا تحريك التنوين ؛ لأنه يخرج عن حكم العلامة ويصير نوناً لازمة ، فلم يبق إلا إسقاطه ، فلما دخلت النون دخلت ساكنة ؛ لأنه لا حظ لها من الإعراب فاجتمع ساكنان ،

(١) عند أبي الفتح : قال أبو علي : « ويدل على صحة ما قال سيبويه من أنه ليس في حرف الإعراب من التثنية تقدير حركة في المعنى - كما أن ذلك ليس موجوداً في اللفظ - صحة الياء في الجر والنصب . . . » فلم يرد في كلامه لفظ الجمع ، انظر : سر صناعة الإعراب ٢ / ٧٠٦ .

(٢) في (ب) : (منها) .

(٣) لم أجده في ما اطلعت عليه من كتب أبي علي الفارسي ، ولعل أبا الفتح أخذه من أبي علي مشافهة ، حيث قال : « وهذا أيضاً من لطيف ما حصلته عنه فافهمه » . سر صناعة الإعراب ٢ / ٧٠٧ .

(٤) بنصه من سر صناعة الإعراب ٢ / ٧٠٦ .

(٥) في (ب) : (تكون) .

(٦) في (ج) : (يعرض) .

فحركات نون التثنية بالكسرة ونون الجمع بالفتحة فرقاً بينهما^(١). وكانت نون التثنية أولى بالكسرة ؛ لأن قبلها ألفاً وهي خفيفة والكسرة ثقيلة^(٢)، فاعتدلا، وقبل نون الجمع واو^(٣)، وهي ثقيلة ففتحوا النون ليعتدل الأمر.

فإن قلت : إنك تكسر النون مع الياء في النصب والجر ، فهلا هربت إلى الفتحة لمكان الياء كما هربت إلى الفتحة لمكانها في (أين وكيف) ؟ . والجواب : أن الياء في التثنية ليست بلازمة كلزومها في أين ؛ لأن الأصل هو الرفع ، والنصب والجر فرعان عليه ، فأجروا الباب على حكم الرفع الذي هو الأصل^(٤)، وصارت النون أولى بالزيادة من بين سائر الحروف ، لشبهها بحروف المد . وسترى وجه الشبه بينهما في ما يمر بك من الكتاب إن شاء الله .

٤. قوله تعالى : ﴿ مَلِكٌ ^(٥) يَوْمَ الدِّينِ ﴾ . المالك في اللغة : الفاعل من الملك ، يقال : ملك فلان الشيء يملكه مُلْكاً وَمِلْكاً وَمَلَكاً الْمَلَكَةُ^(٦) وَمَمْلَكَةٌ وَمَمْلَكَةٌ^(٧) ، ويقال : إنه لحسن الْمَلَكَةُ^(٨) وَالْمَلِك . وأصل المَلِكِ وَالْمَلِكِ راجع إلى معنى واحد ، وهو الربط والشد ، فمالك الشيء من

(١) أخذه بمعناه من سر صناعة الإعراب ٢/ ٤٤٨ ، ٤٤٩ .

(٢) في (ب) : (ثقيلاً) .

(٣) عند أبي الفتح : (وقبل نون الجمع (واو) أو (ياء)) ٢/ ٤٨٨ .

(٤) انتهى ما نقله عن أبي الفتح بن جني من كتاب سر صناعة الإعراب ملخصاً قال أبو الفتح : «فهذه حال نون التثنية والجمع الذي على حد التثنية ، ولم يتقص أحد من أصحابنا القول عليها هذا التقصي ، ولا علمته أشبعه هذا الإشباع» ٢/ ٤٨٧-٤٨٩ .

(٥) في (ج) : (ملك) .

(٦) في (ب) : (وملكا) .

(٧) ذكره الأزهرى عن اللحياني : التهذيب (ملك) ٤/ ٣٤٤٩ ، وانظر : المحكم (ملك) ٧/ ٤٥ .

(٨) (الملكة) بفتح الميم كذا ضبط في التهذيب ، وفي حاشيته : وضبط في (ل) بكسر وتسكين اللام . التهذيب (ملك) ٤/ ٣٤٤٩ ، وفي المحكم بالكسر ٧/ ٤٥ .

ربطه لنفسه وملكه ما يختص به ، وشدد بعقد يخرج به عن أن يكون
مباحاً لغيره ، وملك القوم من غلبهم وربط أمرهم ^(١) .
ومن هذا يقال : ملكت العجين ؛ أي شددت عجنه ، وقول أوس بن حجر ^(٢) :

فَمَلَّكَ بِاللَّيْطِ الَّذِي تَحْتَ قِشْرِهَا كَغِرْقَيْ بَيْضِ كَنَّةِ الْقَيْضِ مِنْ عَلٍ ^(٣)
ملك : شدد . وقول قيس بن الخطيم ^(٤) :

مَلَكْتُ بِهَا كَفِّي فَأَنْهَرْتُ فَتَقَّهَا ^(٥)

أي : شددت بالطعنة كفي ^(٦) .

(١) انظر : الحجة لأبي علي الفارسي ١/ ١٣ ، ١٧ ، والمخصص لابن سيده ١٧/ ١٥٧ ، وتفسير أسماء الله
للزجاج ٣٠ ، واشتقاق أسماء الله للزجاجي ٤٣ ، ٤٤ .

(٢) أوس بن حجر من شعراء الجاهلية وفحولها ، وأحد شعراء تميم ، انظر : ترجمته في الشعر والشعراء
١١٤ ، والخزانة ٤/ ٣٧٩ ، ومعاهد التنصيص ١/ ١٣٢ .

(٣) قوله ملك : شدد ، والليط : القشر ، والقيض : القشر الغليظ فوق البيضة ، والغرقى : القشر الرقيق
للبيضة ، وهو يصف قوساً يقول : إنه قواه ، وذلك حين قشره فترك القشر الرقيق ليقويه به . ورد
البيت في ديوان أوس ٩٧ ، والحجة للفارسي ١/ ١٧ ، وتهذيب اللغة (ملك) ٤/ ٣٤٥٠ ، والخصائص
٢/ ٣٦٣ ، ٣/ ١٧٢ ، واشتقاق أسماء الله ٤٦ ، والصحاح (ملك) ٤/ ١٦١٠ ، والمحكم (ملك)
٤٦/ ٧ ، واللسان (ملك) ٧/ ٤٢٦٨ ، والخزانة ٢/ ٣٩٦ .

(٤) هو قيس بن الخطيم بن عدي بن الخزرج ، شاعر فارس ، لقي النبي ﷺ ومات كافراً ، ترجمته في
طبقات فحول الشعراء ٩١/ ٩٢ ، والإصابة ٣/ ٢٨١ ، والخزانة ٧/ ٣٤ .

(٥) من قصيدة لقيس قالها حين أصاب بثأره من قاتلي أبيه وجده ، والشرط الثاني :

يَرَى قَائِمٌ مِنْ خَلْفِهَا مَا وَرَاءَهَا

يقول : شددت بهذه الطعنة كفي ووسعت خرقها ، حتى يرى القائم من دونها الشيء وراءها . انظر :
ديوان قيس ٨ ، وتهذيب اللغة (ملك) ٤/ ٣٤٥٠ ، والصحاح ٤/ ١٦٠٩ ، والمحكم ٧/ ٤٦ ، وتاج
العروس ١٣/ ٦٥٣ ، واللسان ٧/ ٤٢٦٨ ، والمعاني الكبير ٢/ ٩٧٨ ، ٩٨٣ ، والحجة للفارسي
١٣/ ١٧ ، والخزانة ٧/ ٣٥ .

(٦) في (ب) : (لفي) .

ويقال : ما تمالك فلان أن فعل كذا ؛ أي لم يستطع أن يضبط نفسه^(١) .
وقال^(٢) :

فَلَا تَمَالِكْ^(٣) عَنْ أَرْضٍ لَهَا عَمَدُوا^(٤)

وملاك^(٥) الأمر : ما يضبط به الأمر ، يقال : القلب^(٦) ملاك الجسد^(٧) .

وأبو مالك : كنية الكبر والسن ، كني به لأنه يغلب الإنسان ويشده عما يريد ،
فلا ينبسط انبساط الشاب^(٨) . قال :

أَبَا مَالِكٍ ، إِنَّ الْعَوَانِي هَجَرَنِي أَبَا مَالِكٍ ، إِنِّي أَظُنُّكَ دَائِبًا^(٩)

ويقال للرجل إذا تزوج : ملك فلان ، يملك ملكاً ؛ لأنه شد عقد النكاح .
وأملك إملاكاً إذا زوج^(١٠) .

(١) تهذيب اللغة (ملك) ٤ / ٣٤٥٠ ، واللسان (ملك) ٧ / ٤٢٦٨ .

(٢) في (ج) : (ويقال) .

(٣) (تمالك) بضم اللام في تهذيب اللغة ، وفي الحاشية : (ج) ، (ل) بفتح اللام ، تهذيب اللغة ١٠ / ٢٧١ ،
وبالفتح في اللسان ١٠ / ٤٩٤ .

(٤) ورد في التهذيب (ملك) ١٠ / ٢٧١ ، غير منسوب ، وكذا في اللسان (ملك) ١٠ / ٤٩٤ .

(٥) في (ب) : (ملال) .

(٦) في (ج) : (القلب) .

(٧) في (ج) : (اللسان) . ذكر الأزهري عن الليث نحوه ، التهذيب (ملك) ٤ / ٣٤٥٠ ، وانظر : المحكم :
٧ / ٤٦ ، واللسان (ملك) ٧ / ٤٢٦٨ .

(٨) نحوه في التهذيب عن ابن الأعرابي ٤ / ٣٤٥١ ، وانظر : اللسان (ملك) ٧ / ٤٢٦٩ .

(٩) أورده الأزهري من دون نسبه في التهذيب (ملك) ٤ / ٣٤٥١ ، و(أبا) ١ / ١٠٤ ، اللسان (ملك)

٧ / ٤٢٦٩ ، وكذا الزنجشري في أساس البلاغة (ملك) ٢ / ٤٠١ .

(١٠) التهذيب (ملك) ٤ / ٣٤٤٩ ، وانظر : اللسان (ملك) ٧ / ٤٢٦٨ .

وفي هذا الحرف قراءتان ؛ مالك ومالك^(١) . فمن قرأ ملك قال : الملك أشمل وأتم ؛ لأنه قد^(٢) يكون مالك^(٣) ولا ملك له ، ولا يكون ملك إلا وله ملك ، ولأنه لا يقال : مالك على الإطلاق ، حتى يضاف إلى شيء ، ويقال : ملك على الإطلاق^(٤) .

واحتج محمد بن جرير^(٥) لهذه القراءة فقال : إن الله نبه على أنه مالكم بقوله : ﴿ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ فحمل قوله : ﴿ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ على وصف زائد أحسن^(٦) .

وقال محمد بن السري : الملك^(٧) الذي يملك الكثير من الأشياء ، ويشارك غيره من الناس بالحكم عليه في ملكه^(٨) ، وأنه لا يتصرف فيه إلا بها يطلقه له الملك ، ومع ذلك أن الملك يملك على الناس أمورهم ، فلا يستحق اسم الملك حتى يجتمع له ملك هذا كله ، فكل ملك مالك ، وليس كل مالك ملكاً .

(١) قراءة عاصم والكسائي (مالك) ، وبقية السبعة (ملك) ، انظر : السبعة لابن مجاهد ١٠٤ ، والحجة للفراسي ٧ / ١ ، وحجة القراءات لابن زنجلة ٧٧ ، والكشف لمكي ١ / ٢٥ .

(٢) (قد) غير واضحة في (أ) ، وفي (ب) : (لا يكون) .

(٣) في (ج) : (مالك) وعليه تعد (يكون) ناقصة .

(٤) انظر : تفسير الطبري ٦٥ / ١ ، والحجة لأبي علي الفارسي ٩ / ١ ، وحجة القراءات لابن زنجلة ٧٧ - ٧٩ ، والكشف ١ / ٢٦ .

(٥) هو الإمام المفسر محمد بن جرير الطبري ، سبقت ترجمته في الدراسة .

(٦) انظر : تفسير الطبري ١٥٠ / ١ ، نقل كلامه بمعناه ، وابن جرير يرجح قراءة (ملك) .

(٧) كلام ابن السري ورد في الحجة لأبي علي الفارسي ضمن كلام طويل له في ترجيح قراءة (ملك) حيث قال الفارسي : « قال أبو بكر محمد بن السري الاختيار عندي (ملك يوم الدين) والحجة في ذلك . . . فالملك الذي يملك الكثير من الأشياء . . . إلخ » ، الحجة ١٣ / ١ ، ١٤ .

(٨) في الحجة « . . . ويشارك غيره من الناس ، بأنه يشاركه في ملكه بالحكم عليه فيه . . . » .

ويقوي هذه القراءة من التنزيل قوله: ﴿فَنَعَلَى اللَّهِ أَلَمَلُكُ﴾^(١)، وقوله: ﴿أَلَمَلُكُ أَلْقُدُوسُ﴾ [الحشر: ٢٣]، و﴿مَلِكُ النَّاسِ﴾ [الناس: ٢]، و﴿لَمَنَ أَلَمَلُكُ الْيَوْمَ﴾ [غافر: ١٦]، ولم يقل: لمن الملك^(٢).

وأكثر أهل اللغة اختاروا (مالك)؛ أبو عبيدة، وأبو حاتم^(٣)، والأصمعي، والأخفش، وأبو العباس^(٤)، وقالوا: إنه أجمع وأوسع؛ لأنه يقال: مالك الطير والدواب والوحوش وكل شيء، ولا يقال: ملك كل شيء، إنما يقال: ملك الناس^(٥)، قالوا: ولا يكون مالك الشيء إلا وهو يملكه، وقد يكون ملك الشيء وهو لا يملكه كقولهم: ملك العرب والعجم، ولأنه يجمع الفعل والاسم^(٦)، ولأن معنى الآية أنه يملك الحكم يوم الدين بين خلقه دون غيره، فالوصف يكون مالكا^(٧).

(١) طه: ١١٤، والمؤمنون: ١١٦.

(٢) قال أبو حاتم أحمد بن حمدان الرازي: كان أبو عبيد يختار (ملك يوم الدين) على (مالك) وذلك أن الله - عز وجل - قال: ﴿لَمَنَ أَلَمَلُكُ﴾ ولم يقل: (لمن الملك)، وذلك أن الملك مصدر الملك، والملك مصدر المالك. وخطأه أبو حاتم السجستاني في ذلك، فقال: «أظنه احتج على نفسه ولم يشعر؛ لأن معنى (لمن الملك) يعني من يملك الملك...». كتاب الزينة ١٠٠/٢، وانظر: الكشف لمكي ١/٢٦، وحجة القراءات لابن زنجلة ٧٨.

(٣) أبو حاتم هو سهل بن محمد الجشمي السجستاني. نزيل البصرة وعالمها، من أئمة اللغة، والشعر، والنحو إلا أنه لم يكن فيه حاذقاً. تلقى على أبي زيد، وأبي عبيدة، والأصمعي، توفي سنة ٢٥٥ هـ. انظر: تهذيب اللغة ١/٤٣، وأخبار النحويين للسيرا في ١٠٢، وإنباه الرواة ٨/٥٨.

(٤) انظر: تفسير الثعلبي ١/٢٨، والزينة ١/١٠٠، ١٠١، ومعاني القرآن للأخفش ١/١٦٠، والتهذيب (ملك) ٤/٣٤٤٩.

(٥) فمالك أعم وأشمل. انظر: حجة القراءات لابن زنجلة ٧٩، وتفسير الثعلبي ١/٢٨ أ.

(٦) ذلك أن (مالكا) يجمع لفظ الاسم ومعنى الفعل، فلذلك يعمل (فاعل) فينصب كما ينصب الفعل. انظر: الكشف لمكي ١/٢٦.

(٧) انظر: الحجة لأبي علي الفارسي ١/١٢، ١٥، ١٦، والكشف ١/٢٥، ٢٦.

واحتج أبو العباس لهذه القراءة فقال : (مالك يوم الدين) معناه يملك إقامة يوم الدين ، على معنى يملك أن يأتي به ، وإذا كان المعنى على هذا فالوجه مالك لا ملك^(١) .

ومما يقوي هذه القراءة من التنزيل قوله : ﴿وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ [الانفطار: ١٩] فقولك : الأمر له ، وهو مالك الأمر بمعنى ، ألا ترى أن لام الجر معناها^(٢) الملك^(٣) .

ومن نصر هذه القراءة أجاب^(٤) ابن جرير بأن قال : ما ذكرت لا يرجح قراءة ملك ؛ لأن في التنزيل أشياء على هذه الصورة قد تقدمها العام وذكر بعده الخاص ، كقوله : ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ [العلق: ١-٢] .

وقوله : ﴿الَّذِينَ يَوْمُنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ [البقرة: ٣] ، ثم قال : ﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة: ٤] . في أمثال كثيرة لهذا^(٥) .

فمن قرأ ﴿مَلِكٍ يَوْمَ الدِّينِ﴾ فقد أضاف اسم الفاعل إلى الظرف ، وحذف المفعول من الكلام للدلالة^(٦) عليه ، تقديره : مالك يوم الدين الأحكام ؛ لأن

(١) ذكر الأزهري نحوه عن المنذري عن أبي العباس . التهذيب (ملك) ٣٤٤٩/٤ ، وانظر : الحجة ١٥/١ .

(٢) في (ب) : (معناه) .

(٣) بنصه في الحجة ١٩/١ .

(٤) أي من نصر قراءة (مالك) أجاب على دعوى ابن جرير السابقة ، وهي قوله : «إن الله نبه على أنه مالكم بقوله : ﴿رَبِّ أَفَعَلَيْتُمْ﴾ فحمل قوله : ﴿مَلِكٍ يَوْمَ الدِّينِ﴾ على وصف زائد أحسن» . والكلام في الحجة ليس فيه ذكر لابن جرير حيث قال : «قال أبو علي : وأما ما حكاه أبو بكر ابن السري عن بعض من اختار القراءة بملك . . . فإنه لا يرجح قراءة ملك على مالك ؛ لأن في التنزيل أشياء على هذه الصورة . . .» ١٨/١ .

(٥) انظر : الحجة لأبي علي ١٨/١ ، ١٩ .

(٦) في (ب) : (الدلالة) .

القديم - سبحانه - ينفرد في ذلك اليوم بالحكم . فأما الدنيا فإنه يحكم فيها - أيضاً -
الولاية والقضاة^(١) .

وعلى ما ذكره أبو العباس ، الآية تكون من باب حذف المضاف^(٢) ، وإقامة
المضاف إليه مقامه ، وهو كثير في الكلام ، وسترى منه ما لا يحصى كثرة .

وأما إعراب ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ فالجر في القراءتين^(٣) . وهو صفة الاسم ،
مجرور^(٤) ، والصفات تجري على موصوفاتها إذا لم تقطع عنها^(٥) بمدح أو ذم .
وأما العامل فيها ، فزعم الأخفش أبو الحسن أن الوصف يجري على ما قبله ،
وليس معه لفظ يعمل فيه^(٦) ، إنما يعمل فيه كونه نعتاً^(٧) ، وذلك الذي يرفعه
وينصبه ويجره ، كما أن المبتدأ^(٨) إنما يرفعه الابتداء^(٩) ، وإنما الابتداء معنى عمل^(١٠)
فيه ، وليس لفظاً ، فكذلك هذا^(١١) .

(١) في الحجة لأبي علي : (فإنه قد حذف المفعول به من الكلام للدلالة عليه ، وإن هذا المحذوف قد جاء
مثبتاً في قوله : ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا﴾ [الأنفطار : ١٩] فتقديره : مالك يوم الدين الأحكام .
وحسن هذا الاختصاص لتفرد القديم - سبحانه - في ذلك اليوم بالحكم . . . ، الحجة ٣٤ / ١ .
(٢) يعني بقوله في ما سبق (يملك إقامة يوم الدين . . .) فحذف المضاف وهو إقامة ، وأقام المضاف إليه
- وهو يوم الدين - مقامه . انظر : تهذيب اللغة (ملك) ٤ / ٣٤٤٩ ، ورد ابن جرير هذا القول ، انظر :
تفسيره ٦٧ / ١ .

(٣) الحجة لأبي علي ٤٠ / ١ .

(٤) وهو لفظ الجلالة في قوله : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ .

(٥) في الحجة : «والصفات تجري على موصوفاتها إذا لم تقطع عنهم لزم أو مدح . . . » ، الحجة ٤٠ / ١٠ .

(٦) انظر : معاني القرآن للأخفش ١ / ١٦٠ .

(٧) في الحجة : «وليس معه لفظ عمل فيه ، إنما فيه أنه نعت . . . » ٤٠ / ١ .

(٨) في (ب) : (المبتدئ) .

(٩) في الحجة لأبي علي : «كما أن المبتدأ إنما رفعه الابتداء . . . » ٤٠ / ١ .

(١٠) (عمل) ساقط من (ب) .

(١١) انتهى من الحجة ٤٠ / ١ .

وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ﴾ ، قال الضحاك^(١) وقتادة: الدين الجزاء ، يعني يوم يدين الله العباد بأعمالهم^(٢) . تقول العرب: دنته بما فعل أي جازيته^(٣) . ومنه قوله: ﴿إِنَّمَا لَمَدِيُونُ﴾^(٤) [الصفات: ٥٣] أي مجزيون . وقال :

اعلم وأيقن أَنَّ مُلْكَكَ زَائِلٌ واعلم بَأَنَّ كَمَا تَدِينُ تُدَانُ^(٥)
أي تجزى بما تفعل . ويقوي هذا التفسير قوله: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ﴾ [غافر: ١٧] .

وقوله: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجاثية: ٢٨] . وقال ابن عباس ، والسدي ، ومقاتل^(٦) ، في معنى قوله: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ : قاضي يوم الحساب^(٧) ، واختار

(١) هو الضحاك بن مزاحم الهلالي ، أبو محمد ، من أوعية العلم ، وكان مفسراً ، حَدَّثَ عن عدد من الصحابة ، قال بعضهم : لم يلق ابن عباس . في وفاته أقوال قيل : ١٠٢هـ ، وقيل : ١٠٥هـ ، وقيل : ١٠٦هـ . انظر : ترجمته في طبقات ابن سعد ٦ / ٣٠٠ ، وطبقات خليفة ٣٢٢ ، ٥٦٨ ، وسير أعلام النبلاء ٤ / ٥٩٨ .

(٢) ذكره الثعلبي في تفسيره ١ / ٢٨ ب ، وأخرجه الطبري في تفسيره عن قتادة ، وأخرج نحوه عن ابن عباس وابن جريج ١ / ٦٨ ، وقول قتادة ذكره السيوطي في الدر ، وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد . الدر ١ / ٣٩ .

(٣) انظر : تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ٣٨ .

(٤) وقد وردت الآية في النسخ جميعها ﴿إِنَّمَا لَمَدِيُونُ﴾ ، وكذا عند الثعلبي في تفسيره ١ / ٢٨ ب .

(٥) نسبته بعضهم إلى يزيد بن الصعق الكلبي ، وبعضهم : إلى خويلد بن نوفل الكلبي ، وقال في الخزانة : قال بعض الكلبيين ، والبيت مع بيتين قبله ، قالها يخاطب الحارث بن أبي شمر الغساني حين اغتصب ابنه . ورد البيت في تفسير الطبري ١ / ٦٨ ، والكامل ١ / ٣٢٨ ، والمخصص ١٧ / ١٥٥ ، واللسان (دين) ٣ / ١٤٦٨ ، والتاج ١٨ / ٢١٥ ، والخزانة ١٠ / ٩١ .

(٦) (مقاتل) ساقط من (ب) .

(٧) ذكره الثعلبي في تفسيره ١ / ٢٨ ب ، وقد أخرج الطبري عن ابن عباس يوم الدين : يوم حساب الخلائق . تفسير الطبري ١ / ٦٨ ، وكذا أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١ / ١٥٧ (رسالة دكتوراه) ، وانظر : تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ٤٥٣ ، ونزهة الأعين النواظر لابن الجوزي ٢٩٥ .

أبو عبيد هذا القول^(١). ومن الدين بمعنى الحساب قوله: ﴿ذَلِكَ الدِّينُ الْقِيمُ﴾ [التوبة: ٣٦]؛ أي: ذلك الحساب^(٢) الصحيح، والعدد المستوي^(٣).

وقيل في قوله: «الكيس من دان نفسه»^(٤)؛ أي حاسبها. وخص هذا اليوم بأنه مالكة، تعظيماً لشأنه وتهويلاً لأمره، كقوله: ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾ [الغافات: ١١]، وهو خير سائر الأيام. وللدين معانٍ كثيرة في اللغة^(٥)، وكل موضع انتهينا إليه من القرآن ذكرنا ما فيه.

٥. قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾^(٦). اختلفت^(٧) مذاهب النحويين في هذا الحرف، وأنا ذاكر لك هنا منها ما يحتمله هذا الكتاب^(٨). ذهب الخليل

(١) انظر: غريب الحديث لأبي عبيد ٤٣٩/١.

(٢) انظر: تفسير الثعلبي ٢٨/١ ب، وفسر الطبري (الدين) في آية التوبة ويوسف بأنه الدين القويم المستقيم الذي لا اعوجاج فيه، وفي آية الروم فسرهُ بالمستقيم، ثم قال: «وقد وجه بعضهم معنى الدين في هذا الموضع إلى الحساب»، تفسير الطبري ١٠/١٢٦، ١٢/٢٢٠، ٢٠/٤٢، وانظر: تأويل مشكل القرآن ٤٥٤.

(٣) تهذيب اللغة (دان) ١١٣٦/٢.

(٤) الحديث أخرجه الترمذي عن شداد بن أوس، وقال: حديث حسن. الترمذي: (٢٤٥٩)، أبواب صفة القيامة، وابن ماجه: (٤٢٦٠) في كتاب الزهد، باب ذكر الموت، والإمام أحمد في مسنده ١٢٢/٤، وهو بنصه في تهذيب اللغة (دان) ١١٣٦/٢.

(٥) انظر: تهذيب اللغة (دان) ١١٣٦/٢، ومعجم مقاييس اللغة (دين) ٢/٣١٩، وإصلاح الوجوه والنظائر للدامغاني ١٧٨، ونزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر ٢٩٥.

(٦) في (ج): (نجد) تصحيف.

(٧) في (ب): (اختلف).

(٨) ما ذكره الواحدي عن (إياك)، نقله عن أبي الفتح بن جني من كتاب سر صناعة الإعراب مع تصرف يسير في العبارة، وأبو الفتح اعتمد على أبي علي الفارسي، وصرح بنقله عنه، وكلام الفارسي موجود في الإغفال قال أبو الفتح: «وهذه مسألة لطيفة عنت لنا في أثناء هذا الفصل، نحن نشرحها ونذكر خلاف العلماء فيها، ونخبر بالصواب عندنا من أمرها إن شاء الله، وهي قوله - عز اسمه - : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ وما كان مثله. أخبرني أبو علي، عن أبي بكر محمد بن السري، عن أبي العباس محمد بن يزيد أن الخليل يذهب إلى أن (إيا) اسم مضمَر مضاف إلى الكاف...». سر صناعة الإعراب ١/٣١٢، وانظر: الإغفال ٥٢ (رسالة ماجستير).

إلى أن (إيا) اسم مضمر ، مضاف إلى الكاف ، وهذا - أيضاً - مذهب أبي عثمان^(١) . وحكى أبو بكر^(٢) عن أبي العباس^(٣) عن أبي الحسن^(٤) أنه اسم مفرد مضمر يتغير آخره كما تتغير^(٥) أو آخر المضمرات ، لاختلاف أعداد المضمرين ، وأن الكاف في (إياك) كالکاف التي في (ذلك) في أنه دلالة على الخطاب فقط ، مجردة من كونها علامة للضمير ، ولا يميز أبو الحسن في ما يحكى عنه : إياك وإيا زيد ، وإياي وإيا الباطل^(٦) .

وقال سيبويه : حدثني من لا أتهم عن الخليل أنه سمع أعرابياً يقول : إذا بلغ الرجل ستين فيأيه وإيا الشواب^(٧) .

وحكى ابن كيسان عن بعض النحويين أنه قال : إياك بكما لها : اسم . قال : وقال بعضهم : الياء والكاف والهاء هي الأسماء ، وإيا عماد لها ؛ لأنها لا تقوم بأنفسها^(٨) .

(١) هو أبو عثمان بكر بن محمد المازني الشيباني ، النحوي المشهور ، أستاذ أبي العباس المبرد ، اختلف في سنة وفاته فقيل : ٢٣٦ هـ ، وقيل : ٢٤٨ هـ ، وقيل غير ذلك . انظر : ترجمته في طبقات النحويين واللغويين ٨٧ ، وتاريخ بغداد ٩٣ / ٧ ، وإنباه الرواة ٢٤٦ / ١ ، ومعجم الأدباء ٣٤٥ / ٢ ، ونزهة الألباء : ١٤٠ .

(٢) هو محمد بن السري كما في سر صناعة الإعراب ٣١٢ / ١ .

(٣) المبرد ، انظر : سر صناعة الإعراب ٣١٢ / ١ .

(٤) في (ب) : (الخبر) .

(٥) في (ب) : (يتغير) .

(٦) في (ج) : (الباصل) .

(٧) سر صناعة الإعراب ٣١٣ / ١ . وانظر قول سيبويه في : الكتاب ٢٧٩ / ١ (تحقيق عبدالسلام هارون) ، ومعاني القرآن للزجاج ١١ / ١ ، واللسان (إيا) ١٨٧ / ١ .

(٨) انظر بقية كلام ابن كيسان في : سر صناعة الإعراب ٣١٣ / ١ .

وقال أبو إسحاق: الكاف في إياك في موضع جر بإضافة^(١) إيا إليها، إلا أنه ظاهر يضاف إلى سائر المضمرات^(٢). وليس يصح من هذه الأقوال إلا قول أبي الحسن^(٣).

أما قول الخليل: إن إيا اسم مضمّر مضاف فظاهر الفساد؛ وذلك أنه إذا ثبت أنه مضمّر فلا سبيل إلى إضافة؛ لأن الغرض في الإضافة التعريف والتخصيص، والمضمّر على نهاية الاختصاص، فلا حاجة به إلى الإضافة، فهذا يفسد قول الخليل والمأزني جميعاً^(٤).

وحكاية سيبويه في إضافة^(٥) إيا^(٦) ليس سبيل مثله - مع قلته - أن يعترض به على السماع والقياس جميعاً، ألا ترى أنه لم يسمع منهم: إياك وإيا الباطل.

وأما قول من قال: إياك بكماله اسم، فليس^(٧) بقوي، وذلك أن إياك في أن فتحة الكاف تفيد خطاب المذكر، وكسرتها تفيد خطاب المؤنث، بمنزلة أنت في أن الاسم هو الهمزة والنون، والتاء^(٨) المفتوحة تفيد خطاب المذكر، والمكسورة

(١) في (ب): (إضافة).

(٢) سر صناعة الإعراب ٣١٣/١، وانظر نص قول الزّجاج في: معاني القرآن ١٠/١، ١١. قال الزّجاج: «... وأيا اسم للمضمّر المنصوب إلا أنه يضاف إلى سائر المضمرات...».

(٣) قال أبو الفتح: «وتأملنا هذه الأقوال على اختلافها والاعتدال لكل قول منها، فلم نجد فيها ما يصح مع الفحص والتنقيب غير قول أبي الحسن الأخفش...». سر صناعة الإعراب ٣١٤/١.

(٤) سر صناعة الإعراب ٣١٥/١.

(٥) عند أبي الفتح: «فأما ما حكاه سيبويه عنه - أي عن الخليل - من قوله: فإياه وإيا الشواب، فليس سبيل مثله - مع قلته - أن يعترض به على السماع... إلخ»، سر صناعة الإعراب ٣١٥/١.

(٦) في (ب): (إيا إليها) زيادة (إليها).

(٧) في (ب): (فليست).

(٨) في (ب): (الياء) تصحيف.

خطاب^(١) المؤنث ، فكما أن ما قبل التاء في (أنت) هو الاسم ، والتاء حرف خطاب ، كذلك إيا هو الاسم ، والكاف حرف خطاب^(٢) .

وأما من قال : إن الكاف والهاء والياء^(٣) هي الأسماء ، وإيا عماد لها لقلتها ، فغير مرضٍ أيضاً ، وذلك أن إيا في أنه^(٤) ضمير منفصل بمنزلة (أنت ، وأنا ، ونحن ، وهو ، وهي) في أن هذه مضمرات منفصلة ، كما أن (أنا ، وأنت) ونحوهما مخالف للفظ المرفوع المتصل نحو التاء في قمت ، والنون في قمنا ، والألف في قاما ، والواو في قاموا ، بل هي ألفاظ آخر^(٥) غير ألفاظ الضمير المتصل ، وليس شيء منها معموداً به شيء من الضمير المتصل ، بل هو قائم بنفسه ، فكذلك إيا مضمّر^(٦) منفصل ، ليس معموداً به غيره ، كما أن التاء في (أنت) وإن كانت بلفظة التاء في (قمت) ، فليست اسماً مثلها^(٧) ، بل الاسم قبلها وهو (أن) ، وهي بعده للخطاب ، وليست^(٨) (أن) عماداً للتاء^(٩) ، فكذلك إيا هي الاسم ، وما بعدها يفيد الخطاب تارة ، والغيبة تارة ، والتكلم^(١٠) أخرى ، وهذا محض القياس .

(١) عند أبي الفتح : «تفيد خطاب . . .» ، سر صناعة الإعراب ١ / ٣١٥ .

(٢) فلا يكون إياك بكماله اسماً .

(٣) عند أبي الفتح : «وأما من قال : إن الكاف والهاء والياء في إياك وإياه وإياي هي الأسماء ، وأن إيا إنما عمدت بها هذه الأسماء لقلتها فغير مرضٍ أيضاً» . سر صناعة الإعراب ١ / ٣١٥ .

(٤) في (ب) : (إيه) .

(٥) في (أ) : (أخرى) وما في (ب) ، و(ج) موافق لما عند أبي الفتح ١ / ٣١٦ .

(٦) عند أبي الفتح : (اسم مضمّر منفصل) وفي الحاشية : (اسم) سقط من (ش) ، سر صناعة الإعراب ١ / ٣١٦ .

(٧) فالتاء في (قمت) ضمير ، وفي (أنت) التاء للخطاب و(الاسم) أن .

(٨) في (ب) : (ليس) .

(٩) في (ب) : (التاء) .

(١٠) في (ب) ، و(ج) : (والتكلم) وعند أبي الفتح (التكلم) وفي الحاشية (ل) ، و(ب) : (التكلم) ، سر صناعة الإعراب ١ / ٣١٦ .

وأما قول أبي إسحاق : وإن إيا اسم مظهر ، خص بالإضافة إلى المضمّر^(١) ففاسد أيضاً ، وليست إيا بمظهر كما زعم ، والدليل على أن إيا ليست باسم مظهر اقتصارهم به على ضرب واحد من الإعراب ، وهو نصب ، كما اقتصروا بـ (أنا ، وأنت) على ضرب واحد من الإعراب ، وهو الرفع^(٢) ، ولم نعلم اسماً مظهراً اقتصر به على النصب ألبتة ، إلا ما كان ظرفاً^(٣) ، وليس إيا بظرف ، فقد صح بما أوردناه سقوط هذه الأقوال ، ولم يبق قول يجب اعتقاده ، ويلزم الدخول تحته غير قول أبي الحسن : إن إيا مضمّر ، وإن الكاف بعده ليست اسماً ، وإنما هي للخطاب ، بمنزلة (كاف) ذلك ، وأرايتك^(٤) وأبصرك زيداً ، وليسك عمراً^(٥) ، والنجاءك^(٦) . فإن قيل : إذا كانت الكاف في إياك ليست اسماً فكيف تقولون في الهاء والياء في إياه ، وإيائي؟^(٧) . قلنا : هما مثل الكاف ، وإنما اختلف ما بعد إيا لاختلاف أعداد المضمّرين وأحوالهم من الحضور والمغيّب ، ولسنا^(٨) نجد حالاً سوغت هذا المعنى للكاف ، وانكفت غير^(٩) الهاء ، والياء^(١٠) . وقد وجدنا غير

- (١) سر صناعة الإعراب ٣١٦/١ ، وانظر رأي أبي إسحاق في : معاني القرآن ١٠/١ ، ١١ .
- (٢) عند أبي الفتح : « . . . وهو الرفع ، فكما أن (أنا ، وأنت ، وهو ، ونحن) وما أشبه ذلك أسماء مضمرة ، فكذلك إيا اسم مضمّر لاقتصارهم به على ضرب واحد من الإعراب ، وهو النصب ، ولم نعلم اسماً مظهراً . . . إلخ » . سر صناعة الإعراب ٣١٦/١ .
- (٣) قال أبو الفتح : « ولم نعلم اسماً مظهراً اقتصر به على النصب ألبتة إلا ما اقتصر به من الأسماء على الظرفية وذلك نحو : ذات مرة ، وبعيدات بين ، وذا صباح ، وما جرى مجراهن ، شيئاً من المصادر نحو : سبحانه الله . . . إلخ » ، سر صناعة الإعراب ٣١٦/١ .
- (٤) في (ج) : (ولرايتك) .
- (٥) في (ب) : (عمروا) . وقوله : ليسك عمراً ؛ أي : ليس عمراً ، والكاف لتوكيد الخطاب ، وكذا أبصرك زيداً ، أي أبصر زيداً . انظر : سر صناعة الإعراب ٣٠٩/١ .
- (٦) (النجاءك) : إذا أردت : انج ، انظر : تهذيب اللغة (نجا) ٣٥٠٩/٤ ، وسر صناعة الإعراب ٣٠٨/١ .
- (٧) في سر صناعة الإعراب : « . . . فكيف يصنع أبو الحسن بقولهم : إياه وإيائي . . . » ٣١٧/١ .
- (٨) في (ج) : (ولنا) .
- (٩) (غير) كذا في النسخ جميعها ، وعند أبي الفتح (عن) ، وهو الصحيح . سر صناعة الإعراب ٣١٧/١ .
- (١٠) فكما كانت الكاف حرف خطاب في إياك تكون الهاء في إياه ، والياء في إيائي حرفين ، ولا مسوغ لاختلافهما عن الكاف .

الكاف لحقه من سلب الاسمية وإخلاصه للحرفية^(١) ما لحق الكاف ، وهي التاء في أنت ، والألف في قول من قال : قاما أخواك^(٢) ، والواو في (قاموا إخوتك) ، والنون في : (قمن الهندات) ، ألا ترى أن من قال : أخواك قاما كانت الألف عنده علامة الضمير والتثنية ؟ وإذا قال : قاما أخواك كانت الألف مخرصة للدلالة على التثنية مجردة من مذهب الاسمية لامتناع تقدم المضمّر^(٣) ، وخلق^(٤) الفعل من علم الضمير بارتفاع الاسم الظاهر بعده ؟ وكذلك الجمع والتأنيث على هذا القياس^(٥) ، فلا ينكر أيضاً أن تكون الهاء والياء في (ضربه وضربني) على معنى الاسمية ، فإذا قلت : إياه وإياي تجردتا من معنى الاسمية ، وخلصتا^(٦) لدلالة الحرفية ، فاعرف هذا ، فإنه من لطيف ما تضمنه هذا الفصل^(٧) . وهذا الذي ذكرنا كلام أبي علي ، وأبي الفتح^(٨) .

واعلم أن الضمير ينقسم إلى ثلاثة أقسام^(٩) : ظاهر منفصل ، وظاهر متصل ، ومستكن ، وهو على ثلاثة^(١٠) أوجه : ضمير المرفوع ، وضمير المنصوب ، وضمير

(١) في (ب) : (ولا خلاصة للحرفة) .

(٢) في (ج) : (أخوك) .

(٣) في (ب) : (الضمير) .

(٤) في (ج) : (خلق) .

(٥) فصل أبو الفتح هذا بالأمثلة ، انظر : سر صناعة الإعراب ٣١٨/١ .

(٦) في (ب) : (واخلصا) .

(٧) قال أبو الفتح : «... فاعرف هذا ، فإنه من لطيف ما تضمنه هذا الفصل ، وبه كان أبو علي - رحمه الله - ينتصر لمذهب أبي الحسن ، ويذب عنه ، ولا غاية في جودة الحجج بعده» ، سر صناعة الإعراب ٣١٨/١ .

(٨) انتهى ما نقله عن أبي الفتح من سر صناعة الإعراب ٣١٢-٣١٨/١ ، وانظر : الإغفال ٥٠-٥٧ .

(٩) هذا البحث لا علاقة له بتفسير الآية ، ومكانه كتب النحو واللغة ، وجرى الواحد في هذا على منهج شيخه التعليبي حيث ذكر أقسام الضمير في هذا الموضع ٢٩١/٢ أ ، وانظر أقسام الضمير في : باب الكنايات في أصول النحو لابن السرج ١١٤/٢ ، والتبصرة والتذكرة للصيمري ٤٩٣-٥١١ .

(١٠) في (ب) : (ثلاثة أنواع أوجه) وكلمة (أنواع) جاءت في الجانب فلعلها شرح من الكاتب .

المجرور ، وكل واحد منها على وجهين : متصل ومنفصل ، إلا ضمير المجرور ، فإنه متصل ، ولا منفصل له .

أما ضمير المرفوع المتصل فنحو تاء فعلت وفعلت ، وتثنيتهما ، وجمعهما ، وتأنيثهما .

وأما ضمير المرفوع المنفصل فنحو أنا ، وأنت ، وهو ، وتثنيتهما ، وجمعهما ، وتأنيثها^(١) .

وأما ضمير المنصوب المتصل فنحو ياء ضربني ، وكاف ضربك ، وهاء ضربه^(٢) ، وتثنيتهما ، وجمعها ، وتأنيثها^(٣) . وأما ضمير المجرور المتصل فنحو ياء بي ، وكاف بك ، وهاء به ، ولا منفصل له .

وأما المستكن فهو ما كان مستكناً في الفعل كقولك : قعد ، وقام ، فالضمير^(٤) مستفاد من الفعل وإن لم يصرح به ؛ لأن الفعل لا يقوم إلا بفاعل .

واعلم : أن إيا مبنية على السكون ؛ لأن فيها شبه الحرف ، فهي مثل أنت ، وأنا ، وهو ، وهذه كلها مبنية لشبه الحرف ، والألف في آخرها غير منقلبة مثل ألف (لا) و(ما) و(حتى) و(كلا)^(٥) .

قال أبو الفتح : « وحكى لي حاكٍ عن أبي إسحاق قال^(٦) : سمعته يقول ، وقد سئل عن معنى قوله : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ ، ما تأويله ؟ فقال : حقيقتك نعبد ،

(١) في (ج) : (وتثنيتهما وجمعهما وتأنيثهما) .

(٢) في (ب) : (ضربه) .

(٣) تأنيثها سقط من (ب) .

(٤) في (ب) : (والضمير) .

(٥) انظر : سر صناعة الإعراب ٢/ ٦٥٥ ، ٦٥٦ .

(٦) في سر صناعة الإعراب : «أراه قال لي : سمعته» ٢/ ٦٥٦ .

قال : واشتقاقه من الآية ، وهي العلامة ، قال ^(١) : وهذا القول عندي من أبي إسحاق غير مرضي ، وذلك أن جميع ^(٢) الأسماء المضمرة مبني غير مشتق نحو : أنا ، وأنت ، وهو ، وهي ، وقد قامت الدلالة على كون إيا اسماً مضمرأ ^(٣) ، فيجب أن لا يكون مشتقاً ^(٤) . فإن قلت : فما مثال إيا من الفعل ؟ فإن المضمر لا ينبغي أن يمثل ؛ لأنه غير مشتق ولا متصرف ^(٥) .

وقال صاحب النظم ^(٦) : «معنى إيا الاختصاص ، وقول القائل : إياك ضربت ، يعني : أن الضرب اختص بك وأردتك به ، ولهذا وضعت العرب إياك في موضع التحذير لما فيه من تأويل الاختصاص ، فقالوا : إياك والأسد ؛ أي : احفظ نفسك ، واحذر الأسد ، ومنه قول الشاعر :

فإِيَّاكَ وَالْأَمْرَ الَّذِي إِنْ تَوَسَّعَتْ مَوَارِدُهُ ضَاقَتْ عَلَيْكَ الْمَصَادِرُ ^(٧)

(١) قال : المراد أبو الفتح . انظر : سر صناعة الإعراب ٦٥٦ / ٢ .

(٢) في (ب) : (جمع) .

(٣) وهو ما تقدم مما قرره الواحدي نقلاً عن أبي الفتح بن جني .

(٤) انظر بقية كلام أبي الفتح في : سر صناعة الإعراب ٦٥٦ / ٢ ، وانظر : المحتسب ٤٠ / ١ .

(٥) ترك الواحدي بقية كلام أبي الفتح ، فلم يرد جواب السؤال واضحاً ، قال أبو الفتح بعد هذا : «ولكنك إن تكلفت ذلك على تبين حاله لو كان مما يصح تمثيله ، لاحتمل أن يكون من ألفاظ مختلفة ، وعلى أمثلة مختلفة ، فالألفاظ ثلاثة : أحدها أن يكون من لفظ (أويت) ، والآخر من لفظ الآية ، والآخر من تركيب . . . » ، ثم أخذ في تفصيل ذلك في كلام طويل . انظر : سر صناعة الإعراب ٦٥٦ / ٢ - ٦٦٤ .

(٦) هو أبو علي الحسن بن يحيى الجرجاني ، وكتابه هو نظم القرآن ، سبق الحديث عنه وعن كتابه في مصادر الواحدي في البسيط ، وذكرت هناك أن كتاب نظم القرآن مفقود ، وقد نقل عنه الواحدي كثيراً .

(٧) ينسب البيت للطفيل الغنوي ، وهو في ديوانه ١٠٢ ، قال المحقق : وهو قريب من شعر الطفيل ، وينسب لمُرس بن ربيعي الفقعسي ، وكل المصادر روت البيت (فهيّاك) بدل (فإياك) وهو الشاهد عندهم حيث أبدل الهمزة هاء . ورد البيت في المحتسب ٤٠ / ١ ، والإنصاف ٢١٥ / ١ ، وديوان الطفيل الغنوي ١٠٢ ، واللسان (هيا) ٨ / ٤٧٤٣ ، والكشاف ٦٢ / ١ ، والقرطبي ١٢٧ / ١ .

وربما قالوا : إياك الأسد ، بلا واو ، قال ^(١) الشاعر :

عَلَيْكَ الْقَصْدُ فَاقْصُدهُ بِرَفْقٍ وَإِيَّاكَ الْمَحَايِنَ أَنْ تَحِينَا ^(٢)

فمن حذف الواو ، فمعناه احذر على نفسك الأسد ، وصن ^(٣) نفسك منه .
وهذا الضمير ^(٤) يستعمل مقدماً ولا يستعمل مؤخراً ، إلا أن يفصل بينه وبين
الفعل ، فيقال : ما عنت إلا إياك .

قال أبو بكر ^(٥) : وقوله : ﴿إِيَّاكَ﴾ بعد ^(٦) قوله : ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ ^(٧)
[الفاتحة : ٤] رجوع من الغيبة إلى الخطاب ، والعرب تفعل ذلك كثيراً ، وهو نوع
من البلاغة والتصرف في الكلام ^(٨) ، ومثله قوله : ﴿وَسَقَنَهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾
[الإنسان : ٢١] ثم قال : ﴿إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُم جَزَاءً﴾ [الإنسان : ٢٢] وقال الأعشى :

عِنْدَهُ الْبِرُّ وَالتَّقَى وَأَسَا الصَّدِّ عِ وَحَمْلٍ لِمُضْلِعِ الْأَثْقَالِ
وَوَفَاءً ^(٩) إِذَا أَجَرْتَ فَمَا غُرَّ سَتْ جِبَالٌ وَصَلَتْهَا بِجِبَالٍ ^(١٠)

(١) في (ب) : (وقال) .

(٢) أشد الفراء شطره الثاني ولم ينسبه معاني القرآن ١ / ١٦٦ ، وكذا المزني في معاني الحروف ١٠٢ ، وابن
قتيبة في أدب الكاتب ٣٢٢ ، وشرطه الأول عنده :

أَلَا أَبْلُغُ أَبَا عَمْرٍو رُسُولاً

وقوله المحايين : المهالك . وتحين : تهلك أو يأتي حينها ووقتها .

(٣) في (ج) : (أوصن) .

(٤) أي ضمير (إيا) .

(٥) ابن الأنباري ، انظر : زاد المسير ١ / ١٤ .

(٦) في (ب) : (إياك نعيد قوله) ، وفي (ج) سقطت (بعد) .

(٧) في (ب) : (مالك) .

(٨) انظر : زاد المسير ١ / ١٤ ، ومجاز القرآن ١ / ٢٣ ، والطبري ١ / ٦٧ ، وابن عطية ١ / ١٠٤ ، والكشاف
١ / ٦٢ ، والرازي ١ / ٢٥٢ .

(٩) في (ج) : (ووحاء) .

(١٠) البيتان من قصيدة للأعشى يمدح الأسود بن المنذر ، وليس البيتان متواليين في القصيدة ، وإنما بينهما =

وأنشد أبو عبيدة^(١) :

يَا لَهْفَ نَفْسِي كَانَ جِدَّةً خَالِدٍ وَيَبَاضُ وَجْهَكَ لِلتُّرَابِ الْأَعْفَرِ^(٢)
وقال كثير^(٣) :

أَسِئْتُ بِنَا أَوْ أَحْسِنِي لَا مَلُومَةً لَدِينَا وَلَا مَقْلِيَّةً إِنْ تَقَلَّتِ^(٤)

وقوله تعالى : ﴿تَعَبُدْ﴾ معنى العبادة : الطاعة مع الخضوع والتذلل ، وهو جنس من الخضوع ، لا يستحقه إلا الله عز وجل ، وهو خضوع ليس فوقه خضوع ، وسمي العبد عبداً لذلته وانقياده لمولاه ، ويقال : طريق معبد ، إذا كان مذللاً موطوءاً^(٥) بالأقدام^(٦) ، وهو في شعر طرفة^(٧) .

= أبيات ، وفي الديوان ورد (الحزم) بدل (البر) ، و(الصرع) بدل (الصدع) . قوله : (التقى) أي : الحذر . (أسا) : دواء . انظر : الديوان ١٦٦-١٦٧ ، ولم أجدهما في غيره .

(١) انظر : مجاز القرآن ١ / ٢٤ .

(٢) البيت لأبي كبير الهذلي ، يرثي صديقاً له اسمه خالد . (جدة) يعني : شبا به ، (الأعفر) يقول : دفن في أرض ترابها أعفر ؛ أي : أبيض . ورد البيت في مجاز القرآن ١ / ٢٤ ، وشرح أشعار الهذليين للسكري ٣ / ١٠٨١ ، والطبري ١ / ٦٧ ، وأمالى ابن الشجري ١ / ١١٧ ، وابن عطية ١ / ١٠٤ .

(٣) هو كثير بن عبدالرحمن بن أبي جمعة من خزاعة ، كان أحد العشاق المشهورين ، وصاحبته عزة ، وهي من ضمرة ، وإليها ينسب ، كان كثير رافضياً ، توفي في اليوم الذي توفي فيه عكرمة مولى ابن عباس . انظر : ترجمته في الشعر والشعراء ٣٣٤ ، وطبقات فحول الشعراء ٢ / ٥٣٤ ، والخزاعة ٥ / ٢٢١ .

(٤) من قصيدة لكثير في ذكر عزة . قوله (مقلية) من القلي وهو البغض ، (تقلت) تبغضت . ورد البيت في الشعر والشعراء ٣٤٣ ، وديوان كثير ١٠١ ، نشر دار الثقافة بيروت ، وأمالى ابن الشجري ١ / ٤٩ ، ١١٨ ، والمحكم ٣ / ١٤٤ ، والخزاعة ٥ / ٢١٩ .

(٥) في (ب) : (بوطوا) .

(٦) ذكر هذه المعاني الثعلبي في تفسيره الكشف ١ / ٢٩ ب ، وانظر : الطبري ١ / ٦٩ .

(٧) أراد أبيات طرفة التي ذكرها الثعلبي بعد الكلام السابق ، وهي :

قال طرفة :

تُبَارِي عِتَاقاً نَاجِيَاتٍ وَأُتْبَعْتُ وَظِيفَاً وَظِيفَاً فَوَقَ مَوْرٍ مُعْبِدٍ =

وقوله تعالى : ﴿وَيَاكَ نَسْتَعِثُ﴾ قال أبو بكر : وإنما كرر إياك للتوكيد ، كما تقول : بين زيد وبين عمرو خصومة ، فتعيد بين^(١) . قال : ولأن كل واحد من الفعلين يطلب مفعولاً على حدته ، ولو أخر المكنيان^(٢) إلى موضعهما بعد الفعل لقليل : نعبدك ونستعينك ، فلما كان كل واحد من الفعلين يقع على الكاف^(٣) في تأخرها وقع على إياك في تقدمه^(٤) . والقول هو الأول^(٥) ؛ لأن العرب إذا جمعت فعلين واقعين اكتفت بوقوع أحدهما من وقوع الآخر ، فيقولون : قد أكرمتك وألطف^(٦) . قال الله تعالى : ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾ [الضحى : ٣] أراد : وما قلاك ، فاكتفى بوقوع الأول من وقوع الثاني^(٧) .

وقوله :

إِلَى أَنْ تَحَامَتْنِي الْعَشِيرَةُ كُلُّهَا وَأُفْرِدْتُ إِفْرَادَ الْبَعِيرِ الْمُعْبَدِ

انظر : الثعلبي ٢٩ / ١ ب ، والطبري ٦٩ / ١ ، والأضداد لابن الأنباري ٣٥ .

(١) ذكر نحوه الثعلبي ٢٩ / ١ ب ، وذكره ابن جرير ثم رده قال : «وقد ظن من لم ينعم النظر أن إعادة

(إياك) مع (نستعين) بعد تقدمها في قوله : ﴿يَاكَ نَبُذُ﴾ ، بمعنى قول عدي بن زيد :

وَجَاعِلُ الشَّمْسِ مَضْرَا لَا خَفَاءَ بِهِ بَيْنَ النَّهَارِ وَبَيْنَ اللَّيْلِ قَدْ فَصَّلَا

وذكر بيتاً آخر . . . ثم قال : وذلك من قائله جهل ، من أجل أن حظ إياك أن تكون مكررة مع كل

فعل . . . إلخ . الطبري ٧١ / ١ .

(٢) يعني : الضميرين .

(٣) في (ج) : (الكائن) .

(٤) ذكر نحوه ابن جرير ٧١ / ١ . قال أبو حيان : «كرر إياك ليكون كل من العبادة والاستعانة سيقاً في

جملتين ، وكل منهما مقصودة ، وللتنصيص على طلب العون منه . . . » ، البحر المحيط ٢٥ / ١ . وقال

أبو السعود : «تكرير الضمير المنصوب للتنصيص على تخصيصه - تعالى - بكل واحدة من العبادة

والاستعانة» ، أبو السعود ١٧ / ١ ، وانظر : ابن كثير ٢٨ / ١ .

(٥) أي كرر للتوكيد ، واختار ابن جرير الثاني ٧١ / ١ .

(٦) قال ابن جرير : «إن الأفصح إعادة الضمير مع كل فعل اتصل به ، فيقال : اللهم إنا نعبدك ،

ونستعينك ، ونحمدك ، ونشكرك . . . وإن كان ترك الإعادة جائزاً» . انظر : الطبري ٧١ / ١ .

(٧) قال أبو حيان : «حذف المفعول اختصاراً في (قلى) ؛ إذ يعلم أنه ضمير المخاطب وهو الرسول ﷺ» .

البحر المحيط ٨ / ٤٨٥ ، وقال الرازي في حذف الكاف وجوه :

١ . اكتفاء بالكاف في (ودعك) ، ولأن رؤوس الآيات بالياء ، فأوجب اتفاق الفواصل حذف الكاف . =

ويقال : لم قدم ذكر العبادة على المعونة ، وإنما المعونة بها تكون العبادة ؟

والجواب : أن الواو عند النحويين لا توجب ترتيباً^(١) ، وإنما هي للجمع^(٢) ، يدل على ذلك أنه لو اتفقت الأسماء لم نحتج^(٣) إليها ، لا تقول : قام زيد وزيد ، ولكن قام الزيدان . فكما لا يوجب (قام الزيدان) ترتيباً ، كذلك لا يوجب (قام زيد وعمرو) ترتيباً . وسنقضي حق الواو ، والكلام فيها في موضع آخر إن شاء الله .

٦ . قوله تعالى : ﴿ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ .

قال الأصمعي : هداة في الدين يهديه هدى^(٤) ، وهداة يهديه هداية ، إذا دلَّه على الطريق^(٥) .

وأصل الهداية في اللغة : الدلالة . وهوادي الخيل والوحش التي تتقدم للدلالة^(٦) .

٢ . الإطلاق ، أنه ما قلناك ، ولا أحداً من أصحابك ، ولا أحداً ممن أحبك . الرازي ٢٠٩ / ٣١ ، وانظر : القرطبي ٩٤ / ٢٠ .

(١) انظر : الكتاب ٤٢ / ٣ ، وسر صناعة الإعراب ٦٣٢ / ٢ .

(٢) وعليه ؛ فتقديم الخبر عن العبادة وتأخير مسألة طلب المعونة ، ليس من باب الترتيب ، واختار الطبري هذا ، قال : « . . كان سواء تقديم ما قدم منها على صاحبه . . . ثم قال : وقد ظن بعض أهل الغفلة أن ذلك من المقدم الذي معناه التأخير . . . » . الطبري ٧٠ / ١ . وقال ابن كثير ٢٨ / ١ : « قدم ﴿ يَاكَ تَبْدُ ﴾ على ﴿ وَيَاكَ تَسْتَعِثْ ﴾ لأن العبادة له هي المقصودة ، والاستعانة وسيلة إليها ، والاهتمام والحزم تقديم ما هو الأهم فالأهم » . وللرازي في هذا التقديم تعليقات يطول ذكرها . انظر : تفسيره ٢٥٤ / ١ .

(٣) في (ج) : (يحتج) .

(٤) في (ج) : (هدي) .

(٥) تهذيب اللغة (هدى) ٣٧٣٧ / ٤ ، وانظر : تفسير الطبري ٧٣ / ١ ، واللسان (هدى) ٤٦٣٩ / ٨ .

(٦) ذكر نحوه الأزهري عن الأصمعي . التهذيب (هدى) ٣٧٣٨ / ٤ ، وانظر : الصحاح (هدى) ٤٢ / ٦ ، ومعجم مقاييس اللغة (هدى) ٤٢ / ٦ .

قال عبيد^(١) يذكر الخيل^(٢) :

وَعَدَاةَ صَبَّحَنَ الْجِفَارَ عَوَاسَا^(٣) تهدي أوائلهنَّ شُعْثُ شُرْبُ^(٤)

هذا هو الأصل ، ثم سمي كل متقدم هادياً وإن لم يتقدم للدلالة^(٥) . ومنه :

كَأَنَّ دِمَاءَ الْهَادِيَاتِ بَنَحَرِه^(٦)

يريد أوائل الوحش ومتقدماتها . وتسمى العنق هادية لتقدمها على البدن ، ويقال : أقبلت هوادي الخيل إذا بدت أعناقها ؛ لأنها أول شيء من أجسادها^(٧) . وقول طرفه :

لِلْفَتَى عَقْلٌ يَعِيشُ بِهِ حَيْثُ تَهْدِي سَاقَهُ^(٨) قَدَمُهُ^(٩)

(١) كذا في تهذيب اللغة ، وفي الهامش ، في المنسوخة ، أبو عبيد ٦ / ٣٨٣ ، والصحيح عبيد ؛ فالبيت لعبيد بن الأبرص .

(٢) في (ج) : (الخليل) .

(٣) في (ج) : (عواسا) .

(٤) يذكر الخيل ؛ صبحن الجفار : أتينه صباحاً ، و(الجفار) : موضع . (شعث) : المغبرة المتلبدة الشعر . (شُرْبُ) : ضَمَّرَ ، انظر : ديوان عبيد ٧ ، وتهذيب اللغة (هدى) ٤ / ٣٧٣٩ ، واللسان (هدى) ٨ / ٤٦٤١ ، والتاج (هدى) ٢٠ / ٣٣٣ .

(٥) انظر : التهذيب (هدى) ٤ / ٣٧٣٩ ، واللسان (هدى) ٨ / ٤٦٤١ .

(٦) في (ب) : (منجره) وفي (ج) : (ينحر) .

والبيت لامرئ القيس وعجزه :

عصارة حناء بشيب مرجل

شبه دم الوحش بنحر هذا الفرس بعصارة الحناء على الشيب ، ورد البيت في ديوانه ١٢١ ، والصحاح (هدى) ٦ / ٢٥٣٤ ، واللسان (هدى) ٨ / ٤٦٤١ ، وشرح القصائد المشهورات للنحاس ٣٩ .

(٧) انظر : تهذيب اللغة (هدى) ٤ / ٣٧٣٨ ، واللسان (هدى) ٨ / ٤٦٤٠ .

(٨) في (ب) : (فما ساقه) .

(٩) في (ج) : (قدميه) . ورد البيت في الطبري ١ / ٧٣ ، والصحاح (هدى) ٦ / ٢٥٣٤ ، واللسان ٨ / ٤٦٤١ ، والتاج ٢٠ / ٣٣٣ ، والعقد الفريد ٥ / ٤٧٩ ، وأمالي ابن الشجري ٢ / ٢٦٢ ، والجمع ٣ / ٢٠٧ ، والدرر اللوامع ١ / ١٨١ ، والخزانة ٧ / ١٩ .

أي : حيث تقودها قود الدليل . وسمى الأعشى العصا هادياً^(١) في قوله :

إِذَا كَانَ هَادِي الْفَتَى فِي الْبَلَا دِ صَدْرُ الْقَنَاةِ ، أَطَاعَ الْأَمِيرَا^(٢)

إما لأنها تتقدمه ، وإما لأنها تدله على الطريق ، والتقدم في هذا راجع إلى^(٣) الهداية ؛ لأن مَنْ دَلَّكَ^(٤) على الطريق تقدمك ، ثم سمي المتقدم هادياً وإن لم يدل^(٥) . والفعل من الهدى^(٦) يتعدى إلى مفعولين ، ويتعدى إلى الثاني بأحد حرفي جر ؛ إلى واللام^(٧) ، كقوله : ﴿ فَأَهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴾^(٨) [الصافات: ٢٣] ، وقوله : ﴿ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴾ [ص: ٢٢] ، وقوله : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا ﴾ [الأعراف: ٤٣] ، وقوله : ﴿ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ ﴾ [يونس: ٣٥] . ومثل هذا في التعدي^(٩) (الإيحاء)^(١٠) قال الله تعالى : ﴿ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ ﴾ [النحل: ٦٨] ، وقال : ﴿ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا ﴾ [الزلزلة: ٥] . وقد يحذف حرف الجر من المفعول الثاني في الهدى فيصل الفعل إليه بغير حرف جر^(١١) كقوله : ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ [الفاتحة: ٦] . ومعناه : دلنا عليه ، واسلك بنا فيه^(١٢) .

(١) انظر : تهذيب اللغة (هدى) ٣٧٣٩ / ٤ .

(٢) في (ج) : (الأمير) . قوله (صدر القناة) : أعلى العصا التي يقبض عليها ؛ لأنه أعمى . (الأمير) : الذي يأمره ويقوده ، ورد البيت في ديوان الأعشى ٨٧ ، وتهذيب اللغة (هدى) ٣٧٣٩ / ٤ ، واللسان ٤٦٤١ / ٨ ، والتاج ٣٣١ / ٢٠ ، والمحاسب : ١٢٦ / ١ ، ٢٩٠ .

(٣) في (ب) : (إلى المعونة الهداية) .

(٤) في (ج) : (دلل) .

(٥) انظر : تهذيب اللغة (هدى) ٣٧٣٩ / ٤ ، واللسان ٤٦٤١ / ٨ .

(٦) في (ب) : (الهادي) .

(٧) انظر : إعراب القرآن للنحاس ١ / ١٢٣ ، والكشاف ١ / ٦٦-٦٧ ، والبحر المحيط ١ / ٢٥ ، وتفسير أبي السعود ١ / ١٧ .

(٨) في (ج) : (فاهدوهم) تصحيف .

(٩) أي : التعدي بأحد حرفي الجر إلى واللام .

(١٠) في (ب) : (بالإيحاء) .

(١١) انظر : ابن كثير ، تفسيره ١ / ٢٩ ، والبحر المحيط ١ / ٢٥ .

(١٢) قال ابن جرير : «معنى قوله : ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ في هذا الموضع ، وفقنا للشباب عليه . وضعف أن يكون المعنى : زدنا هدى ، أو اسلكنا طريق الجنة والمعاد» . الطبري ، تفسيره ١ / ٧١ ، ٧٢ ، وانظر : ابن كثير ١ / ٢٩ .

ويقال : ما معنى سؤال المسلمين الهداية في قولهم : اهدنا ، وهم مهتدون ؟
والجواب عنه من وجوه : أحدها : أنه قد تعرض للعارف شبه ينتقل بها إلى الجهل ،
فيحسن أن يسأل اللطيفة التي يتمسك معها بالمعرفة^(١) ، ولا ينتقل إلى الجهالة .

والثاني : أنهم لما كانوا لا يعلمون ما يكون منهم في المستأنف ، حسن أن
يسألوا الهداية على^(٢) وجه الثبوت لما هم عليه من الحق ، وقد تستعمل الهداية لا
من الضلالة كما قال الخطيئة لعمر رضي الله عنه :

فَلَا تُعْجِلْنِي هَذَاكَ الْمَلِيكَ فَإِنَّ لِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالاً^(٣)

لم يرد من ضلالتك ؛ لأنه لو أراد ذلك قد هجاه ، ولكنه على معنى التوفيق
و^(٤) الثبوت^(٥) .

وقال بعض أصحابنا : يجوز أن يحمل على سؤال الهداية ابتداءً في ما يستقبل ؛
لأن الهداية عرض لا يبقى ، فهو يسأل أن^(٦) يخلق له أمثالها^(٧) .

(١) انظر : الكشف ٦٧ / ١ .

(٢) في (ب) : (جهة) .

(٣) ورد البيت في الطبري ٧٢ / ١ ، والكمال ١٩٩ / ٢ ، والمقتضب ٢٢٤ / ٣ ، والهمع ١١٠ / ٣ ، واللسان
(حنن) ١٠٣٠ / ٢ ، ورواية الطبري (ولا تعجلني) . وبقية المصادر (تحنن علي) .

(٤) في (ب) ، و(ج) : (أو) .

(٥) وهذا هو المعنى الذي ارتضاه الطبري ٧٢ / ١ ، وذكره الرَّجَّاج في المعاني ١٢ ، والماوردي ٥٨ / ١ ،
والبغوي ٥٤ / ١ ، وابن الجوزي في زاد المسير ١٥ / ١ ، والرازي ٣٥٧ / ١ ، وقد ذكر الماوردي وابن
الجوزي والرازي معاني أخرى .

(٦) في (ب) : (فهم يسألون أن يخلق لهم) .

(٧) في (ج) : (مثلها) . ما ذكره مبني على مذهب أصحابه الأشاعرة : أن العرض لا يبقى زمانين ، والهداية
عرض فهي عندهم لا تبقى في الزمان الثاني ، فهو يسأل أن تجدد له الهداية ، وهذا مذهب رده جماهير
العلماء . انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٢١٦ / ٥ ، ٤١ / ٦ ، ٢٧٥ / ١٦ .

وقال بعضهم : هذا سؤال ، واستنجاز لما وعدوا به في قوله : ﴿ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ ﴾ [المائدة: ١٦] .

وقوله تعالى : ﴿ الصِّرَاطَ ﴾ ^(١) ، فيه لغات قد قرئ بها : السين ، والصاد ، والزاي ، وإشمام ^(٢) الصاد الزاي ^(٣) .

فمن قرأ بالسين فإنه يقول : هو أصل الكلمة ؛ لأنه من الاستراط بمعنى : الابتلاع ^(٤) ، فالسراط يسترط السالبة ^(٥) . ولو لزم لغة من يجمعها صاداً مع الطاء ^(٦) لم يعلم ^(٧) ما أصل الكلمة ^(٨) . ويقول من يقرأ بالصاد : إنها أخف على اللسان ؛ لأن الصاد حرف مطبق كالطاء فيتقاربان ويحسنان في السمع ، والسين حرف مهموس فهو أبعد من الطاء ^(٩) .

(١) في (ج) : (صراط) .

(٢) الإشمام هو إطباق الشفتين عقب تسكين الحرف المرفوع ، والمراد هنا بإشمام الصاد الزاي هو خلط لفظ الصاد بالزاي . انظر : الكشف ١ / ١٢٢ ، والبدور الزاهرة ١٥ .

(٣) روي عن ابن كثير : بالسين والصاد ، وروي عن أبي عمرو : السين والصاد ، والزاي والمضارعة بين الزاي والصاد .

وحجة يشم بين الصاد والزاي . وبقية السبعة بالصاد . انظر : السبعة لابن مجاهد ١٠٥ ، ١٠٦ ، والحجة لأبي علي ١ / ٤٩ ، والكشف لمكي ١ / ٣٤ .

(٤) يقال : استرط الطعام : إذا ابتلعه . انظر : تهذيب اللغة (سراط) ٤ / ١٩٩٣ .

(٥) السراط : الطريق . والسالبة : المارة يسترطهم لكثرة مرورهم به . انظر : اللسان (سراط) ٤ / ١٩٩٣ .

(٦) في (ج) : (الطاء) .

(٧) في (ب) : (ما يعلم) .

(٨) ذكره أبو علي في الحجة عن أبي بكر محمد بن السري ١ / ٤٩ ، وانظر : حجة القراءات لابن زنجلة ٨٠ ، والحجة لابن خالويه ٦٢ ، والكشف ١ / ٣٤ .

(٩) بنصه في الحجة ١ / ٤٩ ، ٥٠ ، وانظر : المراجع السابقة .

ويقول من قرأ بالزاي : أبدلت منها حرفاً مجهوراً^(١) حتى يشبه الطاء في الجهر ، ورمت الخفة ، ويحتج بقول العرب : زقر في صقر^(٢) .

ويقول من قرأ بالمضارعة^(٣) : رمت الخفة ، ولم أجعلها زايّاً خالصة ، ولا صادّاً خالصة ، فيلتبس أصل الكلمة بأحدهما^(٤) .

قال ابن السراج^(٥) : الاختيار الصاد للخفة والحسن في السمع ، وهو غير ملتبس ؛ لأن السين كأنها مهملة في الاستعمال مع^(٦) الطاء عند من الصاد لغته ، ومع ذلك فهي قراءة الأكثر . وأما الزاي الخالصة فليست^(٧) بمعروفة^(٨) ، ولست أحب أن تحمل القراءة على هذه اللغة .

وأما المضارعة^(٩) فهو تكلف حرف بين حرفين ، وذلك أصعب على اللسان ؛ لأنه إنما استعمل في هذه الحال فقط ، وليس هو حرفاً تبني عليه الكلمة ، ولا هو من حروف المعجم . وقال صاحب الحجة^(١٠) : «الحجة لمن قرأ بالصاد :

(١) أي : أبدلت من الصاد حرفاً مجهوراً وهو الزاي .

(٢) في (ب) : (زقر في صقر) وفي الحجة : (صقر) و(سقر) و(زقر) ٥٠ / ١ .

(٣) بين الزاي والصاد .

(٤) بنصه من الحجة ٥٠ / ١ ، وانظر : الكشف ٣٤ / ١ ، ٣٥ .

(٥) هو أبو بكر محمد السري ، المعروف بابن السراج ، وكلامه في الحجة ٥٠ / ١ .

(٦) مع) غير واضحة في (ب) .

(٧) في (ج) : (فليت) .

(٨) كلام ابن السراج في الحجة : «وأما الزاي فأحسب الأصمعي لم يضبط عن أبي عمرو ؛ لأن الأصمعي كان غير نحوي ، ولست أحب أن تحمل القراءة على هذه اللغة ، وأحسب أنه سمع أبا عمرو يقرأ بالمضارعة للزاي فتوهمها زايّاً» ، الحجة ٥١ / ١ .

(٩) كلام ابن السراج في الحجة : «وأما القراءة بالمضارعة التي بين الزاي والصاد فعدلت عن القراءة بها ؛ لأنه تكلف حرف بين حرفين» . الحجة ٥١ / ١ .

(١٠) هو أبو علي الفارسي . وكتابه الحجة للقراء السبعة ، أئمة الأمصار بالحجاز والعراق والشام الذين ذكرهم أبو بكر بن مجاهد وهو مصدر رئيس للواحد في خصوصاً في القراءات . انظر : مصادر الواحد ٧٨ ، وانظر : كلام الفارسي في الحجة ٥١ / ١ .

أن^(١) السين مضارعة لما أجمعوا على رفضه من كلامهم ، ألا ترى أنهم تركوا إمالة (واقده) ونحوه كراهة أن يصعدوا بالمستعلي بعد التسفل^(٢) بالإمالة . فكذلك يكره^(٣) أن يتسفل^(٤) بالسين^(٥) ثم يتصعد^(٦) بالطاء في سراط ، وإذا كانوا قد أبدلوا من السين الصاد مع القاف في : (صقت وصويق)^(٧) ليجعلوها في استعلاء القاف^(٨) ، فلأن يبدلوا منها الصاد مع الطاء أجدر^(٩) من حيث كانت الصاد إلى الطاء أقرب منه إلى القاف^(١٠) .

(١) في الحجة : «أن القراءة بالسين مضارعة . . . » ٥١ / ١ .

(٢) في (ب) : (السفل) .

(٣) في الحجة : (يكره على هذا أن يستفل . . .) . الحجة ٥١ / ١ .

(٤) في (ب) : (يستقل) .

(٥) (بالسين) غير موجود في الحجة ٥١ / ١ .

(٦) لأن السين حرف منخفض ، والطاء من حروف الاستعلاء والتصعد . انظر : سر صناعة الإعراب ٦٢ / ١ .

(٧) في (ب) : (صفه وصدیق) .

أصل صقت : (سقت) ، و (صويق) : (سويق) . انظر : سر صناعة الإعراب ٢١٢ / ١ . والسويق : ما يتخذ من الخنطة والشعير .

ويقال : السويق : المقل الحتى ، والسويق : السبق الفتى ، والسويق : الخمر . اللسان (سوق) ٢١٥٦ / ٤ .

(٨) في الحجة : « . . في استعلاء القاف مع بعد القاف من السين وقرب الطاء منها ، فإن يبدلوا منها الصاد . . . » . الحجة ٥٢ / ١ .

(٩) في (ب) : (فصدر) .

(١٠) (منه إلى القاف) ليست في الحجة ٥٢ / ١ .

ألا ترى أنهما جميعاً من حروف طرف اللسان وأصول الثنايا^(١) . وأن^(٢) من يقول : صويق ، وصقت ، إذا قال : (قست وقست)^(٣) لم يبدل الصاد من^(٤) السين ، لأنه الآن ينحدر بعد الإصعاد ، وهذا يستخف ولا يستثقل كما استثقل عكسه .

واحتجاجهم بأن السين هو الأصل ، قلنا : قد يترك ما هو الأصل في كلامهم إلى ما ليس بأصل ؛ طلباً لاتفاق الصوتين^(٥) . ألا تراهم قالوا : شنباء ، ومن بكر^(٦) فلم يبينوا^(٧) النون التي هي الأصل في الشنب^(٨) ، ومن عامر^(٩) ؟

-
- (١) انظر بقية كلام أبي علي في : الحجة ١ / ٥٢ .
 (٢) قال أبو علي : «ويدلك على أن حسن إبدال الصاد من السين في سراط لما ذكرت لك من كراهة التصعد بعد التسفل ، أن من يقول : صويق وصقت . . . إلخ» . الحجة ١ / ٥٢ .
 (٣) كذا في النسخ جميعها ، وفي الحجة : (قست وقست) . ١ / ٥٢ . وهذا هو الصواب .
 (٤) في الحجة (منها) بدل (من السين) .
 (٥) من قوله : واحتجاجهم إلى قوله : الصوتين ، ملخص كلام أبي علي ، انظر : الحجة ١ / ٥٢ ، ٥٣ .
 (٦) في (ب) : (شبناء) و(من بكر) ، وفي الحجة : (شنباء) و(مم بك) ، وفي الحاشية : في ط (شنباء ومن بك) .

قال سيويوه : « . . . فجعلوا ما هو من موضع ما وافقها في الصوت بمنزلة ما قرب من أقرب الحروف منها في الموضع ، ولم يجعلوا (النون) باء لبعدها في المخرج ، وأنها ليست فيها غنة ، ولكنهم أبدلوا من مكانها أشبه الحروف بالنون وهي الميم وذلك قولهم : مم بك ، يريدون : من بك ، وشنباء وعمبر يريدون : شنباء وعمبرا » . انظر : الكتاب ٤ / ٥٣ تحقيق : عبدالسلام هارون . وسر صناعة الإعراب ١ / ٤٢١ .

- (٧) في (ب) : (يثبتوا) .
 (٨) الشنب : البرد والعذوبة في الفم ، اللسان (شنب) ٤ / ٢٣٣٦ .
 (٩) في (ب) : (غامر) . يريد أن النون أصل في (الشنب) ومن عامر ، ومع ذلك أبدلوا ما ميماً في (شنباء) و(من بكر) . أما (من عامر) فإن النون فيه يجب إظهارها .

لما أرادوا أن يوفقوا بين الصوتين^(١) . فكما تركوا الأصل هاهنا طلباً للمشاكلة ، كذلك يترك الأصل في صراط^(٢) فتترك السين^(٣) ويختار إبدال الصاد من السين .

وأما القراءة بالزاي فليس بالوجه ، وذلك أن من قال في : (أصدرت) : (أزدرت) ، وفي (القصد) : (القرذ)^(٤) فأبدل^(٥) من الصاد الزاي ، فإنه إذا تحركت الصاد في نحو^(٦) (صدرت) و(قصدت)^(٧) لم يبدل ، فإذا لم يبدلوا الصاد زائاً إذا تحركت مع الدال ، وكانت الطاء في الصراط مثل الدال في القصد^(٨) في الجهر^(٩) ، فكذلك ينبغي ألا يبدل من السين الزاي في صراط ، من أجل الطاء ، لأنها قد تحركت كما تحركت في (قصدت)^(١٠) مع أن بينهما في صراط حاجزين^(١١) .

ومما يحتج^(١٢) من أخلص الصاد^(١٣) على من ضارع بها الزاي^(١٤) أن يقول : إن الحرف قد أعل مرة بالقلب ، فلا تستقيم المضارعة ؛ لأنها إعلال آخر ، وقد

(١) ترك المؤلف بعض كلام أبي علي . انظر : الحجة ١ / ٥٣ .

(٢) في الحجة : (صراط) بالسين ١ / ٥٣ ، وهو الأقرب .

(٣) فتترك السين ليس في الحجة ١ / ٥٣ .

(٤) في (أ) ، و(ج) : (الفصد ، الفرد) وفي (ب) : (القصد ، الفرد) وما أثبت من الحجة ١ / ٥٣ . وعند سيبويه : (الفصد : الفرد) ، الكتاب ٤ / ٤٧٨ .

(٥) في (ب) : (وأبدل) .

(٦) في (ب) : (نحمد) .

(٧) في (أ) : (فصدت) وفي الحجة (صدقت) ١ / ٥٣ ، وفي الكتاب (صدقت) ٤ / ٤٧٨ .

(٨) في (أ) ، و(ج) : (الفصد) وما في (ب) موافق لما في الحجة ١ / ٥٣ .

(٩) في الحجة (في حكم الجهر) ١ / ٥٣ .

(١٠) في (أ) ، و(ج) : (فصدت) وما في (ب) هو الموافق لما في الحجة ١ / ٥٤ . وانظر : الكتاب ٤ / ٤٧٨ .

(١١) وهما الراء والألف ، انظر : الكتاب ٤ / ٤٧٨ . وانظر بقية كلام أبي علي في : الحجة ١ / ٥٤ ، ٥٥ .

(١٢) كذا في النسخ جميعها وفي الحجة «ومما يحتج به من أخلص الصاد . . .» ١ / ٥٦ .

(١٣) في (ج) : (الضاد) .

(١٤) تكلم أبو علي قبل هذا على الحجة من ضارع الصاد بالزاي ، ولم ينقل الواحدي كلامه في ذلك . انظر : الحجة ١ / ٥٥ .

رأيتهم كرهوا الإعلال في الحرفين إذا تواليا ، فإذا لم يوالوا بين إعلالين في حرفين مفترقين^(١) ، فألا^(٢) يوالوا بين إعلالين في حرف واحد أجدر^(٣) . مثاله^(٤) أنهم حذفوا النون من نحو بلعبر وبلحرت^(٥) ، ولم يحذفوا من بني النجار^(٦) مع توالي النونات حيث كانت اللام قد أعلت بالقلب لئلا يتوالى إعلالان : [الحذف والقلب]^(٧) ، وإن كانا من كلمتين مفترقتين^(٨) ، فإذا كره في هذا النحو ، كان توالي إعلالين في حرف واحد أبعد^(٩) .

قوله تعالى : ﴿الْمُسْتَقِيمَ﴾ : الاستقامة في اللغة الاستواء ، يقال : قام إذا استوى منتصباً ، وأقامه : إذا سواه ، وقاومه إذا ساواه في القوة . وقيمة الشيء ما يساويه من ثمنه ، ومعنى الاستقامة استمرار الشيء في جهة واحدة^(١٠) .

(١) في (ب) : (متفرقين) .

(٢) في (ب) : (بأن) .

(٣) الإعلالان هنا : إبدال السين صاداً ، ثم مضارعة الصاد بالزاي .

(٤) في الحجة : «ويقوي ذلك أنهم . . . » ٥٦ / ١ .

(٥) قال سيبويه : «ومن الشاذ قوهم : في بني العنبر ، وبني الحارث : بلعبر وبلحارث ، بحذف النون» .

الكتاب ٤ / ٤٨٤ . بنو العنبر : قبيلة تنسب إلى العنبر بن عمرو بن تميم . وانظر : اللباب لابن الأثير

٢ / ٣٦٠ ، واللسان (عنبر) ٥ / ٣١٢٠ . وبلحرت لبني الحرث بن كعب . قال في اللسان : وهذا من

شواذ الإدغام ؛ لأن النون واللام قريباً المخرج . . . وكذلك يفعلون بكل قبيلة تظهر فيها لام المعرفة .

اللسان (حرث) ٢ / ٨٢١ .

(٦) بنو النجار قبيلة من الخزرج تنسب إلى النجار واسمه تيمم اللات بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج .

انظر : اللباب ٣ / ٢٩٨ .

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) .

(٨) في ب ، و (ج) : (متفرقتين) .

(٩) في (ج) : (بعد) .

(١٠) تهذيب اللغة (قام) ٣ / ٢٨٦٥ ، وانظر : اللسان (قوم) ٦ / ٣٧٨٢ .

وأما تفسير ﴿الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ فروى علي وابن مسعود - رضي الله عنهما -
عن النبي ﷺ أنه قال : «الصراط المستقيم : كتاب الله عز وجل»^(١) .

وقال جابر ومقاتل : «هو الإسلام»^(٢) .

(١) حديث علي - رضي الله عنه - بهذا اللفظ : أخرجه الثعلبي بسنده ١/ ٣٠ ب ، وبنحوه أخرجه الطبري ، وقال شاكر : إسناده ضعيف جداً ١/ ١٧١ (ط . شاكر) ، وكذا ابن أبي حاتم في تفسيره ، قال المحقق : ضعيف جداً ١/ ١٥٩ ، وهو جزء من حديث فضائل القرآن الطويل الذي أخرجه الترمذي في أبواب فضائل القرآن ، باب : ما جاء في فضل القرآن ، قال الترمذي بعده : هذا حديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه وإسناده مجهول وفي الحارث مقال . الترمذي : (٢٩٠٦) ، وأخرجه الدارمي في سننه في كتاب فضائل القرآن ، باب : فضل من قرأ القرآن ٤/ ٢٠٩٨ (٣٣٧٤) ، وذكره ابن كثير في كتابه فضائل القرآن ٤٤- ٤٦ ، ونقل كلام الترمذي عليه ، ثم قال : «وقصارى هذا الحديث أن يكون من كلام أمير المؤمنين علي رضي الله عنه ، وقد وهم بعضهم في رفعه ، وهو كلام حسن صحيح ، على أنه قد روي له شاهد عن عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ» ، وذكره السيوطي في الدر ٤١ ، ٤٠/ ١ .

أما حديث عبدالله بن مسعود ، فأخرجه الطبري موقوفاً على ابن مسعود ، وكذا الثعلبي ١/ ٣٠ ب ، والحاكم في المستدرک ١/ ٢٥٨ ، وقال : صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي ، وذكره السيوطي في الدر وعزاه إلى وكيع ، وعبد بن حميد ، وابن جرير ، وابن المنذر ، والأنباري ، والحاكم ، والبيهقي في شعب الإيمان . الدر ١/ ٤٠ ، وذكره الشوكاني في فتح القدير ١/ ٣٧ . ولم يذكره وارفه ، وكلام ابن كثير السابق حول حديث علي يدل على أنه مرفوع ، انظر : فضائل القرآن ٤٤- ٤٦ .

(٢) قول جابر ذكره الثعلبي بسنده ١/ ٣٠ أ ، والطبري ، قال شاكر : موقوف على جابر وإسناده صحيح ١/ ١٧٣ ، وأخرجه الحاكم في المستدرک ، وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه . ووافقه الذهبي ، المستدرک ٢/ ٢٥٩ ، وذكره السيوطي في الدر ونسبه لوكيع ، وعبد بن حميد ، وابن جرير ، وابن المنذر ، والمحامي في أماليه ، والحاكم ، الدر ١/ ١٤ ، ١٥ . وقول مقاتل ذكره الثعلبي من دون سند ١/ ٣٠ أ ، والبغوي ١/ ٤١ .

وعن أبي العالية الرياحي^(١)، قال: «هو طريق رسول الله ﷺ وصاحبيه من بعده أبي بكر وعمر»^(٢).

وقال بكر بن عبدالله المزني^(٣): رأيت رسول الله ﷺ في المنام فسألته عن الصراط المستقيم، فقال: «ستتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي»^(٤).

قال أهل المعاني: «إنما وصف الدين الحق»^(٥) بأنه الصراط المستقيم؛ لأنه يؤدي إلى الغرض المطلوب من رضا الله تعالى، والخلود في النعيم المقيم، كما أن الصراط المستقيم يؤديك إلى مقصودك»^(٦).

(١) رفيع بن مهران، أبو العالية الرياحي، بصري مقرئ فقيه، سمع من عداد من الصحابة، مات سنة تسعين أو ثلاث وتسعين. انظر: ترجمته في تهذيب التهذيب ٣/ ٢٨٤، وغاية النهاية ١/ ٢٨٤، وطبقات المفسرين للدوادري ١/ ١٧٨، ومعرفة القراء ١/ ٤٩.

(٢) ذكره الثعلبي ١/ ٣١/ أ، والأثر أخرجه الطبري بسنده، قال شاكر: شيخ الطبري لا أعرف من هو، ولعل فيه تحريفاً، ووثق بقية رجاله الطبري ١/ ١٧٥، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره، قال المحقق: إسناده حسن. (رسالة دكتوراه) ١/ ١٦٠. وذكره السيوطي في الدر ونسبه لعبد بن حميد، وابن جريج، وابن أبي حاتم، وابن عدي، وابن عساكر، الدر ١/ ١٥. وذكره ابن كثير في التفسير ١/ ٥٦. وأخرجه الحاكم في المستدرک بسنده عن أبي العالية عن ابن عباس. وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، المستدرک ١/ ٢٥٩.

(٣) هو بكر بن عبدالله المزني، بصري تابعي ثقة، كثير الحديث، حجة، توفي سنة ست ومائة، وقيل: سنة ثمان ومائة. انظر: طبقات ابن سعد ٧/ ٢٠٩، وذكر أسماء التابعين ١/ ٨١، وتاريخ الثقات ١/ ٢٥١، وتهذيب التهذيب ١/ ٢٤٤.

(٤) (بعدي) ساقط من (ج). والأثر ذكره الثعلبي في تفسيره ١/ ٣١/ أ، والبغوي ١/ ٥٤. وهذه الأقوال يصدق بعضها بعضاً وتجتمع، قال الطبري: «والذي هو أولى بتأويل هذه الآية: وفقنا للثبات على ما ارتضيته ووفقت له من أنعمت عليه من عبادك من قول وعمل، وذلك هو الصراط المستقيم؛ لأن من وفق لما وفق له من أنعم الله عليه من النبيين والصديقين والشهداء فقد وفق للإسلام واتباع منهج النبي ﷺ ومنهجه أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وكل عبد صالح، وكل ذلك من الصراط المستقيم». ١/ ٧٤، وانظر: تفسير ابن عطية ١/ ١٢٢، وفتح القدير ١/ ٣٨.

(٥) في (أ)، و(ج): (والحق) زيادة (واو) وأثبت ما في (ب)، لأنه أصح.

(٦) في (ب): (مقصودك). انظر: تفسير ابن عطية ١/ ١٢١، قال الطبري: «وإنما وصفه الله بالاستقامة؛ =

٧. قوله تعالى: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ﴾ : صراط بدل من الصراط الأول^(١)، وهو بدل الشيء من نفسه في المعنى^(٢)؛ لأن ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ هو ﴿الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ بعينه، وهو كقولك: جاءني أبوك زيد، فزيد هو الأب بعينه، وهو من بدل المعرفة من المعرفة، وللبدل باب معروف يذكر فيه وجوهه^(٣).

وقوله: ﴿الَّذِينَ﴾، النحويون يسمون الذي والتي، وتثنيتهما، وجمعهما: الأسماء الموصولة، والأسماء النواقص، والأسماء المبهمة؛ وذلك لأنها^(٤) أسماء لا تتم إلا بصلاتها، إما من مبتدأ وخبر^(٥)، أو فعل وفاعل، أو ظرف، أو شرط وجزاء^(٦) كقولك: جاءني الذي أبوه منطلق، والذي قام أبوه، والذي عندك، والذي إن تأته يأتك. ولا بد أن يكون في صلة (الذي) ضمير يرجع^(٧) إليه، وإلا

= لأنه صواب لا خطأ فيه، وقد زعم بعض أهل الغباء، أنه سماه مستقيماً لاستقامته بأهله إلى الجنة. وذلك تأويل لتأويل جميع أهل التفسير خلاف، وكفى بإجماع جميعهم على خلافه دليلاً على خطئه». ٧٥/١.

(١) انظر: معاني القرآن للأخفش ١/١٦٤، وإعراب القرآن للنحاس ١/١٢٤، وتفسير ابن عطية ١/١٢١، والبيان في غريب القرآن ١/٣٩، والكشاف ١/٦٨، وقال الزجاج: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ صفة لقوله ﴿الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾. معاني القرآن ١/١٢.

(٢) البيان ١/٣٩، الكشاف ١/٦٨.

(٣) مكانه كتب النحو.

(٤) في (ب): (أنها).

(٥) في (ب): (مبتداء لخبر).

(٦) انظر: الأصول في النحو لابن السراج ٢/٢٦٦، وشرح جل الزجاجي لابن عصفور ١/١٧٩، والتبصرة والتذكرة للصيمري ١/٥١٧.

(٧) في (ب): (ترجع).

فسد الكلام^(١). و(الذين) لا يظهر فيه الإعراب^(٢)، تقول^(٣) في الرفع والنصب والجر: الذين، وكذلك (الذي)، وإنما منع الإعراب؛ لأن الإعراب إنما يكون في أواخر الأسماء، و(الذين) من المبهمات لا تتم إلا بصلاتها، فلذلك منعت الإعراب^(٤).

فإن قيل: فلم أعربته في التثنية؟ قيل: إن جميع ما لا يعرب في الواحد مشبه بالحرف الذي جاء لمعنى، فإذا تثنيته بطل شبه الحرف؛ لأن حروف المعاني لا تثني^(٥).

فإن قيل: فلم منعته الإعراب في الجمع؟ قيل: الجمع الذي ليس على حد^(٦) التثنية كالواحد، ألا ترى أنك تقول في جمع^(٧) هذا: هؤلاء، فتجعله اسماً واحداً للجمع^(٨). فكذلك قوله^(٩): ﴿الَّذِينَ﴾ إنما هو اسم لجمع، فبنيته كما بنيت^(١٠)

(١) ويسمى (العائد)، انظر: الأصول في النحو ٢/٢٦٦، وشرح جمل الزجاجي ١/١٨١، ١٨٢، وأوضح المسالك ٣١، وشرح ابن عقيل ١/١٥٣، ومحل مثل هذه المباحث كتب النحو.

(٢) في (ج): (إعراب).

(٣) من قوله (تقول...) اختلف الخط في نسخة (ب) وفي هامشها تنبيه على ذلك.

(٤) من قوله: (والذين لا يظهر فيه الإعراب...) وكذا الكلام الآتي بعده أخذه عن الزجاج بتصرف يسير في العبارة. معاني القرآن ١/٣٤.

(٥) أخذ الزجاج بقول الكوفيين أن تثنية (الذين) تثنية حقيقية وأنه معرب، وعند البصريين أن تثنيته ليست على حد تثنية زيد وعمرو، فهي صيغة مرتجلة على حد التثنية فهي تثنية لفظية لا معنوية. انظر: الإنصاف ٥٣٩، والبيان في غريب القرآن ١/٣٩.

(٦) في (ب): (جمع).

(٧) في (ب): (الجمع).

(٨) في (ب): (للجمع).

(٩) في (ب): (قول).

(١٠) في (ب): (فثنيته كما ثنيت).

الواحد ، ونظير (الذي) (هذا) ، فإنك لا تعربه ثم تعرب (هذين) ثم تترك الإعراب في (هؤلاء)^(١) .

قال أبو إسحاق : وأصل (الذي) ، (لذ) على وزن (عم) ، كذلك قال سيبويه ، والخليل ، والأخفش^(٢) .

وأما الألف واللام فيه^(٣) ، فقال أبو الفتح الموصلي^(٤) : الألف واللام في (الذي) و(التي) وبابهما^(٥) زيادة ، ويدل على زيادتهما وجود أسماء موصولة مثلها معرفة من الألف واللام ، وهي مع ذلك معرفة ، وتلك : (من) و(ما) و(أي)^(٦) . ويدل على ما قلنا : أن (الذي) إنما تعرفه^(٧) بصلته دون اللام التي فيه ، فبان أن^(٨) اللام زائدة ، إلا أنها^(٩) زيادة لازمة لا يجوز^(١٠) حذفها^(١١) .

(١) عن معاني القرآن للزجاج ٣٤ / ١ .

(٢) معاني القرآن للزجاج ٣٤ / ١ ، وهذا قول جمهور البصريين ، انظر : تفسير ابن عطية ١٢١ / ١ ، والإنصاف ٥٣٥ .

(٣) أي : في (الذي) .

(٤) هو أبو الفتح عثمان بن جني ، سبقت ترجمته في الدراسة . نقل الواحدي عنه من كتاب سر صناعة الإعراب ٣٥٣ / ١ .

(٥) في (ج) : (وبائهما) .

(٦) مثل أبو الفتح لـ (من وما وأي) ، ثم قال : «فتعرف هذه الأسماء التي هي أخوات الذي والتي بغير اللام ، وحصول ذلك لها بسما تبعها من صلاتها من دون اللام يدل على أن (الذي) إنما تعرفه . . . » . سر صناعة الإعراب ٣٥٣ / ١ .

(٧) في (ب) : (يعرفه) .

(٨) عند أبي الفتح (وأن اللام . . .) ، سر صناعة الإعراب ٣٥٣ / ١ .

(٩) في (ب) : (أن زيادتها) .

(١٠) في (أ) ، و(ج) : (تجوز) وأثبت ما في (ب) ، لمناسبته للسياق .

(١١) (لا يجوز حذفها) ليست عند أبي الفتح ٣٥٣ / ١ .

فإن قيل : وما كانت الحاجة إلى زيادة اللام ^(١) حتى إنها لما زيدت لزمت ؟ قيل : إن (الذي) ^(٢) إنما وقع في الكلام توصلاً إلى وصف المعارف بالجمل ؛ وذلك أن الجمل نكرات . ألا ترى أنها تجري أوصافاً على النكرات ، نحو ^(٣) : مررت برجل أبوه زيد ، ونظرت إلى غلام قامت أخته ، فلما أريد مثل هذا في المعرفة لم يمكن أن يقول ^(٤) : مررت بزيد أبوه كريم ، على أن تكون الجملة وصفاً لزيد ^(٥) ، ولم يمكن ^(٦) إذا أرادوا وصف المعرفة بالجمل أن يدخلوا اللام على الجملة ؛ لأن اللام من خواص الأسماء ، فجاءوا بـ (الذي) متوصلين به إلى وصف المعارف بالجمل ، وجعلوا ^(٧) الجملة التي كانت صفة للنكرة صلة لـ (الذي) فقالوا : مررت بزيد الذي أبوه منطلق ، فألزموا اللام هذا الموضع لما أرادوا التعريف للوصف ، ليعلموا أن الجملة قد صارت وصفاً لمعرفة ^(٨) . ^(٩)

وبيان ما ذكرنا ^(١٠) من الآية أن معنى قوله : ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ صراط القوم الذين أنعمت عليهم ، ولو أريد وصف القوم بـ (أنعمت عليهم) لم يسهل ،

(١) عند أبي الفتح (في الذي والتي ونحوها) ٣٥٣ / ١ .

(٢) في (أ) ، و (ج) : (الذين) . واخترت ما في (ب) ، لأنه موافق لما عند أبي الفتح ، وعبارته : (والجواب أن (الذي) إنما وقع ... إلخ) ، انظر : سر صناعة الإعراب ٣٥٣ / ١ .

(٣) عند أبي الفتح : (في نحو قولك ...) . ٣٥٣ / ١ .

(٤) (يقول) في النسخ جميعها ، وعند أبي الفتح (تقول) ٣٥٣ / ١ . وهذا أصوب .

(٥) حذف الواحدي بعض كلام أبي الفتح ونصه : « ... وصفاً لزيد ؛ لأنه قد ثبت أن الجملة نكرة ، ومحال أن توصف المعرفة بالنكرة ، فجري هذا في الامتناع مجرى امتناعهم أن يقولوا : مررت بزيد كريم ، على الوصف ، فإذا كان الوصف جملة نحو : مررت برجل أبوه كريم ، لم يمكن إذا أرادوا وصف المعرفة بنحو ذلك أن يدخلوا اللام على الجملة ... » . سر صناعة الإعراب ٣٥٣ / ١ ، ٣٥٤ .

(٦) في (ب) : (يكن) .

(٧) في (ب) : (فجعلوا) .

(٨) في (ب) : (للمعرفة) .

(٩) إلى هنا ما نقله عن أبي الفتح . سر صناعة الإعراب ٣٥٤ / ١ .

(١٠) هذا من كلام أبي الحسن الواحدي يبين فيه ما سبق ذكره عن الألف واللام في الاسم الموصول على لفظ الآية وهي قوله : ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ فيربط إيراد هذه المسألة النحوية بتفسير الآية .

لأنه يصلح وصفاً للنكرة^(١)، فيصح في الكلام أن يقول: ^(٢) صراط قوم أنعمت عليهم، فلا يصلح أن يكون وصفاً للمعرفة، فلما أريد ذلك^(٣) توصلوا إلى ذلك بـ (الذي).

جاءوا^(٤) بالحرف الذي وضع للتعريف^(٥)، فأولوه (الذي)^(٦) ليحصل لهم بذلك لفظ التعريف الذي قصدوه، ويطابق اللفظ المعنى الذي حاولوه^(٧).

وقوله تعالى: ﴿أَنعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾، إنعام الله - تعالى - مَّثَّة^(٨) وعطاؤه، والنعمة - بالكسر - اسم من أنعم الله عليه إنعاماً ونعمة، أقيم الاسم مقام الإنعام، كما يقال: أنفق إنفاقاً ونفقة^(٩).

وقوله تعالى: ﴿عَلَيْهِمْ﴾ يجوز كسر الهاء فيه وضمه^(١٠). فمن كسر فلا أن الياء أخت الكسرة وبعضها على معنى أنها تتولد من الكسرة، ألا ترى أن الياء كسرة مشبعة، كما أن الواو ضمة مشبعة، والألف فتحة مشبعة، وإذا كان كذلك فلو

(١) و(القوم) معرفة.

(٢) في (ج): (تقول).

(٣) أي: وصف المعرفة.

(٤) الكلام من هنا لأبي الفتح، انظر: سر صناعة الإعراب ١/ ٣٥٤.

(٥) وهو اللام كما في سر صناعة الإعراب ١/ ٣٥٤.

(٦) فأولوه (الذي) ساقط من (ب).

(٧) انظر بقية كلام أبي الفتح في: سر صناعة الإعراب ١/ ٣٥٤، وانظر: أصول النحو لابن السراج ١/ ٢٦١، ٢٦٢.

(٨) في (ب): (منته).

(٩) ذكره الأزهرى في تهذيب اللغة مادة (نعم) ٤/ ٣٦١٥.

(١٠) قرأ حمزة ويعقوب من العشرة (عليهم) بضم الهاء، وقرأ الباقون (عليهم) بكسر الهاء مع اختلافهم في الميم، والأكثر بسكونها. انظر: السبعة لابن مجاهد ١٠٨، ١٠٩، والغاية لابن مهران ٧٧، والحجة للفارسي ١/ ٥٧، والتيسير ٤٠، ٤١، والإقناع ٢/ ٥٩٥، والنشر ١/ ٢٧٢، وإتحاف فضلاء البشر ١٢٣.

انكسر ما قبل الهاء وجب كسرها نحو : بهم ، ومن دونهم ، وكذلك ، عليهم وفيهم ، وذلك أن إتياع الياء ، التي هي أخت الكسرة ، بالكسرة أولى من إتياعه بالضمّة ، لثقل الانتقال من الكسرة إلى الضمة . ألا ترى أنه ليس في كلامهم فعل ولأن هذه الهاء في (عليهم) هي التي في (عليه) وفي (عليه) كسر ؛ لأن الأصل كان -عليهو^(١) - كقولك^(٢) ضربته^(٣) .

زعم^(٤) سيبويه أن^(٥) الواو زيدت على الهاء في المذكر ، كما زيدت الألف في^(٦) المؤنث ليستويا في باب الزيادة .

قال الزّجّاج : و^(٧) القول في هذه الواو^(٨) أنها زيدت لخفاء الهاء ، وذلك أن الهاء تخرج من أقصى الحلق^(٩) ، والواو حرف مد ولين ، تخرج^(١٠) من طرف الشفتين^(١١) ، فإذا زيدت الواو بعد الهاء أخرجتها من الخفاء ، وتسقط في^(١٢)

-
- (١) في (ب) : (علهو) وفي (ج) : (عليه وكقولك) .
 - (٢) في (ب) : (كقوله) .
 - (٣) انظر : الحجة لأبي علي الفارسي ١/ ٥٩-٦١ ، وحجة القراءات لابن زنجلة ٨٢ .
 - (٤) ذكره الزّجّاج في معاني القرآن ١/ ١٣ ، وانظر : الكتاب ٤/ ١٨٩ .
 - (٥) في (ب) : (إلى أن) بزيادة (إلى) .
 - (٦) في (ب) : (على) . وفي معاني القرآن ١/ ١٣ للزّجّاج : «... كما زيدت الألف في المؤنث في قولك : ضربتها ومررت بها...» .
 - (٧) (الواو) ساقطة من (ب) .
 - (٨) في معاني القرآن ١/ ١٣ للزّجّاج : «والقول في هذه الواو عند أصحاب سيبويه والخليل أنها إنها زيدت لخفاء الهاء...» ١/ ١٣ .
 - (٩) انظر : الكتاب ٤/ ٤٣٣ ، وسر صناعة الإعراب ١/ ٤٦ .
 - (١٠) في (ب) : (يخرج) .
 - (١١) في معاني القرآن : «... والواو بعد الهاء أخرجتها من الخفاء إلى الإبانة ، فلهذا زيدت ، وتسقط في الوقف...» ١/ ١٣ . وانظر : الكتاب ٤/ ٤٣٣ ، وسر صناعة الإعراب ١/ ٤٨ .
 - (١٢) في (ب) : (من) .

الوقف ، كما تسقط الضمة والكسرة ، ولأنها واو^(١) وصل فلو ثبتت لالتبس^(٢) بالأصل . فإذا قلت : مررت به ، قلبت^(٣) الواو ياءً لانكسار ما قبلها^(٤) أعني الباء^(٥) ، والهاء لا يعتد به حاجزاً حصيناً لحفائه ، فكأن^(٦) الكسرة تلي الواو ، ولو كانت الهاء حاجزاً حصيناً ما زيدت الواو عليها .

وبهذه^(٧) العلة كسرت الهاء في عليه ، وكان الأصل (عليهو)^(٨) فقلبت^(٩) الواو ياءً^(١٠) للياء التي قبلها ثم حذفت^(١١) لسكونها ، وسكون الياء قبل الهاء ، والهاء ليس بحاجز ، فإذا كسر في (عليه) أقرَّ على الكسر في (عليهم) إذ^(١٢) كانت العلة واحدة^(١٣) . ومن ضم الهاء فقال : كان الأصل

(١) في معاني القرآن : «كما تسقط الضمة والكسرة في قولك : أتاني زيد ، ومررت بزيد ، إلا أنها واو وصل ، فلا تثبت ؛ لئلا يلتبس الوصل بالأصل . . . » ، وفي الهامش : عبارة ك : (. . . ولأنها واو وصل) . . . كما عند المؤلف ولعله أ صوب .

(٢) في (ب) : (لالتبت) . وهذا أحسن للسياق .

(٣) في المعاني : « فإذا قلت : مررت بهو يا فتى ، فإن شئت قلت : مررت بهي ، فقلبت الواو ياءً . . . » . ١٣ / ١ .

(٤) في (ج) : (بما قبلها) .

(٥) (الباء) كذا في النسخ جميعها . وفي معاني القرآن : « أعني الياء المنكسرة . فإن قال قائل : بين الكسرة والواو الهاء ، قيل : الهاء ليست بحاجز حصين ، فكأن . . . إلخ » ١٣ / ١ ، ولعل ما في المعاني خطأ مطبعي .

(٦) في (ج) : (وكان) .

(٧) في (ب) : (وهذه) .

(٨) في (ب) : (علهو) .

(٩) في (ج) : (فقلبت الواو بالياء) .

(١٠) فتكون (عليهي) انظر : معاني القرآن ١٤ / ١ .

(١١) في (ب) : (حذف) .

(١٢) في (ج) : (إذا) .

(١٣) انتهى ما نقله من الزجاج ، وآخر كلامه نقله بمعناه . انظر : معاني القرآن ١٣ / ١ ، ١٤ .

(عليه) فحذفت الواو لسكونها وسكون الياء ، وبقيت الضمة لتدل على الواو^(١) .

وأما حمزة^(٢) فإنه يقرأ : عليهم ، وإليهم ، ولديهم ، بالضم في هذه الثلاثة^(٣) وحجته^(٤) أن هذه الحروف إن وليهن ظاهر صارت ياءاتهن ألفات ، نحو : علي زيد ، وإلى عمرو ، ولدى بكر^(٥) ، ولا يجوز كسر الهاء إذا كان قبلها ألف^(٦) ، فلما كان الأصل في هذه الياءات الألف اعتبره حمزة فيها الأصل^(٧) دون الرسم والخط^(٨) .

فإن قيل : ينقض هذا بالواحد والتثنية^(٩) ؟ قلنا : لا ينقض ؛ لأنه أراد أن يخالف بين بناء الواحد والتثنية ، وبين بناء الجمع ، وذلك أن الجمع يخالفهما في البناء في أكثر الأمر ، ألا ترى أنك تقول : رجل ورجلان ، وحمار وحماران ،

(١) ذكره الزَّجَّاج ، انظر : معاني القرآن ١ / ١٤ ، والحجة لأبي علي ١ / ٦٠ ، وحجة القراءات ٨١ ، والحجة لابن خالويه ٦٣ ، والكشف لمكي ١ / ٣٥ .

(٢) هو حمزة بن حبيب بن عمار ، الكوفي ، التيمي بالولاء ، وقيل : من صميمهم ، الزيات أحد القراء السبعة (٨٠-١٥٦ هـ) ، انظر : ترجمته في معرفة القراء الكبار ١ / ١١١ ، وغاية النهاية ١ / ٢٦١ .

(٣) انظر : السبعة لابن مجاهد ١٠٨ ، والحجة لأبي علي الفارسي ١ / ٥٧ .

(٤) ما سبق إنما هو حجة لحمزة في قراءته بالضم ، نقله الواحدي عن الزَّجَّاج ، ثم نقل مزيداً من الاحتجاج لقراءته بالضم من الحجة لأبي علي ، حيث قال : «وحجة من قرأ (عليهم) - وهو قول حمزة - أنهم قالوا : ضم الهاء هو الأصل ، وذلك أنها إذا انفردت من حروف تتصل بها قيل : هم فعلوا . والواو هي القراءة القديمة ، ولغة قریش ، وأهل الحجاز ، ومن حولهم من فصحاء اليمن . قالوا : وأما خص حمزة هذه الحروف الثلاثة بالضم ، وهي : عليهم ، وإليهم ، ولديهم ، لأنهن إن أولاهن ظاهراً صارت . . . » إلخ ما ذكره المؤلف عنه . الحجة ١ / ٦٠ ، وانظر : الكشف لمكي ١ / ٣٥ .

(٥) في (ب) : (آل زيد وآل عمر وكذا بكر) تصحيف .

(٦) انظر : الحجة ١ / ٦٠ .

(٧) فضم الهاء ، ولم يكسرها .

(٨) انظر : الحجة ١ / ٨٣ .

(٩) فلم يحصل الضم في الواحد والتثنية فيقال : عليه وعليهما بالكسر ، كما سيأتي .

ثم تقول في الجمع : رجال وحر ؟ فاتفق بناء الواحد والتثنية ، وخالف بناء الجمع بناءها ، فلهذا ضم الهاء في (عليهم ولديهم وإليهم^(١)) ولم يضم في (عليه وعليهما) .

وأما من^(٢) ضم من القراء كل هاء قبلها ياء ساكنة نحو : فيهم ويأتيهم^(٣) ، فحجته إجماعهم على ضمها إذا كان قبلها حرف ساكن سوى الياء ، نحو عنهم ، ومنهم ، فكذلك الياء . هذا هو الكلام في الهاء .

فأما الميم ، فأهل^(٤) الحجاز يضمون ميم كل جمع حتى يلحقوا بها واوا^(٥) في اللفظ^(٦) ، وحجتهم : أن أصلها أن تكون مقرونة بواو في اللفظ والخط ؛ لأن أكثر جموع المذكورين بالواو في الفعل^(٧) والاسم ، نحو : فعلوا^{(٨)(٩)} ويفعلون ومسلمون وصالحون ، فعاملوا المكني معاملة الأسماء الظاهرة المجموعة و^(١٠) الأفعال من إلحاق الواو بها^(١١) .

(١) في (ب) : (عليهم وإليهم ولديهم) .

(٢) في (ب) : (في) .

(٣) وهي قراءة يعقوب من العشرة ، انظر : الغاية ٧٧ ، والنشر ١ / ٢٧٢ ، وإتحاف فضلاء البشر ١٢٣ ، وهذا مخالف لنهج المؤلف في القراءات حيث ذكر قراءة عشرية ، وعادته أن يذكر السبع فقط .

(٤) في (ج) : (فإن أهل) .

(٥) في (ب) : (واو) من دون تنوين .

(٦) قراءة ابن كثير : يصل الميم بواو انضمت الهاء قبلها أو انكسرت . انظر : السبعة لابن مجاهد ١٠٨ ، والحجة ١ / ٥٧ ، والكشف ١ / ٣٩ .

(٧) في (ج) : (في الاسم والفعل) .

(٨) في (ب) : (يفعلوا) .

(٩) (الواو) ساقطة من (ج) .

(١٠) (الواو) ساقطة من (ب) .

(١١) انظر : الحجة ١ / ١٠٤ ، ١٣٣ ، والكشف ١ / ٣٩ ، وحجة القراءات ٨١ ، ومعاني القرآن للزجاج ١ / ١٣ ، ١٤ ، والمحاسب ١ / ٤٤ ، والبيان ١ / ٣٩ .

والدليل على أن الأصل فيه ما ذكرنا ، إجماعهم على إثبات الواو في اللفظ بعد الميم عند اتصاله بالمكني^(١) ، كقوله : ﴿أَنْزَلْنَاهُ مَكْمُوهًا﴾ [هود: ٢٨] و ﴿وَأَتَّخَذْتُمُوهُ﴾ [هود: ٩٢] .

وأما من أسكن الميم^(٢) ، فحجته خط المصاحف ، وذلك أن هذه الواوات حذفت من الخط اقتصاراً على الميم ، واكتفاءً بها من علامة الجمع كما حذفت ياء الإضافة من الأسماء والأفعال اقتصاراً على الكسرة والنون التي قبلها^(٣) .

وقال ابن السراج^(٤) : إنما أسكنوا ؛ لأنه قد أمن اللبس ، إذ كانت الألف في التثنية قد دلت على الاثنين ، ولا (ميم) في الواحد ، فلما لزمت الميم الجمع حذفوا الواو وأسكنوا الميم طلباً للتخفيف ، إذ كان لا يشكل^(٥) .

(١) انظر : الحجة ١/ ١٠٦ ، وحجة القراءات ٨١ .

(٢) وعليه أكثر القراء كما سبق ، وانظر : الكشف ١/ ٤٠ .

(٣) انظر : معاني القرآن للزجاج ١/ ١٤ ، والحجة ١/ ٨٠ ، ٨٢ ، والحجة لابن خالويه ٦٣ ، والكشف ١/ ٤٠ .

(٤) هو أبو بكر محمد بن السري سبقت ترجمته في الدراسة ، وقد نقل عنه أبو علي في الحجة كثيراً ؛ لأنه أول من بدأ في بيان حجج القراءات السبع التي جاءت في كتاب ابن مجاهد . ولم يتم الكتاب ، وألف أبو علي كتاب الحجة وأتم ما شرع به ابن السراج ، وضمن أبو علي كتابه كلام ابن السراج . انظر : مقدمة الحجة ٧ .

(٥) الحجة ١/ ٥٩ ، ٦٠ .

وروى ورش^(١) عن نافع^(٢) ضم الميم ووصلها بواو إذا^(٣) استقبلها همزة^(٤) ، ومذهبه حذف الهمزة ، ونقل حركتها [إلى الساكن قبلها ، فلما احتاج إلى تحريك الميم حركها^(٥)] ^(٦) بالحركة التي كانت لها في الأصل وهي الضمة ، فلما أشبع ضممتها تولدت منها واو ، فاحتاج إلى مداها لاستقبال الهمزة إياها^(٧) .

وأيضاً ؛ فإنه لو نقل فتحة الهمزة إلى ميم الجمع عند استقبال الهمزة المفتوحة نحو : ﴿ عَلَيْهِمْ أَنْذَرْتَهُمْ أَمْ ﴾^(٨) [البقرة: ٦] وما أشبهه ، لأشبهه التشية ، فلما مداها عند الهمزة المفتوحة ولم ينقل حركتها إليها مخافة الالتباس فعل ذلك به عند الهمزة المضمومة والمكسورة ؛ لثلاثي مختلف الطريق عليه^(٩) .

(١) هو عثمان بن سعيد القبطي ، مولى آل الزبير بن العوام ، كنيته أبو سعيد ، وقيل غير ذلك . أحد القراء المشهورين ، وأشهر رواة نافع ، أحد السبعة ، ولادته ووفاته (١١٠-١٩٧ هـ) . انظر : ترجمته في معرفة القراء الكبار ١/ ١٥٢ ، وغاية النهاية ١/ ٥٠٢ .

(٢) نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم الليثي بالولاء ، كنيته أبو رويم ، وقيل غير ذلك . أحد القراء السبعة الذين اعتمدتهم ابن مجاهد في كتابه ، مات سنة تسع وستين ومائة ، وقيل غير ذلك ، وانظر : ترجمته في معرفة القراء ١/ ١٠٧ ، وغاية النهاية ٢/ ٣٣٠ .

(٣) في (ب) : (وإذا) .

(٤) قراءة نافع كسر الهاء ، وأما الميم فالمشهور عنه الإسكان ، وروى عنه الضم ، وروى ورش عن نافع أن الميم إذا لقيها همزة ألحق بها واو . انظر : السبعة ١٠٨ ، ١٠٩ ، والحجة للفرسي ١/ ٥٨ ، والكشف ١/ ٣٩ .

(٥) في (ج) : (حركتها) .

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) .

(٧) انظر : الحجة للفرسي ١/ ١٠٧ ، والكشف ١/ ٣٩ .

(٨) وردت الآية في (ب) ﴿ عَلَيْهِمْ أَنْذَرْتَهُمْ أَمْ ﴾ وهو تصحيف .

(٩) في (ب) : (إليه) .

وكان حمزة والكسائي يضمنان^(١) الهاء والميم عند ألف الوصل^(٢) نحو: ﴿عَلَيْهِمْ
الَّذِلَّةُ﴾ [البقرة: ٦١] و﴿إِلَيْهِمْ أَنْتَيْنِ﴾ [يس: ١٤] و﴿مِنْ دُونِهِمْ أَمْرَاتَيْنِ﴾ [القصص: ٢٣]،
وحجتها أنه لما احتيج إلى تحريك الميم لالتقاء الساكنين كان تحريكها بحركة الأصل،
وهي الضم أولى^(٣)، ثم أتبع الهاء ضمة الميم استثقلاً للخروج من الكسر إلى
الضم^(٤).

وكان أبو عمرو^(٥) يكسرها عند ألف الوصل؛ لأنه يكسر الميم على أصل
تحريك الساكن بالكسر إذا لقيه ساكن آخر، ويكسر الهاء بتبع الكسر لثقل الضم
بعد الكسر^(٦).

وأما من كسر الهاء، وضم الميم عند ألف الوصل^(٧)، فإنه يقول: لما احتجت
إلى حركة الميم رددته إلى أصله، فضممت، وتركت الهاء على كسرها؛ لأنه لم تأتِ
ضرورة تحوُّج^(٨) إلى ردها إلى الأصل^(٩).

(١) في (ج): (يضمنون).

(٢) في (ج): (لوصل).

(٣) في (ب): (أولا).

(٤) انظر: حجة القراءات لابن زنجلة ٨٢، والكشف ٣٧/١، قال أبو علي الفارسي في الحجة: «تحريك
حمزة الميم في (عليهم ولديهم وإليهم) خاصة بالضم مستقيم حسن، وذلك أنه يضم الهاء في هذه
الأحرف ولا يكسرها، فإذا ضمها لم يكن في تحريك الميم إلا الضم ولم يجز الكسر...»، ثم أخذ
يحتج لموافقة الكسائي له في ذلك، الحجة ١١٧/١، ١١٨.

(٥) زبان بن العلاء، أحد السبعة سبقت ترجمته.

(٦) انظر: الحجة لأبي علي ١١٠/١، وحجة القراءات لابن زنجلة ٨٢.

(٧) وهي قراءة ابن كثير، ونافع، وعاصم، وابن عامر. انظر: السبعة ١٠٨، ١٠٩، والحجة
لأبي علي ٥٨/١.

(٨) في (ج): (تخرج).

(٩) انظر: الحجة لأبي علي ١٠٨/١، وحجة القراءات ٨٢.

فأما التفسير : فقال ابن عباس : ﴿الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ : هم قوم موسى وعيسى قبل أن يغيروا نعم الله عز وجل ^(١) .

وقال عكرمة : أنعمت عليهم بالثبات على الإيمان والاستقامة ^(٢) .

وقيل : هم الذين ذكرهم الله في قوله ^(٣) سبحانه : ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [النساء : ٦٩] .

وقال ابن جرير : في الآية اختصار ، معناه : صراط الذين أنعمت عليهم بالهداية إلى الصراط . والعرب تحذف من الكلام إذا كان في الباقي دليل عليه ^(٤) .
وستمر بك أشباه لهذا كثيرة .

(١) ذكره الثعلبي في الكشف ١ / ٣١ / ب ، وذكره ابن عطية في تفسيره وقال : حكاه مكي وغيره عن فرقة من المفسرين ، وقال ابن عباس : أصحاب موسى قبل أن يبدلوا . تفسير ابن عطية ١ / ١٢٢ ، وانظر : لباب التفاسير للكرماي ١ / ٩٨ (رسالة دكتوراه) .

(٢) ذكره الثعلبي في تفسيره ١ / ٣١ / ب .

(٣) ذكره الثعلبي في الكشف ولم يعزه لأحد ١ / ٣١ / ب ، وذكر الطبري بسنده عن ابن عباس يقول : «طريق من أنعمت عليهم بطاعتك وعبادتك من الملائكة والنبين والصديقين والشهداء والصالحين ، الذين أطاعوك وعبدوك» . تفسير الطبري ١ / ٧٦ ، (قال شاكر : الخبر ضعيف الإسناد) ، تفسير الطبري ١ / ١٧٨ ، أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١ / ٣١ ، وذكر السيوطي في الدر ١ / ٤٢ ، قال ابن عطية في تفسيره : هو قول ابن عباس وجهه المفسرين ١ / ١٢١ ، وانظر : تفسير القرطبي ١ / ١٢٩ .

(٤) انظر : تفسير الطبري ١ / ٧٦ . وذكر الواحدي كلام ابن جرير بالمعنى .

وقوله تعالى : ﴿عَنِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ (غير)^(١) ينخفض على ضربين^(٢) :
 على البذل من (الذين) ، ويستقيم أن يكون صفة (الذين) . و(غير) نكرة ، وجاز^(٣)
 أن يقع هاهنا صفة لـ (الذين) ؛ لأن الذين هاهنا ليس بمقصود قصدهم^(٤) ، فهو
 بمنزلة قولك : إني لأمرُّ بالرجل مثلك فأكرمه . ويجوز النصب على ضربين : على
 الحال ، والاستثناء^(٥) ، أما الاستثناء : فكأنك قلت : إلا المغضوب عليهم ،
 وهو^(٦) استثناء الشيء من غير جنسه ، وحق (غير) في الاستثناء النصب إذا كان
 ما بعد (إلا) منصوباً^(٧) .

وأما الحال : فكأنك قلت : صراط الذين أنعمت عليهم لا مغضوباً عليهم .

(١) قرأ نافع ، وعاصم ، وأبو عمرو ، وابن عامر ، وحزمة ، والكسائي (غير) بخفض الراء . وروي عن ابن كثير النصب والرفع . انظر : السبعة لابن مجاهد ١١١ ، والحجة للفارسي ١٤٢ / ١ ، والبحر المحيط ٢٩ / ١ .

(٢) ذكره أبو علي في الحجة عن أبي بكر بن السراج ، حيث قال : «قال أبو بكر في الحجة في الجر : إنهم قالوا : ينخفض على ضربين . . .» ، والكلام كله بنصبه في الحجة ١٤٢ / ١ ، وانظر : السبعة لابن مجاهد ١١٢ .

(٣) في (ج) : (ويجوز) .

(٤) أي : لم يقصد به قصد قوم بأعيانهم ؛ لأن (الذين) مع كونه معرفة فهو قريب من النكرة لأنه عام . انظر : معاني القرآن للفرأء ٧ / ١ ، ومعاني القرآن للزجاج ١٦ / ١ ، والبحر ٢٩ / ١ .

(٥) نسب ابن مجاهد القول بالنصب على الاستثناء إلى الأخفش ، وقال : هذا غلط . ابن مجاهد ١١٢ ، وانظر : إعراب القرآن للنحاس ١٢٥ / ١ ، والبحر ٢٩ / ١ .

(٦) قوله : «وهو استثناء الشيء . . . إلى قوله : إذا كان ما بعد (إلا) منصوباً» ليس من كلام ابن السراج ، وما قبله وما بعده كله لابن السراج ، انظر : الحجة ١٤٢ / ١ .

(٧) انظر : الأصول لابن السراج ٢٨٤ / ١ ، وإعراب القرآن للنحاس ١٢٥ / ١ ، والبحر ٢٩ / ١ .

قال ابن السراج^(١) : ويجوز عندي النصب على^(٢) (أعني) . وقد حكي عن الخليل نحو هذا ، أنه أجازته على وجه^(٣) القطع من الأول ، كما يجيء المدح . ولمن نصب أن يقول^(٤) : (غير) نكرة وكرهت أن أصف بها المعرفة .

والاختيار الكسر^(٥) . ولا يلزم وصف المعرفة بالنكرة ؛ لأن حكم كل مضاف إلى معرفة^(٦) أن يكون معرفة ، وإنما تنكرت (غير) و (مثل) مع إضافتهما إلى المعارف من أجل معناهما ، وذلك أنك إذا قلت : رأيت غيرك ، فكل شيء يرى سوى المخاطب هو غيره^(٧) ، وكذلك إذا قال : رأيت مثلك ، فما هو مثله لا يحصى ، يجوز أن يكون مثله في خلقه ، وخلقه ، وفي جاهه ، وفي نسبه ، وفي علمه ، فإنما صار^(٨) نكرتين من أجل المعنى . فأما إذا كان شيء معرفة له ضد واحد ، وأردت إثباته ونفي ضده ، وعلم السامع^(٩) ذلك الضد فوصفته بـ (غير)

(١) هذا وما قبله بنصبه مما نسبته أبو علي الفارسي في الحجة ، لأبي بكر محمد بن سهل بن السراج ، فالكلام كله لابن السراج ، نقل الواحدي أوله من دون عزو ، ثم عزا آخره له ، وهذا يلاحظ على منهج الواحدي في العزو . انظر : الحجة ١ / ١٤٢ ، ١٤٣ .

(٢) في الحجة : قال : ويجوز عندي النصب أيضاً على (أعني) . . . ، فذكر : (أيضاً) ؛ لأنه عطفه على كلام قبله ، ذكر فيه وجوهاً أخرى للنصب . انظر : ١ / ١٤٣ .

(٣) في الحجة : « . . . على وجه الصفة والقطع من الأول . . . » . ١ / ١٤٣ .

(٤) في الحجة : « . . . ومما يحتج به لمن يفتح أن يقال : (غير) نكرة ، فكره أن يوصف به المعرفة » . ١ / ١٤٣ .

(٥) هذا من كلام أبي بكر بن السراج واختياره حيث قال : « والاختيار الذي لا خفاء به الكسر ، ألا ترى أن ابن كثير قد اختلف عنه . . . » وقد اختصر الواحدي كلام ابن السراج . انظر : الحجة ١ / ١٤٣ .

(٦) في (ب) : (معرفة) .

(٧) في الحجة : « فكل شيء ترى سوى المخاطب فهو غيره » وفي الهامش ط : (تراه) ، انظر : الحجة ١ / ١٤٣ .

(٨) أي : (غير) و (مثل) .

(٩) في الحجة : « . . . وعلم ذلك السامع فوصفته بغير . . . » . ١ / ١٤٤ .

وأضفت (غير^(١)) إلى ضده ، فهو معرفة ، وذلك نحو قولك : عليك بالحركة غير السكون ، فغير السكون معرفة ، وهو^(٢) الحركة ، فكأنك كررت الحركة تأكيداً .

وكذلك قوله : « أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ » فغير المغضوب عليهم ، هم الذين أنعم عليهم ؛ لأن من أنعم عليه بالإيمان ، فهو غير مغضوب عليه ، فهو مساو له في معرفته ، ومتى كانت (غير) بهذه الصفة ، وقصد هذا القصد فهي معرفة^(٣) . وكذلك لو عرف إنسان بأنه مثلك في ضرب من الضروب فقليل فيه^(٤) : قد جاء مثلك ، لكان معرفة ، إذا أردت المعروف بشبهك^(٥) ، والمعرفة والنكرة بمعانيهما^(٦) . ومن جعل (غير) بدلاً استغنى عن هذا الاحتجاج^(٧) ؛ لأن النكرة قد تبدل من المعرفة . انتهى كلام ابن السراج^(٨) .

قال صاحب^(٩) الحجة : «أما الخفض في^(١٠) (غير) فعلى البدل أو الصفة ، والفصل بين البدل والصفة - في قول سيبويه -^(١١) أن البدل في تقدير تكرير

(١) في (أ) : (غيراً) .

(٢) في الحجة (وهي) ١٤٤ / ١ .

(٣) في الحجة : « . . فالذين أنعم عليهم لا عقيب لهم إلا المغضوب عليهم ، فكل من أنعم عليه بالإيمان فهو غير مغضوب عليه ، وكل من لم يغضب عليه فقد أنعم عليه . فغير المغضوب عليهم هم الذين أنعم عليهم ، فهو مساو له في معرفته . هذا الذي يسبق إلى أفئدة الناس وعليه كرمهم . فمتى كانت (غير) بهذه الصفة وقصد بها هذا القصد ، فهي معرفة . . . » فالواحد نقل كلام ابن السراج بتصرف واختصار . انظر : الحجة ١٤٤ / ١ .

(٤) في (أ) ، و (ج) : (منه) وما في (ب) موافق لما في الحجة ١٤٤ / ١ .

(٥) في (ج) : (يشبهك) .

(٦) جاء في الحجة بعده : « فكل شيء خلص لك بعينه من سائر أمته فهو معرفة . . . » . ١٤٤ / ١ .

(٧) في ب : (الاحتياج) .

(٨) في (ب) : (ابن الشهاب السراج) تصحيف . وفي الحجة : (انتهت الحكاية عن أبي بكر) ١٤٤ / ١ .

(٩) أبو علي الفارسي ، الحجة ١٤٥ / ١ .

(١٠) في (ب) : (من غير) .

(١١) نص كلام أبي علي . . والفصل بين البدل في تقدير تكرير العامل ، وليس كالصفة ، ولكن كأنه في =

العامل ، بدلالة^(١) حرف الجر في قوله سبحانه : ﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ آسَافُوا مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ آسَافُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ ﴾^(٢) [الأعراف : ٧٥] ؛ فهو يفارق الصفة من هذا الوجه^(٣) .

وأيضاً^(٤) فإن النكرة تبدل من المعرفة ، والمظهر من المضمير^(٥) ، وهذا مما لا يجوز في الصفة ، لا يجوز وصف المعرفة بالنكرة ، ولا وصف المضمير بالظاهر^(٦) .

وكما أعيدت اللام الجارة في البدل^(٧) ، فكذلك يكون العامل الناصب^(٨) والرافع في تقدير التكرير . ويشترك البدل مع الصفة في أن كل واحد منهما تبين^(٩) للأول^(١٠) .

- =
- التقدير من جملتين بدلالة تكرير حرف الجر ... إلخ ، فلم يرد ذكر قوله : (في قول سيبويه) ، وقد ورد ذكر سيبويه في كلام أبي علي بعد هذا الموضع . انظر : الحجة ١ / ١٤٥ ، والكتاب ٢ / ١٤ ، ٣٨٦ .
- (١) في (ج) : (بدلال) .
- (٢) الشاهد من الآية قوله : (لمن آمن) ، فهو بدل من (الذين استضعفوا) بإعادة حرف الجر وهو اللام ، بدل بعض من كل ؛ لأن في المستضعفين من ليس بمؤمن ، هذا على عود الضمير في (منهم) إلى (الذين استضعفوا) ، فإن عاد الضمير إلى (قومه) كان بدل كل من المستضعفين ، انظر : فتح القدير ٢ / ٣٢١ .
- (٣) قوله : (فهو يفارق الصفة من هذا الوجه) ليس في الحجة ١ / ١٤٥ ، والوجه المراد هو ما ذكره : من أن البدل في تقدير تكرير العامل .
- (٤) نص كلام أبي علي في الحجة قال بعد أن ذكر الآية : « وبدلالة بدل النكرة من المعرفة » . ١ / ١٤٥ .
- (٥) في (ب) : (المظهر) .
- (٦) قوله : « لا يجوز وصف المعرفة بالنكرة ، ولا وصف المضمير بالمظهر » . ليس في الحجة ١ / ١٤٥ .
- (٧) في الحجة : (في الاسم) ١ / ١٤٥ .
- (٨) في الحجة : (الرافع أو الناصب) ١ / ١٤٥ .
- (٩) في (ب) : (يبين) .
- (١٠) ذكر كلام أبي علي بمعناه . انظر : الحجة ١ / ١٤٥ .

فمن جعل^(١) (غير) في الآية^(٢) بدلاً ، كان تأويله بيّناً ؛ وذلك أنه لا يخلو من أن يجعل (غير)^(٣) معرفة^(٤) أو نكرة ؛ فإن جعله معرفة ، فبدل المعرفة من المعرفة سائغ^(٥) ، وإن جعله نكرة فبدل النكرة من المعرفة مشهور^(٦) .

وأما من قدر (غير) صفة لـ (الذين)^(٧) فإنها جاز أن يصف (الذين) بـ (غير)^(٨) من حيث لم يكن (الذين) مقصوداً قصدهم^(٩) . فصار مشابهاً للنكرة ، من حيث اجتمع معه في أنه لم يرد به شيء معين .

(١) انتقل إلى موضع آخر في الحجة ١٤٩/١ .

(٢) أي : قوله تعالى : ﴿عَبْرَ الْمَوْصُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ .

(٣) في الحجة (غيراً) .

(٤) في (ب) : (معرفة في الآية بدل أو نكرة) .

(٥) في (ب) : (شائع) ، وفي الحجة : «سائغ مستقيم كقوله : ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة : ٦-٧] ، ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران : ٩٧]» . ١٤٩/١ .

(٦) انظر بقية كلام أبي علي في : الحجة ١٤٩/١ .

(٧) أي : في قوله ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة : ٧] .

(٨) كلام أبي علي : «وأما من قدر (غير) صفة لـ (الذين) ، وقدره معرفة لما ذكره أبو بكر - يريد ابن السراج كما نقل كلامه في ما سبق - فإن وصفه لـ (الذين) بـ (غير) كوصفه له بالصفات المخصوصة ، وقد حمله سيويوه على أنه وصف . ومن لم يذهب بـ (غير) هذا المذهب ، ولم يجعله مخصوصاً ، استجاز أن يصف (الذين) بـ (غير) من حيث لم يكن الذين مقصوداً قصدهم . . . » ١٠٣/١ ، فاختصر الواحددي كلام أبي علي فقارن بينهما .

(٩) أي : لم يقصد به قصد قوم بأعيانهم .

ونظير ذلك مما دخله الألف واللام ، فلم يختص بدخولهما عليه ^(١) ، لما لم يكن مقصوداً قصده ^(٢) ، قولهم : قد أمر ^(٣) بالرجل مثلك فيكرمني ^(٤) ، فوصف الرجل بمثلك لما لم يكن معيناً ^(٥) .

ومما ^(٦) جاء (غير) فيه صفة ^(٧) قوله : ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ﴾ [النساء : ٩٥] فمن رفع (غير) ^(٨) كان وصفاً للقاعدين ، والقاعدون غير مقصود قصدهم ^(٩) ، كما كان قوله : ﴿الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ كذلك . والتقدير : لا يستوي القاعدون من المؤمنين الأصحاء ، والمجاهدون ^(١٠) .

وأما من نصب (غير) على الاستثناء ، فإن الفراء ينكر جواز ^(١١) ذلك ، وقال : لو كان (غير) هاهنا منصوباً على الاستثناء كان بمعنى (سوى) فلم يجوز أن يعطف

(١) أي : لم يختص بواحد بعينه وإنما عرفته (ال) تعريف جنس . انظر : سر صناعة الإعراب ١ / ٣٥٠ .

(٢) أي : ما دخله الألف واللام لم يقصد به قصد قوم بأعيانهم ، فلم يختص بدخول الألف واللام عليه .

(٣) في (ج) : (أصر) .

(٤) في الحجة : «... فيكرمني ، عند سيويه ، فوصف الرجل...» ، الحجة ١ / ١٥٤ . وانظر : الكتاب ١٣ / ٢ ، وتعليق عبدالسلام هارون عليه .

(٥) انظر بقية كلام أبي علي في : الحجة ١ / ١٥٤ وما بعدها .

(٦) في (ب) : (وما غير) .

أورد أبو علي الآية ، بعد أن تكلم عن نصب (غير) بالاستثناء . وخرج الآية على الوجهين ، الرفع والنصب . انظر : الحجة ١ / ١٦٠ .

(٧) في (ج) : (لا يستوي المؤمنون القاعدون من المؤمنين) تصحيف في الآية .

(٨) كذا وردت بالنصب في النسخ جميعها ، الحجة ١ / ١٦٠ .

(٩) أي : لم يقصد به قصد قوم بأعيانهم ، وإنما المراد من اتصف بهذه الصفة وهي القعود عن الجهاد وهو غير ذي ضرر .

(١٠) في (ب) : (المجاهدين) .

(١١) أنكر الفراء ذلك راداً على أبي عبيدة في ما ادعاه : أن (غير) في قوله : ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ بمعنى

(سوى) وأن (لا) في قوله : ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾ صلة . انظر : كلام الفراء في معاني القرآن ٨ / ١ ، وكذلك

رد عليه الطبري ناقلاً عن الفراء ، انظر : تفسير الطبري ٨١ / ١ ، وانظر : مجاز القرآن ١ / ٢٥ .

عليه بقوله : (ولا^(١)) لأن (لا) نفي وجحد ، ولا يعطف بجحد إلا على جحد ، ولا يجوز في الكلام استثناء يعطف عليه بجحد ، كما تقول : [رأيت القوم إلا زيداً ولا عمراً ، وإنما يعطف الجحد على الجحد ، كما تقول :]^(٢) ما قام أبوك ولا أخوك^(٣) .

ومن أجاز^(٤) الاستثناء فإنه يقول : لا يمتنع دخول (لا)^(٥) بعد الحرف العاطف^(٦) ؛ لأن الاستثناء يشبه النفي ، ألا ترى أن قولك : جاءني القوم إلا زيداً ، بمنزلة قولك : جاءني القوم لا زيد . فيجوز أن تعطف^(٧) بـ (لا) حملاً على المعنى ، ويجوز أن تجعلها زيادة في هذا الوجه^(٨) ، كما تجعلها زيادة في قوله : ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ ﴾^(٩) [فاطر : ٢٢] .

= وأما أبو علي ، فيأخذ بقول أبي عبيدة كما سيأتي كلامه ، ومنه قوله : « ومن جعل (غير) استثناء لم يمتنع على قوله دخول لا بعد الحرف العاطف . . . » الحجة ١ / ١٦٣ .

- (١) يريد قوله : ﴿ وَلَا الْمَكَايِنَ ﴾ . انظر : معاني القرآن للفرّاء ٨ / ١ ، وتفسير الطبري ٧٩ / ١ ، ١٩٠ .
- (٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) .
- (٣) انظر : تفسير الطبري ٧٩ / ١ .
- (٤) هذا من كلام أبي علي في الحجة ١ / ١٦٣ .
- (٥) في (ب) : (إلا) تصحيف .
- (٦) كما في قوله : ﴿ وَلَا الْمَكَايِنَ ﴾ .
- (٧) في (ب) : (يعطف) وفي الحجة : « أن تدخل لا » . ١ / ١٦٣ .
- (٨) هذا رأي أبي عبيدة ، انظر : مجاز القرآن ٢٥ / ١ ، دافع عنه أبو علي في وجه المنكرين له كالفرّاء . انظر : الحجة ١ / ١٦٣ .
- (٩) استدل أبو علي بالآية على أن (لا) زائدة ، وهذا ليس بالاتفاق فهناك من يقول : ليست زائدة . انظر : تفسير الطبري ١٢٩ / ٢٢ .

وإذا جاز دخول (لا)^(١) مع الاستثناء لهذين الوجهين^(٢) فلا وجه لقول من أنكره^(٣).

وكذلك^(٤) يجوز زيادة (لا) في قول من جعل (غير) حالاً أو صفة أو بدلاً . وقد دخلت (لا) زائدة في مواضع كثيرة في التنزيل وغيره ، من ذلك قوله^(٥) : ﴿إِنَّمَا يَعْلَمُ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾ الآية [الحديد: ٢٩] . والذين يجوزون زيادة (لا) يقولون : إنما تجوز إذا تقدمه نفي^(٦) كقوله :

مَا كَانَ يَرْضَى رَسُولُ اللَّهِ دِينَهُمْ وَالطَّيْبَانِ أَبُو بَكْرٍ وَلَا عُمَرُ^(٧)

(١) في (ب) : (لا) تصحيف .

(٢) والوجهان هما :

١ . أن الاستثناء يشبه النفي ، فتدخل (لا) حملاً على المعنى .

٢ . جعلها زيادة . انظر : الحجة ١ / ١٦٣ .

(٣) ممن أنكره الفراء .

(٤) في (ب) : (ولذلك) .

(٥) انظر : معاني القرآن للفراء ٣ / ١٣٧ ، والكتاب ١ / ٣٩٠ .

(٦) هذا قول الفراء . انظر : معاني القرآن ٨ / ١ ، وكذا الطبري انظر : تفسيره ٨١ / ١ . وقوله : «الذين يجوزون زيادة (لا) . . . مع البيت بعده» لم يرد في كلام أبي علي الفارسي . انظر : الحجة ١ / ١٦٣ ، ١٦٤ .

(٧) البيت لجرير يهجو الأخطل ، وقد استشهد الفراء بالبيت على جواز زيادة (لا) إذا تقدمها نفي . انظر : معاني القرآن للفراء ٨ / ١ ، وورد البيت في تفسير الطبري ٨٢ / ١ ، والأضداد لابن الأنباري ٢١٥ ، ونقائض جرير والأخطل ١٧٤ ، وديوان جرير ٢٠١ .

وليس الأمر كذلك^(١) فقد جاء زيادتهما في الإيجاب كما في النفي ، قال ساعدة الهذلي^(٢) :

أفعنك لا برق كأن وميضه غاب تشيمه^(٣) ضرام مثقب^(٤)
وأنشد أبو عبيدة :

ويلحيني في اللهو ألا أحبه وَلِلَّهِوَ دَاعٍ دَائِبٌ غَيْرُ غَافِلٍ^(٥)
وقال الله تعالى : ﴿ مَا مَنَعَكَ أَلا تَسْجُدَ ﴾^(٦) [الأعراف: ١٢] ، وفي الأخرى ﴿ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ ﴾ [ص: ٧٥] وهذا الحرف^(٧) - أعني : (لا) - يدخل^(٨) في النكرة على وجهين :

- (١) هذا رأي الواحدي كما هو رأي أبي عبيدة ، وأبي علي الفارسي ، حيث اتفقوا على جواز زيادة (لا) في الإيجاب . انظر : مجاز القرآن ٢٥-٢٧ ، والحجة ١ / ١٦٤ ، والكلام منقول منها .
- (٢) هو ساعدة بن جؤية الهذلي ، شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام ، وأسلم ، وليست له صحة . انظر : ترجمته في شرح أشعار الهذليين للسكري ٣ / ١٠٩٧ ، والإصابة ٢ / ٤ ، والخزانة ٣ / ٨٦ .
- (٣) في (ب) : (تسنمه) بالسين والنون ، وفي (أ) : (تشيمه) على الروايتين ، وقد وردت في الحجة (تسنمه) كما في (ب) ، وأكثر المصادر (تشيمه) .
- (٤) قوله : (أفعنك) : عن ناحيتك . و(لا) زائدة . تشيمه أي : دخل في . والضرام : النار في الحطب الدقيق . ورد البيت في شرح أشعار الهذليين للسكري ٣ / ١١٠٣ ، والأضداد لابن الأنباري ٢١٣ ، والحجة لأبي علي ١ / ١٦٤ ، والمخصص ١٤ / ٦٥ ، واللسان (شيم) ٤ / ٢٣٨٠ ، والبحر المحيط ٤ / ٢٧٣ .
- (٥) البيت للأحوص ، ومعنى قوله : ويلحيني : يعذلني . ورد البيت في شعر الأحوص ١٧٩ ، ومجاز القرآن ١ / ٢٦ ، وتفسير الطبري ١ / ٨١ ، والكامل ١ / ٨٠ ، والأضداد لابن الأنباري ٢١٤ ، والحجة لأبي علي ١ / ١٦٤ .
- (٦) في (ب) : (أن تسجد) .
- (٧) من الحجة ١ / ١٦٦ .
- (٨) في (أ) ، و(ج) : (تدخل) وفي الحجة (يدخل) ١ / ١٦٦ .

أحدهما : أن يكون^(١) زائداً كما ذكرنا في بيت الهذلي^(٢) .

والآخر : أن يكون^(٣) غير زائد ، فإذا لم يكن زائداً كان على ضربين :

أحدهما : أن يكون (لا) مع الاسم بمنزلة اسم واحد نحو : خمسة عشر^(٤) ،
وذلك نحو قولهم : غضب من لا شيء ، وجئت بلا مال ، فـ (لا) مع الاسم
المنكور في موضع جر بمنزلة خمسة عشر^(٥) .

والآخر : ألا تعمل^(٦) (لا) في اللفظ ، ويراد بها معنى النفي ، فيكون صورتها
صورة الزيادة ، ومعنى النفي فيه مع ذلك صحيح ، وذلك كقول النابغة :

أَمْسى بَيْلَدَةٌ لَا عَمٌّ وَلَا خَالٌ^(٧)

(١) في (ب) : (تكون) بالتاء ، وفي الحجة (يكون) ١٦٦/١ .

(٢) بيت الهذلي قوله : ويلحيني في اللهو ألا أحبه . البيت . وفي الحجة : (كما مر في بيت جرير) وبيت جرير
الذي يعنيه هو قوله :

ما بال جهلك بعد الحلم والدين قَدْ عَالَاكَ مَشِيْبٌ حَيْنَ لَا حَيْنَ

انظر : الحجة ١٦٤/١ ، ١٦٦ .

(٣) في (ب) : (بالتاء) في المواضع كلها ، وكذا في الحجة : «أن تكون غير زائده ، فإذا لم تكن زائدة . . .» .
١٦٦/١ .

(٤) انظر : الكتاب ٢٧٦/٢ .

(٥) (عشر) ساقط من (ب) ، و(ج) .

(٦) في (ب) : (يعمل) .

(٧) البيت للنابغة الذبياني يرثي أخاه وصدده :

بعد ابن عاتكة الثاوي لدى أبوي

وعاتكة : أمه . وأبوي : اسم موضع . انظر : ديوان النابغة ١٥١ ، والحجة لأبي علي ١٦٧/١ والخزانة
٥٠/٤ ، ومعجم البلدان ٨٠/١ .

وقال الشماخ^(١) :

إذا ما أَدْجَحْتُ وَصَفْتُ يداها لها إدلاجَ ليلةٍ لا هَجُوعٍ^(٢)

وقال صاحب النظم^(٣) : دخلت (لا) في قوله : ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾ لمعنى من المعاني ، وهو أنها منعت من ميل الوهم إلى غير ما نظم عليه الكلام ، وذلك أن قوله : ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾ معطوف على قوله : ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ وفي (غير) تأويل جحد ، فدخلت (لا) على الضالين ، ليعلم أنها معطوفة على (غير) ، ولو لم تدخل (لا) لاحتمل أن يكون قوله : (والضالين) منسوقاً^(٤) على قوله : ﴿صِرَطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ ، فلما احتمل ذلك أدخل فيه (لا) ليحسم هذا الوهم^(٥) ، وهو كما قال :

ما كان يَرْضَى رسولُ الله فعلهم والطيبان أبو بكرٍ ولا عُمرُ^(٦)

أدخل (لا)^(٧) في قوله : ولا عمر ؛ لأنه لو لم يدخل لاحتمل أن يكون انقطاع القصة عند تمام قوله : ما كان يرضى رسول الله فعلهم ، ثم ابتداء كلاماً آخر على

(١) اسمه معقل بن ضرار الغطفاني ، وهو مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام وله صحبة ، شهد وقعة القادسية ، وتوفي في زمن عثمان رضي الله عنهما . انظر : ترجمته في الشعر والشعراء ١٩٥ ، وطبقات فحول الشعراء ١/ ١٣٢ ، والخزانة ٣/ ١٩٦ .

(٢) الإدلاج : السير من الليل . وصفت يداها : أي أجادت السير . وصف الناقة في سيرها وجدها في السير . ليلة لا هجوع : لا نوم فيها . ورد البيت في ديوان الشماخ ٢٢٦ ، والحجة لأبي علي ١/ ١٦٨ ، والصحاح (وصف) ٤/ ١٤٣٩ ، وأساس البلاغة ٢/ ٥١١ ، واللسان ٨/ ٤٨٥٠ ، والتاج ١٢/ ٥٢٣ ، وفي الخزانة ٤/ ٥٠ . وبهذا البيت انتهى ما نقله عن الحجة ١/ ١٦٨ .

(٣) هو أبو علي الحسن بن يحيى الجرجاني ، سبق الحديث عنه في مصادر الواحدي .

(٤) في (ب) : (مسيوقاً) .

(٥) انظر : البحر المحيط ١/ ٢٩ .

(٦) البيت لجرير يهجو الأخطل ، وسبق تخريجه قريباً ، والرواية هناك (دينهم) بدل (فعلهم) .

(٧) (لا) ساقط من (ب) .

معنى المبتدأ وخبره ، فيكون معناه حينئذ : و^(١) الطيبان أبو بكر وعمر ؛ أي : أنهما هما الطيبان دون غيرهما . فلما دخلت (لا) علم أن عمر داخل في المعنى الذي أضيف إلى^(٢) رسول الله من أنه لا يرضى فعلهم على تأويل ، ولا يرضى -أيضاً- فعلهم الطيبان أبو بكر وعمر^(٣) .

وأما معنى الغضب من الله تعالى ، فهو إرادة العقوبة ، وتسمى العقوبة غضباً على التوسع^(٤) . وإنما لم يقل : المغضوبين كما قال : ولا الضالين ؛ لأن كل فعل تعدى إلى المفعول بحرف الجر فإن جمعه وتثنيته وتأنيثه في المكنى المتصل بحرف الجر^(٥) ، كقولك^(٦) : المأخوذ منه ، والمأخوذ منهما ، والمأخوذ منهم ، والمأخوذ منهن . وكذلك تقول في : المرور^(٧) به ، والمقعود^(٨) عليه ، والمتوجه^(٩) إليه وما أشبهها^(١٠) .

(١) (الواو) مكررة في (ج) .

(٢) في (ب) : (ان) .

(٣) قوله : (وعمر) ساقط من (ب) .

(٤) بل ثبت الغضب لله كما أثبتته لنفسه ، ولا نؤوله بإرادة العقوبة ، ومنهج السلف إثبات الصفات لله التي وصف بها نفسه ، أو وصفه بها رسوله ﷺ من غير تأويل ولا تكييف ولا تشبيه ، ولا يلزم من ثبوتها مشابهة الخلق . انظر : الرسالة التدمرية ٣١-٣٣ ، وتفسير الطبري ١/ ١٨٩ .

(٥) فلم يجمع فيقال : المغضوبين ؛ لأنه لا يتعدى إلا بحرف الجر ، فتعدى إلى الضمير بحرف الجر ، وظهر جمعه في الضمير في قوله : عليهم . انظر : إعراب القرآن للنحاس ١/ ١٢٥ ، ومشكل إعراب القرآن لمكي ١/ ١٣ ، والبيان في غريب القرآن ١/ ٤١ .

(٦) في (ب) : (كقوله) .

(٧) في (ب) : (المروية) وفي (ج) : (المسدوريه) .

(٨) في ب (المفعور) .

(٩) في (ج) : (التوجه) .

(١٠) في (ب) : (وما أشبهها) . ما أشبهها مما فعله لازم يتعدى لمفعوله بحرف الجر ، فإن جمعه وتثنيته في الضمير بعده المتصل بحرف الجر .

والعلة فيه أن تمام الاسم عند ذكر المكنى ، علامة التثنية والجمع والتأنيث تلحق^(١) آخر الأسماء عند تمامها . وقال النحويون : هذا وأمثاله بمنزلة الفعل المقدم ، نحو قولك : ضرب أخواك ، وضرب إخوتك^(٢) . و(عليهم) في الموضع رفع ، لأنه بمنزلة اسم ما لم يسم فاعله^(٣) .

وقوله : ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾ أصل الضلال في اللغة الغيوبة ، يقال : ضل الماء في اللبن إذا غاب ، وضل الكافر : غاب عن المحجة^(٤) . ومن هذا قوله تعالى : ﴿أَيُّدَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ﴾ [السجدة : ١٠] أي : غبنا فيها بالموت ، وصرنا تراباً وعظاماً ، فضللنا في الأرض ، ولم يتبين^(٥) شيء من خلقنا ، ويقال : أضللت الشيء إذا غيبته ، وأضللت الميت إذا غيبته^(٦) في التراب ودفنته^(٧) . وقال المخبل^(٨) :

أَضَلَّتْ بَنُو قَيْسٍ بِنِ سَعْدٍ عَمِيدَهَا وَفَارِسَهَا فِي الدَّهْرِ قَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ^(٩)

- (١) في (ب) : (بجلق) .
- (٢) فتلحق علامة التثنية والجمع آخر الفاعل عند تقدم الفعل عليه .
- (٣) انظر : إعراب القرآن للنحاس ١/ ١٢٥ ، والمشكل لمكي ١/ ١٣ ، والبيان ١/ ٤١ .
- (٤) ذكره الأزهري عن أبي عمرو ، تهذيب اللغة (ضل) ٣/ ٢١٣٠ ، وانظر : اللسان (ضلل) ٥/ ٤٦٠٤ ، وفي اللسان : ضل الكافر إذا غاب عن الحجة ، وكذا في التهذيب .
- (٥) في (ب) : (نبن) .
- (٦) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) .
- (٧) انظر : تهذيب اللغة (ضل) ٣/ ٢١٣٠ ، وتأويل مشكل القرآن ٤٥٧ ، ومعجم مقاييس اللغة (ضل) ٣/ ٣٥٦ ، واللسان (ضلل) ٥/ ٤٦٠٢ .
- (٨) المخبل : المجنون ، وبه لقب الشاعر ، واسمه ربيع بن ربيعة بن عوف ، شاعر مخضرم ، أدرك الإسلام ، توفي في خلافة عمر أو عثمان رضي الله عنهما ، انظر : ترجمته في الشعر والشعراء ٢٦٩ ، وطبقات فحول الشعراء ٦١ ، والإصابة ١/ ٤٩١ ، الخزانة ٦/ ٩٣ .
- (٩) ورد البيت في تهذيب اللغة (ضل) ١١/ ٤٦٥ ، واللسان (ضلل) ٤٦٠٤ ، وقيس بن عاصم هو قيس بن عاصم بن سنان بن خال بن منقر ، سيد قومه ، ورد على النبي ﷺ فقال : «هذا سيد أهل الوبر» . انظر : الخزانة ٨/ ١٠٢ .

فالضال هو الغائب عن الحق الزائع عن الرشد ، ويقال : ضَلَّ يَضِلُّ ، وضَلَّ يَضِلُّ لغتان ، وضللنا وضللنا^(١) .

فأما التفسير فروى عدي بن حاتم^(٢) عن النبي ﷺ في تفسير ﴿الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ قال : اليهود ، ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾ قال : النصارى^(٣) .

وروي أن رسول الله ﷺ كان بوادي القرى^(٤) على فرسه^(٥) ، [فسأله رجل^(٦)] من بلقين^(٧) فقال : يا رسول الله ؛ من هؤلاء الذين يقاتلونك ؟ قال : «المغضوب عليهم» وأشار إلى اليهود ، فقال : من هؤلاء الطائفة الأخرى ؟ قال : «الضالون» وأشار إلى النصارى^(٩) .

(١) انظر : معجم مقاييس اللغة (ضل) ٣/٣٥٦ ، واللسان (ضلل) ٥/٢٦٠١ ، والقاموس ١٠٢٤ .

(٢) عدي بن حاتم بن عبد الله الطائي ، الأمير الشريف ، وأبوه حاتم الطائي المشهور بالجوذ ، وفد على النبي ﷺ في وسط سنة تسع فأكرمه . له أحاديث . في وفاته أقوال ، أشهرها سنة سبع وستين . انظر : ترجمته في تاريخ بغداد ١/١٨٩ ، وجهرة أنساب العرب ٤٠٢ ، وطبقات ابن سعد ٦/٢٢ ، والإصابة ٢/٤٦٨ ، وسير أعلام النبلاء ٣/١٦٢ .

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره ١/٨٢ بسنده من طرق ، قال أحمد شاكر في تعليقه على تفسير الطبري : إسناده صحيح ، تفسير الطبري ١/١٨٥ ، ١٨٦ ، وأخرجه ابن أبي حاتم بسنده في تفسيره ١/٣١ ، وقال : «لا أعلم بين المفسرين في هذا الحرف اختلافاً» . تفسير ابن أبي حاتم ١/١٦٣ ، وأخرجه الثعلبي بسنده في تفسيره ١/٣٢ ب ، وهو جزء من حديث طويل أخرجه الترمذي في سننه : (٢٩٥٣) أبواب تفسير القرآن ، تفسير سورة الفاتحة ، قال الترمذي : «هذا حديث حسن غريب» . وأخرجه أحمد في مسنده ٤/٣٧٨ .

(٤) واد بين المدينة والشام من أعمال المدينة كثير القرى ، فتحها النبي ﷺ سنة سبع عنوة ، ثم صلحوا على الجزية . انظر : معجم البلدان ٥/٣٤٥ .

(٥) في (ب) : (قرينه) .

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) .

(٧) كذا جاءت في تفسير الثعلبي ١/٣٣ أ ، وتفسير الطبري (من بني القين) ، قال في الصحاح : يقال لبني القين من بني أسد : بلقين . الصحاح (قين) ٦/٢١٨٥ .

(٨) في (ب) : (لرسول الله ﷺ) .

(٩) ذكره الثعلبي بسنده في تفسيره ١/٣٣ أ ، وأخرجه الطبري في تفسيره ١/٨٠ بروايات مختلفة بعضها =

قال المفسرون : وتصديق هذا حكم الله عز وجل بالغضب على اليهود^(١) في قوله : ﴿مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٦٠] ، وحكمه على النصارى بالضلال في قوله : ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ﴾ [المائدة: ٧٧] الآية ، وهذا قول ابن عباس وابن مسعود ومجاهد وغيرهم^(٢) .

وهذا التفسير يوافق في ظاهر اللفظ قراءة من قرأ (غير) بالنصب على معنى الاستثناء^(٣) ، [كأنه استثنى]^(٤) اليهود والنصارى من الذين أنعم عليهم ، وكأن المسلمين^(٥) سألوا أن يهديهم طريق المنعم عليهم لا طريق اليهود والنصارى ، وهذه قراءة شاذة^(٦) .

مرسلة وبعضها متصلة بإسناد صحيح . وانظر : تفسير الطبري مع تحقيق محمود شاكر ١/ ١٨٦ ، ١٨٧ .

وأخرجه أحمد في مسنده ٥/ ٧٧ ، وذكره ابن كثير موصولاً في تفسيره ١/ ٣٢ ، وانظر : الدر ١/ ٤٢ .
(١) انظر : تفسير الطبري ١/ ٧٩ ، ٨١ ، وتفسير الثعلبي ١/ ٣٣ ، أ ، وتفسير ابن عطية ١/ ١٢٦ ، وتفسير البغوي ١/ ٥٥ ، والكشاف ١/ ٧١ ، وتفسير القرطبي ١/ ١٣٠ ، وتفسير ابن كثير ١/ ٣٢ .

(٢) انظر أقوالهم في : تفسير الطبري ١/ ٨٠ ، ٨٣ ، وتفسير ابن عطية ١/ ١٢٦ ، وتفسير ابن كثير ١/ ٣٢ ، والدر ١/ ٤٢ ، ٤٣ . قال ابن أبي حاتم بعد أن ذكر قول ابن عباس : « لا أعلم بين المفسرين في هذا الحرف اختلافاً » . تفسير ابن أبي حاتم ١/ ٣١ ، وللرازي أقوال في تفسير المغضوب عليهم والضالين ، تخالف ما ورد بالنص ، وما عليه جمهور المفسرين ، انظر : تفسيره ١/ ٢٦١ .

(٣) قراءة (غير) بالنصب مروية عن ابن كثير ، انظر : السبعة لابن مجاهد ١١٢ ، والحجة لأبي علي ١/ ١٤٢ ، قال في البحر : « وهي قراءة عمر وابن مسعود وعلي وعبدالله بن الزبير » . البحر ١/ ٢٩ ، واختلف في تخريجها ، فيرى الزجاج ، والأخفش ، وبعض البصريين أنه منصوب على الاستثناء ، ونصره أبو علي الفارسي في الحجة ، ومنعه الفراء ، والأرجح أنها حال من الضمير في (عليهم) . انظر : تفسير الطبري ١/ ٧٨ ، والحجة ١/ ١٤٢ ، ومعاني القرآن للأخفش ١/ ١٦٦ ، والفراء ١/ ٨ ، والزجاج ١/ ١٦ ، والبحر ١/ ٢٩ .

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) .

(٥) في (أ) ، و(ج) : (المسلمون) .

(٦) ممن قال بشذوذها الطبري حيث قال : « وقد يجوز نصب (غير) في ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ وإن كنت للقراءة بها كارهاً لشذوذها عن قراءة الفراء . . . » . تفسير الطبري ١/ ٧٨ ، وكذلك عدّها عبدالفتاح القاضي من الشواذ ، حيث ذكرها في كتابه القراءات الشاذة ١٩ . وقراءة النصب مروية عن ابن كثير .

وتصحیح هذا التفسير على القراءة المعروفة هو أن^(١) المعنى : اهدنا صراط
المنعم عليهم ، الذين لم تغضب^(٢) عليهم ولم يضلوا^(٣) . فلما وصفوا بنفي الغضب
عليهم والضلال كان في ضمن ذلك^(٤) إثباتها لغيرهم ، كما تقول في الكلام : أنا
غير كاذب ، يجوز أن تريد بنفي الكذب عنك إثباته لغيرك ممن تخاطبه ، وفي هذا
حجة للقائلين بالمفهوم وفحوى الخطاب^(٥) . ثم مَنْ المغضوب عليهم ؟ ومَنْ
الضالون ؟^(٦) قد بينه النبي ﷺ ، وذكره المفسرون^(٧) .

* * *

انظر السبعة لابن مجاهد ١١٢ ، والحجة لأبي علي ١٤٢ ، وقال في الكشف : «وهي قراءة رسول الله
ﷺ ، وعمر بن الخطاب ، ورويت عن ابن كثير» . الكشف ٧١ / ١ ، وانظر : البحر ٢٩ / ١ . وأنكر
بعضهم أن تكون منصوبة على الاستثناء ، ورجحوا نصبها على الحال ، وعلى هذا حملها الطبري ،
انظر : تفسيره ٧٨ / ١ ، والكشاف ٧١ / ١ ، وتفسير ابن كثير ٣١ / ١ .

(١) (أن) ساقط من (ب) .

(٢) في (ب) : (يغضب) .

(٣) انظر : تفسير الطبري ٧٨ / ١ ، وتفسير ابن كثير ٣١ / ١ .

(٤) (ذلك) ساقط من (ب) .

(٥) في (ج) : (فحوى) . والخطاب عند الأصوليين منطوق ومفهوم ، والمفهوم قسآن : مفهوم موافقة ، وهو
ما كان المسكوت عنه موافقاً للمنطوق في الحكم ، ويسمى : فحوى الخطاب ولحن الخطاب ، وهو
حجة عند الأكثر . ومفهوم مخالفة : وهو أن يكون المسكوت عنه مخالفاً للمنطوق في الحكم ، ويسمى
دليل الخطاب ، وهو أقسام ، وفيه خلاف . انظر : المختصر في أصول الفقه لابن اللحام ١٣٢ .

(٦) في (ب) : (فقد) .

(٧) سبق بيان ذلك .

قائمة المحتويات

١٥	مقدمة التحقيق
٢٠	أهمية هذا الكتاب وسبب اختياره
٢٢	خطة العمل
٢٧	◀ القسم الأول : الدراسة
٢٩	○ الفصل الأول : التعريف بالمؤلف
٣١	المبحث الأول : التعريف بالواحدى ، حياته وآثاره
٣١	المطلب الأول : اسمه ونسبه ، وكنيته ، وأسرته
٣١	أولاً : اسمه ونسبه
٣٢	ثانياً : كنيته
٣٣	ثالثاً : أسرته
٣٣	المطلب الثاني : ولادته ووفاته
٣٣	أولاً : ولادته
٣٤	ثانياً : وفاته
٣٤	المطلب الثالث : موطنه
	المطلب الرابع : طلبه للعلم ، ورحلاته في طلب العلم ، والعلوم
٤٢	التي برز فيها
٤٢	طلبه للعلم
٤٥	رحلاته في طلب العلم
٤٦	العلوم التي برز فيها
٥٠	الواحدى والشعر
٥٢	المطلب الخامس : مذهبه وعقيدته
٥٢	مذهبه

٤٥	عقيدته
٦٠	المطلب السادس : شيوخه وتلاميذه
٦٠	شيوخه
٧٣	تلاميذه
٧٨	المطلب السابع : مؤلفاته
٧٩	القسم الأول : المؤلفات التي يقطع بنسبتها إلى الواحدي
٨٨	القسم الثاني : المؤلفات التي لا يُقطع بنسبتها إلى الواحدي
٩٤	المطلب الثامن : مكانته
	المطلب التاسع : أقوال العلماء فيه ، وما كتبه العلماء عن الواحدي
٩٥	ثناءً أو نقداً له ، والصواب من ذلك
٩٦	المآخذ عليه :
	القضية الأولى : عدم السلامة من البدع ، والبعد عن اتباع
٩٧	منهج السلف في الاعتقاد .
٩٨	القضية الثانية : ضعف البضاعة في علم الحديث .
١٠٠	القضية الثالثة : غمزه الأئمة المتقدمين .
	المبحث الثاني : الأوضاع السياسية في عصر المؤلف وأثرها في
١٠٤	الناحية العلمية
١٠٦	أهم مظاهر هذا العصر
١٠٦	أولاً : تعدد الخلافة
١٠٧	ثانياً : ظهور دول إقليمية
١١٦	وقفة تأمل
١١٧	أثر هذه السياسة في الناحية العلمية
١١٨	أولاً : ازدهار المساجد
١١٨	ثانياً : بناء المدارس والعناية بها
١٢١	ثالثاً : انتشار المكتبات وخزائن الكتب

١٢٢	رابعاً : تقدير السلاطين ووزرائهم للعلم والعلماء
١٢٤	خامساً : نشاط بعض الفرق
١٢٥	سادساً : المناظرات العلمية بين أرباب المذاهب
١٢٦	وقفة
١٢٧	○ الفصل الثاني : دراسة عن كتاب البسيط
١٢٩	المبحث الأول : اسم الكتاب
١٣٠	المبحث الثاني : ثبوت نسبة الكتاب إلى الواحدي
١٣١	المبحث الثالث : الباعث على إنشاء البسيط
١٣٢	المبحث الرابع : تاريخ البدء بالبسيط والانتهاه منه
١٣٣	المبحث الخامس : مصادر المؤلف في كتابه البسيط
١٣٤	القسم الأول : المصادر الرئيسة
١٣٤	أولاً : التفسير
١٣٤	أولاً : تفسير ابن عباس - رضي الله عنه - المتوفى ٦٨ هـ
١٣٤	مكانة ابن عباس في تفسير القرآن
١٣٦	منهج ابن عباس في التفسير
١٣٦	رجوع ابن عباس إلى الشعر القديم
١٤٠	١ . الرواية المنسوبة إلى عطاء بن أبي رباح
١٤٢	٢ . رواية الكلبي
١٤٤	٣ . تفسير تنوير المقباس
١٤٥	٤ . رواية الضحاك
١٤٧	٥ . رواية العوفي
١٤٨	٦ . رواية السدي الكبير
١٤٩	٧ . رواية الوالبي
١٥٠	٨ . طريق قيس بن مسلم الكوفي
١٥٠	٩ . طريق ابن إسحاق صاحب السير

- ١٠ . طريق عبد الملك بن جريج عن ابن عباس ١٥٠
- ١١ . تفسير مقاتل بن سليمان ، المتوفى ١٥٠ هـ ١٥٣
- ثانياً : تفسير الطبري أو جامع البيان عن تأويل آي القرآن
- لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري : (٢٢٤ هـ) ١٥٦
- التعريف بهذا التفسير وطريقة مؤلفه فيه ١٥٦
- طريقة ابن جرير في تفسيره ١٥٩
- إنكاره على من يفسر بمجرد الرأي ١٥٩
- موقفه من الأسانيد ١٦١
- تقديره للإجماع ١٦٢
- موقفه من القراءات ١٦٣
- موقفه من الإسرائيليات ١٦٤
- انصرافه عما لا فائدة فيه ١٦٤
- احتكامه إلى المعروف من كلام العرب ١٦٥
- رجوعه إلى الشعر القديم ١٦٦
- اهتمامه بالمذاهب النحوية ١٦٧
- معالجته للأحكام الفقهية ١٦٨
- خوضه في مسائل الكلام ١٦٩
- ثالثاً : الكشف والبيان للثعلبي ١٧٥
- التعريف بهذا التفسير وطريقة مؤلفه فيه ١٧٦
- ثانياً : علم القراءات الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي ١٨٨
- ثالثاً : معاني القرآن ١٩٢
- ١ . معاني القرآن للقراء أبي زكريا يحيى بن زياد ١٩٢
- ٢ . معاني القرآن للزجاج ١٩٤
- منهج الزجاج في معاني القرآن ١٩٤
- رابعاً : اللغة ١٩٦

١٩٦	تهذيب اللغة لأبي منصور الأزهري
١٩٧	مصادر التهذيب
٢٠٠	منهج الأزهري في تهذيب اللغة :
٢٠٣	الطريقة الأولى :
٢٠٣	الطريقة الثانية :
٢٠٤	الطريقة الثالثة :
٢٠٥	القسم الثاني من المصادر : المصادر الثانوية
٢٠٥	١ . الكتاب لسيبويه
٢٠٨	٢ . كتب الكسائي
٢٠٨	٣ . المصادر للفرّاء
٢٠٩	٤ . مجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى
٢١٢	٥ . معاني القرآن للأخفش :
٢١٣	مثال النقل مباشرة
٢١٣	من أمثلة النقل بوساطة
٢١٤	٦ . كتب أبي عبيد القاسم بن سلام ، توفي سنة ٢٢٤هـ
٢١٥	٧ . تأويل مشكل القرآن لعبدالله بن مسلم بن قتيبة
٢١٧	٨ . تفسير غريب القرآن . وهو أيضاً لابن قتيبة
٢١٩	٩ . كتب المبرّد ، توفي سنة ٢٨٥هـ
٢٢١	١٠ . نظم القرآن لأبي علي الجرجاني
٢٢٥	١١ . كتب أبي بكر بن الأنباري
٢٢٧	١٢ . أبو القاسم الزّجاجي
٢٢٨	١٣ . كتب أبي جعفر النحاس
٢٢٩	١٤ . الإغفال في ما أغفله الزّجاج من المعاني لأبي علي الفارسي
٢٣١	١٥ . المسائل الحليّيات لأبي علي الفارسي
٢٣٢	١٦ . الإيضاح العضدي

- ١٧ . كتاب سر صناعة الإعراب لأبي الفتح عثمان بن جني ٢٣٢
- منهج ابن جني في كتابه ٢٣٢
- منهج الواحد في النقول من مصادره ٢٤٠
- وأذكر بعض الأمثلة التي توضح ذلك ٢٤١
- بعض الملاحظات على نقل الواحد ٢٤٥
- المبحث السادس : منهج الواحد في تفسيره ٢٤٦
- المطلب الأول : مقدمة الكتاب ومنهجه إجمالاً ٢٤٦
- وصف الكتاب ومنهجه فيه وعرضه في المقدمة ٢٥٠
- منهج الواحد في كتابه إجمالاً ٢٥١
- المطلب الثاني : منهجه في كتابه مفصلاً ٢٥٣
- المسألة الأولى : تفسير القرآن بالقرآن ٢٥٣
- المسألة الثانية : تفسير القرآن بالسنة والأثر ٢٥٥
- المسألة الثالثة : تفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين ٢٥٨
- المسألة الرابعة : منهجه في ذكر الإسرائيليات ٢٦١
- المسألة الخامسة : منهجه في عرض القراءات ٢٦٤
- المسألة السادسة : منهجه في علوم القرآن ٢٧١
- ١ . في أسباب النزول ٢٧٢
- ٢ . الوقف والابتداء ٢٧٣
- ٣ . الناسخ والمنسوخ ٢٧٤
- ٤ . الربط بين الآيات ٢٧٥
- المسألة السابعة : منهجه في تقرير مسائل العقيدة ، والرد على الفرق ٢٧٦
- الرد على الفرق ٢٧٨
- المسألة الثامنة : منهجه في المسائل الفقهية والأصولية ٢٨١
- المسألة التاسعة : منهجه في اللغة وفنونها ٢٨٦
- ١ . الجانب اللغوي ٢٨٦

٢٩١	٢ . الجانب النحوي
٢٩٣	مذهبه النحوي
٢٩٥	المسائل النحوية التي يُعْنَى بها في البسيط
٢٩٨	٣ . الجوانب البلاغية
٣٠١	٤ . الشواهد الشعرية
٣٠٦	المطلب الثالث : مقارنة بين تفاسير الواحدي الثلاثة
٣١٦	المبحث السابع : قيمة الكتاب العلمية
٣١٩	المأخذ على تفسير البسيط
	المبحث الثامن : أثر الواحدي في مَنْ بعده من العلماء من خلال
٣٢٤	كتابه البسيط
٣٢٥	أ . في مجال التفسير
٣٢٥	١ . الفخر الرازي وتفسيره مفاتيح الغيب
٣٢٨	٢ . أبو حيان من خلال تفسيره البحر المحيط
٣٢٩	٣ . السمين الحلبي في تفسيره الدر المصون في علوم الكتاب المكنون
	٤ . المفسر سليمان بن عمر العجيلي الشهير بالجميل في تفسيره
٣٣١	الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية
٣٣١	٥ . الألوسي في تفسير روح المعاني
٣٣٣	ب . في علوم القرآن
٣٣٣	١ . بدر الدين الزركشي في كتابه البرهان في علوم القرآن
٣٣٥	٢ . جلال الدين السيوطي في كتابه الإتقان في علوم القرآن
٣٣٥	ج . في كتب الفقه
٣٣٨	د . من شراح الحديث
٣٣٨	١ . ابن حجر في فتح الباري
٣٣٩	٢ . العيني في عمدة القاري
٣٣٩	٣ . السيوطي في تنوير الحوالك

- ٤ . المناوي في فيض القدير ٣٣٩
- المبحث التاسع : النسخ المخطوطة الموجودة للبسيط ٣٤٠
- ١ . نسخة محفوظة بالمكتبة الأزهرية بالقاهرة
- (رواق المغاربة) رقم ٣٠٣ (تفسير) ٣٤٠
- ٢ . نسخة محفوظة بدار الكتب المصرية برقم (٥٣) تفسير ٣٤٢
- ٣ . الجزء الأول من نسخة محفوظة في الأوقاف بالأستانة
- رقم ١٥٧١ ٣٤٣
- ٤ . جزء من نسخة مخروم الأول ٣٤٤
- ٥ . الجزء الأول والثاني من نسخة محفوظة بالجامع الكبير بصنعاء ٣٤٤
- ٦ . الجزء الثاني والثالث من نسخة محفوظة في مكتبة «جستربتي» ٣٤٤
- ٧ . الجزء الثالث : من نسخة مصورة في جامعة الإمام تحت
- رقم (٥١٠٥) ، تقع في (٢٩٣) ورقة [٣١س] ٣٤٥
- ٨ . الجزء السابع من نسخة قديمة ٣٤٥
- ٩ . الجزء الثاني من كتاب «معاني التفسير» في مكتبة أسكيليبي ٣٤٦
- المبحث العاشر : منهج العمل في تحقيق البسيط ٣٤٦
- ◀ القسم الثاني : تحقيق نص الكتاب ٣٥٩
- مقدمة المصنّف ٣٦١
- فاتحة الكتاب ٣٩٧
- تفسير سورة الفاتحة ٤٢٥